

العنادير النبطية في السينما المصرية



مِنْتَهَى سُورَالْأَزْبَابِيَّةِ

WWW.BOOKS4ALL.NET



ملف سينما ما ١٥

العناصر التهطية في السينما المصرية



تأليف: أ.د. نيل رافع
تقديم: أ.د. مذكود ثابت

وزارة الثقافة



المركز الفوهر للسينما

رئيس المركز

أ. د. محمد كامل القليوبى

المؤسس المشرف على ملفات السينما

أ. د. مذكور ثابت

الإخراج والإشراف الطباعى :

محمد السيد

تصميم الغلاف :

يوسف راغب

سكرتارية تنفيذية :

يوسف حسن

خطوط الغلاف :

عبد الرحيم شحاته

إشراف مالى وإدارى :

عبد المعبد النفيلى

فصول الدراسة

* د. نبيل راغب وبحث النمطيات في خامس الفرضيات

بعلم : أ. د. مذكور ثابت	١ - ل
بعلم : د. نبيل راغب	١ شكر وتقدير
“ ” ب - س	١ مقدمة
الفصل الأول : أفلام جمعت فأواعت	١
الفصل الثاني : الانتحال والتتكر والتشابه	٨٧
الفصل الثالث : الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً	١٣٧
الفصل الرابع : الانتقام والقتل والعنف	١٨٣
الفصل الخامس : الأمراض والعاهات	٢١٩
الفصل السادس : العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون	٢٤٣
الفصل السابع : الخيانة الزوجية	٢٧٣
الفصل الثامن : العصبات والمخدرات	٢٩٧
الفصل التاسع : الإدمان والسموم البيضاء	٣٢٣
الفصل العاشر : الأحلام والرؤى والأشباح والشعودة	٣٣٥
الفصل الحادى عشر : الصدف والمفاجآت والوصايا	٣٥٣
الفصل الثاني عشر : الاعيب الشخصية الشريرة	٣٦٩
الفصل الثالث عشر : مأسى بنات الليل	٣٩١
الفصل الرابع عشر : الانتحار والتضحية لوجه الله	٤١١
الفصل الخامس عشر : الفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقي	٤٢٣
الفصل السادس عشر : الزواج العرفي والمحل	٤٣٩
الفصل السابع عشر : أفلام غير نمطية	٤٥٣

د. نبيل راغب وبحث النمطيات في خامس الفرضيات

بقلم أ. د. مذكور ثابت

لقد تواللت من قبل فرضياتنا التي اعتدنا طرحها حول الفيلم المصري، لتلازم ما أصدرناه من مباحثات ودراسات التاريخ للسينما المصرية ، فما أن تسلمنا من الأستاذ الدكتور نبيل راغب بحثه هذا الذي عكف لأكثر من عام في إعداده ، وما أن تحقق به الرقم (١٥) في سلسلة مشروعنا الطموح "ملفات السينما" ، حتى تحولت فرحتنا ببلوغ هذه المرحلة إلى ثقة في الغد القادم ، وهنا يهمنى بداية أن أتوجه بالتحية إلى الزميل العزيز الأستاذ الدكتور محمد كامل القليوبى الرئيس الحالى للمركز القومى للسينما ، الذى شرفنى بإصدار أوامره الإدارية بأن تستمر إجراءات طبع هذا الكتاب الذى كنا منكبين على إعداده للطباعة ضمن سلسلة "ملفات السينما" التى شرفت بإصدارها فى فترة رئاستى السابقة للمركز القومى للسينما ، قبل انتقالى لرئاسة الرقابة على المصنفات الفنية ، كما زاد من إعزالى وتقديرى أن أصر سيادته على أن يظل اسمى مقترناً بصفة "المؤسس المشرف على ملفات السينما" وهو الأمر الذى يشير إلى نبل العلاقات الرائعة بين الزملاء والأصدقاء ، كما يعلى من قيم العمل فوق كل اعتبار ، بما من شأنه تحقيق الموضوعية المنشودة فى مجالات العمل ، وبما يجسد نموذجاً للقدوة .

وعليه فإبني أجدد الدعوة للباحثين والمهتمين لإعداد أوراقهم ومحاجتهم التي من شأنها أن تتضم لاحقاً إلى "ملفات السينما" التي كان هدفاً الأول من تأسيسها هو تعويض النقص الحاد في المواد والدراسات المنهجية الالزامية لإعادة التاريخ للسينما المصرية .

وهكذا يأتي هذا المجلد الذي بين أيدينا على قمة الجهد البحثي الذي يبذل خصيصاً لنفس هذا الهدف ، إذ يحقق الأستاذ الدكتور نبيل راغب مثلاً رائعاً في انكبابه على إنجاز هذا العمل منذ بدأ فكرته مروراً بالخطيط له وحتى إخراج نسخته الخطية الأخيرة ، دون أن يبتعد لحظة واحدة عن مسار "ملفات السينما" ووفق كل ما نستهدفه معاً في دراستنا لتاريخ الفيلم المصري ، والذي بسببه كان حمسنا لفكرة هذا المجلد البحثي منذ اللحظات الأولى لطرحها ، لأنها لا تبتعد ، وإنما تتدفع إلى صميم ما توجهنا لبحثه في ملفات السينما .

لقد قدمنا دعوتنا لكي يبادر الآخرون بطرح الفرضيات البحثية حول السينما المصرية وأفلامها ، بينما انصببت الفرضيات التي طرحتناها من ناحيتنا على "تمطيات" يتسم بها الفيلم المصري عبر تاريخه ، ولا نجد غضاضة هنا من تكرار الإشارة إليها ، حتى يتضح اتساق مبحث الدكتور نبيل راغب وفرضيته مع مجمل التوجه البحثي الذي نستهدفه لهذا المشروع التاريخي ، وأيًّا كان الاختلاف أو الاتفاق حول مجريات البحث - أو الأبحاث - وكذا النتائج أو حتى طبيعة صياغة أي فرضية من الفرضيات التي تعودت - شخصياً - طرح مقولاتها لتكون متاحة على مائدة البحث في اتجاه إثباتها أو رفضها فيما يتعلق باتجاهات وأنواع وشرائح الفيلم المصري خلال تاريخ إبداعه وصناعته ، كما سوف تستمر دعوتنا لطرح العديد من الفرضيات الأخرى عن السينما المصرية ، على

أن تنصب كل منها كالعادة على زاوية مختلفة ، رغم استهداف منطوقها لصفة شمولية في هذه السينما ، إذ وبينما تنصب كل منها على زاوية جديدة لابد وأن تتكامل مع الآخريات ، حيث تمثل الواحدة منها مدخلاً خاصاً بها للنظر منه ، وبحيث لا تلغى الزوايا والمداخل الأخرى وإنما تعتمد عليها بالتكامل معها ، وفيما يلى نكرر العرض لتذكرة موجزة عما طرحته منها وحول كيفية تكاملها :

الفرضية الأولى (حول أفلام الحركة) :

جاءت فرضيتا الأولى في مقدمتا لملف "أفلام الحركة في السينما المصرية" (الملف رقم ٤ - تأليف سمير سيف) وفيها ذهبتا إلى أنها الشريحة المدخل إلى دراسة بقية شرائح السينما المصرية ، ليس فقط بسبب غلبتها في أحيان كثيرة من حقب الإنتاج السينمائي المصري ، أو بسبب اتسامها دائمًا بالنجاح الجماهيري ، وإنما لسبب أكثر شمولية ، إذ أنها فيما أرى شخصياً تعتبر النموذج الأكثر تركيزاً لنوع إطار المعالجة الدرامية الذي تتحرك داخله معظم شرائح الفيلم المصري الكلاسيكية الأخرى ، فهو الإطار المبني على التلاعب الإبداعي بوسائل التأثير الدرامي التي تشمل التشويق والمفارقة والمفاجأة .

الفرضية الثانية (منوال المعالجة الدينية) :

و جاءت فرضيتا الثانية في مقدمتا لملف "صورة الأديان في السينما المصرية" (الملف رقم ٧ - تأليف محمود قاسم) والتي تربط بين أسباب نجاح منهجية السينما المصرية في تعاملها المباشر مع "الموضوع الديني" وبين استخدامها لذات المنهجية - سعياً لنجاحها أيضاً - عند تعاملها مع "الموضوعات غير الدينية" بما أصبح يجسد الخبرة الرئيسية في تاريخ (ج)

السينما المصرية ، حيث انعكس على "تمييز" العديد من ظواهرها ، من قبيل تلك التوقيعات النمطية على الدور الذى يلعبه "القدر" فى المنحى "الميلودرامى" الجياش الذى طبع اتجاهها بأكمله على وجه السينما المصرية عبر كل تاريخها .

الفرضية الثالثة : (محور هيكل/كريم وتيار فيلم زينب) :

وكانت قد جاءت فرضيتنا الثالثة أيضاً فى ذات المقدمة السابقة ، وهى عن الريادة والسيادة الكبرى لتيار ما أسميته "زينب" (الفيلم) والذى غنيت به "محور هيكل / كريم ، محلها عيشة الفلاح على الشاشة المصرية" من حيث ريادته التأثيرية على ما اتسم به التيار الأساسى للسينما المصرية منذ نشأتها ، وهو تيار يبدأ أصلاً من الأديب محمد حسين هيكل ، مثلاً يبدأ تجسيده السينمائى عبر صنوه محمد كريم ، فمنذ ظهرت زينب هيكل صامته على شاشة محمد كريم ، مر أكثر من عقدين من الزمن على نوع السينما المصرية التى شربت بروحها ، والتى يمكن أن توجزها بالحن والكلمات أغنية عبد الوهاب " محلها عيشة الفلاح" التى تعادل كل أغانى واستعراضات السينما المصرية حتى لحظة ظهور "العزيمة" الذى يرسم مجرد بادرة لصورة سينمائية مصنوعة وفقاً لتفاصيل الواقع ، دون أن تنفى تواصل تيار هيكل / كريم ، حتى عبر كمال سليم نفسه ، ورغم وجود ربع قرن يفصل بين إنجاز كريم لزينب الصامت وبين إخراجه له ناطقاً ، إلا أن نظرته فى الصامت إلى الحياة عامة ، وإلى صورة الفلاح والريف خاصة ، لن تفترق فى الجوهر عنها فى الناطق ، إلى درجة أننا نذهب فى فرضيتنا إلى تطابقهما فى "الغائية !! " رغم صمت الأول ، ولا عجب فى مثل هذا التوصيف ، لأن الغائية كانت متحققة هناك عبر غائية النظرة إلى الحياة ، وبما لا يختلف عن غائية النظرة / الناطقة فى زينب

الثاني ... بل وفيما بعد ذلك سنجد أن كل ما يبدو أنه مغاير لتيار هيكل وكريم ، إنما لا يبدو كونه مجرد تتويعات في داخل نفس الإطار ، وعندما يحدث ما يبدو أنه التطور من قبيل ما تظهر عليه سينما عز الدين ذو الفقار إنما لا تخرج في حقيقتها عن ذات الترددات .

الفرضية الرابعة (حول سينما الفودفيل / الكوميديا والغاء) :

وعلى سبيل التمهيد لفرضيتنا الرابعة ، نشير إلى أنه بالمقابل لغائية النظرة الفنية إلى الحياة حتى لو لم يتضمن العمل الفني غناءً ملحوناً ، وفق ما أشرنا إليه في فرضية التيار المسمى محور هيكل / كريم ، فإن غائية الأداء الملحن والذى يتضمن الأغانى المصحوبة بالموسيقى ، هو ما تشير إليه فرضيتنا الرابعة حول قيام السينما المصرية على اكتاف مسرح الفودفيل وتتويعاته التي نجد شروحها لدى مؤرخى ونقاد المسرح المصرى ، وحيث نجد أنفسنا أمام فرضية جديدة نضيفها للبحث فى الفيلم المصرى ، والتى أوردنا صياغتها قياساً على سابقاتها الثلاث ، بنص ما نتصورها به فيما يلى :

"إن الفودفيل بعناصره هو الذى يشكل "عالم العمل الفنى" فى السواد الأعظم من الأفلام المصرية وفقاً للعقد العرفى السادس بين السينما المصرية وجماهيرها العربية .."

ومن الطبيعي أن نفهم المقصود "عالم العمل الفنى" باعتباره "العالم المصنوع" بالأداة السينمائية داخل الصورة وأصواتها ، وهو ما يدخل فى إطار "اللعبة" المتفق سلفاً على لعبها مع الجمهور ، خلال ما أسميته فى أبحاثى "الافتراض الفنى" الذى يتحقق بما نعتبره "العقد العرفى المسبق" بين هذا الجمهور والشاشة .

أما هذه الغائية المباشرة فهى ما تعودت شريحتها في السينما المصرية أن تخرج إلينا كذلك بغضائية النظرة إلى الحياة ، أى بما لا يجعلها بعيدة عما طرحته من فرضية سابقة ، بل وليس بعيدة - وإنما متكاملة - مع غيرها من الفرضيات التي كما ذكرنا تشكل مداخلًا وزوايا على خط دائرة مستديرة تنظر كل منها إلى نقطة واحدة في مركز الدائرة هي الفيلم المصري .

فمثلاً ستتأكد لنا فرضية تيار هيكل وكريم ، من حيث تكاملاً مع زوايا الفرضيات الأخرى ، عندما نجدها مستقطبة لملامح ومداخل أخرى للمعالجة الفنية التي باتت تتقولب بها غالبية الأفلام ، من قبيل استقطابها للمدخل الذي طرحته فرضيته عبر شريحة أفلام الحركة ، كذلك الاستقطاب للمدخل الذي طرحته فرضيته حول التصور الفيلمی النابع من تعاليم العقيدة الدينية في المعالجات الدرامية ، وحيث نجد أيضاً مدخل الفرضية التي طرحتها عن سينما الفودفيل في تقديمها فيما يتعلق "بالكوميديا والغناء" حيث لم يعد ثمة انتصاراً فيما تطرحه مختلف هذه الفرضيات . ومن هنا يصبح رصد هذه الفرضيات والبحث في إثباتها عبارة عن إطار نظرية لرصد نمطيات السينما المصرية ، حتى وإن كانت تسمية "التمييط" هذه مجرد تسمية ضمنية فيما توصفه فرضياتنا باعتباره تمييطاً نظرياً .

لذا وعندما يتركز الملف الجديد الذي اضطلع بإنجازه أ. د. نبيل راغب حول "العناصر النمطية" في الفيلم المصري ، فإنما يأتي ملفاً واضحاً مباشراً في انكابه الحيوي على الكشف والرصد التطبيقي لأمثلة تلك العناصر وإيراز تكرارها الذي يمنحها صفة النمطية ، ومع إخضاعها للتقييم من منطلق نمطيتها هذه ينهج الدكتور نبيل راغب منهاجاً ثابتاً في الحفاظ دوماً على مبدأ التدليل بالأمثلة والنماذج الواضحة من الأفلام تدليلاً

مباشراً، أى بما يمنع هذه المباشرة سمة الصلابة فى مواجهة مجرد "الافتراضات" النظرية .. وهنا تبرز تلك المباشرة باعتبارها فى ذاتها فرضية جديدة ، ونرى - من وجهة نظرنا - أنها قد أصبحت فرضيتنا الخامسة القائلة بأن: "الفيلم المصرى فى غالبيته فيلم نمطي" .

وعند هذا الحد من التقديم لمحور هذا الكتاب وموقعه من " ملفات السينما" لا أرى داعياً للاستطراد فى العرض لمحتوياته ، إذ يتکفل الملف بأن ينطق بمحکونه ، خاصة وأن مؤلفه كاتب له تاريخه وباعه فى مجالات النقد والبحث ، ومن ثم يصبح دورنا الآن مقتصر على التدوين أو الإشارة بالملحوظات حول كيفية قراءتنا لهذا الملف الهام .

وأول ما نرى التدوين إليه ، هو أن هذا المبحث قد انصب فى الأساس على نمطية "المعالجات" فى صياغة المواقف والشخصيات ، رغم أن الكتاب يحمل عنواناً أشمل هو "العناصر النمطية" ، وتنقضى الأمانة هنا أن نتبع ذلك بتدوينه آخر هو أن مؤلف الكتاب يعى تماماً أن هناك عناصر أخرى سينمائية تدخل فى إطار هذه النمطية ، إذ هو نفسه القائل فى مقدمته :

"تمثلت العناصر النمطية فى السينما المصرية بصفة عامة فى الموضوعات والمضمون والأفكار والتيمات التى تناولتها عبر ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن العشرين . وقد أدت بدورها - بصفة خاصة - إلى تفريعات نمطية أخرى سرت فى أساليب المعالجة الفنية ، وصياغة الشكل الفنى ، وتكوين الشخصيات ، سواء أكانت رئيسية أم ثانوية ، وتحديد الأماكن ، وهندسة المناظر ، وتصميم الديكورات ... الخ "

وأهم ما نخلص إليه لدى وقوفنا عند هذا التوبيه ، هو الدعوة إلى مواصلة البحث والرصد لنمطية هذه العناصر السينمائية الأخرى التي حرص الدكتور نبيل راغب على الإشارة إليها ، من قبيل : المناظر السينمائية ، المونتاج ، التصوير ، الصوت .

من ناحية أخرى يمكننا أن نتوقف عند خمسة ملحوظات تشكل تفكير الدكتور نبيل راغب لدى بحثه في هذا الموضوع المنصب على نمطيات الفيلم المصري ، وهي الملحوظات التي يعيها المؤلف وعيًا تامًا من خلال مجريات دراسته بما تؤكده سطور مقدمته كما يتضح فيما نورده عنه هنا :

أولاً : مشكلة التداخل النمطي :

وهو ما يرد واضحًا محدداً بقول د. نبيل راغب عندما يكتب : "ومن العقبات التي واجهت هذه الدراسة أن العناصر النمطية في السينما المصرية - بصفة عامة - متشابكة ومترادفة لدرجة أنها تشكل شبكة عنكبوتية أو أخطبوطية ، بحيث يصعب في كثير من الأحيان فصل عنصر عن آخر" .

ثانياً: مع فرضيتنا الخامسة :

وينطلق منهج دراسة د. نبيل راغب من وجهة نظر أساسية تلتقي مع فرضيتنا الخامسة القائلة بنمطية الفيلم المصري في غالبيته ، وهو المفهوم الذي نجده واضحًا في سطوره ، مثل قوله :

"لكن من الصعب تقسيم تاريخ السينما المصرية إلى مراحل متبلورة منذ بدايتها في العشرينات ، إذ يمكن تتبع العناصر التي بدأتها عزيزة أمير وداد عرفى وإبراهيم لاما وتوجوا مزراحى ، في أفلام العقد الأخير من القرن العشرين. أى أن

هذه المرحلة النمطية والعليودرامية استمرت ثلاثة أرباع قرن ، ولا تزال قادرة على المواصلة بلا ملل. لكن أحراس الخطر دقت أخيراً مع الأزمة المستحكة التي أمسكت بخناق السينما بعد انحسار دور العرض ، والسيادة شبه المطلقة التي يمارسها التليفزيون والفيديو والشبكات الفضائية " .

ثالثاً : نحو سينما تكون أو لا تكون :

وهي القناعة التي يؤكد د. نبيل راغب على إيمانه الكامل بها عبر قوله : "ولا يمكن للسينما المصرية أن تواجه تحديات القرن الحادى والعشرين ، المحلية والعالمية ، بهذه العناصر النمطية ، الفكرية والفنية ، فى عالم أصبح قرية صغيرة ، ليس على المفترج سوى أن يضغط على زر كى يرى أمامه فى لمح البصر الإبداعات السينمائية العالمية التى لا تتوقف عن التجدد والتطور والانطلاق إلى آفاق مبهرة. ولذلك ليس من المبالغة ، القول بأن السينما فى مصر وفي الدول النامية بصفة عامة قد دخلت مرحلة أن تكون أو لا تكون . والسينما المصرية - بصفة خاصة - تملك من الموهاب والقدرات والطاقة والخبرات ما يؤهلها لمواجهة هذا التحدى إذا ما استغلتها على أفضل وجه ممكن " .

رابعاً : وسينما مصرية طبيعية :

ويعبر د. نبيل راغب عن رؤيته الحقيقة لتاريخ السينما المصرية عندما يؤكد على الخط المواكب لما هو نمطى بقوله : "لكن هذا لا يعني أن هذه العناصر النمطية كانت قاعدة لا تقبل الاستثناء ، فقد أثبتت السينما المصرية قدرتها على إنتاج أفلام غير نمطية وتنصل إلى المستوى التجريبى والطبيعى " . ويبنى على هذه الرؤية توجهه فى البحث :

" ولذلك كانت هذه الدراسة - خاصة الفصل الأخير منها الذي يدور حول الأفلام غير النمطية - دعوة لتجديد دماء السينما المصرية التي ننقدها بداعي حبنا لها وحرصنا عليها. فهي سينما رائدة بمعنى الكلمة ، ليس على مستوى السينما العربية فحسب، بل السينما العالمية أيضا ، إذ أنها بدأت بعدها بسنوات قليلة في الربع الأول من القرن العشرين. وهي سينما قادرة على اجتياز أزماتها ، خاصة عندما تحطم القوالب النمطية ، وترتبط بضمير المجتمع الذي تتبع منه وتفاعل معه ، وتنطلق لفتح آفاق جديدة فكراً وفناً " .

خامساً : قسوة الناقد المحب للسينما المصرية :

وفي هذه الملحوظة نتوقف عند أروع ما يتحلى به ناقد يبحث في سينما التي يواجهها بالتمرد عليها ، وهو موقف يعيه د. نبيل راغب وعيّاً كاملاً ، بل ويحرض على تأكيده بعباراته المباشرة منذ اللحظات الأولى لكتابه عندما يذكر :

" وقد يبدو هذا التحليل النقدي قاسياً في بعض الأحيان ، لكننا ندرك أن السينما المصرية بكل ثقلها الفنى والحضارى تستطيع أن تصمد للنقد وأن تستوعبه وتصحح مسيرتها نحو الآفاق التي تليق بعراقتها. وبرغم ما ورد في هذه الدراسة من نقد لا يهان ولا يلتفى في منتصف الطريق ، فذلك لأن السينما المصرية تشكل جزءاً عضوياً في فكرنا ووجودنا وثقافتنا وحضارتنا ، لا يمكن غض الطرف عنه بأية حال من الأحوال ... إن صورة السينما المصرية الرائدة في العالم العربى والشرق الأوسط

بأسره ، ليست بالقتامة التي قد يظنها بعض المتحمسين لها ، أو التي يحاول أن يشيعها بعض المتربيسين بها . فقد أبدعت عبر مسيرتها الطويلة سلسلة من الأفلام غير النمطية التي تشكل علامات مضيئة بل وساطعة على طريقها ، وإذا كانت هذه الدراسة بمثابة رصد وتحليل نقدى للمضمون الفكرى فى السينما المصرية ، فهذا يرجع إلى قدرتها على تصحيح مسيرتها بين الحين والآخر ، واستيعابها لكل الجهود النقدية الحريرية على تعميق مسيرتها وتطويرها وليس مجرد استيعابها ، فهى ليست سينما وليدة وهشة ، يخشى عليها من معاول النقد الذى يمكن أن تتحول إلى معاول لهدمها ، بل هى سينما وطيدة وراسخة وقدرة على الاستفادة من كل التوجهات النقدية ، ولذلك فإن أية محاولة لاستغلال هذه الدراسة فى ضرب السينما المصرية ، والإقلال من شأنها ودورها الريادى مصيرها الفشل المحتمم ، فالقوى لا يخشى كشف سلبياته سواء أمام نفسه أو أمام الآخرين ، وذلك كى يتخلص منها ، طلباً للمزيد من الإيجابيات والإنجازات الجديدة" .

هكذا تصلنا جدلية موقف الدكتور نبيل راغب من السينما المصرية ، أى تلك الجدلية التى تتضمن ناقداً قاسياً باشد ما تكون القسوة ، كما تتضمن عاشقاً مغرياً بسينما مصرية ينشد لها غداً أحلى وأروع ، وهو بهذا المنحى الموضوعى إنما يمثل الموقف والحلم الكائن فى أعماق كل من يغنى للفيلم المصرى مستقبلاً جديداً .. ومن ثم لا تبقى إلا مبادرات التقييم الجاد لما أسفه عنه مثل هذا البحث .

إذن ، وكم عادتنا في النهاية : مثلاً أنت لم نصادر على تقديم رأى أو توجيه نقدى لدى إصدارنا لهذا الملف - أو غيره - فإننا كذلك ندعى لمراجعة ما نضمنه هذا الملف - وغيره أيضاً - أملين أن تتحلى أية مراجعة مما ندعى إليه بأهداف الإنارة والكشف والاكتشاف لأن موقفنا الأساسي هو مع "الإنارة" هنا أو هناك ، ودون أن نصادر على ما هو آت ، بل ندعى إلى المواصلة والاستكمال ، أملين ألا توقفنا عثرات أو إحباطات .

أ. د. مذكور ثابت

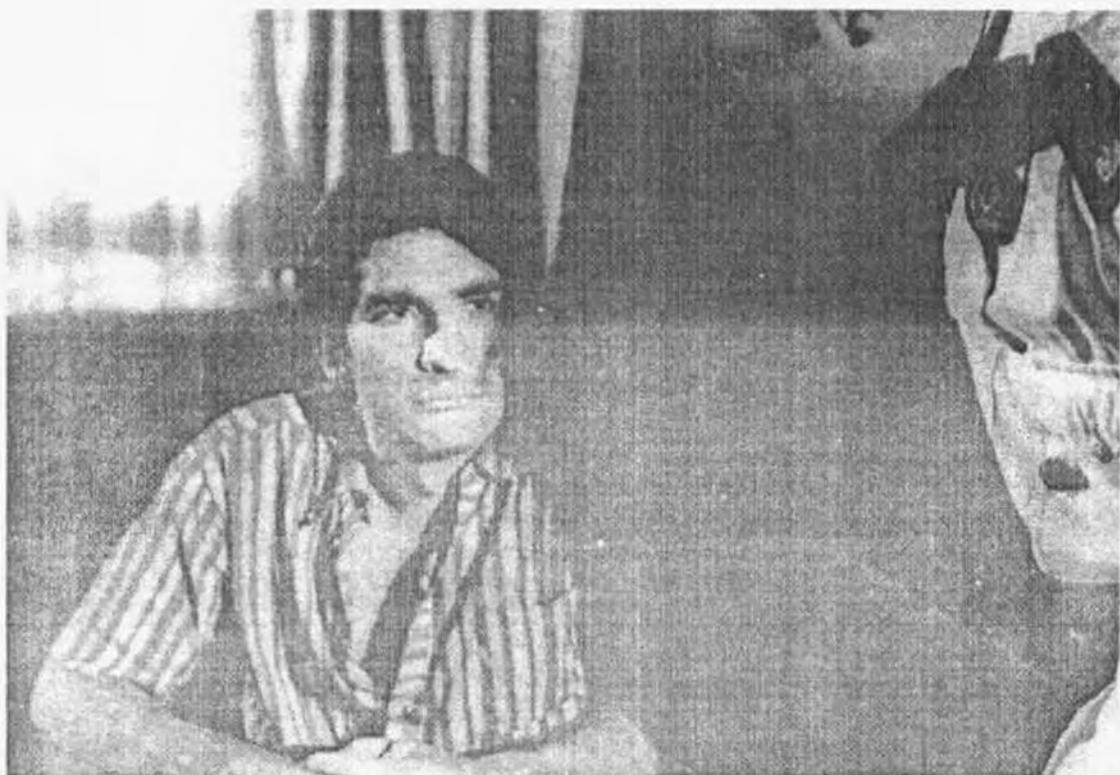
يناير عام ٢٠٠٠



شہیرہ
فی "صورة" إخراج مذکور ثابت



فيلم "صورة" إخراج مذكور ثابت



لقطة من فيلم " صورة " إخراج مذكور ثابت

شكر وتقدير

لم يكن لهذا الكتاب أن يرى النور بدون المساعدات الجليلة التي تلقيتها من السادة الأجلاء الذين تحمسوا له طوال مدة تأليفه ، وفي مقدمتهم المخرج الطليعى والمُتظر السينمائى الكبير الأستاذ الدكتور مذكور ثابت رئيس المركز القومى للسينما وأستاذ الإخراج بالمعهد العالى للسينما ، والذى لم يتوقف عن الاتصال بى وإدارة الحوارات المثمرة والشيقية حول كل مرحلة من مراحل تأليف الكتاب ، مما منحنى قوة دفع متعددة مكنتى من الانتهاء منه فى زمن يعتبر قصيراً بالنسبة لحجمه .

كما أخص بالشكر العميق المهندس عفت سعد الناشر القدير الذى أهدانى نسخة من الثبت الأكاديمى المرموق الذى أنجزه كل من منى البندارى ومحمود قاسم ويعقوب وهبى ، وهو "موسوعة الأفلام العربية" ، وذلك بعد نفادها من السوق ، إذ بدون هذه الموسوعة ومادتها العلمية القيمة ، لما كان لهذا الكتاب أن يصدر بهذا الشكل . وأيضاً الناقد والفنان السينمائى الدكتور ناجى فوزى الذى لا استطاع أن أوفيه حقه من الشكر لمساعداته الجزيلة لى .

كذلك لابد أن أذكر بالعرفان والتقدير الفنانة التشكيلية وسام بشير أمينة متحف محمد محمود خليل ، والتى لم تتوان لحظة فى الاتصال المثمر بالمكتبات والمراکز العلمية المتخصصة ، لإمدادى بالممواد العلمية التى ساهمت فى إثراء هذه الدراسة .

أما زوجتى الإعلامية نبيلة داود فكانت كعدها دائمًا فى كل كتاب أصدرته ، مصدرًا متجدداً من الحماس المتذوق ، ومنبعًا صافياً من الإيمان القوى بكل ما أنجزه .

إليهم جميعاً أتقدم بكل العرفان والتقدير ، فقد رصعت بصماتهم صفحات هذا الكتاب .

نبيل ،

مقدمة

تمثلت العناصر النمطية في السينما المصرية بصفة عامة في الموضوعات والمضمون والأفكار والقيم التي تناولتها عبر ما يقرب من ثلاثة أربع قرون والعشرين . وقد أدت بدورها - بصفة خاصة - إلى تفريعات نمطية أخرى سرت في أساليب المعالجة الفنية ، وصياغة الشكل الفنى ، وتكوين الشخصيات ، سواء أكانت رئيسية أم ثانوية ، وتحديد الأماكن ، وهندسة المناظر ، وتصميم الديكورات ... الخ . لكن هذا لا يعني أن هذه العناصر النمطية كانت قاعدة لا تقبل الاستثناء ، فقد أثبتت السينما المصرية قدرتها على إنتاج أفلام غير نمطية وتصل إلى المستوى التجريبى والطليعى ، وأثبتت أيضا أنه ليست هناك عناصر نمطية في حد ذاتها ، إذ أن النمطية تكمن في أسلوب المعالجة الفكرية والفنية لهذه العناصر التي يمكن أن تصبح غير نمطية على الإطلاق إذا ما عولجت بمنظور غير نمطى .

وقد أدت المعالجة السينمائية النمطية إلى قوالب محفوظة عن ظهر قلب في مجال صياغة المشاهد وتتابعها وسياقها الدرامي ، مثل المشاهد شبه المسرحية الراخمة بالحوارات الطويلة ، والفترات التي تعظ المتفرجين بأسلوب شبه مباشر ، والصادف التي يقحمها المؤلف لكي يوجه مسار الأحداث وجهة قد لا تتفق مع تسلسله المنطقي ، مما يؤدي إلى الافتعال والتلفيق والنهاية السعيدة التي قد ترضي المتفرج مؤقتا ، لكنها لا تحترم عقله على المدى الطويل ، فليس ضرورياً أن يلتئم شمل المحبين وأن ينتصر الخير على الشر ، خاصة إذا كانت طاقة الشر عاتية في مواجهة عناصر خيرة هزيلة . وأيضا الصراع النمطى بين العاطفة والواجب ، وسوء التفahم الذى يحمل الألفاظ معانى تختلف بل وتتناقض بين المتكلم والمستمع ، وكذلك المعانى المزدوجة ، واللعب على الألفاظ ، والنكات اللفظية ، والمواقف الهزلية التي يتحول فيها الممثلون إلى نوع من المهرجين الذين يستخدمون الوسائل النمطية في الإضحاك دون إثارة فكر الجمهور وقدرته على التأمل ، أو المواقف

الميلودرامية التي تبالغ - سواء على مستوى الكلمة أو الحركة - في استدرار دموع الجمهور وإثارة أشجانه في مواجهة المأساة العاتية التي تمر بها الشخصيات، بهدف أن يتعاطف معها دون تفكير أو تأمل أيضاً. كذلك كان البناء الدرامي للفيلم تحت رحمة فوacial الرقص الشرقي ، والأغاني التي تعطل تطور الأحداث ، برغم أنه يمكن توظيفها درامياً في دفع عجلة الأحداث . وقد دعم الاقتباس ومحاكاة الأفلام الأمريكية على وجه الخصوص ، العناصر النمطية ، لأن المؤلفين كانوا يميلون إلى اقتباس العناصر والموافق التي عودوا الجمهور عليها ، وليس لأن الجمهور كان يريدها منذ البداية ، ولذلك فإن مقوله " الجمهور عاوز كده " هي مجرد حجة يتذرع بها بعض السينمائيين حتى لا يحملوا أنفسهم مشقة استكشاف الجديد .

وبطبيعة الأمر فإن المعالجة النمطية لا تقتصر على عنصر دون آخر في بناء الفيلم ، فالشخصيات - مثلا - لا بد أن تكون نمطية بدورها . وما على المؤلف أو المخرج سوى أن يستدعيها من أفلام سابقة لكي تؤدي نفس المواقف " الافيهات " التي اعتادها الجمهور الذي يمكن أن يحاكي هذه " الازمات " في حياته اليومية على سبيل التفکهه . من هذه الشخصيات النمطية الجاهزة للاستخدام والتوظيف شخصية الشرير ، والعذول ، والولد الشقى ، والبنت الحلوة المدللة ، والبنت المغلوبة على أمرها ، والسنيد والحمامة ، ونجمة الإغراء ، والعاشق الولهان ، والخدم والخدمات ، والباشا الصارم أو " الهلاس " ، والطبيب أو الدكتور النفسي الذي لا ينهض تشخيصه على أساس علمي ، والفلاح الساذج الجاهل ، والعمدة ، والخفير ، وابن البلد ، وبنات البلد ، وضابط الشرطة ، والمأذون ، والموظف البيروقراطي ، والمعلم ، والفتاة ، وزعيم العصابة ، والبدوى ، والمسكير ، والمدمن ، والبربرى ، وبنات الليل ، والراقصة ، والمطرب ، والموسيقار ، والخواجه اليونانى ، ووكيل النيابة ، والقاضى ، والمخبر السرى ، والنصاب المحتاب ، والمدرس ، والممثل ، ومبود النساء ، والمجاهد الوطنى ،

والفتاة المتحررة العصرية ، والمرأة المحبطة ، والأرملة ، والمراهق ، وسى السيد ، والأعمى ، والأبله ، والفنان ، والأخرس ، والبهلول أو الدرويش أو العبيط ، ورجل الدين ، والمرأة الجباره ، والمتهم البريء ، والزوج المشغول عن زوجته بعمله ، والعشيق والعشيقه ، والابن غير الشرعي ، والقواد ، والأب المترمت ، ورجل الأعمال الكبير ، والمتهم ، وأقران السوء ، والمطلاقة ، والجنون ، والمنحوس ، والمرابي ، والإقطاعي ، والإرهابي ، والعاطل ، والمهرب ، والوصولى ، والمشلول ، وذو العاهة ، والرهينة ، ، وصاحبة العصمة ، والبيت ، والمحل ، والمتصابي ، والمنقف البائس ، والثورى ، وثرى الحرب ، وصاندة الرجال ، والانتهازى ، والكذاب ، وابنة الجيران ... الخ .

وكان من الطبيعي أن تتوارد هذه الشخصيات النمطية في أماكن ومناظر وخلفيات نمطية أيضاً مثل الحارة ، والقصر ، والملهي الليلي (الكباريه) - برغم أن المصريين نادراً ما يتربدون على البارات والكباريهات التي يندر وجودها في مصر أصلاً - وبيت الدعارة ، والتخسيبة ، والسجن ، والفندق ، وقسم الشرطة ، والقطار ، والحقل ، والحقيقة ، والشاطئ أو الساحل أو البلاج ، والأثار القديمة ، والنيل ، والصحراء والبادية ، والقرية ، والمدينة ، والحي الشعبي ، والحي الأستقراطي ، والبدروم ، والسطوح ، والمقابر ، والأكواخ ، والخرائب ، والكهوف ، وملجاً الأيتام ، ومستشفى الأمراض العقلية ، ودار الأحداث ، ووكر العصابة ، والجراجر ، والمحكمة ، والمستشفى ، والمقهى ، والنادى ، وناصية الشارع ، والدكان أو الوكالة ، والمصلحة الحكومية ، والجامعة ، والمدرسة .. الخ

ونظراً لأن ميل المنتجين السينمائيين للاعتماد على المناظر النمطية الداخلية كان نتيجة لتكلفتها الأقل من المناظر الخارجية ، فقد كانت لها الغلبة في أفلام كثيرة ، لدرجة أن بعض الأفلام كانت تصور في شقق أو فنادق بالكامل . لكن الموضوعات والمضمون النمطية كانت القاسم المشترك في كل هذه المناظر

والموقع بمختلف أنواعها ، مثل الحب والزواج ، الفقر والغنى ، الخير والشر ، الوعظ والمضمون الأخلاقي ، والسلق الطبقي ، والجشع المادى ، وكيد النساء ، والخيانة الزوجية ، والحمل سفاحاً ، والاغتصاب ، وصراع الأجيال ، وشرف البنات ، والتضحية ، والظلم ، والانتقام ، واستيقاظ الضمير ، والعقم ، والزواج العرفي ، والإرهاب ، وأزمة السكن ، والطلاق ، والعقد النفسية ، والصدمة العاطفية ، والصراع بين التقاليد المصرية والأجنبية ، والأحلام والكوابيس ، والأسر المفكرة ، والعدالة الشعرية التي تكافئ الخير وتعاقب الشرير .

وكانت هذه البوتقة النمطية التي انصهرت فيها معظم عناصر الفيلم ، قد أدت إلى غياب الفكر السينمائي ، وانفصال السينما عن المجتمع الذي يمكن أن يمدّها بالأفكار الجديدة ، وبالتالي اجترار الأفكار القديمة ، ومحاكاة السينما الأمريكية الصادرة عن مجتمع يختلف شكلاً و موضوعاً عن المجتمع المصري ، ودخول بعض السينمائيين مجال التأليف والكتابة برغم أنهم لا يمتلكون ناصية هذا الفن ولا يدركون أسراره ، بحيث أصبحت عناصر التأليف والكتابة مجرد ورق معروف مسبقاً ، لكن يعاد تفنيطه مع كل فيلم جديد .

ولذلك كانت هذه الدراسة - خاصة الفصل الأخير منها الذي يدور حول الأفلام غير النمطية - دعوة لتجديد دماء السينما المصرية التي ننقد هابدأع حبنا لها وحرصنا عليها . فهي سينما رائدة بمعنى الكلمة ، ليس على مستوى السينما العربية فحسب ، بل السينما العالمية أيضاً ، إذ أنها بدأت بعدها سنوات قليلة في الربع الأول من القرن العشرين . وهي سينما قادرة على اجتياز أزماتها ، خاصة عندما تحطم القوالب النمطية ، وترتبط بصميم المجتمع الذي تبع منه وتفاعل معه وتنطلق لفتح آفاق جديدة فكراً وفناً ، وترفض محاكاة فيلم سبق أن نجح جماهيرياً ، لأن المحاكاة هي الخطوة الأولى نحو التمثيل ثم التحجر . وإذا كان من حق الفنان السينمائي أن يتخذ من التقاليد الفنية التي أرستها الأفلام السابقة قاعدة انطلاق له ،

بشرط أن يضيف إليها ولا يقتصر على محاكاتها ، فليس من حقه أن يكرر المضممين والموضوعات والتيئمات والأفكار التي جسستها هذه الأفلام لأنها أصبحت ملكاً لها ، إذا أدرك أن الحياة كفيلة بإمداده دائماً بالدماء الجديدة التي تجعل فيلمه ينبع بحياة خاصة به .

إن لغة السينما ، لغة غنية وخصبة وحافلة بحيل وأساليب وأشكال فنية لا يمكن حصرها ، وقادرة على تجسيد القضايا الملحة والمصيرية للمجتمع المعاصر ، والتي تمس حياة الناس في الصميم . وهي قضايا واهتمامات لا يمكن تهميشها بالأسلوب الذي لجأ إليه عدد كبير من كتاب السينما ، فكانت النتيجة أن المجتمع نفسه قام بتهميش مثل هذه الأفلام ، وجعلها مجرد أداة للفرجة والتسلية ، وليس للتفاعل والتطوير والتجديد والانطلاق إلى آفاق جديدة .

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة على الكتاب السينمائيين وهم مقبلون على الآفاق البعيدة والعميقة للقرن الحادى والعشرين هو : هل ستستمر السينما المصرية في اجترارها لهذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ؟ خاصة تلك التي لا ترتبط ارتباطاً عضوياً أو حمياً بالمجتمع المصري مثل الانتحار والتكر والتشابه ، والاغتصاب ، وفقد الذاكرة والجنون ، والعصابات والمخدرات ، والإدمان والسموم البيضاء ، واليائس ، والوصايا والثروات المفاجئة ، ومسى بنات الليل ، والانتحار ، والتضحية بدون مبرر .. الخ .

إن مصر تمتلك من المواهب والقدرات والإمكانات والخبرات والتجارب والتاريخ الطويل والتراث العميق ما يؤهلها لمواصلة الريادة السينمائية في العالم العربي ، وهو الدور الذي لم تتخلى عنه منذ العشرينات من القرن العشرين . ومن هنا كان حرص هذه الدراسة على هذا الرصد التحليلي للأفلام التي استسلمت لهذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ، كنوع من المرأة أو الخريطة التي تجمع الملامح جنباً إلى جنب ، فتبعد الصورة واضحة ومكبرة ، حتى يدرك السينمائيون

طبيعة الطرق المسودة أو الدوائر المفرغة أو المتأهات الجانبية التي يمكن أن تشتت طاقاتهم وموهبتهم وإمكاناتهم فيما لا يجدى . وقد يبدو هذا التحليل النقدي قاسياً في بعض الأحيان ، لكننا ندرك أن السينما المصرية بكل ثقلها الفني والحضارى ، تستطيع أن تصمد للنقد وأن تستوعبه وتصحح مسيرتها نحو الأفاق التي تليق بعراقتها .

وبرغم ما ورد في هذه الدراسة من نقد لا يهادن ولا يلتقي في منتصف الطريق ، فذلك لأن السينما المصرية تشكل جزءاً عضوياً في فكرنا ووجداننا وثقافتنا وحضارتنا ، لا يمكن غض الطرف عنه بأية حال من الأحوال ، وتأثيرها العميق والمستمر على كل طبقات المجتمع وفاته ، لا يمكن حصره ، خاصة بعد أن تحول التليفزيون إلى أداة للتوصيلها . ولذلك فهي تصوّغ العقل ، وتشكل السلوك ، وتصنع الوجدان بأسلوب لا ينافسها فيه من أجهزة الثقافة والإعلام والفن سوى التليفزيون الذي وضع نفسه في خدمتها . ونحن لا نريد أن تحول العناصر النمطية التي استلهمها السينمائيون من اتجاهات سينمائية أجنبية إلى سلوكيات جماهيرية بين طبقات الشعب . فالمفروض في الفن أن يبلور الحياة ويجسدها حتى يعمق وعي الجماهير بها ويمكّنهم من التعامل معها بأساليب أفضل ، لكن أن تحول الحياة إلى محاكاة لأنماط وسلوكيات واردة من مجتمعات لا تناسب تراثنا وطبيعتنا وشخصيتنا القومية ، بهذه ظاهرة كفيلة بمسخ هذه الشخصية ، وتغييب هذا الوعي .

وهذه الظاهرة غير الصحيحة واضحة في العناصر النمطية التي تتمثل في الانتقام والقتل والعنف بصفة خاصة . فلاشك أن السينمائيين في شتى أنحاء العالم - وليس في مصر فحسب - يقلّون على هذه التوابل الحريفة ، لإدراكم أن المفترج العادى الذي يعيش حياة روتينية ، يحتاج بين الحين والآخر ، إلى جرعة من الإثارة تطرد عن حياته الرتابة وعن نفسه الملل ، لكن المشكلة أن السينما الأمريكية بعناصرها النمطية الطاغية على السينما العالمية ، قد تطرفت في التركيز

على عناصر العنف والقتل والانتقام بهدف منح الجماهير أكبر قدر ممكن من الإثارة ، خاصة بعد أن تطورت الحيل والتكنولوجيا السينمائية إلى درجة أوشك الفكر السينمائي عندها على الاندثار والتلاشي . إنها بينما لا تزيد من المتدرج أن يفكر ، وإذا تركته يفكر فلابد أن يفكر على طريقتها وبأسلوبها ، أى بعد أن تقوم بغسل مخه وتغييب عقله .

وحاولت السينما في بلاد كثيرة أخرى - وليس في مصر فحسب - محاكاة السينما الأمريكية حتى لا تختلف عن الركب ، وإن كانت وسائلها في الإقناع الفنى متواضعة للغاية إذا ما قورنت بالإمكانات الأمريكية الهائلة . كذلك فإن هذه البلاد نسيت أن مظاهر العنف والقتل والانتقام تختلف من مجتمع إلى آخر ، وأن النموذج أو النمط الأمريكي خاص بالمجتمع الأمريكي ، وإن كان زاخراً بكثير من التطرف والافتعال والبالغة التي قد لا تكون شائعة بهذا الشكل في المجتمع الأمريكي نفسه ، وخاصة أنه عنف مادى وجسدى ، فى حين أن العنف النفسي والوجودانى يمكن أن يكون أكثر إثارة وأعمق تأثيراً من مجرد الضربات والجرائم والدماء المهدمة .

ومن العقبات التي واجهت هذه الدراسة أن العناصر النمطية في السينما المصرية - بصفة عامة - متشابكة ومتداخلة لدرجة أنها تشكل شبكة عنكبوتية أو أخطبوطية ، بحيث يصعب في كثير من الأحيان فصل عنصر عن آخر . والفصل الأول من هذه الدراسة والذى عنوانه "أفلام جمعت فأواعد" دليل على عجزنا عن فض الاشتباك بين العناصر النمطية التي احتشدت بها هذه الأفلام ، لكننا في الفصول التالية لجأنا إلى التركيز على العنصر النمطى الذى يشكل العمود الفقري للfilm ، وتسكينه في الفصل الذى يحمل عنوانه ، مع الإشارة طبعاً إلى العناصر النمطية الأخرى التي تتبع منه أو تصب فيه أو ترتبط به بطريقة أو بأخرى .

هنا يمكن أن يطرح سؤال نفسه على عقل القارئ : وما العيب في معالجة موضوعات الانتقام ، والقتل ، والعنف ، والاغتصاب ، والحمل سفاحاً ، والانتحال ، والخيانة الزوجية ، والعقد النفسية ، وفقد الذاكرة ، والجنون ، والمخدرات ، والإدمان ، والسموم البيضاء ، والدجل والشعوذة ، والصدف ، والمفاجآت ، والوصايا ، وبنات الليل ، والانتحار ، والفارق الاجتماعية والتسليق الظبيقي ، والزواج العرفي ، وال محلل ... الخ؟! أليس الحياة زاخرة بأمثالها؟! أليس من حق الفنان السينمائي أن يعالج ما يتراءى له من موضوعات ومضمون؟! وبالطبع فإن الإجابة على هذه التساؤلات هي "نعم" بلا جدال . فمن حقه أن يفعل هذا ، بل من واجبه أن يؤدي هذه المهمة التثويرية والإبداعية . لكن عندما تتحول هذه الموضوعات والمضمون والشميمات إلى عناصر نمطية من خلال المعالجة النمطية ، فإن فن السينما برمته يتحول إلى مجرد أوراق للعب لا يملك اللاعب سوى تفريطها أو ترتيبها لعله يكسب "بنطاً" جديداً ، وربما خسر كل ما معه من أوراق . ومهما كان اللاعب ماهراً فإنه لن يستطيع أن يأتي بأوراق جديدة تثير دهشة المتابعين أو تفتح أمامهم آفاقاً لم تخطر ببالهم ، ذلك لأن عدد الأوراق معروف ومحدود ، في حين أن السينما تملك آفاقاً لغوية وتعبيرية تحسدها عليها الفنون الأخرى . فهي خلطة سحرية أو بونقة عجيبة تتصهر فيها عدة لغات لتكون في النهاية لغة خاصة بها تمتلك من الأبعاد والأعماق والإيحاءات واللمحات والأنواع والأضواء والظلال والأصوات والألحان والصور والرموز والاستعارات والتقابلات والمقارنات ، ما تعجز عنه لغة الأدب بمفردها أو لغة المسرح أو لغة الموسيقى أو لغة الفن التشكيلي ، إذ أنها استواعت كل هذه اللغات لتنمّح العالم لغة فنية ليس لها نظير في قدراتها التعبيرية التي لا حدود لها . والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا ويرد على السؤال السابق هو : أليس حراماً أن نترك كل هذه اللغة الثرية والخصبة المتداقة ، لتدور في فلك عناصر نمطية وأفكار مستهلكة؟!

وكما أكدنا في هذه الدراسة أكثر من مرة ، فإننا لا تقصد بهذه العناصر أو الأفكار أنها نمطية في حد ذاتها ، لأنه لا جديد تحت الشمس في هذا المجال منذ أن وعى الإنسان هذه الحياة . لكن الخطورة تكمن في المعالجة النمطية المحدودة بزوايا أو وجهات نظر أو رؤى أو مفاهيم محدودة وضيقية ، هي بمثابة قوالب جامدة تصب فيها هذه العناصر أو الأفكار بحيث تبدو معظم الأفلام في النهاية متشابهة . وهذا يعني أن مشاهدة فيلم يدور حول عنصر نمطى معين ، تغنى عن معظم الأفلام التي عالجت نفس العنصر ، في حين أن السينما العالمية في الدول المتقدمة تنتقل من مرحلة إلى أخرى ، ومن موجة إلى أخرى لتجدد أدواتها الفنية ومناهجها الفكرية ، حتى توافق اهتمامات الناس ، وتجسد طموحاتهم واحباطاتهم ، آمالهم ، وألامهم ، وتفتح أمام أعينهم نوافذ جديدة تمكنهم من استيعاب تيارات الحياة وتلمس معالم المستقبل .

لكن من الصعب تقسيم تاريخ السينما المصرية إلى مراحل متبلورة منذ بدايتها في العشرينيات ، إذ يمكن تتبع العناصر التي بدأتها عزيزة أمير وداد عرفى وإبراهيم لاما وتوجو مزراحي ، في أفلام العقد الأخير من القرن العشرين . أى أن هذه المرحلة النمطية والميلودرامية استمرت ثلاثة أرباع القرن ، ولا تزال قادرة على المواصلة بلا ملل . لكن أجراس الخطر دقت أخيراً مع الأزمة المستحكمة التي أمسكت بخناق السينما بعد انحسار دور العرض ، والسيادة شبه المطلقة التي يمارسها التليفزيون والفيديو والشبكات الفضائية . ولا يمكن للسينما المصرية أن تواجه تحديات القرن الحادى والعشرين ، المحلية أو العالمية ، بهذه العناصر النمطية ، الفكرية والفنية ، في عالم أصبح قرية صغيرة ، ليس على المتدرج سوى أن يضغط على زر كى يرى أمامه فى لمح البصر الإبداعات السينمائية العالمية التي لا تتوقف عن التجدد والتطور والانطلاق إلى آفاق مبهرة . ولذلك ليس من العبالغة ، القول بأن السينما فى مصر وفي الدول النامية بصفة عامة قد دخلت مرحلة أن تكون أو لا تكون . والسينما المصرية - بصفة خاصة -

تملك من المواهب والقدرات والطاقات والخبرات ما يوهلها لمواجهة هذا التحدى إذا ما استغلتها على أفضل وجه ممكن .

وهناك مفارقة قد تكون غائبة عن الأذهان وهى أن النمطية تتعارض بطبعتها مع الإثارة ، إذ أن كل شيء تقريباً يكاد يكون معروفاً لدى المتفرج بطريقة مسبقة تضعف من درجة الإثارة إلى حد كبير . ومع ذلك يحرص السينمائيون النمطيون على شحن أفلامهم بأكبر قدر ممكن من الإثارة ، وهم في إطار هذه المفارقة العجيبة واهمون لأن الإثارة لا يمكن أن تكون نمطية بأية حال من الأحوال ، وإلا فقدت صفتها الجوهرية وخاصيتها الأساسية . ولذلك تتحول المشاهد التي يظنون أنها في قمة الإثارة إلى مجرد تحصيل حاصل في نظر المتفرجين . ذلك أن المتفرج المواظب على مشاهدة الأفلام يعرف حيلها ومفاجأتها وصفتها وحلول مشاكلها مسبقاً . وكان يمكن أن تكون عناصر الإثارة والتسويق مقنعة وصادقة ومتعددة ، لو توغل الكتاب والمخرجون في الدوافع السينمائية التي تجعل الإنسان يسلك على نحو معين ، والأسباب الاجتماعية والاقتصادية التي تشكل رؤيته للآخرين ، وإن كنا لا ننكر أن الأفلام غير النمطية قد توغلت في هذا المضمار ، لكننا نتمنى ألا تكون أقليية وسط أغلبية كاسحة من الأفلام النمطية . ولعل هذا يرجع إلى عدم اهتمام مؤلفين ومخرجين كثيرين بدراسة الخلفية العلمية والعملية والبيئية والفكرية للشخصيات والأحداث والموافق التي يتناولونها في أفلامهم .

وقد أثبتت هذه الدراسة أن سلاح السينما المصرية الوحيد لتحطيم سطوة هذه العناصر النمطية ، يتمثل في الدراسة العلمية والتحليل الفكري لأبعاد القضايا والتيئمات التي تتناولها أولاً ، ثم يأتي بعد ذلك دور الصياغة الفنية والدرامية بكل ما تتطوى عليه من عوامل الجذب الفكري والإثارة الوج다انية ، بعيداً عن الصدف المفتعلة التي يجد فيها كثير من كتاب السينما حلولاً للمشكلات أو العقبات التي قد

تعثور مسار الأحداث ، أو المآذق التي قد تقع فيها الشخصيات . فهى قادرة على تحويل مجرى الأحداث طبقاً لمزاج المؤلف أو المخرج أو الجمهور . ولذلك لا تدخل الأحداث في الأفلام المصرية في طرق مسدودة أبداً ، لأن الصدفة كفيلة بفتح ثغرة واسعة في جدران هذه الطرق بحيث تمر فيها الشخصيات بمنتهى الارتياب والسعادة ، في حين أن هذه الطرق المسدودة هي قمة الاحتكاك الدرامي الذي يستغله المؤلفون والمخرجون المبدعون في توليد نتائج جديدة ومشوقة ومثيرة من أسباب سابقة وقد تكون نمطية .

إن جوهر الصراع الدرامي يكمن في توليد الأحداث وتطويرها من داخله ، وليس فرضها عليه من خارجه ، ذلك أن الصدفة هي عنصر دخيل يفرضه الكاتب أو المخرج على سياق الأحداث من عنده كي يضمن له الاستمرار لأنه عاجز عن منحه قوة الدفع النابعة منه . ونظراً لأنها عنصر سهل وجاهز للاستعمال دائماً ، فقد كانت الأداة المفضلة عند مؤلفين ومخرجين كثيرين ، يستخدمونها بوعى أو بلا وعى ، تجنبأً لاعمال الفكر وقدح زناده ، والحرص على المصداقية الفكرية والفنية التي تحترم عقل المترسج مهما كان نصيبه من الثقافة أو العلم متواضعاً . ولاشك أن تجنب الصدف والمفاجآت المفتعلة والتحولات غير المنطقية ، يشكل تحدياً للمؤلفين ، والمخرجين لابد أن يواجهونه وإلا سيواصلون الدوران في الدائرة الضيقة والخانقة لهذه العناصر النمطية .

وتعتبر الشخصية الشريرة من العناصر النمطية التي يكاد الجمهور يحفظها عن ظهر قلب لأنها شخصية واضحة وصريحة إلى حد كبير ، فهى تحكى عن خططها ومؤامراتها بلا حرج أو حساسية ، خاصة مع المقربين منها ، بل وتکاد تشرح للجمهور تفاصيل هذه الخطط والمؤامرات مباشرة ، بحيث لا تحتاج لحل الغازها وكشف أعمقها . فالقتل - بطريقة أو باخرى - هو الحل الحاسم والسريع للتخلص من الخصم ، حتى يتفرغ الشرير لخطوته التالية وهكذا . أما الحدود بين

الشر والخير فواضحة ومحددة مثل الحدود بين الأبيض والأسود بلا ألوان أخرى فيما بينهما ، وبالتالي لا درجات بينهما أيضاً ، وذلك على الرغم من أن النفس البشرية زاخرة بالتناقضات التي قد تمزج بين الخير والشر في لحظة واحدة داخل الشخص نفسه . فالنفس البشرية أكثر تعقيداً وغموضاً من هذه البساطة المخلة بوعينا العميق بها ! وخاصة أن الجمهور يعلم مقدماً أن الشر مهما بغي وتجبر فإن هزيمته في نهاية الفيلم أمام الشخصيات الخيرة ، مهما كانت هزيلة ومتهافة ، هزيمة مؤكدة ، حتى لو كانت الهزيمة مضادة لقانون السبب والنتيجة بكل حتميته التي لا يستطيع الإنسان أن يهرب منها ، والتي ترفض أية صدفة أو تفيق أو افتعال . وإذا تحولت الشخصية الشريرة - ولا نقول تطورت - من الشر إلى الخير نتيجة درس قاس تلقنته ، فإن التحول يتم بسرعة عجيبة كأنها شخصية آلية ، تم الضغط على زر داخلاً فتحولت من الشر إلى الخير . أى أنه تحول وليس تطوراً ينطوى على صراع نفسي بين شد وجذب .

والصراع في معظم الأفلام ليس صراعاً بين قوى متصادة ، تجسيداً لسنة الحياة الإنسانية وجوهر النفس البشرية ، بل هو صراع منحصر في الدائرة الضيقة والمحدودة للصراع المباشر بين الخير والشر ، ولم يخرج عن نطاقه في أحيان كثيرة ، في حين أن تفاعلات الصراع الدرامي والفكري أكثر وأعمق من ذلك بمراحل ، وذلك من خلال الجدليات التي لا تتوقف بين الأضداد على اختلاف أنواعها ، بل إن هذه المتناقضات تجري في داخل الإنسان الفرد الواحد ، وليس بالضرورة بينه وبين الآخرين ، وهو الصراع النفسي الذي لم تتركز عليه السينما المصرية إلا في حالات قليلة . ونظراً لأن الصراع الدرامي كان صراعاً في الأساس بين الشخصيات الشريرة والشخصيات الخيرة ، فقد واكبت الشخصية الشريرة النمطية مسيرة السينما المصرية منذ بدايتها ولا تزال مستمرة بمواصفاتها النمطية حتى الآن .

ولذلك آن للسينما المصرية وهى تدخل القرن الحادى والعشرين أن تتفض
يدبها من الشرير النمطى الذى لا يعانى من أى وخذ للضمير ، ولا أى صراع
نفسى ، ويختلط لارتكاب الشر كأنه الشيطان نفسه . إن الغوص فى أعمق
الشخصية الشريرة يستدعي الدراءة الوعية بعلوم النفس والمجتمع بل والاقتصاد
والسياسة أيضاً . وهذه الشخصية لا تأتى من فراغ ، ولا تولد شريرة ، بل غالباً ما
تدفعها ضغوط المجتمع إلى الانحراف إلى طريق الشر ، عندما تجد طريق الخير
مسدوداً في وجهها . وفي هذا المجال متسع لجميع المؤلفين والمخرجين بحيث
يصولون ويجلون فيه دون خوف من الوقوع في براثن العناصر النمطية الخانقة
التي حفظها الجمهور عن ظهر قلب .

والظاهرة الجديرة بالرصد والتحليل أن معظم العناصر النمطية في السينما
المصرية ، كانت بمثابة قضايا هامشية للغاية بحيث لا تمس صميم المجتمع
المصرى وجوهره ، بل أعادت الأفلام عن التفاعل العى والمتشر مع تيارات
المجتمع ودواته التي لم تخض فيها سوى الأفلام غير النمطية التي أفردنا لها
الفصل الأخير من هذه الدراسة التي أثبتت أن السينما المصرية لا تزال تملك من
قوى الدفع والتطوير ما يمكن أن تطلق بها إلى آفاق لم تبلغها من قبل ، لو
حرصنا على ترسيخ هذه القوى الإيجابية وتحويلها إلى طاقات خلاقة ومتعددة
دائماً .

إن صورة السينما المصرية الرائدة في العالم العربي والشرق الأوسط
بأسره ، ليست بالقتامة التي قد يظنها بعض المتحمسين لها ، أو التي يحاول أن
يشيعها بعض المتربيسين بها . فقد أبدعت عبر مسيرتها الطويلة سلسلة من الأفلام
غير النمطية التي تشكل علامات مضيئة بل وساطعة على طريقها . وإذا كانت هذه
الدراسة بمثابة رصد وتحليل نقدي للمضمون الفكري في السينما المصرية ، فهذا
يرجع إلى قدرتها على تصحيح مسيرتها بين الحين والآخر ، واستيعابها لكل

الجهود النقدية الحريرية على تعميق مسیرتها وتطویرها وليس مجرد استمرارها ، فھي ليست سينما ولیدة وھشة ، يخشى عليها من معاول النقد التي يمكن أن تتحول إلى معاول لهمها ، بل هي سينما وطيدة وراسخة وقادرة على الاستفادة من كل التوجهات النقدية . ولذلك فإن أية محاولة لاستغلال هذه الدراسة في ضرب السينما المصرية ، والإقلال من شأنها دورها الريادي مصيرها الفشل المحتم . فالقوى لا يخشى كشف سلبياته سواء أمام نفسه أو أمام الآخرين ، وذلك كى يتخلص منها ، طلباً للمزيد من الإيجابيات والإنجازات الجديدة . أما الآخرون الذين يدارون سلبياتهم ونقاط ضعفهم حتى يظہروا بمظهر الرواد الطبيعيين ، فإن تاريخهم القصير في الإنتاج السينمائي ، وأعمالهم المتأثرة التي لم تترك بصمات واضحة على مسيرة السينما العربية ، فكفيلاً بفضح ادعاءاتهم الجوفاء . أما معلم الطريق التي شفتها السينما العربية فتتمثل في الأفلام المصرية غير النمطية التي تم إنتاجها منذ الثلاثينيات وحتى نهاية التسعينيات .

ورغم القضايا المحلية التي جسّتها هذه الأفلام غير النمطية ، فإنها لاقت صدى ملحوظاً ومرموقاً عند عرض هذه الأفلام خارج مصر والمنطقة العربية ، سواء في المهرجانات أو أسابيع الأفلام المصرية أو السوق التجارية العالمية . فقد أثبتت هذه الأفلام أن الطريق إلى العالمية لابد أن يبدأ بالمحلي . أما محاكاة النماذج والأنماط العالمية منذ البداية ، فمن شأنه أن يؤدي إلى مسوخ مشوهة لابد أن تسقط في الفجوة السحيقة التي تفصل بين المحلية والعالمية . والسينما التي تتسلخ من هويتها القومية والمحلي ، تفقد شرعيتها الفكرية والفنية لأنها ستكون حينئذ سينما لقيطة . ولذلك كانت الأفلام التي حرست على هويتها المصرية ، وحرست في الوقت نفسه على بلورة هذه الهوية بأسلوب فني ناضج ووعي سينمائي عميق ، بمثابة الدليل العملي على قدرة السينما المصرية على إفراج مكانة مرموقة لها على خريطة السينما العالمية ،

نبيل راغب

المهندسين أول يوليو ١٩٩٩

الفصل الأول

أفلام جمعت فأوّلت

كانت العناصر النمطية التي فرضت نفسها على معظم الأفلام المصرية منذ البداية في الرابع الأول من القرن العشرين ، بمثابة القوالب الجاهزة التي يتم استدعاها بين حين وآخر لتوظيفها سواء في مجال الموضوع أو الحبكة أو الشخصيات أو المواقف أو موقع التصوير . وبرغم هذه القوالب التي كانت بمثابة القيود التي كبلت انطلاق السينما المصرية إلى الآفاق الجديرة بها ، فإنها كانت تملك الحيوية والقدرة على الاستمرار والمواصلة ، بل وأنها أنتجت عدداً من الأفلام غير النمطية التي تصل أحياناً إلى المستويات التجريبية والطبيعية ، وهو عدد يربو على مائة وأربعين فيلماً ، أى بمعدل فيلمين كل عام ، إذا ما وزعنا هذا العدد على ثلاثة أرباع القرن التي عاشتها حتى الآن . ولذلك خصصنا الفصل الأخير من هذه الدراسة لرصد وتحليل هذه الأفلام غير النمطية .

أما هذا الفصل الأول من هذه الدراسة فيركز الرصد والتحليل والنقد على الأفلام التي حرصت على جمع كل التوابع التجارية التي بدأت بها السينما المصرية مسيرتها ، ثم تحولت بفعل التكرار والاجترار إلى عناصر نمطية جاهزة للاستعمال الفورى الذى يغرى الكتاب السينمائين بالكسل العقلى والفكري ، إذ أنها توفر عليهم مشقة البحث عن أفكار جديدة ، والالتحام بقضايا المجتمع ، واستشراف آفاق جديدة

سواء على مستوى المضمون الفكري أو الشكل الفني . ففي البداية كانت محاكاة لأنماط السينمائية الأمريكية ، لكنها بمرور الوقت أصبحت قوالب جاهزة بصرف النظر عن افتقارها للمصداقية الفكرية أو الفنية .

وتجدر بالذكر أن هذه العناصر النمطية ليست قاصرة على السينما المصرية ، بل هي موجودة وراسخة في أفلام دول رائدة في الإنتاج السينمائي مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، روسيا (الاتحاد السوفييتي سابقاً) ، وفرنسا ، وإنجلترا ، وألمانيا ، وإيطاليا .. الخ . ذلك أن السينما بطبعتها فن وصناعة وتجارة . لكن الخوف من استشراط هذه العناصر النمطية ، كان يورق دائماً السينمائيين الجادين حشية أن تتحول السينما إلى مجرد صناعة وتجارة فحسب . ومن هنا كانت الدراسات النقدية والتحليلية التي تتف بالمرصاد لكل بوادر التميظ الذي يمكن أن يصل في بعض الأحيان إلى القولبة الجامدة والمتجردة ، والتي تدعم وترسخ في الوقت نفسه كل الإنجازات الرائدة في مجال الابتكار والتجديد وضخ دماء جديدة في عروق السينما . ولحسن الحظ فإن السينما المصرية لا تخلو من هذه الإنجازات التي تتجلى في بعض أعمال هنري بركات ويوسف شاهين وصلاح أبو سيف ، وفي كل أعمال شادي عبد السلام و مذكور ثابت على سبيل المثال لا الحصر .

ولاشك أن الاستخدام أو التوظيف المبتكر لأى عنصر نمطي ، ينفي عنه نمطيته في الحال . فالمضمون والموضوعات والأساليب والأشكال ملك لجميع المبدعين . لكن منهم من يأخذها ويستخدمها كما هي دون تغيير للمنظور أو الزاوية أو الضوء ، ومنهم من يعيد صهرها وصياغتها بحيث تبدو جديدة كل الجدة . وتكون الخطورة في أن تتحول هذه العناصر النمطية إلى قيود تعوق المسيرة السينمائية من الانطلاق ، ذلك أن هذه العناصر ذاتها يمكن أن تتحول إلى رؤى جديدة وآفاق رحبة ، إذا ما تسلح السينمائيون بالأدوات الكفيلة بذلك . وهي

العناصر التي تتمثل في الانتقام والتذكر والتشابه، والاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً، والقتل والانتقام، والأمراض والعاهات، والعقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون، والخيانة الزوجية، والعصابات والمخدرات والإدمان، والأحلام والرؤى والأرواح والجن والسحر والشعودة، والصف والمفاجآت غير المبررة والبيانصيب والوصايا والثروة المفاجئة، والدعارة وبنات الليل، والنصب والاحتيال والتزييف والتآمر وتتفيق التهم والشائعات، والانتحار والتضحية لوجه الله، والماضي المشين، والخطف والابتزاز والتهديد، الفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقي، والزواج السرى والعرفى والمحلل، وغيرها من العناصر التي يمكن إعادة إنتاجها في ضوء غير تقليدى ومن منظور جديد.

والسينما المصرية مؤهلة لهذا المنظور الجديد بحكم رياقتها العريقة والراسخة للسينما العربية، إذا أنها سبقت السينما فى بلاد عربية عديدة بعقود عديدة، ولا تزال السينما العربية تحبو كطفل وليد فى أعقاب السينما المصرية برغم العناصر النمطية التى قد تتواء بحملها فى مسيرتها. ولا يمكن إبراك أبعاد هذا المنظور الجديد وأعمقه، إلا بعد استكشاف أبعاد المنظور القديم النمطى وأعمقه، حتى يمكن التخلص من السلبيات وتدعم الإيجابيات والانطلاق إلى الآفاق المنشودة.

بدأت أبعاد المنظور القديم النمطى فى التبلور والرسوخ منذ الثلاثينيات بستة أفلام دفعة واحدة، كان أولها "معجزة الحب" للمخرج إبراهيم لاما عام ١٩٣٠. كان من تأليفه وإنتاجه، وتمثيل بدر لاما، وثريا رفعت، ومنسى فهمى، وبطل حمل الأثقال مختار حسين. وفيه يعالج موضوع الحب فى مواجهة الفوارق الطبقية وتضحية الحبيب من أجل سعادة المحبوب، وذلك من خلال شخصية بدر الدين الموسيقار الذى يعيش مع صديقه الرياضى مختار فى بنسيون. يتعرف على سميحة ابنة الثرى مصطفى بك وتحول الصداقة إلى حب يرفضه الأب تماماً بل

ويهرع إلى تحديد موعد زفافها إلى الثرى كامل بك . ويسلك بدر الدين سلوك "الجنتلمن" فيقطع بمنطق الأب ويقرر الانسحاب من حياة سميحة ، حتى لا يهدد مصلحتها في الزواج من كامل بك ، فهو لا يحب أن يعقد الأمور التي تتطور بعد ذلك بحيث تظهر الفرق بين الجوهر الأصيل والمظاهر المزيف ، ولا تضيع تضحية بدر الدين هباء . فيحدث أن تسطو عصابة من اللصوص على قصر مصطفى بك ، ويرهبونه ليذلهم على مكان خزانة النقود . في الحال يتعرى كامل بك ويبدو على حقيقته ، إذ يتخلّى عن مساعدة الأب حتى لا يعرض نفسه لأية مشاكل ، وذلك في الوقت الذي يهرع فيه بدر الدين وصديقه مختار لإنقاذ الأب وإنقاذ العزبة من حريق مدمر . وتنصاعد الأحداث بأسلوب ميلودرامي أصبح من العناصر النمطية في السينما المصرية بعد ذلك ، إذ يصاب بدر الدين بالعمى نتيجة لخوضه في السنّة النيران . ولا تتوقف التضحية عند هذا الحد ، بل يواصل بدر الدين وفاءه بعهده للأب فيصر على معاملة سميحة بجفاء ، ولا يتحلّل من عهده إلا عندما يرى فيه الأب زوجاً مثالياً لابنته ، ويبارك زواجه منها . وإذا كانت المصائب لا تأتي فرادى في الميلودrama ، فكذلك الأفراح ، إذ إن إحدى شركات المدونات الموسيقية تقبل على بدر الدين لنشرها بعد أن كان قد فشل في ذلك . ومن المعروف أنه لا توجد في مصر مثل هذه الشركات ، مما يؤكد لنا المصادر الأجنبية التي استقت منها القصة . ثم تصل سعادة البطل إلى قمتها عندما يشفى ويعود إليه بصره ، إذ لابد أن ينتصر الخير على الشر في النهاية بحصول البطل على مكافأته ، خاصة الزوج من محبوبته . وهو النمط الأمريكي الذي فرض نفسه على السينما في معظم أنحاء العالم منذ بدايتها المبكرة نظراً لجاذبيته الناتجة عن النهاية السعيدة التي استمرّأها الجمهور وهو خارج من دار السينما .

في فيلم "أشودة الفؤاد" عام ١٩٣٢ ، من إخراج ماريون فولبي ، وسيناريو استيفان روستى وإدمون نحاس ، وحوار خليل مطران ، وتمثيل جورج أبيض ،

ونادرة ، وعبد الرحمن رشدى ، تبرز عناصر نمطية جديدة ، تمثل فى الدور الشهير الذى تلعبه الراقصة ، والصدمة النفسية التى تؤدى إلى الموت ، والوصية التى تتركها الشخصية الراحلة . فالثرى أمين باشا يلتقي براقصة أوروبية يحبها وتقيم معه فى قصره حيث يسكن إلى جواره إبراهيم بك وشقيقه حسنى المتزوج من نادرة . وكالعادة التى جرت بعد ذلك فى أفلام يصعب حصرها ، فإن حسنى بك يهيم حباً بالراقصة التى سرعان ما تستجيب له ، ويهرج زوجته التى تشكوه لأخيه إبراهيم الذى يحاول إقناع الراقصة بالابتعاد عن طريق حسنى . لكن الأمور تصل إلى حد الاشتباك فى معركة يصاب فيها إبراهيم بالعمى كما حدث من قبل فيلم إبراهيم لاما " معجزة الحب " . ويحدث أن تنجو نادرة مولودتها حين يلقى البوليس القبض على زوجها حسنى ، فلا تتحمل الصدمة وتموت بعد أن توصى أمين باشا بتربيه ابنتها .

فى فيلم " أولاد مصر " ١٩٣٣ الذى ألفه وأخرجه توجو مزراحي يبرز عنصر الفارق الطبى والاجتماعى ، والأزمة النفسية أو الصدمة التى تؤدى إلى فقد الذاكرة والتى أصبحت قاسماً مشتركاً بعد ذلك فى أفلام كثيرة . فى الفيلم يتخرج أحمد طالب الهندسة بامتياز يشجعه على التقديم لطلب يد دولت أخت حسنى زميله فى الدراسة ، إلا أن والدها يرفضه بسبب الفارق الاجتماعى . ولم يتصور أحمد أن مهنة والده كعربجي ستوقف حائل دون تحقيق أمله طالما أنه أصبح مهندساً . يصاب بأزمة نفسية وينقل للمستشفى بعد أن فقد ذاكرته دون مبرر علمى أو سبب موضوعى لذلك . ولا تتخلى عنه دولت وشقيقها حسنى بل يبذلان كل ما فى وسعهما لمساعدته كى يجتاز محنته . وفي النهاية تتكلل مساعدتهما بالنجاح ويتم شفاؤه ، ويتزوج من دولت بعد أن يرضخ والدها .

فى عام ١٩٣٣ أيضاً ألف أحمد جلال وأخرج فيلم " عندما تحب المرأة " وقام ببطولته مع آسيا ومارى كويينى التى قامت بالمونتاج . وفيه تبرز تيمة الفتاة

التي تورط مع حبيبها فيهرها ويتركها هي وابنها لمصير غامض . وتصبح ذات ماض مرير وغير مشرف تحاول إخفاءه بقدر الإمكان . وتفاقم الأمور حتى تصل إلى درجة ارتكاب جريمة القتل . ذلك أن أمينة تورط مع الشاب الذي تحبه لكنه يهجرها بعد أن تلد طفلها مراد . تتزوج من هاشم وتختفي عنه سرها بعد أن عهدت بطفلها إلى صديقتها أم إبراهيم لترعايه . وعندما يبلغ مراد العاشرة من عمره ترسله أمه إلى أوروبا . وتمضي الأيام ويعود ليفيabil نادية ويعجب بها دون أن يعلم أنها محتالة متواطئة مع عشيقها رمزي في جرائمه . كذلك تعرف أمينة لابنها بعماضيها فيقرر العودة إلى أوروبا بعد أن تهديه أمه عقداً من اللولو . وتظن نادية أن مراد قد اكتشف حقيقتها فتطلب منه أن يصفح عنها بعد أن أحبته بصدق . ويحدث أن تقتل الأم ويتهم مراد بارتكاب الجريمة لوجود العقد معه بعد أن يتعرف عليه هاشم . ويصر مراد على كتمان الحقيقة حفاظاً على سمعة أمه الراحلة في حين تبذل نادية أقصى ما في وسعها لتبرئته لياماً منا أن الحب يصنع المعجزات .

في العام التالي ١٩٣٤ ألف أحمد جلال وأخرج فيلم " عيون ساحرة " ، وفيه يقدم الملهي الليلي الذي أصبح مكاناً نمطياً في السينما بعد ذلك ، ثم ينتقل منه إلى عالم السحر والأرواح كي يثبت أن الحب هو أعظم قوة سحرية يمتلكها الإنسان . ففي الملهي مقابل المغنية دليلة التي تقع في غرام سامي الذي يعرض عنها ، وبعد ذلك يصاب في حادث ويموت . لكن حب دليلة له لا يموت وتنجح في إحيائه بقوة سحرها وتخرج من قبره . وبذلك سجل أحمد جلال رياته في إيداع الفيلم الذي ينخذل من الفانتازيا مضموناً له ، إذ نجد سامي يفهمها أنه لا يمكن أن يعيش إلا إذا أدمجت في جسمه روح شخص يحمل علامة خاصة في رقبته . وتوظف دليلة سحرها فتستشير كرتها البلورية السحرية التي تدلها على بائعة يانصيب في رقبتها نفس العالمة . تحشد دليلة كل سحرها لاستخراج روحها وتنمنحها للشاب الذي تعود إليه الحياة ، لكنه يعيش شارداً ذاهلاً بعد أن أصبحت روح الفتاة تعيش في جسدها

وجسده فى آن واحد . فهما يفرحان ويحزنان معاً ، يعيشان ولا بد أن يموتا معاً .
فقد وحدت الروح بينهما وجعلت جبهما رابطة أبدية . تحاول الساحرة إرجاعه ،
لكنها تفشل عندما يتغلب سلطان الحب على قوة السحر .

فى عام ١٩٣٥ أخرج الكسندر فاراكاش فيلم " بواب العمارة " من تأليف
بديع خيرى ، وبطولة على الكسار وفتحية محمود وكوكا وبشارة واكيم ، ويزبر
نمط الباب والخامة واللصوص ، وأيضاً تيمة الانتهال أو التقمص أو التكرر فى
شخصية أخرى ، وهى التيمة التى تعتبر من أشهر العناصر النمطية فى السينما
المصرية . نقابل عثمان بباب إحدى العمارات ، الذى يحب الخامة فلة . ويحدث
أن يسطو اللصوص على العمارة فىتهم عثمان بالإهمال ويطرد من عمله . ومن
المفارقات غير المنطقية بعد ذلك أنه يعمل فى خدمة رجل أعمال أمريكي يطلب
منه انتهال شخصية الخطيب فى حين أن مظهره لا يمكن أن يقنع الخطيبة بذلك ،
 فمن المستحيل أن يبدو أمريكاً . كذلك تعمل فلة فى خدمة الرجل الأمريكي ، وتتفاجأ
بغراميات عثمان مع الخطيبة . تثور لذلك لكن سرعان ما تظهر الحقيقة ، وتحل
النهاية السعيدة التقليدية بزواج الأمريكية من خطيبته ، وعثمان من فلة .

فى عام ١٩٣٦ أخرج توليو كارينى فيلم " أشودة الراديو " قصة وحوار
بديع خيرى ، وبطولة نادرة وبشارة واكيم وأحمد علام . وفيه تبرز تيمة الخيانة
الزوجية التى فرضت نفسها على أفلام كثيرة فى عقود متابعة حتى الآن ، وكذلك
تيمة الانتهال والتكرر فى شخصية أخرى ، من خلال شخصية عبده الموسيقى
المغمور المتزوج من نادرة ذات الصوت الجميل والتى تساعدته فى عمله ، لكن
أرباحها قليلة . ولذلك يقرر أن يقدمها للإذاعة - التى كانت قد افتتحت حديثاً -
حتى يستغل مواهبها على نطاق واسع . ويحدث أن يلتحق أحمد ، أحد تلاميذ
عبده ، نادرة بحبه فى نفس الوقت الذى يضطر فيه عبده للسفر إلى عمه المريض
لعله يرث بعضاً من ماله لكنه يشفى . ويصل عبده خطاباً عن خيانة زوجته ،

فيتفق ذهنه عن إيهام الجميع بأنه مات منتحرًا ، ويختفي ثم يتذكر في هيئة شخص آخر . وكانت نادرة قد انهمكت في العمل بالإذاعة لاحتاجتها الشديدة للمال . ويستغل أحمد انتحار زوجها فيتقدم لطلب يدها لكنها ترفضه احتراماً ووفاءً لذكرى زوجها . عندئذ يتأكّد عبده من إخلاص زوجته وحبها له فيعود إليها .

في عام ١٩٣٩ يعود إبراهيم لاما لإخراج فيلم زاخر بكل العناصر النمطية والتوايل التجارية : الاغتصاب ، محاولة فاشلة للقتل والانتقام ، الهروب من السجن ، البحث عن كنز ، الصدفة المضرة ، الانتقام والتخفى ، استيقاظ الضمير ، ثم الانتحار . إنه فيلم "الكنز المفقود" الذي يعتدّ فيه الشاب الثري سامي بك على زينات ابنة ناظر العزبة . وعندما يعلم أخوها بذلك يقرر قتل سامي لكنه يخلع الهدف ويقتل أخته ، ويتم القبض عليه لكنه بعد فترة يستطيع أن يهرب من السجن ويختفي عند عمه بالريف حيث يتعرف على الشيخ بشير الذي يخبره عن وجود كنز بالبحر ، يعثر عليه بعد جهد . وتشاء الصدفة أن يتزوج من فتاة تكتشف أنها شقيقة سامي . ثم يسافر إلى الهند لمدة عشرين عاماً ، يعود بعدها متكرراً في شخصية مهراجا ليشتري الأراضي الشاسعة . يقابل مع سامي ويعرفه بنفسه ، فيستيقظ ضمير سامي ولا يحتمل وزر حياته لدرجة أنه ينتحر .

أما في عقد الأربعينيات فقد تدفق سيل من الأفلام التي حرصت على تجميع أكبر قدر ممكن من التوايل النمطية ، خاصة أنه العقد الذي شهد الحرب العالمية الثانية وما بعدها حين برزتطبقات الجديدة التي حققت امتيازات اقتصادية طارئة ، وكانت في مقدمتها طبقة أغنياء الحرب وغيرها من الفئات التي امتلكت المال والثروة ولم تكتسب القيم الثقافية والوعي الحضاري ، ونظرت إلى الفن على أنه مجرد تسلية حسية عابرة لإزجاء وقت الفراغ بعيداً عن مشاكل الفكر والتأثير . وبحكم أن السينما فن جماهيري ، فقد كان من الطبيعي أن تلبي رغبات المترججين الجدد . وكانت السينما خير ترويج للنفوس التي أنهكتها الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي ترتبّت على الحرب التي لم يكن لنا فيها ناقة ولا جمل .

في عام ١٩٤٠ ألف أحمد جلال وأخرج فيلم "فتاة متمردة" الذي جمع فيه بين التسلية والغناء والرقص والإثارة والصدمة والميلودrama . فيه تعيش درية مع أمها التي تغنى وترقص في ملهي دون علم ابنتها . وتتعرف على شاب يملأ قلبها حباً وسعادة ، ويطلب من أخيه أن يخطبها له . لكن الأخ يكتشف بالصدفة عمل الأم فيرفض القيام بالمهمة ، بل ويخبر درية بالحقيقة . وتصعيداً للإثارة وتعميقاً للصدمة تصاب الأم بشلل . تسعى درية إلى الحصول على عمل لكنها لا توفق ، فتضطر إلى أن تحل محل أمها في الملهي لتغنى حتى توفر المال اللازم لعلاج أمها . وبالأسلوب الرومانسي الذي أشتهر به العصر فإن الشاب الذي أحب درية يقع صريع المرض بدوره لابتعاده عنها . ويهرع أخوه لمقابلة درية كى يخبرها بمحنة أخيه ، لكنها كانت قد تركت الملهي واحترفت مهنة الحياكة بعد وفاة أمها . وعندما يعرف ما وقع لها يدرك إلى أى مدى كانت شريفة وما زالت ، وكذلك أمها برغم طبيعة المهنة التي احترفتها . وكعادة معظم الأفلام المصرية يأتى الزوج كنهاية سعيدة لكل آلامها . ولم تكن درية فتاة متمردة كما يوحى العنوان التجارى الجذاب ، بل كانت فتاة طيبة ومكافحة ولم تتمرد على أى وضع .

وفي عام ١٩٤٣ ألف أحمد جلال وأخرج فيلم "ماجدة" الذي يعد نموذجاً لتوليف معظم العناصر النمطية في فيلم واحد ، مثل هروب فتاة في ليلة زفافها ، وشروع عريسها في الانتقام بادعائه الموت والدخول في مصادفات ومفارقات قد تكون غير مقتنة لكنها تهدف إلى الإثارة بأى ثمن . يبدأ الفيلم بهروب ماجدة في ليلة زفافها وتصميم زوجها على الانتقام من خلال ادعاء الموت والتخفى والإياع بطرد أبيها من عمله ، مما يؤدي بأبيها إلى طردها من البيت . ثم تأتى الصدفة النمطية لتقابل في طريقها سيدة تدعوها إلى بيتها الذي يتضح أنه يدار للدعارة . ويتصادف مرة أخرى أن يهاجم البوليس المنزل ويقبض عليها . وتمضي فترة العقوبة ، وعندما تخرج من السجن تعلم بموت أبيها . ونظراً لأن المصائب لا تأتى

فرادى فإن أمها تواجه مرضًا خطيرًا . وتبثث ماجدة عن عمل ، فتعمل مغنية ، ويعود الزوج إلى مصر باحثًا عن زوجته بعد أن تجرى له عملية تجميل . فهو لم ينسى رغبته الحارقة في الانتقام منها ، وذلك بإذلالها بماله ووسامته ، وتعذيبها بالحب والغيرة ثم السخرية والتهكم منها بعد ذلك . لكنه عندما يعثر عليها يطغى عليه حبه القديم لها فينسى الانتقام ويفجر لها .

أما يوسف وهبى فقد أخرج في الأربعينيات ثلاثة أفلام : " أولاد القراء " ١٩٤٢ ، و " بنات الريف " ١٩٤٥ ، و " الفنان العظيم " ١٩٤٥ أيضًا . وكلها حافلة بالعناصر التي أصبحت نمطية في السينما المصرية . ففي " أولاد القراء " يرفض فؤاد باشا مساعدة أخيه بعد إفلاسه في البورصة . يتخلى زكي عن ابنة عمه حسنية بعد أن اعتدى عليها . يعود الأخ لمعى من بعثته في الخارج . تتزوج حسنية من إبراهيم وتتجوب طفلتها . وكالعادة يشك الأب في نسبها فيهجر حسنية حتى تضطر للعمل راقصة في ملهي ، كما تعمل ابنتها المريضة بالسل مغنية . عندئذ يسيقظ ضمير زكي ويعالج ابنته ، لكننا نفاجأ بلمعى وهو يخنقها لتخليصها من عذاب مرضها ثم يهرب !! وفي النهاية تستطيع حسنية بمساعدة إبراهيم أن تعثر على لمعى !

وفي فيلم " بنات الريف " الذي ألفه يوسف وهبى وأخرجه مثل معظم أفلامه ، يعمل أبو الفتاة الريفية سنية في عزبة محسن بك الذي يعتدى عليها بعد أن وعدها بالزواج . يهديها خاتماً ثميناً لكنه في حقيقة الأمر يخطط للتخلص منها ، إذ أنه يتهمها بسرقة الخاتم ويقبض عليها وتودع السجن حيث تلد ابنتها . وتمر السنوات ، ويكبر ابنتها ويتهم في قضية سطو وقتل . وتشاء الصدفة - كالعادة - أن يكون القاضي هو محسن الذي يتعرف على سنية ويطلب منها الغفران بل ويستقبل من عمله . وتنتصاعد الأحداث المثيرة التي تصبح دموية عندما يقتل إبراهيم ابن عم سنية انتقاماً لشرف العائلة بعد أن قام بالدفاع عن ابنه الجانى الحقيقى .

وفي فيلم "الفنان العظيم" يحشد يوسف وهبي المواقف بأحداث إطلاق النار ، والانهيار المالي ، والمرض ، وتهريب المخدرات ، والمطاردة ، والعملية الجراحية من خلال شخصية بطله نبيل رشدي الممثل المشهور الذي يحب مدحجة ابنة صادق باشا التي تبادله مشاعره ويتقان على الزواج ، لكن شقيقها يرفض زواجهما من ممثل ويطلق عليه النار مما يؤدي إلى القضاء على مستقبله كممثل . ومع ذلك يتزوج مدحجة التي تحمل كل هذه الآلام لأجلها . لكن أحواله المالية تسوء ويضطر إلى السكن في حجرة صغيرة هو وزوجته وابنته المريضة . ولا يتخلى عن مثاليته فيشعر أنه يظلم مدحجة ولذلك يفكر في إعادتها مرة أخرى إلى منزل أبيها الباشا . وتهديه الحيلة إلى إقناعها بأنه يخونها مع امرأة أخرى . وبالفعل تتجه حيلته لينطلق بعد ذلك في أرض الله الواسعة فيصبح مهرجاً في سيرك ، ثم ينضم إلى عصابة من مهربى المخدرات . وفي مطاردة لحرس الحدود يصاب بطلق ناري مرة أخرى بعد حادثة شقيق مدحجة . وتجرى له جراحة لاستخراج الرصاصتين القديمة والحديثة . وتبتسم الدنيا له مرة أخرى فيعود إلى المسرح ويبدا رحلة مجده بمساعدة صادق باشا والد زوجته .

في العام نفسه (١٩٤٥) قدم كمال سليم فيلماً غريباً من تأليفه وإخراجه بعنوان "ليلة الجمعة" . وتكمن غرابة في أنه لا يمت بصلة إلى المجد السينمائي الذي حققه فيلمه الشهير "العزيمة" عام ١٩٣٩ ، والذي كان رائداً في تحطيمه للقوالب النمطية التي بدأت في فرض نفسها على السينمائيين . ويبدو أن المنتجين - خاصة أغنياء الحرب منهم - الذين دخلوا ميدان الإنتاج السينمائي بهدف الربح في أثناء الحرب العالمية الثانية أو بعدها ، اطمأنوا لإعادة إنتاج الأنماط التي اعتادها الجمهور ولا داعي للمغامرة غير المحسوبة بهدف استكشاف آفاق سينمائية مبتكرة ، مما أدى إلى مد تجاري جرف في طريقه مخرجين ومؤلفين واعدين من طراز كمال سليم الذي قدم في "ليلة الجمعة" زوجاً مستقيماً يخضع لإغراء شريكه

الذى يعرفه برقصة تدفعه إلى تعاطى الخمر حتى ينمل فتعود به إلى بيته وتدعى أمام عمه الثرى أنها زوجته ، ويتصادف أن عمه هذا لم يتقابل مع زوجته من قبل ، ولذلك يهنى ابن أخيه على حسن اختياره ، بل وييهبه جزءاً من ثروته الضخمة . ومن الطبيعي أن تظهر الزوجة الحقيقية التى تحاول تبيان الأمر لكن الظروف لا تساعدها ، بل تتعقد الأمور التى تصل إلى انفصال الزوجين . عندئذ يشعر الشريك بالذنب لأنه تسبب في كل هذا ، ويسعى جاهداً لإصلاح المشاكل التى تسبب فيها . وتأتى النهاية السعيدة كالعادة عندما ينجح في إعادة ثروة العم ، ورأب الصدع الذى وقع بين الزوجين ، وإبعاد الرقصة عن طريقهما .

ومن الواضح أن العنوان نفسه "ليلة الجمعة" يوحى بدللات جنسية وترفيهية لابد أن تجد صدى عند جماهير التسلية التى برزت مع الحرب ، فى حين أن عنوان "العزيمة" يدل على القيم الإيجابية والإنسانية التى بلورها الفيلم فى بناء درامي جعله نقطة تحول مضيئة على الخريطة السينمائية ، والتى رفعت من شأن العمل الحر ، والصمود فى وجه الظلم ، وقيمة العمل فى حد ذاته بصرف النظر عن مستوى الاجتماعى والاقتصادى ، والتفاؤل بانتصار الإرادة الإنسانية . وهذا المضمون الراقى تجسد فى فيلم اكتملت له الأساليب الفنية والDRAMATIC التى جعلته يصمد لاختبار الزمن .

فى عام ١٩٤٥ أيضاً قدم نيازى مصطفى فيلم "البني آدم" الذى مزج فيه بين الفانتازيا الخيالية المسلية والأحداث الميلودرامية النمطية ، من خلال شخصية رجل متوسط الحال له ابنة شابة وطفلان وثلاثة حمير . يسافر الأب ويوصى ابن صديقه بأسرته . وسرعان ما يحاول الشاب التقرب من الفتاة إلا أنها تصده فيسرق الطفلين والحمير الثلاثة حتى يجبرها على الرضوخ له . ولا تملك الأم سوى أن تدعوا الله أن يجعل من الحمير الثلاثة ثلاثة رجال ، وتحدث المعجزة وينقلبون إلى بندق ولوذ وسوسو وينجحون فى إنقاذ الطفلين . ونظراً لأن مستشفى الأمراض

العقلية من الأماكن النمطية المفضلة في السينما المصرية ، فإن الرجال الثلاثة يصررون على أن أصلهم حمير بحيث يتم إيداعهم فيها . وتنصاعد الأحداث الميلودرامية عندما تعرف الابنة لأمها بما حصل ، وتطلق الرصاص على الشاب لكنها تصيب الأم ، مما يؤدي بها إلى الجنون الذي يعد أيضاً من التيمات النمطية الأثيرة إلى نفوس السينمائيين المصريين . وتدخل المستشفى ، في حين يموت الأب العائد . وبرغم كل هذه الفواعع فإن النهاية السعيدة تطل علينا عندما تتزوج الفتاة بعد شفائها . ويطلب الثلاثة من الله أن يعيدهم مرة أخرى حميرًا لأن عالم الحيوانات أكثر سعادة ورقة من عالم البشر .

وقد تجلت هذه الفواعع في فيلم " قتلت ولدي " الذي أخرجه جمال مذكور في عام ١٩٤٥ أيضاً ، والذي تقع فيه للدكتور سامي حادثة يصاب على أثرها بالشلل . ويعرض على زوجته سهام الطلاق حتى لا يظلمها دون ذنب جنته ، لكنها ترفض التخلص منه . يطلب سامي من أخيه فؤاد أن يعتني بسهام فيتذكر لقاوهما . وبمرور الأيام تتشابه بينهما علاقة غير شريفة ، تكون نتيجتها أن تحمل سهام . وعندما يعلم سامي بهذا العار ينتحر . وقد أصبح الانتحار بعد ذلك من التيمات النمطية في السينما المصرية وتنصاعد الأحداث الميلودرامية فيتهم كل من سهام وفؤاد بقتله ويقدمان للمحاكمة لكنهما ينالان البراءة . ويعود فؤاد إلى أمه ومعه سهام لكنها لا تنسى ما جرى فتقوم بطردهما من منزلها .

وفي عام ١٩٤٥ أيضاً أخرج إبراهيم عماره فيلمه " الزلة الكبرى " الذي جسد فيه مظاهر الانهيار الأخلاقى والاغتصاب والشقاء ثم الانتحار وذلك من خلال رجل فاسد الأخلاق جنى على ولده فحرمه من حبيبته التي تزوجها هو ثم تركها تسقط في هاوية الاستهتار الخلقي . ولا تتوقف جرائمه عند هذا الحد بل يعتدى على عفاف ابنة خادمه المخلص بحيث أصبح مصدراً لشقاء كل من اتصل به . وفي النهاية يعترف بجرائمها التي لا يكفر عنها إلا بالانتحار . وعلى الرغم من أن

القصة وال الحوار من تأليف القصصى والروائى يوسف جوهر الذى يعتبر من نجوم جيل نجيب محفوظ ، إلا أنه لا يبدو أنه لا مهرب من الحتميات التجارية التى فرضت على التأليف السينمائى مثل هذه العناصر النمطية التى اعتادها الجمهور الذى لم يكلف نفسه مجرد مناقشة مصاديقها .

فى نفس العام أيضاً أخرج محمد عبد الجود فيلم " قصة غرام " الذى كتب قصته والسيناريو وال الحوار كمال سليم الذى شاركه أيضاً فى الإخراج إذ إن اسمه كتب بعده فى إعلانات الفيلم . وإذا كان الفيلم ينسب أساساً لمحمد عبد الجود ، إلا أنه يدل على أن فيلم " العزيمة " كان فلتة أو استثناء من القاعدة التى سار كمال سليم على نهجها بعد ذلك . فقد جمع فى الفيلم كل العناصر النمطية والمواقف الميلودرامية الصارخة عندما يفقد كل من جلال وهدى والده الذى يوصى عليهما شريراً ظالماً ، يستبد بهما ويستولى على ثروة الفتاة . يتحملن أذاه حتى يكبراً ثم يحاولان الهرب من بطشه لكن الظروف لا تساعدهما ، إذ يطاردهما ويصاب جلال بطلق نارى يعوقه عن مواصلة السير . ثم تقع هدى فى قبضة شرير آخر يتزوجها ويضطهدانها محاولاً إرغامها على إعطائه توكيلها حتى يطالب بثروتها من الوصى . وعندما ترفض يعنباً فترضخ له . وتشاء الصدف أن تتعثر على أخيها جلال الذى يصبح عرضة لتأمر زوجها مع الوصى بهدف القضاء عليه فتشاء الصدف مرة أخرى أن يقتل كل منهما الآخر دون قصد ، ويلتقم شمل الأسرة مرة أخرى .

وإذا رجعنا إلى عام ١٩٤٣ ، فإن الفيلم الذى أخرجه عبد الفتاح حسن وكتب له السيناريو بعنوان " حب من السماء " ، يمثل نمطاً فريداً لجمعه معظم وأهم التيمات التى تركت بصماتها واضحة على خريطة السينما المصرية ، والتى بلورتها أفلام الأربعينيات التى سبق رصدها . ففى هذا الفيلم نقابل فتاة حسناً تدعى سامية لكنها مصابة بالشلل . ومع ذلك يقع فى حبها مهندس عاطفى ، لكنها ترفض

عرضه لاحساسها أنه يشقق عليها . ولکى تخلص منه بطريقة لا تجرح مشاعره ، فإنها تغريه بالزواج من ابنة عمها برغم أنها فتاة مستهترة . وبحكم أن الخير لابد أن ينتصر ، فإن طبيباً كبيراً يتقدم لعلاج سامية فتشفى في حين تظل ابنة العم في استهتارها برغم زواجها من المهندس الذي ينتهى به الأمر إلى ضبطها متلبسة بخيانته . وتنصاعد الأحداث الميلودرامية التي تعتمد على الصدفة كالعادة ، فيصاب الزوج في حادثة يفقد فيها بصره ، لكنه يتقدم لطلب يد سامية بعد طلاقه من ابنة عمها . وإنعاناً في تصعيد الأحداث فإنها ترفضه . ومع مرور الأيام لا يهدأ الصراع العاطفى الذى يجعلها في النهاية تعدل عن موقفها ويتزوجان ليصل الفيلم إلى النهاية السعيدة النمطية .

وإذا انتقلنا إلى النصف الثاني من الأربعينيات ، فإن محمد كريم يقدم في عام ١٩٤٦ فيلم "دنيا" الذى يصور حياة فتاة تسجن خمس سنوات لقتل ولدتها الذى أنجبته من شاب يغرس بها ثم يهجرها ، وبعد انتهاء فترة السجن تخرج وكلها تصميم على الانتقام منه . وبالفعل تلتقي به دون أن تصارحه بموضوع سجنها . ويقبل هذه المرة أن يتزوجها مما يدخلها في دوامة الصراع ما بين حبها ورغبتها في الانتقام منه . فهى تحاول أن تنسى الماضي بعد أن تأكّدت من حبه الجارف لها . لكن أم الشاب تكتشف الماضي الحقيقي للفتاة فتضيق بزواجهما وتتغاضى عنها حياتها . هنا تبرز المثالية الميلودرامية النمطية عندما تقرر الفتاة التضحية بحبها حتى لا تكون سبباً في نكبة كبيرة تتحقق بأسرة الشاب ، فتتتحر لتصفع حداً لحياتها . أى أن الفيلم جمع عناصر التغريب والاغتصاب والقتل والسجن والحب والانتقام والماضى المشين والتضحية والانتحار .

وبحلول عقد الخمسينيات شهدت السينما المصرية تياراً عاتياً من العناصر والتيمات والمواضيعات والمضامين والشخصيات والأماكن النمطية التي احتشدت في أفلام تجاوزت الخمسين في عددها ، وبرع في إخراجها فنانون راسخون من

أمثال حسن الإمام ، وعز الدين ذو الفقار ، وأحمد ضياء الدين ، ومحمد عبد الجواد ، وأحمد كامل مرسى ، وحسن الصيفى ، وكمال عطية ، وإبراهيم عماره ، والسيد زيادة ، وأحمد بدرخان ، ونيازى مصطفى ، وهنرى بركات ، ومحمود ذو الفقار ، وزهير بكر ، وإلهامى حسن ، وفطين عبد الوهاب ، ويونس وهبى بطبيعة الأمر .

وإذا كان بعض هؤلاء المخرجين قد غير اتجاهه بعد ذلك واكتشف آفاقاً جديدة ، أو مارس أكثر من لون وأسلوب فى آن واحد مثل أحمد كامل مرسى ، وهنرى بركات ، وفطين عبد الوهاب ، وعز الدين ذو الفقار ، ومحمود ذو الفقار ، وإبراهيم عماره ، فإن منهم من ظل مخلصاً بل مستمتعاً بالتنوع على هذه العناصر النمطية ، خاصة الميلودرامية منها ، دون أن يفكر فى هجرها إلى غيرها . ويأتى فى مقدمة هؤلاء المخرجين حسن الإمام ، وأحمد ضياء الدين ، وحسن الصيفى ، وزهير بكر ، ونيازى مصطفى إلى حد ما .

استهل حسن الإمام عقد الخمسينيات بفيلمه " أسرار الناس " الذى أخرجه عام ١٩٥١ ، وفيه يتهم شاب فى جريمة ما ، بدخل السجن بسببها . وعندما يخرج يضمنه صاحب فرن ويقاسمه حياته ، لكنه ينصب شباكه حول زوجة الرجل الثرية ، ويثير لصاحب الفرن تهمة ليلقى به فى السجن . تهرب الزوجة وتضل الابنة فى طريقها لكن رجلاً طيباً يلتقطها . ويدور الزمن دورته وتلتقي الابنة بالأم دون أن تعرفها . ويواصل الشرير إجرامه بإصراره على استغلال الابنة بل والاعتداء عليها ، مما يدفع الأم إلى الانتقام منه وإلقاء مادة كاوية على وجهه ثم تقتله ، ثم تهreu إلى منزل زوجها السابق لتشهد زفاف ابنتها وتموت بينهم ، بحيث يمزج الحزن بالسعادة ، والألم بالفرح .

وفى عام ١٩٥٢ أخرج حسن الإمام فيلمين " زمن العجائب " و " أنا بنت مين " ، جمع فيهما كل ما تيسر من التوابل النمطية التى أغرم بها جمهور

الخمسينيات على وجه التحديد . في الفيلم الأول نقاب امرأة تتطلع للثراء فتستسلم للثرى كهل يتزوجها . وهى لها ابنة من رجل آخر لكنها تكرر بنوتها ، وهو أيضاً له ابن وابنة من زوجة سابقة . وتفاقم الأمور عندما ينغمس الكهل في لعب القمار ويترك الحبل لزوجته الجامحة على الغارب فتصادق شاباً يطمع في ثروة زوجها فيبتزه ويخطط للتخلص منه حتى ترث زوجته . وكانت الخطة أن تظاهرة الزوجة بحب ابن الكهل حتى يصاب الأب بصدمة يموت بسببها !! وكأنها صدمة مضمونة مائة في المائة . ثم يعتدى ابن الزوج على ابنة الزوجة التي تحمل منه لتصبح طفلة تودعه الملاجأ . ثم تتدخل الصدفة المضرة كالعادة فيحدث أن تبني الطفل ابنة الكهل . وتقتل السيدة زوجها في حين يتذكر لها عشيقها بل ويحاول اتهامها بإحراز مخدرات ليتخلص منها . ونظراً لأن الشر لا يهادن الشر فإنها تواجهه في معركة شرسة تقتلها فيها وببساطة شديدة ت THEM ابنها بقتله . عندئذ يتراجع عنها ابن الكهل الذي يتتصادف أن يكون محامياً ، وتعترف الأم بالحقيقة فيقبض عليها ويحكم ببراءة الابنة .

وفي فيلم " أنا بنت مين " فيقرر جلال ابن أحد أصحاب المحاجر أن يتزوج نعمت ابنة أحد العمال ، فهو يحبها بل ومارس معها الجنس . لكن أبوه يرفض لأنه بدد أموال ابنة أخيه زيزى ولذلك يتحتم عليه أن يتزوجها ليتجاوز ورطته . وعندما يحين ميعاد الولادة تلجاً نعمت إلى رجل طيب يساعدها على ذلك . وبالفعل يتزوج جلال من زيزى بعد أن يعتقد أن نعمت ماتت . ونظراً لأن " مسیر الحی يتلاقي " بالصدفة طبعاً ، فإن أبو جلال يعلم بأمر حفيته ، ويوعز لحامد ملاحظ العمال بخطفها على أن يقوم برعايتها ، لكنه يسىء معاملتها . وبعد سنوات يستيقظ ضمير والد جلال فيروى لابنه الحقيقة . وإذا كان لابد من القضاء على الشر مهما استفحلا ، فالحل موجود وسهل وسريع وحااسم إذ يقتل حامد في حادث سيارة ، ثم تهل النهاية السعيدة النمطية عندما يهتدى جلال إلى مكان نعمت وابنته ويعود

بها ، وتتوقف البطلة عن التساؤل : " أنا بنت مين " !؟ ، إذ أن قضية النسب الثانية أو المشكوك فيه تأتي في مقدمة العناصر النمطية في تلك الفترة ، وإن كانت قد توارت بعد ذلك في السبعينيات .

وفي عام ١٩٥٣ يقدم حسن الإمام فيلمين أيضاً : " بائعة الخبز " و " حب في الظلام " . وقد حشدهما كعادته بالأحداث الميلودرامية النمطية كإشعال الحريق ، والإصابة بالجنون ، وفقد الذاكرة ، وملجاً الأيتام ، والانتحال والتكر ، ومرض القلب ، ومحاولة القتل ، والاعتراف بالجريمة ، ونهب الأموال ، ورهن المصاغ ، والربا ، والسرقة ، والهروب ، والاتهام الظالم ، والإصابة بالعمى ثم استرداد البصر .. الخ .

في فيلم " بائعة الخبز " يموت الزوج ويترك زوجته خديجة وطفلها نعمت وسامي فتذهب لتعيش مع قريبة لهم ، وإذ بالمصنع الذي كان زوجها يعمل فيه يحترق وتهدم خديجة بحرقه !! ثم نكتشف أن هذه الجريمة من تدبير الرئيس عبد الحكيم بعد أن ترفض خديجة الزواج منه . فتصاب بحالة جنون وتودع في المستشفى لمدة عشر سنوات تظل فيها فاقدة الذاكرة . ويكرر الحريق لكنه في المستشفى هذه المرة ، ورب ضارة نافعة !! لأن الحريق يعيد إليها ذاكرتها ، فتبدأ رحلة البحث عن نعمت وسامي ، ذلك أن بحث الوالدين عن الأبناء أو الأبناء عن الوالدين في مقدمة التوابيل النمطية التي لم تفقد جذتها لمدة طويلة . نكتشف أن نعمت تربت في ملجاً أيتام وقد وقعت في حب شاب يدعى محدث ، في حين أصبح سامي محامياً ، ولا يعرفان أن أحهما خديجة تعمل بائعة خبز في فرن باسم حميدة ، كما يتخفى عبد الحكيم تحت اسم غريب بعد أن تزوج وأنجب ابنة مريضة بالقلب . وتشاء الصدف كالعادة أن تتعرف نعمت على ابنة " غريب " أو " عبد الحكيم " بحكم اسمه القديم ، لكنه يواصل اتهامه الكاذب ويؤكد لابنته أن أم نعمت هي التي أحرقت المصنع بل ويحاول قتل خديجة ، لكنها تجو بل وتكتشف

شخصيته الحقيقة أى الرئيس عبد الحكيم الذى يعترف فى النهاية ببراءتها فى حين
نموت ابنه المريضة بالقلب .

فى فيلم " حب فى الظلام " يقدم حسن الإمام أرملة أنجبيت شابين أحدهما
مستقيم والآخر ابن زوجها الثانى ، ويجسد الشر المحسن فىنهب أموال أمه وأخيه ،
فتضطر الأم لرهن مصاغها لدى مرابية يتعامل معها الابن الثانى أيضاً ، ويصمم
على سرقتها . وعندما يحضر الابن الأول ليسترد مصاغ أمه ، يتتصادف أن يتسلل
الأخ الثانى فى الوقت نفسه لمنزل المرابية ويقتلها ويهرب . وتحاول الجارة أن
تستجد بأهل المنزل فلا تجد أمامها سوى الابن الأول فتظننه القاتل وتصرخ لكنها
تسقط من أعلى السلم وت فقد بصرها . يؤنبه ضميره ويتزوجها على سبيل التكفير
عن ذنبه لكنه يراوغها فى إجراء العملية . وترفض الاستكانة لمراؤغته فتجرى
العملية فى أثناء غيابه وتسترد بصرها . وعندما يعود زوجها تفاجأ وتهتمه بقتل
المرابية . لكن الصدف تتدخل مرة أخرى ويظهر الشحاذ الذى رأى الحادث ليشهد
على براءتها .

ومن السهل رصد أصداء رواية " الجريمة والعقاب " للروائى الروسي
ديستوفسكي فى فيلم " حب فى الظلام " الذى يبدو أن حسن الإمام كان معتزاً به
لدرجة أنه أعاد إخراجه فى عام ١٩٨٧ تحت اسم " حب فوق البركان " . وهذا يدل
على أنه اتخذ من هذه التوجهات النمطية والميلودرامية منهاجاً رفض أن يتخلى عنه
طوال حياته . قد نختلف معه لكننا لا نملك سوى احترام التزامه بما اقتضى به فناعة
شخصية ومنحه أسلوبه الذى تميز به .

فى عام ١٩٥٧ قدم حسن الإمام فيلم " لواحظ " الذى يلعب فيه لعبته المفضلة
التي تدور حول النسب المشكوك فيه ، وحياة الكباريهات والسجون ، والخطف ،
ومقاومة الاغتصاب والقتل ، والإنقاذ فى آخر لحظة ، وذاك من خلال شخصية
لواحظ التى تعمل مغنية بأحد الكباريهات . تذهب لزيارة أمها بمستشفى السجن

حيث تعرف لها بأنها ليست ابنة المعلم عزب بل هي ابنة رجل ثرى تزوج بها سرًا ثم هجرها . وتطلب من البوليس حمايتها من أعون المعلم عزب المسجون أيضًا . وتشاء الصدف أن يكون الضابط المسئول هو ابن الرجل الثرى من زوجة ثانية . وعندما يثبت للأب أن لواحظ هي ابنته ، يطلب من ابنه كتمان الأمر حتى لا تغضب أمه ، لكنه في الوقت نفسه ينقدها من عزب بتشغيلها خادمة عنده ، خاصة بعد أن خرج عزب من السجن وشرع في البحث عنها . وبالفعل يواجه الرجل الثرى ويطالبه بتسليميه لواحظ ، لكنه يرفض ، ف تكون النتيجة أنه يخطفها ويحاول اغتصابها إلا أنها تقاومه وتنقذه في الوقت الذي يصل فيه الضابط مع رجال الشرطة لإنقاذها .

وفي العام التالي (١٩٥٨) قدم حسن الإمام فيلم " عواطف " الذي يدور حول الابن أو الأخ غير الشرعي في إطار أسرة مكونة من زوج وزوجته وابنتهما الشابة التي تعمل رئيسة لجمعية نسائية لمساعدة الفقراء ، وتتلقى خطاباً تفهم منه أن لها أخاً غير شرعي من أمها ولدته قبل أن تتزوج من أبيها . تخفى الخطاب عن أمها وتذهب إلى أخيها غير الشرعي لتتعرف عليه ، فيقدم لها أوراقاً تثبت بنته ويطالبها بدفع مبلغ من المال مقابل تسليمها هذه الأوراق . تضطر لرهن مجوهراتها لتنقذ سمعة أمها حتى لا يعرف زوجها شيئاً عن الموضوع . وكالعادة تدخل الأحداث في مسار جديد ليست له علاقة بالمسارات السابقة إذ يتعرف رجل وفتاة على الزوجين باعتبارهما شقيقين ، وتنوطد العلاقة بين الأربعة ، فتحب الفتاة الزوج في حين يحاول الرجل ايقاعه في مأزق مالية ويعلم على تزويجه منها طمعاً في ثروته . يعلم بسر الزوجة ويوهم الزوج بأن زوجته تخونه ، ويدعى لزوجته أنه مسافر ثم يفاجئها مع أخيها الذي ينتحر في الحال ، في حين تعجز الزوجة عن تبرئة نفسها حتى لا تفضح أمها .

وفي الخمسينات أيضًا يأتي عز الدين ذو الفقار بعد حسن الإمام في قائمة العناصر النمطية بثلاثة أفلام : " سلو قلبى " ١٩٥٢ ، و " وفاء " ١٩٥٣ ، و

" امرأة في الطريق " ١٩٥٨ . في الفيلم الأول يربط الحب بين فتاة من أسرة عريقة وممثل ناجح ، لكن تبعاً للتقاليد التي تعتبر الفن نوعاً من الوصمة ، والتي تكررت في أفلام كثيرة ، والتي يتمسك بها رب الأسرة ، فإنه يرفض أن يتزوج ابنته ممثل ، بل يتفق مع الممثل على أن يضحي بحبه ويوهم ابنته أنه متزوج من صديقته الراقصة ، وأنه يطمع في ثروتها ، أى التضحية المثلية الفجة بلا مبرر على طريقة غادة الكاميليا . وبالفعل توافق الفتاة على الزواج من ابن عمها ، لكنها تكتشف الحيلة التي دبرها أبوها مع الممثل الذي دفع ثمن تضحية الفجة فقد مجده الفني وتهاك على الخمر . ونظراً لأن المصائب لا تأتي فرادى فإن زوجها يصاب بالشلل فتقوم على تمربيضه حتى يشفى بقدرة قادر ، في حين تتدحر صحتها نتيجة لصدمتها النفسية ، ومع ذلك تشجع الممثل على استعادة مجده الفني . وعندما يقف الزوج على حقيقة هذه العلاقة فإنه يطلق زوجته لتحل النهاية السعيدة بالنيلان شمل الحبيبين .

في فيلم " وفاء " تنشأ أمينة في جو من الحرمان والفقير . تصاب بمرض فتقل إلى مستشفى الدكتور جاسر حيث يعني بها ابن الدكتور كمال برغم أن فقرها لا يتبع لها سوى دخول مستشفى قصر العيني . ولا تشفى من مرضها فحسب بل ينمو الحب بينها وبين الطبيب الشاب الذي يتزوجها برغم اعتراض أبيه . ثم يصاب كمال في حادث يبعده عن العمل فتضطر أمينة إلى البحث عن مورد للمعيشة فلا تجد سوى وظيفة في خدمة عادل الشاب الأعمى . وسرعان ما تنتهز ابنة عم كمال الفرصة للايقاع بينهما فتخبر كمال أن زوجته تخونه ، وتتجه المؤامرة فيطلقها ويعود مع ابنته إلى منزل أبيه . ويحدث أن يسافر عادل إلى أوروبا للعلاج الذي ينجح ويسترد بصره كما يحدث في معظم الأفلام ، وعندما يعود إلى مصر يعلم بมาساة أمينة فيذهب لكمال ويعترف له بالحقيقة الدامغة على شرف زوجته وإخلاصها له . لكن لابد للأمور أن تتفاقم نحو تصعيد ميلودرامي جديد ، وخاصة

أن الصدفة جاهزة كالعادة للقيام بدورها ، فيحدث أن تصاب أمينة في حادث فيجرى لها كمال عملية لإنقاذ حياتها ، ثم تأتى النهاية السعيدة النمطية حين يعود كمال ليواصل حياته مع حبيبة عمره أمينة .

فى عام ١٩٥٨ قدم عز الدين ذو الفقار فيلم " امرأة فى الطريق " المستوحى من الفيلم الأمريكى " صراع تحت الشمس " للمخرج كينج فيدور . ولذلك كان جو الصحراء والبرارى جوأ غير نمطى على الإطلاق برغم بعض الأحداث النمطية التى تتمثل فى دس السم ، والديون الباهظة ، والبصر المفقود الذى تكرر كثيراً فى أفلام عز الدين ذو الفقار ، وكذلك الخيانة الزوجية والقتل والخنق . فالمعلم فرج يملك ورشة صيانة ومحطة بنزين ملحقة بمنزله الذى يعيش فيه مع ابنه حسنين وزوجته لواحظ ، وهى راقصة غجرية لعوب تتزوج من حسنين الذى لا تحبه حتى تكون بالقرب من أخيه الأكبر صابر الذى تحبه ولا يغيرها التفاتاً . ويصل المعلم منصور ليتوسط لصابر عند أبيه الذى طرده ولا يحتمل رؤيته لأنه ابن المرأة التى دست السم لزوجته الثانية . ولا يتوقف صابر عن محاولاته لكسب ود أبيه فينقدر بسداد الديون التى تحاصره ، فى حين تحاول لواحظ إغراء صابر وتلاحقه بفتنتها . ويحدث أن يفقد الأب بصره لسقوط سيارة عليه وهو يصلحها نتيجة لخطأ من حسنين الذى يقرر السفر بحثاً عن عمل . لكن الأب يفاجأ بعلاقة صابر ولواحظ ويخبر حسنين بخيانة زوجته . يحاول حسنين قتل صابر لكن لواحظ تقتله فما كان من صابر إلا أن يخنقها .

فى الخمسينيات أيضاً أخرج أحمد ضياء الدين أربعة أفلام من نفس النوع النمطى : " نافذة على الجنة " و " بعد الوداع " عام ١٩٥٣ ، ثم " قرية العشاق " ١٩٥٤ ، و " دعوني أعيش " ١٩٥٥ . فى الفيلم الأول : " نافذة على الجنة " ، وهو فى الحقيقة نافذة على الجحيم ، نقابل فتاة يتيمة من لسرة عريقة لم تجد حناناً عند أبيها المنطوى على نفسه ، فوجدت تعويضاً عنه فى شخص توفيق الكاتب فى

دائرة والدها . تثق به لكنه يخدعها ويعتدى عليها ويسرق أباها ويهرب . ولا يبلغ الأب إلا عن جريمة السرقة فحسب خوفاً من الفضيحة . وبعد انتهاء فترة حملها تلد طفلة عمياء فتودعها عند سيدة لترعاها . وبالصدفة تقع في غرام شاب ، يطلب يدها لكنها تهرب منه ، فيصاب بصدمة نفسية تؤدي إلى تدهور صحته . ثم يتوفى أبوها وتتراجع عن موقفها من الشاب وتقبل الزواج منه . لكنها في يوم عقد القران تناجأ بتوافق يدخل حاملاً ابنتها وهو يحاول تهديدها . يعرف العريس حقيقة موقف الفتاة التي أحبها فيسامحها ويتزوجها وتستعيد ابنتها ، ويتم القبض على توفيق جريمة سرقة الأب .

في فيلم " بعد الوداع " تقع أمينة التي لا عائل لها تحت وطأة بطش زوجها سليم الشرير الذي يطلقها وتتكر لها وهي حامل . لكن العناية الإلهية لا تتخلى عنها فيعطف عليها زوجان ، ويذهب ثلثتهم لزيارة أهل الزوج ، لكن الفواجع تتواصل فيموت الزوج والزوجة في حادث ، ويفهم أهل الزوج بطريق الخطأ أن أمينة هي زوجة ابنهم ، فتساق لسوء الفهم هذا لأنهم لم يروها من قبل . وبالفعل تسعد بالحياة معهم . وتشاء الصدف أن يعلم سليم بسرها فيحاول ابتزاز أموال العائلة ، بل ويحاول أن يعيدها لعصمتها طمعاً في ثروة الطفل . تحاول أن تقتله وأن تهرب من حياتها ، لكن زوجة سليم الأخرى تسبقها وتقتله بالفعل على سبيل الانتقام . وينتهي الفيلم بسعادة البطلة مع ابنتها !!

أما في فيلم " قرية العشاق " فإن أحمد ضياء الدين يصور قصة حب الفلاح عبد الرحيم لجارته فاطمة التي ينوي الزواج منها . لكن التوابل النمطية سرعان ما تتدخل ويعرف عبد الرحيم على شهيرة ، من بنات المدينة - ابنة صاحب حدائق الفاكهة بالقرية . وسرعان ما يتورط معها ويعدها بالزواج إصلاحاً لخطئه ، لكن عندما يتحدد موعد القران ، فإنها تهرب مع عشيق لها . فيعود عبد الرحيم إلى فاطمة ويتزوجها وينجبان طفلاً . وعلى الرغم من أن شهيرة تتزوج من عشيقها ، فإنها تحاول التودد لعبد الرحيم لكنه يصدها بحزم فتقتل ابنه ببساطة . وعندما

تذهب فاطمة وعبد الرحيم للقائهما ، تظن شهيرة أهلا حضرا للانتقام فتطلق رصاصة طائشة تصيب الزوج ، وتعترف بقتل طفله ثم تحاول الهرب مع ابنها إلا أنها تلقى حتفها في الطريق ، فتعطف فاطمة على ولديها وتأخذه لترعايه . وإذا عرفنا أن القصة وال الحوار من تأليف قاص متمكن هو أمين يوسف غراب ، لأدركنا أن الطوفان التجارى للعناصر النمطية أقوى من أن يقاومه أى أديب مهما كان راسخ القدم ، وهو ما حدث لنجيب محفوظ ، ويونس السباعى ، ويونس جوهر ، وعبد الحميد جودة السحار ، وإحسان عبد القدوس ، وثروت أباظة ، وإبراهيم الورداوى ، وفتحى غانم ، وسعد مكاوى ، وصالح مرسى ، وفتحى أبو الفضل ، سواء أخذت الأفلام عن قصصهم ورواياتهم المنشورة أو قاموا هم بأنفسهم بالتأليف خصيصاً لسينما .

أما فيلم "دعونى أعيش" لأحمد ضياء الدين ، تثير أرملة لعوب مفهى في منطقة البترول بالسويس وتعيش معها أختها الصغيرة نعمات . وبرغم أن الموقع الجغرافي غير نمطى لكن الأحداث سرعان ما تتدفق في قناعة العناصر النمطية ، فتحب الأرملة رجب الذي يعمل سائقا في حين أنه يطمع في أختها الصغرى . وعندما تعرف الأرملة تهم بقتل نعمات التي تلجم إلى مهندس بالشركة يصحبها معه إلى الصحراء ، ويعتزم الزواج منها إلا أن أخيه الأصغر حسام يقابلها ويعجب بها فتفقع في حبه . وعندما يعلم أن أخيه الأكبر يحبها ، يضحي ويتخلص عنها لتتم خطبتها إليه ، مما يجعل رجب يستشيط غيظاً فيقتل المهندس ، ويعتلون مع الأرملة في إخفاء معلم الجريمة بإشعال النار في البترول ، ويرهب نعمات كى تدللى بشهادة كاذبة ، فتهرب إلى حسام . وتفاقم الأمور عندما يدب الخلاف بين الأرملة ورجب نتيجة لتمسكه بنعمات ، وتضطر الأرملة إلى أن تطلق النار على رجب . ويصل رجال الشرطة للقبض على القاتلة وإعادة الأمور إلى مجريها .

ساهم أحمد بدر خان أيضاً في الخمسينيات بفيلمين من النوع النمطي هما : " الشرف غالى " ١٩٥١ ، و " العروسة الصغيرة " ١٩٥٦ . في الفيلم الأول تعمل خادمة لدى رجل ثرى يحاول أن يعتدى عليها فتصده وتقاومه بعنف لدرجة أنها تظن أنها قتلتة فتهرب من قريتها . تلتقي بصاحب فرقة متجولة بالقاهرة وتعمل مطربة بها . وبعد فترة تصبح مشهورة وتنقابل مع شاب عائد من أوروبا ويتقان على الزواج . تذهب معه إلى قريته ليحصل على موافقة أسرته . وكما يتصادف دائمًا تفاجأ بأنه ابن سيدها الذي حاول اغتصابها من قبل . كذلك تحاول أمه أن تبعده عنها بعد أن تسببت في فقدان بصر أبيه عندما قاومته وظننت أنها قتلتة . يراجع الشاب نفسه قبل الإقدام على الزواج منها إلا أن الأب يستيقظ ضميره ويعترف لابنه بالحقيقة ويوافق على زواج ابنه منها .

أما فيلم " العروسة الصغيرة " وهو قصة وسيناريو وحوار يوسف جوهر ، فإن أحمد بدرخان يحشده بالعناصر النمطية التي اعتادها الجمهور والتي تمثلت في شخصية الموظف الفقير كامل ، السعيد بحب زوجته وطفلته ، لكن صاحب الشركة يطبع في زوجة كامل ويغازلها فتصده . وعندما يعلم زوجها بما حدث من المدير يثور ويحاول الاعتداء عليه فيطرده من عمله . وتتوالى الفواجع فتصاب الطفلة بمرض شديد ، كما تصادف الزوجة فنانًا شابًا يستدرجها إلى أحد المطاعم ، حيث يتصادف أن يراها زوجها ويعتقد أنها تخونه . وتؤثر الاختفاء عن كل من تعرفهم خاصة بعد وفاة طفلتها وإصابتها بالسل . أما زوجها فيدمن الخمر ويعمل في السوق السوداء . وتتدهور أحوالها وقد تحولت إلى طاقة من الحقد والانتقام ، فتتقرّب من صاحب الشركة لكي تنقل له عدوى مرض السل ، ثم تنتقل بعد ذلك إلى الفنان الشاب . وتعود الصدفة مرة أخرى بصورة مأسوية عندما ينقابل الزوج مع إحدى نساء الليل فيدعوها إلى سيارته ، فإذا بها زوجته التي تصعق للمفاجأة فتقفز من السيارة وتموت بين ذراعيه وهو في ذهول .

أما المخرج أحمد كامل مرسى الذى اشتهر بالأفلام التى تعالج قضايا ومشكلات الأسرة المصرية البسيطة ، فقد أدى بدوره أيضاً فى الخمسينيات ، مساهمًا فى تأكيد العناصر النمطية التى يبدو أن وطأتها كانت أقوى من أن تقاوم ، وذلك فى فيلميه " طيش الشباب " ١٩٥١ ، و " الميعاد " ١٩٥٥ . فى الفيلم الأول تتحقق سميحة بمدرسة داخلية ، وبعد تخرجها تحب أحد رواد ملهى أبيها ، وهو من الأثرياء الفاسدين . وفي الوقت نفسه يحبها مدرس البيانو الرقيق المهذب وينصحها بالابتعاد عن هذه الحياة الفاسدة لكن بلا جدوى . وتنتفاق الأمور عندما يفاجأ الأب ابنته وهى بين أحضان هذا الفاسد ، فتقوم مشاجرة بين الاثنين تنتهى بمقتل الشاب وقد الأب لنصره . ومع ذلك تحل النهاية السعيدة بزواج مدرس البيانو من سميحة .

فى فيلم " الميعاد " تبدأ الأحداث بداية غير نمطية عندما يشتراك المهندسان نظمي وكمال فى مكتب هندسى ، لكنهما يختلفان فى وجهة نظرهما تجاه قضية شرف المعاملة . لكن سرعان ما تجتاح الفيلم حمى النمطية والأحداث غير المنطقية فينفصلان ويحددان يوماً بعد مرور خمس سنوات لتقدير ثروة كل منهما ، ذلك أن مسارات الحياة ليست رهاناً بهذه البساطة . المهم أن حالة كمال تبقى كما هي ، فى حين يستولى نظمي على مبلغ من خطيبته شاء كانت قد سرقته من خزينة المحل الذى تعمل فيه . يقبض عليها وتسجن ، ويتفق نظمي مع ممول ثرى لتأسيس مكتب هندسى . ي مقابل سعيد سكرتير كمال مع نظمي ويدعى أن كمال قد أصبح من أصحاب الملابس . وتتوالى الأحداث الميلودرامية التى ت quam عملية الانتحار فى السياق فيقوم كمال بإيقاذ فاطمة ابنة الممول الثرى من الانتحار . ثم يفرج عن سناه وتبث عن نظمي كى تنتقم منه ، فتسرق الوثائق التى تدينه . وتنتفاق الأمور كما تتفاقم بين المجرمين - وليس بين المهندسين !! - فيقتل نظمي سكرتيره ويحاول قتل كمال إلا أنه يقع فى قبضة رجال الشرطة كى تهل النهاية السعيدة النمطية بزواج كمال من فاطمة .

فى نفس العام (١٩٥٥) قدم حسن الصيفى فيلمه " عرائس فى المزاد " الذى حشده بأحداث الجنون والهروب ليلة الزفاف . فيه يريد أبو جشع أن يزوج بناته الثلاث من أثرياء حتى يضمن لنفسه دعامة مالية متينة ، لكن كبراهن تهرب مع مكوجى وتتزوجه ، وهى الحمى التى اجتاحت الأفلام المصرية فى أعقاب ثورة يوليو التى شوهت صورة الأثرياء ، وجعلتهم رمزاً للجشع والفساد والاستبداد ، وامتلأت الأفلام بالهاربات مع المكوجى والحوذى وسائق التاكسي والإسكافى .. الخ. فى حين أن الأحلام الواقعية للبنات لا يمكن أن تتحصر فى هؤلاء الكادحين . أما الابنة الثانية فتتمثل عنصرين من أهم العناصر النمطية : الانحراف ثم الجنون . أما الثالثة فتعمل سكرتيرة فى شركة ، وتنتفق مع زميلها المهندس على الزواج ، لكن أبيها كان قد اتفق مع تاجر ثرى على زواجهما منه . ولذلك تهرب الفتاة ليلة زفافها وتتزوج من زميلها الشاب المهندس ، فيسارع الأب إلى المحكمة للتفريق بينهما !! ، إلا أن المحكمة توافق على زواجهما حتى يختتم الفيلم بالنهاية السعيدة .

فى عام ١٩٥٩ واصل حسن الصيفى إخراج أفلامه النمطية الراخراخ بأحداث التورط والحمل وأفران السوء ومحاولة القتل والإنقاذ والندم والاعتراف بالذنب وإصلاح الخطأ ، وذلك فى فيلم " احترسى من الحب " الذى يخطب فيه الشاب حسن ليلى ، ويصبح ثرياً بعد أن آلت إليه ثروة أبيه بصفته وارثه الوحيد . وتسافر ليلى مع شقيقها أحمد لتعيش معه فى الإسكندرية ، فى حين يلتف أفران السوء حول حسن حتى يستنزفوا ثروته . وكالعادة النمطية يغrr حسن بخطيبته التى تكتشف أنها حامل ، لكنها تخفى عن شقيقها ، خاصة أن حسن قد غير رأيه ورفض الزواج منها وغادر البلاد . عندئذ تضطر ليلى لقبول الزواج من صديق شقيقها الذى يمثل نمطاً سينمائياً فقط لأن الشاب المصرى العادى لا يقبل الزواج من مثيلاتها . المهم أن ليلى تهجر البيت وتهرب بعارها ، فيلحق بها أخوها محاولاً قتلها ، لكنها تتفذ وتنقل إلى المستشفى وكالعادة أيضاً يستيقظ ضمير حسن ويندم ويقرر العودة لإصلاح الخطأ بالزواج أخيراً من ليلى حتى يختتم الفيلم بالنهاية السعيدة .

وفي الخمسينيات أيضاً يقدم محمد عبد الجواد أكبر قدر ممكناً من العناصر النمطية في فيلمين "قليل البحت" ١٩٥٢، و "كذبة أبريل" ١٩٥٤. وبرغم أنها من بطولة إسماعيل يس بحيث تتوقع أن يكونا من الكوميديا الخفيفة أو الفارص المرح، فإنها زاخران بالوشاعة، وادعاء الماضي المشين، والخداع، وفقدان الثروة، ودخول مستشفى الأمراض العقلية، والموت نتيجة الصدمة، والصدفة، والتبني، والاحتيال، والحقيقة، والكذب. ففي الفيلم الأول يعيش حسين في الإسكندرية، ويتعرف على المغنية ببلة فيحبها وينوى الزواج منها إلا أن إلهام ابنة خالة ببلة تدعى أن لها ماضياً ولذلك فهي توافق على الزواج منه فيتخلى عنها. يموت والد حسين بعد أن يفقد ثروته. وعندما يعرض حسين على إلهام الزواج ترفض بعد أن يفقد ثروته، في حين تحاول إلهام إيقاع منير ابن عم حسين في شباكها، لكنها تفشل وتنهار وتدخل مستشفى الأمراض العقلية. ويسافر حسين إلى السودان ليعيش غارقاً في آلامه، ثم تموت ببلة متأثرة بصدمة هجر حسين لها، وعندما يعود بعد فترة طويلة يصادف ابنة ببلة التي تبناها الأستاذ عصافور، فيسعد بذلك، ويبارك زواجها من خطيبها.

أما في "كذبة أبريل" فتقل حدة الأحداث الميلودرامية، إذ أن مؤلف القصة والحوار هو بديع خيري. فالفيلم عبارة عن مبارأة بين شابين للحصول على قلب راقصة، إذ يخطط الزوج ليحتال على مال زوجته التركية ليفوز على منافسه في حب الراقصة، فيتظاهرة بالانتحار مدعياً أن له ابناً من زوجة سابقة متوفاة وأنه لا يستطيع الإنفاق على تربيته. تتأثر الزوجة وتعهد بتربية الابن. تسأله عن اسم ابنه فيكذب ويبلغها باسم منافسه في الحب، ثم تضبط في جيده صورة الراقصة فيدعى أنها ابنة صديقه من زوجة أخرى. كما يكتشف أن هناك علاقة بين ابنته وابن منافسه. يتقدم لطلب يدها فيرفض والدها، كما ترفض زوجته أيضاً هذه الزيجة لاعتقادها أن الخطيب هو ابن زوجها. وفي النهاية، يوضح الزوج لزوجته التركية حقيقة أكاذيبه، وتأتي النهاية السعيدة بزواج الفتى من الفتاة.

فى عام ١٩٥٣ قدم المخرج الذى اشتهر بأفلام الكوميديا الراقية الخفيفة الظل فطين عبد الوهاب فيلماً يدل على أنه نادراً ما يوجد مخرج يستطيع أن يهرب من طوفان العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية التى تربعت على عرش السينما المصرية عقوداً متالية . فقد قدم فيلم " عبيد المال " الذى يبدأ بنشاط لعصابة تهريب مخدرات اشتراك فيها وحيد منصور الذى يدخل السجن بسبب جريمة قتل ، فيودع أمواله وزوجته أمينة أمانة لدى صديقه وحيد الذى يخونه مع زوجته ويبعدان أموال منصور . وعندما يقترب موعد خروجه من السجن ، يتحايل وحيد على الثرى جلال ويزوجه من أمينة . ثم يحاول قتل جلال ليستولى على أمواله إلا أنه ينجو ولكن يفقد بصره . يخرج منصور من السجن فى حين ينجح وحيد فى إقناع ابنة صديقه فتحية أن تحل محل زوجة جلال لتشابه صوتيهما بعد أن يوهمها أن زوجة جلال ماتت دون أن يعلم وأن وجودها معه نوع من العلاج النفسي ، إلا أن فتحية تعرف لجلال بالحقيقة . وتشاء الصدفة أن يرتد البصر لجلال عندما يصيبه وحيد فى رأسه بعد أن يضبطه وهو يسرق أمواله . وينتهى عنصر الشر بقتل منصور ووحيد كل منهما للأخر ، وتأتى النهاية النمطية بزواج جلال من فتحية .

كذلك يقدم المخرج عباس كامل الذى اشتهر بالأفلام المرحة والاستعراضية الخفيفة فيلم " فى صحتك " ١٩٥٥ الذى يبدو من عنوانه أنه ينتمى لنفس النوعية ، لكننا نكتشف أنه زاخر بالإدمان ، والاغتصاب ، والإجهاض الذى يؤدى إلى الموت ، والإصابة بالتسنم ، والاختلاس الذى يؤدى إلى الطرد من الوظيفة ، والموت نتيجة لحادث سيارة ، والانتقام ، وفقدان البصر ، والقتل . والظاهرة المثيرة للدهشة أن الفيلم من تأليفه أيضاً وهو المخرج المشهور بأفلام التسلية والمرح . ففيه يقع رب أسرة متوسطة الحال فى يد زملاء من مدمنى الخمر يتآمرون عليه ليضمونه إلى صفوهم . وبالفعل يعتدى أحد زملائه على ابنته ثم تموت إثر عملية إجهاض ، كما يموت أحد أبنائه إثر وجة سامة . ويهرب أحد

أبنائه خوفاً من عقابه بعد أن يفقد النقود التي كان سيسألها له بها خمراً . وتتوالى الفواجع فيفقد وظيفته لاختلاسه أموال الشركة ثم تصدمه سيارة وهو مخمور فيموت . وتصمم أرملته على الانتقام من زملائه فتتسبب في أن يفقد أحدهم بصره ، ثم تلقى هي حتفها .

في فيلم " أهل الهوى " ١٩٥٥ للسيد زيادة نقابل فتاة الراقصة اللعوب التي لا تعرف في الدنيا سوى الحصول على المال ، فتتخذ لنفسها عشيقاً ثرياً ، تعيش معه هي وشقيقها . وعندما تزور إلى سوريا لأعمال فنية تصادف رجلاً أكثر ثراءً من عشيقها فتنزوجه . يقدم شقيقها لعشيقها امرأة أخرى شبيهة بفتاة ، ويرى الزوج صورة زوجته في الصحف فيظن أنها تخونه مع عشيقها فيحاول قتلها ولكنها تقع من الدور العاشر فتموت . والفيلم قصة وسيناريو وحوار السيد زيادة ، مثله في ذلك مثل مخرجين كثيرين امتلكوا فرصة الكتابة للسينما لكنهم لم يمتلكوا موهبة هذه الكتابة .

في فيلم " السماء لا ت تمام " ١٩٥٢ يقدم إبراهيم عمارة مجموعة من الشخصيات المنمطة والأحداث الكئيبة التي تنتهي نهاية سعيدة بقدرة قادر . فجمال مهندس شاب يعمل عند شكري بك المقاول الثرى الذي لا يعرف الشرف . وهو على علاقة بنادية سكرتيرة شكري . ثم تقابل زينات زوجة شكري بجمال فتعجب به لكنها تكتشف علاقته بنادية زينات فتهدها بطردها من العمل . ثم تعرف نادية لجمال بأن شكري اعتدى عليها فيواجهه بذلك فيثور عليه ويطرده من العمل . يسافر إلى الإسكندرية ويعمل مع الحاج صابر . تلاحقه زينات مع أحد أعوانها توفيق ، وتتقلب السيارة بهما بعد انهيار كوبرى قام ببنائه شكري ، وكانت النتيجة الإفلاس والسجن ، ثم تقدم زينات على الانتحار لانصراف جمال عنها ، وتتقل إلى المستشفى . وبرغم كل هذا فإنهم يلتزمان في النهاية بعد أن يتم إنقاذهما .

فى عام ١٩٥٦ قدم زهير بكر من تأليفه وإخراجه فيلم " وهبتك حياتى " الذى يفقد فيه شقيقان أهلهما ، فيتبينى أحدهما رجل طيب من أهل الحى حتى يصبح طبيباً ، ويتبينى الآخر أحد الحواة ، فيصبح مجرماً يرأس عصابة لخطف الأطفال ، ويتزوج ابنة الحاوى ، وهى بطلة مسرح استعراضى . وبعد فترة يقرر التخلص من زوجته بقتلها لكي يرث ثروتها ويتزوج عشيقته . نصاب وينقلها إلى عيادة طبيب يهتم بعلاجها ويشعر كل منها بالحب نحو الآخر . ويضيق الزوج برعاية الطبيب لها دون أن يدرى أنه أخوه . ينقلها للعلاج بالمنزل ويحضر عشيقته لتمثل دور الممرضة لكي تقوم بوضع قطرات من السم فى دوائها بهدف قتلها . يخطف الزوج ابن الطبيب فى حين يكتشف الطبيب أنه أخاه يسرع مع الزوجة إلى وكر العصابة . يصاب الطبيب عندما يعلم أنه شقيقه فلا يقاوم الشرطة ، ويطلق زوجته ويطلب من شقيقه أن يتزوجها .

فى فيلم محمود ذو الفقار " نساء محركات " ١٩٥٩ ، تبدأ محسن فى السيطرة على توفيق ، وسرعان ما تعجب بقريبه أحمد وتتودد إليه لكنه يصدما ويقع فى حب ابنتها ليلي . ينقدم لخطبتها ، فيوافق توفيق لكن محسن ترفض وتشتعل الغيرة فى قلبها . تحاول حفيظة قتل أحمد لكنه يتمكن من خنقها ، ثم يصاب توفيق بالشلل نتيجة ما حدث ، وتعود حفيظة لتعيش مع توفيق ويتزحان ليلي ابنة لها .

أما عقد السينينيات فيفتحه يوسف شاهين بفيلمين ملئين بالعناصر النمطية والأحداث الميلودرامية : " نداء العشاق " ١٩٦٠ ، و " رجل فى حياتى " ١٩٦١ ، إذ يبدو أنه لم يكن قد عثر على لغته السينمائية المتميزة بعد ، برغم أن بوادرها كانت قد ظهرت فى " صراع فى الوادى " عام ١٩٥٤ . وبالتالي ترك نفسه لينجرف مع طوفان العناصر النمطية . ففى " نداء العشاق " تعانى الغازية ورد من

غيرة زوجها التي تدفعه لقتل أحد أفراد الفرقة . وتطرد من القرية وتعمل في أحد محلات القطن حيث تقع في حب العامل عبده الذي يبادلها مشاعرها . وفي الوقت نفسه يحبها حامد الذي يخطط للتخلص من عبده والزواج من ورد . يحاول صاحب الملحج الاعتداء على ورد ، فتقاومه وتنقذه بسكين ، فينهم عبده بأنه القاتل . يغادر عبده القرية مع ورد في حين يحرق حامد خيام العمال بحثاً عنهم ، وأخيراً يهتدي إليهما ويقتلهم ويتم القبض عليه .

ولعل عنصر المكان هو العنصر غير النمطي الذي نجح يوسف شاهين في تحقيقه إذ ابتعد عن المشاهد الداخلية الخانقة داخل الكباريئات والملاجئ ودور الأيتام والأحداث وغرف النوم والمدارس الداخلية والسجون وأوكار العصابات وكهوف الجبل الخ ، وأكثر من المشاهد الخارجية في أرجاء القرية والحقول والملحج وخيام العمال .. الخ . وهو ما اتبعه تقريباً في فيلم " رجل في حياته " الذي يتسبب فيه المهندس حمدي بدون قصد في تعطيل عربة إسعاف في الطريق تحمل والد نادية المصاب والذي يموت . تكون له نادية الكراهية ويفشل حمدي في استرضاها . ثم تشاء الصدف أن يصيبيها على الشاطئ بالديلوار فت فقد بصرها لكن علاقته تتوطد بها بعد أن ينقذها من الغرق ويتزوجان دون أن تعلم حقيقته ويرزقان بأشرف . يضطر حمدي للسرقة لاجراء عملية جراحية لنادية . يتم القبض عليه وتتجه العملية ، وتفشل نادية في معرفة مكانه . تتزوج من طبيب سرعان ما يموت !! بعد مرور سنوات يتدرّب أشرف في مكتب حمدي وما أن يذكر اسم والدته حتى يفاجئه بأنه والده ويلتقط شمل الأسرة .

كما يشارك حسن الإمام في افتتاح عقد السينينيات بفيلم " أني أتهم " ١٩٦٠ الذي يحمل بصماته النمطية والميلودرامية المتميزة . في هذا الفيلم يربط الحب بين نعيمة وابن عمها صلاح الذي يتخرج في الجامعة ويعمل صحفياً . ثم سرعان ما تبدأ الفواجع بحادث يقع لنعيمة تصاب على أثره بالشلل ، كما يُطرد والدها صابر

من عمله على أثر مشادة بينه وبين المهندس حامد المستهير الذى استطاع أن يغرر بسعاد أخت صديقه عباس وكيل النيابة . يطالبه عباس بإصلاح خطئه فتقوم مشادة بينهما تنتهي بقتل حامد وهروب عباس ، يُتهم المعلم صابر بالجريمة بعد أن أثبت التقرير أن حامد قُتل برصاص آخر . يثير صلاح عطف الرأى العام لعلاج نعيمة بالخارج !! تبرع بالملبغ سيدة مجهولة ، يتضح أنها سعاد التى تعرف بأنها القائلة ! يستقيل عباس ليعمل محامياً ويدافع عن صابر ثم يتولى الدفاع عن أخته سعاد ضحية القتيل ، ويتم الإفراج عن صابر .

فى فيلم " أنا وبناتى " ١٩٦١ ، سيناريو وحوار وإخراج حسين حلمى المهندس ، تبدأ الأحداث فى جو أسرة مصرية صميمة ، توحى بأن الفيلم سيتجنب العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية التى لا تتولد عادة من ظروف الأسرة العادلة . لكن سرعان ما تتفاقم الأمور فى النصف الثانى من الفيلم الذى يدور حول أب له أربع بنات ماتت أمهم ، وقد بلغ هو سن المعاش . وفى أثناء بحثه عن وظيفة يصاب بكسر فى ساقه ، وتعانى البنات من صعوبة تدبیر معيشتهن . ويهدى التفكير إداهن إلى احتراف الغناء لجمال صوتها ، والثانية تعمل مانيكان ، والثالثة تمارس كتابة القصة ، والرابعة تدیر شئون البيت . وتتجه الثانية فى عملها لكنها تتعرف على شاب يغتصبها . ويخرج الأب من المستشفى ويصعق عندما يعرف ما جرى أثناء غيابه لدرجة يدفعه فيها اليأس إلى هجر أسرته . وتتوالى الفواجع فتحاول الثانية الانتحار ، وتصاب إداهن فى حادث وتموت . لكن الفيلم ينتهى باللتام شمل الأسرة مرة أخرى بعودة الأب وبناته الثلاث لبدء حياة جديدة .

شهد مطلع السبعينيات فيلماً نمطياً آخر لحسام الدين مصطفى عام ١٩٦٠ بعنوان " رجال في العاصفة " ، برغم أن موقع التصوير لم تكن في أماكن نمطية داخلية ومغلقة بل دارت الأحداث بين جبل عتاقة والبحر الأحمر حيث يعيش رضوان المحولجى ويعيش بجانبه مساعدته أحمد وزوجته هدى . وفي الجبل يختبئ

سليم المجرم الذى تتردد عليه بين فترة وأخرى عشيقته عزيزة التى تتقابل مع رضوان ، فى حين يحثها سليم على إغرائه ليتزوجها ثم يقوم بقتله . لكنها تعجب بأحمد وتتجح فى استمالته . ويصاب رضوان بالصمم ، وتفشل أولى محاولات سليم لقتله . وتبلغ عزيزة الشرطة عن مكان سليم . ويحدث أن يسترد رضوان سمعه على أثر حادث لكنه لا يفصح عن ذلك . وتغرى عزيزة أحمد لقتل رضوان ، لكن المحاولة تفشل ويعرف له أحمد بكل شيء ، ويواجه سليم عزيزة بغدرها ويشتبك مع رضوان وأحمد . وفي النهاية تقتل عزيزة ويصاب أحمد ويصل رجال الحدود ويقتلون سليم بعد مطاردته .

أما عبد الرحمن شريف الذى بدأ حياته مساعداً لحسن الإمام ، فإنه يرسخ عناصره النمطية الميلودرامية ، ويؤكد تقاليد أستاذه فى فيلم " عودى يا أمى " ١٩٦١ ، بل ويضيف إليها مزيداً من التوابل التى اعتادها الجمهور بحيث تحول الشخصيات إلى مخلوقات قادمة من عالم غريب لا يعرف سوى العلاقات الدنسة ، والاغتصاب ، والاعتداء بهدف القتل ، ثم الإصابة بالشلل ، والزواج العرفى . والظاهرة المثيرة للعجب أن هذه القصة من إعداد الكاتب التقدمى أحمد عباس صالح !! والتى تدور حول رأفت المهندس المتعلق بأمه نعمات المتسلطة التى يعيش معها هو وزوجته زينب التى تكتشف أن هناك علاقة بين نعمات وزميل زوجها حسين ، فتذهب إليه وتترجوه أن يقطع علاقته بمحاتها . يوافق لكنه يحاول الاعتداء عليها فى حين تدخل نعمات وتضربه بتمثال على رأسه . ويتم القبض على نعمات التى تبرر موقفها بأنها فى حالة دفاع عن شرف ابنتها بعد أن اكتشفت علاقة آثمة بين زوجته وصديقه . وبالفعل يطلق رأفت زينب ، ويصاب ابنتها بشلل ، فيقترح عليها الدكتور عمر أن تحضر كممرضة لرعايتها . ويفرج عن نعمات بعد قضاء مدة العقوبة وتطرد زينب من

المنزل . لكن نعمات تصاب فى حادثة ويزورها حسين بعد إصابته بالشلل !! فيعرف لرأفت بالحقيقة وهى أنه كان زوجاً لأمه بعقد عرفى . وينتهى الفيلم بموت الأم فى حين يستعطف رأفت زينب لتعود إليه .

أما حسين صدقى فقد أخرج فى عام ١٩٦١ فيلم " أنا العدالة " الذى جمع فيه معظم العناصر والتوابيل النمطية ، برغم أنه اشتهر فى معظم أفلامه التى كان يكتبها ويخرجها ، بنشر القيم الإيجابية والأخلاقية حتى لو لجأت شخصياته إلى الوعظ والإرشاد والخطابة المباشرة ، وتجنب مشاهد العنف والقتل والانتقام والجنس بقدر الإمكان . لكنه فى هذا الفيلم يستعرض معظم هذه المشاهد ، وإن أكد فى الفيلم أن أحداً من الشخصيات لن ينجو من العقاب الصارم والمصير المحظوم ، لكن بعد أن استمتع الجمهور بمشاهدة الأحداث والمواقف التى اعتادها من قبل لكتاب ومخرجين لم يدعوا الإصرار المباشر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فى هذا الفيلم تقضى تسع شخصيات ليلة رأس السنة فى قصر الثرى منير عزت الذى يتخلف عن مقابلتهم لعذر قهرى لكنه أمر خادمه بإدارة جهاز التسجيل لتسليتهم والترفيه عنهم . وإذا بمنير من خلال التسجيل يخاطبهم بشخصياتهم الحقيقة . فهناك فتحية الأرمدة التى تكثر من سهراتها خارج المنزل ، وخدمتها ترتبط بعلاقة آثمة مع السائق وتحمل منه سفاحاً ، فى حين يجاملها صديقها الدكتور مدحت ويجرى عملية إجهاض للخادمة تؤدى إلى موتها . أما أحمد المحامى الذى يحب فتحية فيحصل على البراءة لها ولمدحت . وهناك أيضاً ماهر العجوز الثرى الذى يقع فى حب الراقصة إلهام التى تصده فىصاب بالجنون !! فى حين تتعاون الراقصة إلهام مع عصابة لتجارة المخدرات ، وتنسب فى قتل شاب ساذج . وينتهى الفيلم بأن يتوعدهم جميعاً بالقضاء عليهم فى هذه الليلة مع بداية العام الجديد !!

نعود إلى العناصر والتوابع النمطية الصريحة في فيلم "القصر الملعون" لحسن رضا عام ١٩٦٢ ، ويبدو أنه سعى لإخراج فيلم من أفلام الرعب على طريقة هيتشكوك ، ولكن التوليفة السينمائية المصرية النمطية سقطت على الأحداث والشخصيات بحيث جعلته أقرب إلى حسن الإمام منه لهيتشكوك . يبدأ الفيلم بثري مشلول الساقين يدعى فهمي . ويطلب من المحامي حسن أن يحرر له وصيحة يقر فيها بعمرمان شقيقته نجية من الميراث حفاظاً على نصيب ابنته يسرية . وعندما يطلب منه المحامي التوقيع على الوصيحة ، يتراجع عن رأيه بعد أن يلاحظ علامات الجنون على ابنته !! فهى تحاول قتل أبيها فى الظلام ، مما يثير دهشة حسن وتساؤلاته فتحتارى عن سر هذا التحول فيشتبه فى نجية ومرسى خادم القصر لأن لها مصلحة فى ذلك . لكن الأمور تتضح إذ أن شقيق فهمي التوأم يخرج من السجن ، فيحل محل شقيقه بعد أن يسجنه فى قاعة سرية بأسفل القصر ليقتله فى الوقت المناسب (على طريقة : " سجين زندا " !!) . لكن الخطة تفشل بسبب مراقبة حسن وزميله للأمور لكي تحل النهاية السعيدة لكل من حسن ويسيرية بعد أن يربط الحب بينهما .

ولم تسلم "ألف ليلة وليلة" من عدوى العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية عندما تعرض لها حسن الإمام بالإخراج في فيلم "ألف ليلة وليلة" عام ١٩٦٤ الذي يدور حول شخصية حسن الشحات الحاوي في الأسواق مع ابنه الصغير الذي يكتشف أن أمه تخون أباها مع جوان اللص ، فيقتله العشيق لكنه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يبوح لوالده بالسر . ويواصل حسن حياته فيتزوج من امرأة أخرى تشاركه بصوتها الجميل في أعماله . لكنه في الوقت نفسه لا ينسى الانتقام من جوان الذي يصبح تاجراً ثرياً ويدبر مكيدة لحسن فيدخله السجن . ويعرض عليه الحكم الظالم أن يقتل أمير البلاد مقابل حصوله على حرفيته وتعيينه وزيراً في

المملكة لكن خطته تفشل ، ويكتشف حسن أن الحاكم هو ابن جوان ، فينتقم من الاثنين في حين يقع الأمير في حب ابنته ويتوعد إليها ويتزوجها .

في فيلم " الاعتراف " ١٩٦٥ ينتقل سعد عرفه بالجمهور إلى موقع غير نمطية حيث الشمس والفراغ والهواء الطلق في سفاجة . لكن الموقع غير النمطى لم يؤد إلى عناصر ومواقف غير نمطية . فالفيلم زاخر بالخيانة الزوجية والانتقام والغرق والدعارة والانتحار ، إذ تبدأ الأحداث بقصة حب رومانسية بين أحمد ونوال منذ الصغر ، وتفاجأ نوال برحيل أحمد من القاهرة إلى سفاجة ليستقر هناك . وعندما تقطع أخباره عنها تتزوج من أخيه الأكبر إبراهيم ، ويسافران لزيارة حيث تفرد به نوال وتسفر منه عن سبب تخليه عنها ، فإذا به يفاجئها بحقيقة أنها عزيزة التي هجرت أبيها عباس بعد أن اكتشف خيانتها له مع شلبي . وينتقم منه عباس بأن يصبحه في قارب ، وفي محاول لإغرائه يموت الاثنان في حين تختفي عزيزة الدعارة . وعندما تثور نوال على أحمد ، لا تتحمل الصدمة وتتخر . وهذا يدل على أن المكان في معظم الأفلام كان مجرد خلفية زخرفية لشغل الفراغ ، ولم يكن له دور وظيفي وعضوى في نسيج الأحداث وتشابكها ، بحيث يمكن نقلها إلى مكان أو موقع آخر دون أن تتأثر أو تفقد دلالات فكرية ودرامية متعددة .

في نفس العام (١٩٦٥) يقدم محمد عبد الجواد توليفة من العناصر النمطية عنده في فيلم " الرجل المجهول " الذي يتناقض فيه شابان : رشوان ابن العمدة وحامد الشاب المكافح ، على حب صفيحة لكن أبيها يرفض زواجهما من حامد لظروفه المادية الصعبة ، وتلك برغم حبهما له . ويتفق مع العمدة على موعد الزفاف . ويطمع رشوان في سعدية شقيقة حامد ، ويحاول اغتصابها . وتشاء الصدفة أن يسطو اللص أحمد على المنزل ويفاجأ بهما ويشتباك مع رشوان فيقتلها

بطريق الخطأ . ويتهم العدة حامد بارتكاب الجريمة ويحكم عليه بالإعدام .
وستعطف سعدية أحمد كى يعترف وينفذ أخاها فيوافق .

أما فطين عبد الوهاب فكان قد تألق في السينما بأفلامه الكوميدية المرحة التي أحدثت ثقباً كبيراً في جدار العناصر النمطية الكئيبة . لكن يبدو أنه وجد أن توافق هذه العناصر التي اعتادها الجمهور في فيلم يحمل بصماته ومقارقاته المثيرة للضحك ، يمكن أن يضرب عصافورين بحجر : النمطية والكوميديا ، إذ سيرى الجمهور عناصره المعتادة في ضوء كوميدي ساخر . وهذا ما حققه فطين عبد الوهاب في فيلمه " أكاذيب حواء " الذي يتزوج فيه وفاء من كمال بعد أن تعتقد أن زوجها نشأت قد مات لاختفائه عنها عدة سنوات . لكن سرعان ما يشغل عنها كمال بأصدقائه وسهراته ، وعندئذ تخطط للتلقنه درساً ، إذ تتفق مع الشاب عليوة على أن يدعى أنه نشأت الذي يرجع بعد أن تعود إليه ذاكرته . وبذلك يصبح زواجهما من كمال باطلًا ومن حق نشأت المزيف أن يعيدها إلى عصمتها . لكن الأمور تقلب رأساً على عقب عندما تفاجأ وفاء بعوده نشأت بالفعل . وتكتشف أن حياتها معه كانت قاسية وتعيسة ولذلك تطلب منه الطلاق . وتتجلى أخلاقه الانتهازية عندما يساومها على مبلغ من المال يمنه له كمال الذي يعاوه وفاء على توفير حياة زوجية سعيدة لها .

وشهد عقد السينما ظاهرة فريدة من نوعها لم تحدث منذ الثلاثينيات عندما تعرضت عزيزة أمير وبهجة حافظ للإخراج السينمائي . فقد أخرجت ماجدة في عام ١٩٦٦ فيلماً من إنتاجها وبطولتها بعنوان " من أحب " وبرغم اللمسات الأنثوية الواضحة في السيناريو والإخراج ، خاصة فيما يتصل بالبطلة ، إلا أن الفيلم زاخر بالانهيار والانتحار ، والإفلات ، والوهم الكاذب ، إذ يبدو أن هذه العناصر كانت بمثابة الأدوات الفكرية والفنية التي لا يمكن تجاهلها . ففي الفيلم تقع ليلي ابنة مظلوم باشا في حب طارق لكنه يتزوج من صديقتها نيفين . فلا تجد مفرأً من أن

تنزوج من سمير الذي يموت عندما يحتاج مرض الكوليرا البلاد . كما ينهار طارق بعد عودته من حرب فلسطين وينتحر أبوه لأنه شارك في توريد الأسلحة الفاسدة . وتتوالى الفواجع فتفقد ليلي ثروتها في البورصة ولا يتبقى لها سوى قطعة أرض تعمل على استصلاحها . تواصل حياتها وتنزوج من شريف . ثم تموت نيفين وتدرك ليلي أنها تعيش في وهم منذ سنوات طويلة لأن طارق لم يحب سوى نيفين . وبمرور الأيام تشعر بالحب نحو شريف الذي يعود بعد اشتراكه في حرب السويس . لكن لا بد أن نسجل للمخرجة ماجدة أنها ضمنت فيلمها ثلاثة أحداث غير نمطية ، تمثلت في وباء الكوليرا ١٩٤٧ ، وحرب فلسطين ١٩٤٨ ، وحرب السويس أو العدوان الثلاثي ١٩٥٦ ، وخاصة أن السينما المصرية عجزت عن تقديم تاريخ مصر سواء القديم أو الوسيط أو الحديث منه .

أما في عقد السبعينيات فكان للمخرج حسام الدين مصطفى نصيب الأسد في الأفلام التي لفت أكبر قدر ممكن من العناصر النمطية والميلودرامية . صحيح أنه حرص على أن يختار موقع وخلفيات جديدة وغير نمطية ، لكن الأحداث والمواقف والشخصيات سارت على نفس النهج النمطى الذي تحول مع الزمن إلى قوالب جاهزة لصب وصياغة أية قصة جديدة . ففي فيلم "الأشرار" ١٩٧٠ يقبس فيلم "الطيب والشرير والقبيح" للمخرج الإيطالي سيرجيو ليونى الذي صنع مجد كلينت استوود ، وإن كان فيصل ندا قد ذكر اسمه بصفته صاحب القصة والحوار ، في حين أن السيناريو لحسام الدين مصطفى . في الفيلم يطمع المهرب حاتم في حصيلة الدولارات التي يشاركه فيها عرفان وضياء . وتنصاعد الأمور بحيث يصيبه عرفان إصابة خطيرة ويهرب مع ضياء ، في حين ينقله شاب يدعى خالد إلى المستشفى . يكتشف حاتم وضياء بأن الدولارات مزيفة . ثم يعترف عرفان لخالد ولابنته زهرة قبل وفاته بمكان الدولارات الحقيقة في

مقابر العلمين . يهدد حاتم زهرة وخالد بالقتل فيعترفان له بالمكان . بعد العثور عليها يطمع فيها عرفان فيقتل ضياء ، إلا أنه ينفجر فيه لغم ويموت .

في عام ١٩٧١ يقدم حسام الدين مصطفى فيلماً زاخراً بعمليات القتل والجنس والإصابة بالعمى برغم أنه مأخوذ عن قصة عنده ل Yoshi حقي . إنه فيلم " امرأة ورجل " الذي يتنافس فيه عاملان في أحد المحاجر ، جاسر ومتولى ، على حب حميدة التي تفضل جاسر ، مما يؤدي إلى نشوب معركة بين الرجلين ، تنتهي بمصرع متولى أثر سقوطه من مكان عال ويدخل جاسر السجن متهمًا بقتله . تنتهي مدة عقوبته ويدبر لقتل إسماعيل زوج نرجس اللعوب حتى يتمكنا من الزواج برغم معرفته بسمعتها وعلاقتها المتكررة السيئة ، ويساعدها شيخ الخفر خميس . ويسأب جاسر بالعمى أثناء انفجار في المحجر . ويصبح عاطلاً يعز عليه نفسه ويثور فتهرب منه نرجس وتتجأ لخميس فيقتلهما .

في عام ١٩٧٢ قدم حسام الدين مصطفى فيلم " ملوك الشر " الذي يعاشر فيه شفيق أبو الليل مهرب المخدرات نفسه أن يتوب ويقرع لتربيته ابنه حمادة بعد نجاح العملية الجديدة التي يستعد لها . يعلم منافسه المعلم الحوت بأمر العملية فيحاول إفساد كل خططه ، وتقع معركة بين الطرفين يموت على إثرها الحوت ، ويبدأ رجال الشرطة في التحقيق ، وبعد مطاردات بين رجال الشرطة وأبو الليل وعصابته ، يتم القبض عليهم .

في عام ١٩٧٤ قدم حسام الدين مصطفى فيلم " العملاقة " الذي يدير فيه سليم مكتباً لتغريغ السفن من شحناتها بميناء الإسكندرية ، ويعانى من باهر الذي يحتكر جميع العمليات . ويعمل صديقه حمادة مصمماً للأزياء في حين يعمل صديقهما شلبي مندوباً للتأمين . تفاجأ شهيرة بباهر الذي يعترف لها أنه ليس أباها !! لأن أباها الحقيقي هو توفيق الذي دخل السجن في طفولتها فتزوج هو من أمها ويستولى

على الشركة ، وعندما يهدده توفيق بإفشاء أمره يقتله . ياحتجز شهيرة في مخبأ ويقرر الزواج منها ولكن الأصدقاء الثلاثة ينفذونها لأن سليم يحبها .

في عام ١٩٧٥ قدم حسام الدين مصطفى فيلم "نساء ضائعات" الذي يشرف فيه الدكتور ماجد على علاج ياسمين المريضة بالقلب والتي تتعلق به فيضطر إلى أن يستجيب لها ويخفى عنها أمر خطبته . تتحسن حالتها النفسية ويقع ماجد في حبها بالفعل . وتكشف مايسة لياسمين عن علاقتها بмагد وتطلب منها الابتعاد عنها . تنهار ياسمين وتترك المستشفى ، ويثير ماجد على مايسة ويفسخ الخطبة . يتعرف على شهيرة التي تخفي عنه أمر زواجه . تطلب الطلاق من زوجها الذي يضططها في شقة ماجد فيقتلها ، ويتهم ماجد بارتكاب الجريمة ولكن تثبت براءته ويعود لياسمين .

ولا يمر عقد السبعينيات دون أن يضع حسن الإمام بصمته النمطية عليه والتي تتمثل في عناصر الحرمان من الميراث ، والاختلاس ، والسجن ، والخطف ، والملهي الليلي ، والتبني ، والانتحار ، والهروب ، والقتل ، والسرقة ، والانتحال ، وذلك في فيلمين من تأليفه وإخراجه وهما "بنت بد菊花" ١٩٧٢ ، و " القضية المشهورة " ١٩٧٨ .

في الفيلم الأول يتزوج محمود من الفتاة الفقيرة بد菊花 ، فتحرمه أمه من الميراث . يضطر محمود إلى الاختلاس من خزانة الشركة التي يعمل بها ويسجن . تنهار بد菊花 عندما يقوم شابان بخطف طفلها . وتضطر للعمل في أحد الملاهي الأهلية ، وتحاول أن تتبني رضيعة من الملجأ لتعوضها عن طفلتها لكن النقيب أحمد يقنعها بأن وضعها الاجتماعي يحول دون ذلك . وعندما يعرض أحمد عليها الزواج تخشى على مستقبله منها فتختفى من حياته ثم تتحرر .

أما في فيلم "القضية المشهورة" فإن المجرم المدعو بالجسر يقتل الثر ياسين وسعيدة زوجة خادمه إبراهيم ويسرق أمواله وعقداً ثميناً من سعيدة كانت قد

حصلت عليه كهدية لها من والدة ياسين . يصل إبراهيم بعد هروب الجسر ، ويفاجأ بالجريمة وإذا بطفلته نعيمة تشهد على أنه الجانى ، فيحكم عليه بالسجن ، ويتبنى المحامى بهجت الطفلة نعيمة . وهو التبنى الذى يتكرر كثيراً كعنصر نمطى فى معظم الأفلام المليونرامية برغم أن الشريعة الإسلامية لا تبيح التبنى ، مما يشير إلى المصادر التى يتم الاقتباس أو التمصير منها . وتمر السنوات ثم تشاء الصدف كالعادة أن تتردد نعيمة على نفس السجن ل تستكملى بحثها الجامعى ، ويقع فى يدها ملف إبراهيم و تكتشف حقيقته ، فتتمسك بأبوته . ثم ينتحل الجسر شخصية ياسين أمام حفيظة الكفيفة وابنته سميرة اللتين تظنان أنه ما يزال مسافراً ، لكن حفيظة تشك فيه و تبلغ رجال الشرطة ، ويقع فى قبضتهم عندما يهدى سميرة نفس العقد المسروق .

فى عام ١٩٧٢ جدد نادر جلال التقاليد التى أرساها أبوه الرائد السينمائى أحمد جلال والتى أصبحت بعد ذلك العناصر النمطية التى رسخها عدد غير قليل من المخرجين ، فى مقدمتهم حسن الإمام وحسين حلمى المهندس و محمد عبد الجواد و عباس كامل وغيرهم . فقد أخرج لأبيه قصته " غداً يعود الحب " بنفس العنوان ، بعد أن كتب لها السيناريو والحوار . ففى الفيلم تتعرف الأرملة أفت بالمهندس سامي الذى يطمع فيها فيغتصبها وتحمل منه . وعندما تلجمأ إليه ليحل لها المشكلة ، يعمل جاهداً على التخلص من الجنين الذى يرفض أكثر من طبيب إجراء العملية فتحاول أفت الانتحار ويموت الجنين . وفى الوقت نفسه يستيقظ ضمير سامي ويدرك أنه يحبها حباً صادقاً فيعود إليها ليتزوجا ، ويلتئم الشمل عندما تحل النهاية السعيدة .

وإن كان عام ١٩٧٢ قد شهد عرض فيلم " بنت بد菊花 " لحسن الإمام ، وعندما يعود الحب " لنادر جلال ، فقد شهد أيضاً فيلم " العاطفة والجسد " لحسن رمزى ، والشيطان والخريف " لأنور الشناوى ، و " شباب يحترق " لمحمود فريد ،

و " من البيت للمدرسة " لأحمد ضياء الدين . وهى كلها أفلام دارت حول نفس العناصر النمطية والميلودرامية : الأزمة المالية ، الطائرة المحترقة ، الدعارة ، عودة الغائب أو الميت ، الانتحار ، السجن ، الابتزاز ، القتل ، الوصية ، الغيرة ، التخفي ، الهروب من العدالة ، الاغتصاب ، التورط ، الموت ، الانهيار ، الصدف غير المتوقعة أو غير المنطقية .

فى فيلم " حسن رمزى " العاطفة والجسد " الذى ألفه وأخرجه ، يتفق الدكتور أحمد مع هدى على الزواج بعد عودة والدها من السفر ، لكنه يفاجأ بتحديد سفره إلى لندن ، لينال درجة الدكتوراه . ثم تنهار هدى عندما يموت أبوها نتيجة لأزمة مالية . وعندما يتحدد موعد عودة أحمد تحرق الطائرة برকابها . عندها تستغل صديقتها دولت ظروفها السيئة ووحدتها فتقودها إلى الخطيئة كحل مثالى !! لكنها تبلغ عن دولت فيتهم القبض عليها وعلى شركائها . ثم تقع المفاجأة غير المبررة كالعادة ، فإذا بأحمد يعود بعد أن نجا من الموت ، وتكتب له رسالة تشرح فيها أسباب تورطها وسقوطها ، وعندما يهرع إليها تكون قد شرعت في الانتحار وتلفظ أنفاسها بين يديه في موقف ميلودرامي نمطى !!

فى فيلم أنور الشناوى " الشيطان والخريف " ، تنتهي مدة عقوبة نعيم وسرعان ما يتفق مع زوجته دلال على ابتزاز أموال نرجس أرملة وصفى الذى تسبب في إدخاله السجن . يتزوجها ويحاول قتلها لكنها تجو ، ويتم سائقها عزيز بارتكاب الجريمة ويحكم عليه بالسجن خمس سنوات لكنه يهرب . يطلع نعيم على وصية وصفى عند المحامي ويفاجأ بأنه كتب ثروته كلها لنادية زوجة عزيز والتى تعمل في خدمة وصفى منذ الصغر . يتودد إليها نعيم ويجر عزيز على أن يطلقها بعد أن يهدده بالتبليغ عنه . لكن دلال تشعر بالغيرة وتثور على نعيم ، لدرجة أنها تصيبه إصابة خطيرة ، ومع ذلك يتحامل على نفسه ويقتلها قبل أن يلفظ أنفاسه .

فى فيلم محمود فريد "شباب يحترق" الذى كتب له السيناريو وال الحوار محمد أبو يوسف عن قصة "غرباء فى البيت" لجورج سيمونون ، يتضح أن السبب فى اقتباس مثل هذه القصة أنها زاخرة بالعناصر النمطية التى اعتادها الجمهور المصرى . ففى الفيلم يربط الحب بين نادية والصحفى أحمد ، ثم تبدأ الأحداث غير المنطقية عندما تطلب منها صديقتها جينا أن تخفي زوجها حسن فى منزلهم دون أن تبدى لها الأسباب فتوافق ببساطة تصل إلى درجة السذاجة والبله ، لولا أن جوكر صديق جينا يحضر نادية من حسن لأنه مجرم هارب من العدالة . تقيق من غفلتها وتواجهه بحقيقة و تقوم بطرده لكنه يحاول اغتصابها ، فتطرعن بسکین فى ظهره ، ثم يتضح أن حسن لم يمت من طعنة نادية بل كان زميله كمال هو القاتل لأنه يطمع فى الذهب الذى سرقه حسن واحتفظ به لنفسه . وعندما تتضح الحقيقة ، يفرج عن نادية وتتزوج من أحمد حتى تتحقق النهاية النمطية التى لا يسام منها المخرجون والكتاب .

فى فيلم "من البيت للمدرسة" لأحمد ضياء الدين ، تتعرف الطالبة سهير بعصام وتعلق به ، كما تتعرف أيضاً على ممدوح ، ويتكرر لقاوهما فى حين يرفض عمه زواجهما فهى متوسطة الحال . تتورط مع عصام الذى يتخلى عنها فتكتتم الأمر على ممدوح ، وتنكتب خطاباً لعصام تستعطفه فيه ليتزوجها ، لكنها تتركه فى كراستها ليقع فى يد مدرستها !! وتفاقم الأمور كالعادة لتصل إلى مستوىها الميلودرامى عندما تحدث مشادة بين سهير وعصام ونجله بدون وعى وتهرب ، وذلك فى حين تصل مدرستها لإقناعه بالزواج منها ويتم القبض عليها ، وتعترف سهير بالحقيقة . كما تكتشف أنها أن رئيس المباحث هو أبوها المنفصلة عنه ، والذى يستقبل ليدافع عن ابنته لكنها تموت !! وينهار ممدوح .

وكان المخرج سعد عرفة قد افتتح السبعينيات هو أيضاً بفيلم عبارة عن كبسولة من العناصر النمطية وإن كان قد أضاف إليها بعداً سيكولوجياً . هذا الفيلم

هو "اعترافات امرأة" عام ١٩٧١ ، الذي تعانى فيه المحامية نادية من عقدة نفسية منذ طفولتها عندما شاهد أباها يخون أمها مع عشيقته ثم يحاول صديقها الرسام عصام أن يغتصبها ، لكنها تقاومه . تتزوج من حسين لكن عقدتها تحول دون ممارستها الحياة الزوجية الطبيعية معه فيطلقها . ثم تتوطد علاقتها بأحمد زميلها في مكتب المحامية ، فيعرض عليها الزواج لكنها تتردد خوفاً من تكرار الفشل .

وفي السبعينيات أيضاً قدم عاطف سالم فيلمين زاراً في العناصر النمطية والميلودرامية "ومضى قطار العمر" ١٩٧٥ ، و "وضاع العمر يا ولدي" ١٩٧٨ ، برغم تألقه من قبل في أفلام أسرية أصلية ومصرية صميمه تعد علامات مضيئة على طريق السينما المصرية مثل "السبع بنات" ، و "أم العروسة" ، و "الحديد" . لكن يبدو أنه لا نجاة لأحد من طوفان العناصر النمطية . ففي فيلم "وضاع العمر يا ولدي" تورط فاطمة في علاقتها بعباس وتنهار عندما تكتشف أنه لص . وتحاول الانتحار ولكن الدكتور أحمد ينقذها بقدرة قادر . تعرف له بما حدث لكن طبيعته السمحاء الملائكية !! تجعله يتزوجها وينجذبان سمير . ثم تنتهي مدة عقوبة عباس ويتصل بفاطمة ليسلمها خطاباتها وصورها . يحاول اغتصابها فتستغيث ويصل رجال الشرطة . ويتراءع زوجها عن سماحته ويطلقها ويختلي عنها الجميع فتضطر إلى العمل في ملهى ليلي . وعندما يحاول عباس ابتزاز أحمد بمحالبته بمبلغ من المال مقابل عدم إفشاء سر فاطمة لسمير ، تقتله فاطمة . وتشاء الصدف كالعادة أن أحمد يعترف له بحقيقة ، ويتم الحكم ببراءتها ويلتزم شمل الأسرة !!

وكان فيلم "وضاع العمر يا ولدي" ١٩٧٨ امتداداً طبيعياً لنفس العناصر النمطية التي جسدها عاطف سالم من قبل في "ومضى قطار العمر" ١٩٧٥ ، والذي ينجح فيه عبد العظيم باشا في إقناع بيومى بباب قصره بأن يحمل جريمة القتل التي يرتكبها ابنه محسن مقابل تربية أولاده !! وبالفعل يحكم عليه بالمؤبد . ثم

تنتحر زوجة بيومى بعد أن يغتصبها محسن ، وتموت أمه وابنه الصغير من الإهمال . وعندما تنتهى مدة عقوبة بيومى ، تفاجئه جارته أم فتحى بما حدث وأن الابن الأكبر محمد قد تربى فى منزل البasha مع محسن ، أما سعاد فلا يعلم أحد عنها شيئاً . وبعد بحث شاق وطويل يعثر بيومى على سعاد التى تعمل فى منزل للدعارة ، فيصطحبها لمنزل أم فتحى ويوصيها برعايتها . ثم يسرع إلى منزل البasha ليقتل محسن انتقاماً منه ، فإذا بمحمد يطلق الرصاص على بيومى دون أن يعلم أنه ولده .

أما حسن يوسف فقد أخرج فيلمين : "الجبان والحب" ١٩٧٥ ، و "كفانى يا قلب" ١٩٧٧ عن قصتين لموسى صبرى الذى يبدو أنه جرب كتابة القصة على طريقة جحا أولى بلح ثوره ، إذ أنه يبدو خالى الذهن تماماً من أصول كتابتها وممارستها ، ومع ذلك صادف ما كتب هوى عند حسن يوسف لدرجة أنه أخرجها وأنتجها أيضاً . ويبعدو أن هذا الهوى كان نتيجة لسير القصتين على النهج التقليدى للعناصر النمطية السينمائية : التورط فى العلاقة الجنسية ، الشك ، الانتحار ، الطرد من الوظيفة ، الخيانة ، الانحراف المخدرات ، التهريب ، الاتصال والتكر .

فى فيلم "الجبان والحب" يتعرف مجدى طالب الطب المكافح على زوجة أستاذه الدكتور فكري ، والتى تعجب به وتتوسط لزوجها ليلحقه بالعمل فى عيادته ، وإذا بهما يتورطان فى علاقتهما . وتعانى سعاد من وقوعها بين شقى الرحى "زوجها وعشيقها" الذى يساوره الشك نحوها فتحتار . وعندما يكتشف فكري خيانته ، يطرده من عيادته . ثم يتحول بقدرة قادر إلى مصلح اجتماعى عندما يصادق زميلته سميرة التى تعيش ظروفاً مادية فاسية تدفعها إلى الانحراف ، ويحاول جاهداً أن يصلحها ويعيدها إلى طريق الشرف لكنه يفشل . ومع ذلك تتزوج من أستاذه الدكتور فكري !! يتخرج مجدى ويصبح طبيباً مشهوراً . ثم تدخل الأحداث فى مسارات ليست فيما بينها أية علاقات عندما تقع مهابية جارة

مجدى فى حبه وتصارحه بذلك ، لكنه يبتعد عنها بعد أن تتوطد علاقته بزوجها ، عندئذ تقرر الوقوف بجانب زوجها المقبوض عليه فى قضية مخدرات !! وتوالى الأحداث فتلاجأ سميرة لمجدى بعد طلاقها من فخرى بحيث يبدو أنه كان فى الإمكان أن تستمر الأحداث إلى ما لا نهاية !!

أما فى فيلم " كفانى يا قلب " فتبعد الأحداث والمواقف والعناصر النمطية سmk ، لبن ، تمر هندى . إذ تتزوج فوزية من التاجر الميسور عمار لتتخلص من فقرها وتزمنت والدها وأخيها . ثم بدون مناسبة تلاجأ لكاتبها المفضل وصفى رئيس تحرير إحدى المجالات لتعمل فى الصحافة فيوافق !! (يبدو أن هذا كان لمجرد أن موسى صبرى كان رئيساً لتحرير) . وبعد حين وبدون مناسبة أو سبب أيضاً تتجه إلى التمثيل وتصبح نجمة مشهورة ، لكنها لا تكتفى بالشهرة والمجد السينمائى بل تتعاون مع المنتج بيضون فى عملية تهريب ماس من بيروت ، وهناك تتعرف على أمين وتقع فى حبه ، لكن القبض عليها كان مصيرها ، ثم يتضح لها أن أمين هذا ما هو إلا المقدم سامي الذى يراقبها . وتتال جراءها ، وعندما تنتهى مدة عقوبتها ، تجد زوجها وابنتها فى انتظارها بحيث تحل النهاية السعيدة بال تمام شمل الأسرة .

أما عن فيلم تيسير عبود " ليلى لن تعود " ١٩٧٤ فحدث ولا حرج . فهو توليفة نموذجية من الخيانة الزوجية ، والموت فى حادث سيارة ، والاغتصاب ، والاختفاء ، والقتل ، إذ يتقدم حسين للزواج من ليلى ، وتشاء الصدف كالعادة أن مني زوجة أبيها رضوان كانت على علاقة به قبل زواجه !! ثم نفاجأ مرة أخرى برضوان وهو يلقى مصرعه فى حادث بسيارته من تدبير حسن . وتعلم منى بزيارة ليلى لحسين فى منزله فتتحقق بها فى الوقت الذى يحاول فيه الاعتداء على ليلى التى تختفى فى حجرة بالداخل ، فتثور عليه منى ، وتفهم ليلى كل شيء عن علاقتهما ، ولا تكتفى بذلك بل تقتله أيضاً . ثم تتعرف منى على عادل ويتقان على الزواج ، لكن جريمتها تكتشف ويتم القبض عليها ويعدها عادل بالانتظار .

فى فيلم " على من نطلق الرصاص " ١٩٧٥ يسعى الكاتب رافت الميهى والمخرج كمال الشيخ إلى معالجة قضايا الفساد المتفشى فى المجتمع ، لكنهما لم يجدا وسيلة فكرية وفنية لبلوغ هذا الهدف إلا عن طريق العناصر النمطية والقنوات التقليدية والأحداث الميلودرامية التى تركت بصماتها غائرة على مسيرة السينما المصرية . ففى الفيلم تعمل تهانى فى شركة رشدى مع خطيبها سامي . وتتهار عماره من العمارات التى أنشأتها الشركة ويزج سامي فى السجن ظلماً ، ولا يحتمل وطأة الظلم فيموت قبل محاكمته فى حين ينهاز صديقه الحميم مصطفى . وتطور الأمور فتزوج تهانى من رشدى ، ويصمم مصطفى على معرفة الحقيقة ، ويتقابل مع رزق زميل سامي فى الزنزانة فيؤكد أن سامي مات مسموماً بتدبير من رشدى حتى لا يعترف بالفساد المتفشى فى الشركة . ويبوح مصطفى بذلك لتهانى . لكن سرعان ما تطغى العناصر النمطية والميلودرامية فيحاول مصطفى قتل رشدى فيصيبه إصابة خطيرة بدلاً من أن يكشف جريمته للقانون والعدالة . ثم يصطدم مصطفى بسيارة أثناء هربه ، وينقل كلاهما إلى المستشفى . ويقوم وكيل النيابة باستدعاء رزق للإدلاء بشهادته ، وبذلك يتغير مجرى القضية ويصبح رشدى متهمًا ، فى حين يموت مصطفى متأثراً بإصابته . وكان من الممكن حذف محاولة القتل هذه ، لكن يبدو أن معظم السينمائيين المصريين يرون فى القتل وسيلة تأتى فى مقدمة التوابى النمطية التى تفتح شهية المتفرج العادى للإقبال على الفيلم .

أما المخرج الرائد نيازى مصطفى الذى جرب إخراج معظم أنماط الأفلام المصرية . وإن كان قد اشتهر بأفلام الحركة والعصابات والصراع المادى الملموس ، فإنه فى السبعينيات يقدم فيلمين زادرين بمعظم التوابى النمطية : " المنحرفون " ١٩٧٦ ، و " نساء تحت الطبع " ١٩٧٦ أيضاً . فى الفيلم الأول تربط الصداقة بين ثلاثة زملاء فى الجامعة محمود ومجدى وعادل الذى يعيش مع خاله إبراهيم الذى يجعل من شقته وكراً للهوى والمجون . أما محمود فيصمم على

الانتقام من سامية التي تصدم والده بسيارتها وتنقته . وكان الحل السحرى الذى اهندى إليه هو استدراجها واغتصابها ثم هروبها فى سيارة والد مجدى رئيس المباحث !! ثم يصدم أحد المارة ليردبه قتيلًا !! ويسجل شرطى المرور رقم السيارة . يظن أبو مجدى أن ابنه هو الجانى فيستقبل . وتصل التوابىل النمطية قمتها عندما يختفى محمود فى شقة إبراهيم ويغتصب ابنته فاطمة ظناً منه أنها إحدى فتيات الليل ، وكأنه أدمى الاغتصاب بعد المرة الأولى !! ثم يصييه إبراهيم فى محاولة لقتله ، لكن الشرطة تحسم فى النهاية كل هذا " العك " ويقع الجميع فى قبضتها .

فى فيلم " نساء تحت الطبع " تتم خطبة ليلى على ابن خالتها أحمد لكنها تتطلع إلى الثراء بأية وسيلة . ولذلك يتصادف أن تكون صديقتها زيزى راقصة محترفة وعضو فى عصابة طلعت الذى يعمل مهربياً للماض . وسرعان ما تدخل عالم العصابات فتسرق عصابة طلعت الماس الخام من عصابة منير . ثم يتزوج طلعت من ليلى بعد أن يغتصبها مما يثير دهشة أحمد (لكنه من الواضح أنه لا يثير دهشة المؤلف أو المخرج لاعتبارهما على هذه التوابىل) !! وفي اليوم المحدد لسفرها مع زوجها يقابلها أحمد ، لكن عصابة منير تختطفها وتعثر على فصوص الماس فى فستانها إذ أنها لم تكن تعلم حقيقة زوجها . عندئذ تجتاح النخوة زيزى !! وتبلغ عن العصابتين ، ثم تأتى النهاية السعيدة إياها فيتزوج أحمد من ليلى بعد طلاقها !! وربما كان الملل من عصابات تهريب المخدرات هو الذى حولها فى هذا الفيلم إلى عصابات لتهريب الماس على سبيل التغيير !!

فى عام ١٩٧٨ عرضت ثلاثة أفلام حاصلة بالتابىل النمطية : " الأقمر " لهشام أبو النصر ، و " كلهم فى النار " لأحمد السبعاوى ، و " امرأة بلا قلب " لياسين إسماعيل ياسين . فى الفيلم الأول تعيش بسمة البانعة فى أحد الأحياء الشعبية ، وتشترك الأهالى فى ارتباطهم بجامع الأقمر الذى يعتبرونه جزءاً منهم ،

ولذلك فهم يثورون عندما يصل مسئولون من الحكومة لتنفيذ قرار هدم الجامع لبناء مدرسة وقصر ثقافة . وكان من الممكن أن يصبح هذا الخط الدرامي والحضارى عموداً فقرياً لجسم الفيلم كله ، لكن سرعان ما أدت العناصر النمطية به إلى الدخول فى نفس المتأهات الجانبية والطرق المسودة والدواير المفرغة إذ يشترك كمال مع النشال خليل فى سرقة أحد الأثرياء ، ويقتل الخادمة عندما تعترضهما . ثم ينقل لهما فتوح سائق التاكسي المسروقات ، لكنه يبلغ رجال الشرطة ويرشدهم أيضاً إلى وكر المعلم الدنف تاجر المخدرات ، ويتم القبض عليهم . لكن أعون الدنف يسترجون فتوح إلى مكان مهجور ، ويقتلونه . وفي نهاية الفيلم يصدر قرار بعدم هدم الجامع فتغمر الفرحة الأهالى ، وكان عمليات السرقة والقتل والقبض على المجرمين هي التي أدت إلى صدور هذا القرار !!

أما فيلم " كلهم في النار " الذى كتب قصته الدكتور حسين مؤنس بأسلوب " سمك . لبن . تمر هندي " فزاخراً بخطط القتل ، والإصابة بالشلل ، والانتقام ، والاتجار المحرم في الأدوية ، وافتعال الحرائق . في الفيلم تتزوج زكية من ضابط الشرطة عادل برغم إرادة أبيها الذي يتاجر في السوق السوداء والذي يخطط ببساطة لقتل زوج ابنته ، لكن هذا الأب المفترى الجبار يتشارج مع أحد أعوانه فيصاب بالشلل ببساطة أيضاً !! لا تستسلم زكية بل تثير الوكالة وتتزوج من راغب أحد أعون أبيها لتنتقم لزوجها ولأبيها . ثم تدخل في قضية أخرى ليست لها علاقة بما سبق حين يتفق راغب مع أمين مخزن أدوية على أن يبيع له صفة حقن البنسلين ، ثم يحرق المخزن حتى لا يكتشف المسؤولون العجز وبذلك يرفع راغب من سعره . وعندما تكتشف زكية ذلك ، تبيع الكمية لأحد التجار وتخفظ بعلبة !! ويتصادف أن يمرض ابن راغب من زوجته الأولى ، ويطلب علاجه حقن البنسلين . تساومه زكية على إعطائه الحقنة مقابل أن يدفع لها ثمن الصفة فيوافق إلا أن ابنه يموت !!

فى فيلم " امرأة بلا قلب " تعود سهير من الخارج بعد أن يتوفى زوجها وتذهب إلى منزل أمه التي لم تقابلها من قبل . تضع سهير مولودها لكن حماتها تدعى أنه ولد ميتا !! لكن أفت ابنة عم زوجها ترشدها إلى مكانه ، ولا مانع من استخدام لعبة الانتقال النمطية ، إذ تكتشف سهير أن حماتها قد توفيت وأن هذه السيدة تتخل شخصيتها لتستولى على ثروة الأسرة . وتهرب بسيارتها لكنها تتعرض لمحاولة قتل ، ينقذها منها علاء شقيق أفت !! ومع ذلك تصاب الحماة المزيفة بالجنون دون أى مبرر درامي !! ثم ينتهى الفيلم بالنهاية النمطية إياها بزواج سهير من علاء !!

أما فى عقد الثمانينيات فقد كان للمخرج أحمد السبعاوى نصيب الأسد فى الأفلام التى أخرجها : " تحدى الأقواء " ١٩٨٠ ، " انهيار " ١٩٨٢ ، " سجن بلا قضبان " ١٩٨٣ ، و " الأستاذ يعرف أكثر " ١٩٨٥ ، و " بلاغ ضد امرأة " ١٩٨٦ ، و " المواجهة " ١٩٨٧ . ذلك أنه عندما تتجه أفلام أحد المخرجين على المستوى الجماهيرى . فإن المنتجين يقبلون عليه لعلهم ينالون من المكسب ما تيسر ، خاصة بعد النجاح القياسى الذى حققه عام ١٩٨٢ بفيلمه " السلخانة " ، واستمر عرضه أكثر من خمسين أسبوعاً ، وفيه تتزوج صفاء ابنة المعلم نجم من المهندس علاء ابن المعلم أبو حلة برغم الصراع الشديد بين والديهما للسيطرة على سوق الماشية داخل السلخانة . ثم تدس التوابى النمطية بأنفها كالعادة فيدبر نجم جريمة قتل عمر الأخ غير الشقيق لعلاء ، ويصاب أبوه بالشلل . وعندما يضيق حرب مساعد نجم بمعاملته السيئة ، يشى به ويفضح جريمته وتذير قتله لعلاء أيضاً . ثم يبلغ علاء رجال الشرطة الذين يعرفون مكان لقاء نجم بعلاء ، ويقبضون عليه ويعترف بجريمته . وبعد ذلك يتحقق حلم أهل الحى بتكون الجمعية التعاونية التى تتولى توزيع الماشية دون استغلال .

وتتوالى العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية في فيلم "تحدي الأقواء" الذي يتعرف فيه تاجر المخدرات رشدى بالفلاحة سلمى التي تهرب من البلدة لمحاولة ابن زوجها لقتلها لأنها تسببت بشهادتها ضد زوجها في أن يدخل السجن . وفي إحدى مطاردات الرائد أحمد لرشدى ، يصيّبه بطلقة نارية ويهرّب ، ثم يسعفه الدكتور كامل . وبحكم أن الزواج لابد أن يكون تيمة أساسية في الفيلم ، فإن رشدى يتفق مع سلمى على الزواج بعد أن تحصل على الطلاق من زوجها . ويتم القبض على الدكتور كامل الذي يرشد رجال الشرطة عن مخبأ رشدى ، بحيث يتمكن أحمد من القبض عليه قبل تنفيذ عملية تهريب جديدة .

أما في فيلم "انهيار" فإن مدحية تصدم بسيارتها أحد المارة ويموت ، وإذ بزوجها سامي يلصق التهمة بنفسه في فروسيّة مثالية غير مقنعة سرعان ما تتشعّع عندما يكتشف خيانتها له مع سامي سليم ويعرف بالحقيقة ! ولكن القاضي عباس لا يقتطع ويحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ، يقرر فيها سامي الانتقام من الثلاثة بعد انتهاء المدة ، على طريقة الكونت دى مونت كريستو التي تكررت مراراً في السينما المصرية . يبدأ بقتل زوجته خلال رحلة صيد ، ويحفظ التحقيق على أساس أنها وفاة بطريق الخطأ !! ثم يتعرف سامي بناهذ زوجة عباس وينتقل شخصية سامي سليم ، ويدعوها إلى عزبته ، على أن تخبر زوجها بموعد اللقاء ، إذ أنه يخطط لقتل سامي وإلصاق التهمة بعباس الذي يفرج عنه لعدم كفاية الأدلة . وفي النهاية تكشف جرائم سامي ويتم القبض عليه ، ويطلق عباس زوجته .

في فيلم "سجن بلا قضبان" يسافر عرفان ليعمل في الخارج ليوفر المال اللازم لزواجه من حبيبته ليلي التي يخلس أبوها مبلغاً من خزينة الشركة التي يعمل بها . ثم يتقدم المحامي الكبير حسين للدفاع عنه مقابل أن يتزوج من ليلي !! وينجح في تبرئته . لكن ليلي تعيش معه حياة فاترة ، ويكتشف أنه يكسب قضائياً بطرق مريضة وملتوية تعرفها صديقته نوال . وعندما يعود عرفان ويفاجأ بزواجه

ليلى ، يقتله حسين بعد أن يكتشف علاقته بزوجته ، لكن يتضح أنه لم يمت ويتكرر في شخصية مفتش مباحث بالاتفاق مع الشرطة !! وينجح في الالقاء بحسين في قبضة الشرطة ، إذ أن المجرم أو المذنب لابد أن يلقى جزاءه في نهاية الأفلام المصرية ، فالدنيا ليست فوضى !!

في فيلم "الأستاذ يعرف أكثر" تهرب مشتهى من بلدتها بعد أن يغتصبها أحد الأهالى ويختلى عنها . وتوطد علاقتها بسائق التاكسي زكى فى حين يعجب بها رجل الأعمال الثرى صادق . فينتهز زكى الفرصة ويشجعها على الموافقة على الزواج منه حتى يستوليا على ثروته . وإذا بصادق ينفذ خطة لا تخطر إلا ببال هيتشوك شخصياً ، فهو يصاب بالشلل عندما يكتشف خيانة مشتهى له مع زكى . وعندما يفشل العشيقان في معرفة طريقة فتح الخزانة من صادق ، يقرر ان قتله وتتفق التهمة لابنه . وعندما يهم زكى بقتله ، يفاجأ أنه غير مسلول وفي كامل صحته وهو يضغط على الجرس ليفاجأ العشيقان برجال الشرطة الذين يقبضون عليهما .

في فيلم "بلاغ ضد امرأة" تكرر نفس التيمة تقريبا ولكن في أحداث مختلفة ، إذ يكتشف رجل الأعمال الكبير رضوان علاقة زوجته كريمة بأمجد حبيبها السابق الذي يحقق أطماعه بابتزاز نقود كريمة . ويدعى رضوان لكريمة أنه يعاني من ضائقة مالية ، فيطلب منها أن تبيع مصاغها لحل المشكلة ، ثم يطلقها ويفاجئها بأنه كان على علم بخيانتها ، ويحرمها من ثروته وثروتها . عندئذ يختلى عنها أمجد فتصدمه بسيارتها وتلقى مصرعها وهي تتطلق كالمحجونة بالسيارة .

في فيلم "المواجهة" يتعرف الأرمل محمود على الأرملة عطيات ويتفقان على الزواج . ويطلب سليم شقيق زوجها من محمود أن يقنعها ببيع أرضها له لكنها ترفض . عندئذ يقوم محيى ابن سليم باغتصاب فاطمة التي تموت ، في خط ليست له أدنى علاقة بالخط السابق . ويشهد الأهالى ضد بدوى شقيق عطيات فيصمم سليم

على قتله بحكم أنه كبيرهم ، وقد واتته فرصة الانتقام من عطبيات . لكن بدوى يهرب ويشهد الصيدلى على سوء سلوك محيى وإدمانه الخمر ومطاردته المستمرة لفاطمة . وينجح محمود في الضغط على محيى حتى يعترف بجريمه . وعندما يواجه محمود ، سليم بجريمة ابنه ويطلب منه تنفيذ القصاص ، يعيش سليم لحظة صراع ينهيها بالانتحار برغم أنه ليس من النوع الحساس أو المرهف أو المعقد الذي يجد في الانتحار حلًا لمشاكله .

أما حسام الدين مصطفى فيفتح عقد الثمانينيات بفيلم "الباطنية" ، ١٩٨٠ ، الذي تتورط فيه وردة صاحبة المقهى بحى الباطنية مع فتحى وتحمل منه ، لكنه يتخلى عنها بضغط من أبيه العقاد الذى يتحكم فى تجارة المخدرات . وعندما تضع وردة مولودها ، يخطفه أعون العقاد فى حين يدعى أحدهم لها أنه مات . ثم يشى برعى منافس العقاد بفتحى فيدخله السجن ، فينقم منه العقاد بقتل ولديه دفعة واحدة . عندئذ يتفق برعى مع وردة على الانتقام من فتحى بقتل ابنه أحدهم . وبالطبع تنهار وردة عندما تكتشف أنها قتلت ابنها ، مما يدل على مدى عمق جذور الميلودrama النمطية في تربة السينما المصرية .

فى عام ١٩٨٤ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم "عندما يبكي الرجال" الذى حشده بكل التوابيل النمطية ، إذ يتزوج الثرى صابر من عشيقته ثريا فيثور عليه ابنه شريف ويهرج المنزل . ثم تتورط أخته سميحة فى علاقتها مع سالم وتلقى مصرعها بعد أن تعرى علاقتها بثريا التى تبتز ثروة صابر ثم تطلقه لأن العصمة فى يدها . (وحكاية صاحبة العصمة هذه أكذوبة من الأكاذيب السينمائية لأن الشريعة الإسلامية لا تسمح بها على الإطلاق) . المهم يقرر شريف الانتقام من ثريا ، ومن خلال خطة يضعها ، يتعرف عليها إذ أنه لم يقابلها من قبل . وبالفعل تعجب به مما يثير غضب خطيبته ليلي . ويتوصل صابر إلى مكان شريف ويعمل في معرض سيارات والد ليلي حيث تتوطد علاقته بها دون أن يخبرها بحقيقة ، بل

ويعرف منها علاقة شريف بثريا التي تمنع ثروتها لشريف على أمل أن يتزوجها بهذه البساطة . ثم تلقى مصرعها ويتم القبض على شريف بعد أن يشهد بباب العمارة ضده لأنصرافه من شقتها قبل الحادث . لكن نظراً لأن العدالة لابد أن تأخذ مجريها في السينما المصرية ، فإن صابر يصل ويعترف بجريمته التي يرتكبها لينفذ ابنه .

في فيلم حسام الدين مصطفى " شهد الملكة " ١٩٨٥ المأخوذ عن قصة نجيب محفوظ من مجموعة " ملحمة الحرافيش " ، تعيش زهيره مع قريبها عزيز الناجي لكن زوجته ألفت تغير منها وتجبرها على الزواج من عبده الذي يجعل حياتها معه سلسلة من المعاناة ، فتتجأ لفتوة الحى نوح فيطلقها منه . بعد ذلك تتزوج من الفسخانى محمد فى حين يطمع فيها نوح والمأمور . وبرغم أن زوجها يتسم بضعف الشخصية ، إلا أنه يعتدى عليها بالضرب المبرح ويهرب بعد أن يظن أنها ماتت . ويحكم لها بالطلاق لطول غيابه ، وتتزوج من نوح الذى يلقى مصرعه بأيدى مجهولة وترث عنه ثروة كبيرة . تصمم على الانتقام من ألفت فتتجأ فى ايقاع عزيز فى شباكها . يطلق ألفت ويستعد للزواج منها ، لكن محمد يعود ويحاول إعادتها لعصمته ، وعندما ترفض يقتلها . ولن نتهم السيناريست مصطفى محرم بأنه حرف قصة نجيب محفوظ حتى يحشوها بالتوابل النمطية إذ أن القصة تحمل فى طياتها مثل هذه التوابل فى حين أن نجيب محفوظ ليس مجبراً تجارياً على استخدامها ، إذ شتان بين جمهور القراء وجمهور المترجين ، لكن يبدو أن اشتغال نجيب محفوظ بالسيناريو السينمائى فترة ليست بالقصيرة ، قد جعل منهجه الفكرى والروانى يتشرب بها .

أما سعد عرفة فقد قدم فى الثمانينيات فيلمين : " دموع فى ليلة الزفاف " ١٩٨٠ ، و " اعتداء " ١٩٨٢ . فى الفيلم الأول تعانى أمينة من معاملة أبيهما عبد الحكيم المتزمنت والذى يضغط عليها لتقى خطبتها إلى زميله جاد . فقد كانت

مرتبطة عاطفياً بالمهندس شريف لكن أباها رفض زواجهما ، فكانت النتيجة أن هربت وتزوجته ، لكنهما يفاجآن بوصول الأب وجاد . ويتدخل العنصر الميلودرامي فإذا بشريف يصاب بإصابة خطيرة بعد اشتباكه مع عبد الحكيم ، وتهار أمينة وتفقد ذاكرتها برغم أن الموضوع لا يمكن أن يصل إلى هذا الحد المبالغ فيه . وبرغم أنه يتم القبض على عبد الحكيم ، فإن جاد يغتصب أمينة وينتحر ، ثم يتم الإفراج عن والدها وتدخل مستشفى الأمراض النفسية والعصبية . وبعد كل هذه الفواجع غير المنطقية ينجح شريف في إعادة الذاكرة لأمينة ويتمسك بها كزوجة لزوم النهاية السعيدة النمطية .

وفي عام ١٩٨٢ قدم سعد عرفة فيلم " اعتداء " الذي يحتوى على الاتهام بالقتل ، والحكم بالإعدام ، والهرب من السجن ، ، واحتجاز أنتى ثم الواقع في حبها دون أى مبرر درامي وفكري يستدعي كل هذه الفواجع . ففى الفيلم يزور عزيز صديقه شرف بمنزله فى أثناء وجود سلوى حبيبة شريف ، حيث يكتران من شرب الخمر . يشعر شريف بالإجهاد وتنراءى له صورة سلوى وهى تقاوم شخصاً ثم يفقد وعيه !! يفاجأ فى الصباح برجال الشرطة وهم يقبضون عليه بتهمة قتل سلوى . ويحكم عليه القاضى بالإعدام ، لكنه ببساطة يهرب من السجن وينقم من القاضى فيخطف ابنته أمال ، إلا أنه يقع فى حبها . وبعد ذلك يشك فى عزيز فيضيق عليه الخناق حتى يعترف بالجريمة ، ويتم القبض عليه . وواضح أن عناصر القصة النمطية والمفتعلة ليست فى حاجة إلى تحليل أو مجرد تعليق لأنها تحت مستوى النقد .

وشهدت الثمانينيات دليلاً دامغاً على أنه لا قبل لسينمائى بالوقوف فى وجه طوفان العناصر النمطية والميلودرامية الفجة . فقد كان الأمل معقوداً على المخرج الشاب عمر عبد العزيز فى أن يسد ولو مجرد جزء من الفراغ الذى تركه المخرج الراحل فطين عبد الوهاب فى مجال الأفلام الكوميدية الخفيفة التى تسخر من

السلبيات الإنسانية وفي الوقت نفسه تدخل البهجة على قلوب المترجين . فقد لمس كل من عمل معه قدرته على تضمين المواقف والأحداث دلالات ساخرة وتهكمية ومثيرة للضحك تدفع المترجر للتفكير والتأمل مثثما فعل في فيلم " الشقة من حق الزوجة " الذي لا يعد نمطياً على الإطلاق . لكنه في فيلمي " للفقيد الرحمة " ١٩٨٢ ، و " ليلة في شهر ٧ " ١٩٨٨ يلجأ إلى القتل ، والتأمر ، والمخدرات ، والهروب ، والانتقام ، والاختطاف ، ظناً منه أنه يركب الموجة الطاغية والمضمونة .

في فيلم " للفقيد الرحمة " ، وهو قصة وسيناريو وحوار وحيد حامد ، الكاتب المتمكن من أصول الكوميديا الاجتماعية والسياسية الساخرة ، والتي تجلت في فيلميه " الإرهاب والكتاب " و " طيور الظلام " ، لا نجد أية لمسة لهذه الموهبة التي يتمتع بها كل من المخرج والمؤلف . ففي الفيلم يضغط الوالدان على ابنتهما سلوى للزواج من الحانوتى زعفرانى برغم حبها لأحمد الذى يتفق معها بمنتهى البساطة على قتله " كحل سعيد " لكل العقبات التى تقف فى طريق الشخصيات ، وبذلك يتمكنان من الزواج بعد أن ترث ثروته . يدفنه الجانى الماجور لكنه لم يفارق الحياة !! تفاجأ به سلوى فى مقر عملها !! فتذهب مع أحمد إلى مكان دفنه وهناك يشتبك مع أحمد الذى يصيبه إصابة بالغة ، وعندما تهم سلوى بالإجهاز عليه تصيب أحمد بدلاً منه إصابة قاتلة . ثم يصل رجال الشرطة ويلفظ زعفرانى أنفاسه ويتم القبض على سلوى .

أما في فيلم " ليلة في شهر ٧ " فإن حسن يعاني من تدخل زوجته راوية لإصلاح أى موقف لا يعجبها مما يوقعها فى المشاكل . وكان من الممكن توليد مواقف كوميدية وساخرة من هذه التوليفة التى كثيراً ما وظفها كتاب الكوميديا . لكن سرعان ما تكتشف أن عماد ابن صاحب العمارة يخفى مخدرات فى مخزن العمارة . وبرغم أن زوجها يحذرها من تبليغ الشرطة لكنها تصر على موقفها ويتم

القبض عليه . وفي أثناء ترحيله يهرب عmad من حارسه الذى يطارده فيلقى مصرعه !! يضم أبوه حلمى على الانتقام منها ، وتفشل محاولاته المتكررة بقتلها . ويبلغ حسن رجال الشرطة لحمايتها ، لكن أعون حلمى ينجحون فى اختطافها ، فى حين يراقبهم رجال الشرطة ويقبضون عليهم ويعيدون راوية لزوجها .

أما المخرجة نادية حمزة المتحمسة دائمًا للدفاع عن قضايا المرأة ، فإن تأثيرها الشديد بالضغط النمطية التقليدية ، جرفها بعيدًا عن هدفها الاستراتيجي ، ولم يمنحها فرصة أن تضع بصمة فكرية وفنية متميزة لها . وقد تجلى هذا التأثير الشديد فى فيلمين لها عام ١٩٨٨ ، " امرأة للأسف " و " المرأة والقانون " . ففى الفيلم الأول تتجسد العناصر النمطية من خلال توأمین : هبة ونادية التى تتطلع للثراء ويستغل زميلها خالد هذا الطموح فيقنعها بأن تهبه نفسها مقابل إقناع سعيد مدير الشركة الثرى بالزواج منها !! يفاجأ سعيد بخالد وهو يحاول اغتصاب نادية . وعندما تحاول الدفاع عن زوجها تصيبه بدلاً من خالد الذى يجهز عليه . ثم تتدخل الصدفة كالعادة فتصاب هبة بآلام مفاجئة وتدخل المستشفى ، و تستغل نادية الظروف فتسجل اسمها بدلاً من هبة حتى تتفى عن نفسها علاقتها بالحادث !! وبالطبع يرتاب مراد زوج هبة فى نادية ويبلغ رجال الشرطة ، فتهاجر نادية وتصاب بالجنون ويتم القبض على خالد !!

فى فيلم " المرأة والقانون " يتم عقد قران نادية والمحامى أحمد فى حين تتزوج أمها سيدة من المعلم محمود الذى يصر على مطاردة نادية ، لكنها تخفى الأمر عن أمها التى لم تعلم أن زوجها يطمع فى ابنتها . ثم يدخل محمود المستشفى للعلاج من الإدمان وتقىم معه زوجته . لكنه يستغل وجود نادية بمفردها بالمنزل فيهرب ويدهب إليها ويغتصبها !! وفي الوقت نفسه تسرع الأم إلى المنزل لتفاجأ بجريمة زوجها فتقتله . يتخلى أحمد عن نادية بضغط من أمه وأخته ، لكنه يتولى الدفاع عن سيدة التى يحكم عليها بالسجن عشر سنوات ، إلا أنها لا تتحمل الصدمة

وتموت . أى أن الفيلم ينتهى دون أى علاقة بين المرأة والقانون كما ورد فى عنوان الفيلم !!

أما المخرج على عبد الخالق الذى بدأ حياته السينمائية بصمة سينمائية متميزة تتمثل فى فيلم " أغنية على الممر " ١٩٧٢ ، فإنه فى عام ١٩٨٠ أخرج فيلم " الأبالسة " الذى لا يمت بصلة إلى الوهج القومى الذى جسده فى فيلمه الأول . ففى " الأبالسة " يتحكم جلال فى أهل البلدة ويخشونه . وعندما تستقل أخته نادية إحدى سياراته مع زميلها صلاح ، تتحطم السيارة بعد تعرضها لحادث لكن جلال لا يعلم بوجود أخته فيها ، فيضغط على صلاح وأبيه حتى يتركوا البلدة ، إلا أن أستاذه فى المدرسة حمزة يخفيه عنده حتى يستطيع أداء الامتحان ، لكن جلال يكتشف وجوده ، فيأمر أعوانه بقتله !! تعرف ليلي بحبها لزميلها حمزة فينصحها بالابتعاد عنه فهو يكبرها سناً . وعندما يعتدى جلال على ليلي ، يقتله حمزة ويسلم نفسه للشرطة !!

أما المخرج الراحل عاطف الطيب الذى بدأ حياته السينمائية بفيلم " سوق الأتوبيس " ١٩٨٣ الذى كان بمثابة طليعة لتيار فكري وفني جديد ، سرعان ما ابتلعه طوفان النمطية ومعه الكاتب المتمكن وحيد حامد فى فيلم " التخشيبة " ١٩٨٤ ، الزاخر بأحداث ميلودرامية تقليدية مثل الاتهام بالسرقة لشخصية لا يمكن أن تمارس اللصوصية ، وانهيار الحياة الزوجية ، والانتقام ، ومحاولات الاجبار على الاعتراف والقتل والاغتصاب . كل هذا لأن الدكتورة آمال تصدم بسيارتها سيارة أخرى ، ويرفض ضابط المباحث الإفراج عنها قبل أن يتتأكد أنها ليست مطلوبة فى قضية أخرى !! وبالفعل تفاجأ آمال وصديق العائلة المحامى حمدى بأنها متهمة بسرقة عشيقها كمال رستم !! وبالطبع يتخلى عنها زوجها وليد . ويفرج عنها بكفالة فتقرر الانتقام من كمال ، وتمكن من اصطحابه إلى منزلها بعد أن تخره وتشل حركته ثم تسجل له اعترافه الذى يصرح فيه بأنه أعجب بها

ولكنها لم تعره التفاتاً ، فيلتفق لها التهمة . وعندما يفشل في الحصول على الشرط ، يحاول اغتصابها فقتله وتصبح متهمة بالفعل !

أما الكاتب السينمائي أحمد الخطيب الذي أثبت تمكنه من المعالجة الحميمة لقضايا المجتمع المعاصر كما فعل في فيلم " كركون في الشارع " الذي أخرجه أحمد يحيى عام ١٩٨٦ ، فإنه في العام نفسه يخرج فيلم " ابن تحية عزوز " الذي كتب له القصة والسيناريو وال الحوار بحكم تخصصه . وفيه يستطيع ثلاثة أصدقاء : أحمد وفوزى وخليل أن يكونوا ثروة من تجارة المخدرات . ويحدث أن تنتهي مدة عقوبة تحية عزوز التي قتلت جارة أحمد بعد أن سرقت نقودها التي أعطتها له ، ومع ذلك يصر على أن يرفض أن ينسب ابنه منها إليه . ويتصادف أن يكون شريف شقيق أحمد ضابطاً في الشرطة مما يثير مخاوف خليل من نشاطه فيقتصرح أن يقتلوه ، فيثور احمد عليه ويقتله ليبدأ مسلسل القتل المعتمد في الأفلام الميلودرامية النمطية ، إذ تنتقم تحية من أحمد ، فتشاغل شريف حتى يقع في حبها ويقرر الزواج منها ، فيقتلها احمد ويقتل أيضاً فوزى حتى لا ينكشف أمره . ويعترف في النهاية لشريف الذي يؤدى واجبه ويقبض عليه لكنه يغافله وينتحر !!

في العام التالي (١٩٨٧) أخرج أحمد الخطيب فيلم " البيت الملعون " الذي جمع في قصته معظم التوابع النمطية من خلال شخصية مديحة التي تعانى من ظهور أشياء غريبة تطاردها مما يثير أعصابها ومخاوفها . فتبوح لها عمتها بأن أمها سعاد ماتت مقتولة . ويتهم الأب بقتلها وعندما يفشل في إثبات براءته يصاب بالجنون وينتحر !! يقوم الدكتور النفسي صلاح بعلاجها ، إلا أن الزوجين يشكان في تصرفاته . ويتبين أن صلاح هو قاتل سعاد التي كان يحبها !! ثم يقوم صلاح بمطاردة مديحة لاغتصابها في نفس اللحظة التي يصل فيها شريف ليطلق النار عليه ويقتلها . وابسط تعليق يمكن أن ي قوله متفرج عادى لا يدرى شيئاً عن أساليب التحليل النقدى ، عن شخصية صلاح ، أنه لا يمكن أبداً أن يكون طبيباً نفسانياً

يعالج الآخرين ، لأنه مجرد مجرم منحرف لا ينفع فيه أى علاج ، وأن مكانه السجن أو غرفة الإعدام !

أما سمير سيف فلا يخرج أيضاً عن نطاق التيار النمطى والميلودرامى فى فيلميه " عصر الذئاب " ١٩٨٦ ، و " المولد " ١٩٨٩ ، برغم أن الكاتب إبراهيم مسعود المتمكن من أسرار عالم الجاسوسية والصفقات الدولية هو الذى كتب الفيلم الأول ، فى حين أن الفيلم الثانى كتبه محمد جلال عبد القوى الذى اشتهر بمسلسلاته التليفزيونية التى تخوض فى أغوار النقوس البشرية والقضايا الاجتماعية . لكن يبدو أنه عند ممارسة الكتابة والإخراج للسينما فإن اليد الطولى هى لقوالب النمطية .

فى فيلم " عصر الذئاب " تعمل حنان سكرتيرة لشوكت زاهر رجل الأعمال الكبير صاحب الصفقات المريبة والذى يرافقه رجال الشرطة وتهاجمه الصحافة . يتفق على صفقة أسلحة مع وزير إحدى الدول العربية الذى يطمع فى حنان لكنها ترفض الاستسلام له ، فيهددها شوكت بقتل خطيبها أحمد وأمها . فلا تجد مناصاً من أن تستسلم لشوكت مرغمة وتصبح عشيقته . يعود أحمد من الخارج حيث كان يعمل ، فتعترف له حنان بظروف سقوطها ، فيصمم على قتل شوكت فى أثناء وجوده بالفندق مع الوزير . لكن العقيد محيى يستطيع أن يثنى عن عزمه ، فى حين يغدر شوكت بالجميع ويقتل أحمد وتنهار حنان . ثم يأتي الحل على أيدي رجال الشرطة فيلقى مصرعه ، ولو كان الكاتب والمخرج قد توغلوا فى عالم الصفقات المريبة بكل أسراره وخفياه ، لكان الفيلم أكثر إشارة وعمقاً من مجرد استخدام هذه العناصر النمطية التى استهلكت تماماً ، ومع ذلك فهى لا تزال تفرض نفسها بإصرار عجيب على التأليف والإخراج ، مما يدل على أن السينمائيين قد استكانتوا لها كما استكانت الجمhour من قبل ، إذ أن

اللعب على المضمون والمعروف مريح ومطمئن لرأس المال التقليدي الذى يرى فى التجديد والابتكار واستكشاف الآفاق الجديدة مغامرة أو مخاطرة غير محسوبة العواقب .

فى فيلم "المولد" ١٩٨٩ ، يقوم النشال على بخطف الطفل بركات ، ويربيه مع ابنته أمارة مدعياً أنه أبوه ، ويغير اسمه إلى هيمة ويعمله النشال . وينضم هيمة لعصابة تعمل فى تهريب العمالة . ثم يعترف على لأمارة بحقيقة هيمة الذى ينجح فى تهريب عملة قيمتها ملايين ، مما يثير حقد أفراد العصابة عليه فيخططون للتخلص منه لتفوقه عليهم . لكنه بقدرة قادر يقتلهم جميعاً ويهرب بالمبلغ إلى الخارج . يعود ويحقق مشاريع كثيرة ، وتشعر أمارة بالحب نحوه فتعترف له بحقيقةه . ويتوصل هيمة إلى أمه ، ويستعد للزواج من أمارة ويقرر الاستقامة . وكأنه لم يكن عضواً فى عصابة من قبل ، ولم يقتل ، ولذلك فهو يقرر الاستقامة ويستأنف حياته دون أن يحاسبه أحد عما ارتكبه فى الماضى من جرائم . وهو النمط الشائع فى السينما الأمريكية الذى يسمح للبطل لأن يقتل خصمه أو غريمه ثم يعود سعيداً إلى فتاته ، ولا يحاسبه قانون أو مجتمع ، كأنه قتل ذبابة !!

أما المخرج سيد سيف فقد غرق بأفلامه فى محيط المخدرات ، والاغتصاب ، والقتل والسرقة ، والتهمة الظالمة ، والفضيحة ، وأخذ معه المتدرج دون أى حرج أو حساسية ، إذ أنه أراد إثارةه والتلاعب بأعصابه بقدر الإمكان ، وكأنه يريد التفوق على رواد هذا التيار النمطى والميلودرامى من أمثال حسن الإمام . ففى فيلمه "رغبة وحقد وانتقام" ١٩٨٦ ، يحمل العنوان فى طياته كل التوابير والمشهيات إياها ، وكأنه واجهة المحل التى تعرض السلع بأسلوب مباشر وواضح للغاية . فمنذ البداية يستولى الشاطبى على مراكب حميدو الذى يموت من الحسرة ، كما يغتصب سنيورة حبيبة حسن التى تضطر للزواج منه فيثور عليها حسن دون أن يعلم بالحقيقة . وعندما يماطل الشاطبى فى الزواج من فنتازا ،

فتزوج من بحيرى ، وتطلب منه أن يعيد إليها نصيتها من تجارة المخدرات التي شاركته فيها من قبل ، إلا أن الشاطبى يقع بينهما فيقتل زوجها . تطلب سنيورة الطلاق من الشاطبى فيرفض ، لكنها لا تستسلم وتسرق منه مستندات تدينه وتثبت سرقته لمراكب حميدو ، وتسلمها لحسن بحيث يقع الشاطبى في قبضة الشرطة .

ويشير سيد سيف على النهج نفسه في فيلم "باب النصر" ١٩٨٨ ، الذي يستولى فيه داود على محل التاجر ضرغام بمساعدة سونيا مقابل أن ينتقم لها من صابرين باغتصابها لغيرتها منها . لكنه يقتل سونيا حتى لا تشكل خطرًا عليه ، ثم يلصق التهمة بصابرين التي تهرب من الحى خوفاً من الفضيحة . وفي الوقت نفسه ينجح خطيب صابرين في الإيقاع بين داود ومعاونه سوسة ، ويرتبط لقاءً بينهما بعد أن يبلغ رجال الشرطة الذين يقبضون على داود متلبساً بالاعتراف بعد أن يواجهه سوسة بجرائمها .

أما خيرى بشاره الذى يحرص دائمًا على يربط اسمه باتجاهات التجريب والتجديدوالحدثة وما بعد الحداثة التى أدت به إلى أن يفقد معلم طريقة المتميزة بعد فيلميه المتميزيين "الطوق والإسورة" ١٩٨٦ ، و "يوم مر ويوم حلو" ١٩٨٨ ، فإن بدايته كانت نمطية للغاية عندما أخرج فيلم "الأقدار الدامية" عام ١٩٨٢ ، عن مسرحية "الحاداد يليق ياليكترا" للكاتب الأمريكى يوجين أونيل ، والتى سرعان ما تم صبها فى القوالب النمطية التى أدمنتها السينما المصرية . فى الفيلم يشارك اللواء حلمى باشا فى حرب فلسطين ، كما يتطلع ابنه سعد . ثم تبدأ توابىل الخيانة الزوجية عندما تخون حورية زوجها حلمى مع الكابتن كمال ، وتكشف خيانتها ابنتها عليه . يعود حلمى بعد إعلان الهدنة ، ويموت من الصدمة عندما يكتشف خيانة زوجته ، مما يدفع ابنته عليه إلى الإصرار على الانتقام من أمها . يغادر سعد المستشفى بعد إصابته فى الحرب . وعندما تخبره عليه بما حدث ، يدبران لقتل كمال فى حين تتحر حورية . وبعد مرور ثلاث سنوات ، يتطلع سعد للقتال

مع الفدائين في القناة تاركاً عليه وحدها بالقصر لتهاج وتسسلم للسائس . ومن الواضح أن هذه الخافية السياسية والحربية التي تمثلت في حرب فلسطين وجihad الفدائين في القناة ، لم تكن سوى قنوات محترمة وغير نمطية لتوصيل التيمات النمطية المستهلكة .

ويواصل تيسير عبود مسيرته النمطية الموجلة في كهوف الميلودراما عندما يقدم في الثمانينيات فيلم "أبو البنات" ١٩٨٠ ، و "انحراف" ١٩٨٥ ، اللذين يحشدهما بالتورط ، والحمل ، والتهريب والقتل ، والانحراف ، والإجهاض ، والانتحار ، والدعارة والجنون !! فعلى الرغم من أن مؤلف الفيلم هو بشير الديك مؤلف فيلم "سوق الأتوبيس" غير النمطي ، فإنه في هذا الفيلم مؤلف نمطي حتى أذنيه . ففي فيلم "أبو البنات" يشارك سيد بمكافأة نهاية الخدمة مع حسين في المحل الذي يمتلكه ، في حين تتطلع ابنته مني للثراء . ولذلك فهي تسسلم للثري محدث وتحمل منه . يتم القبض على حسين بتهمة التهريب . وبذلك يخسر سيد ماله فيقتله أثناء ترحيله ويقبض عليه . تحرف مني الدعارة بعد أن تتخلص من الجنين . ثم يتم الإفراج عن سيد الذي يقرر قتل ابنته مني لكنها تتحرر حتى لا يرتكب جريمة أخرى .

وفي فيلم "انحراف" فعل تيسير عبود بمسرحية "عربة اسمها اللذة" للكاتب الأمريكي تيسى ويليامز ما فعله خيرى بشاره من قبل بمسرحية "الحداد يليق باليكtra" ليوجين أونيل في فيلم "الأقدار الدامية" . إذ يبدو أن الاختيار يقع على المسرحيات أو الروايات الأجنبية التي يمكن اقتباسها طبقاً للمواصفات النمطية التي لا تحد عن السينما المصرية . ففي فيلم "انحراف" تتزوج هدى ابنة الثري أبو ماضى من سائقهم حسن ويرحلان إلى القاهرة . أما أختها سميحة فهي تسسلم للقواد كرم ، وينتحر زوجها علاء بعد وفاة والديهما ، وتضطر إلى بيع الفيلا حتى تسد ديون علاء . ثم تدخل السجن في قضية آداب ، وبعد الإفراج عنها تبحث عن

عنوان هدى إلى أن تجدها . ويتعلق كمال صديق حسن بسمحة ويتقان على الزواج برغم تحذير حسن له . وعندما يبوح له بحقيقة سمية ، يواجهها فلا تذكر وتهار وتصاب بالجنون .

في عام ١٩٨٢ أخرج محمد عبد العزيز فيلم " على باب الوزير " الذي يرفض فيه المعلم حلاوة زواج ابنته من زميلها كمال لفارق الاجتماعي بينهما . ثم يدخل عنصر الانتقام فيقرر حلاوة أن يلقي تهمة رشوة لموظفي الضرائب عبد الصمد والد كمال لتشدده معه في تحصيل الغرامات . يبلغ كمال وصديقه خميس عن مخالفات حلاوة القانونية ويحاربونه . ثم يتخلى خميس عن أنهار بعد أن تورط معه ، فيشقق عليها عبد الصمد فيتزوجها ! ثم يعود خميس ويتوعد إليها فترسل إليه خطاباً تهدده فيه بالقتل !! وإذا بخميس يلقى مصرعه ويتم القبض على أنهار لأن الخطاب يدينها !! لكن سر الجريمة ينكشف إذ أن الجاني قتل خميس ظناً منه أنه عزوز الذي يشاركه السكن ، لوجود ثأر بينهما . وينتهي الفيلم بموافقة حلاوة على زواج ابنته من كمال لتمسكها به ، حتى ينتصر الخير وتنصر الحياة .

في عام ١٩٨٥ أخرج شريف يحيى فيلم " الطاغية " الذي يستقر فيه الدكتور سامي في بلدته ويتزوج جميلة دون أن يعلم حقيقة والدها محمود الذي يتاجر في المخدرات مع أخيه هاشم وسليمان . يفاجأ سامي بجاير - أحد المطاريد - الذي يخبره أنه أخوه وأن محمود قتل والدهما الذي بلغ عن أحد جرائمه . ثم يفاجئ سليمان الآخرين بطلق ناري يصيب سامي ، لكن جاير يتمكن من قتله ويقتل أيضاً محمود ثم يتم القبض عليه .

في عام ١٩٨٧ أخرج إبراهيم عفيفي فيلم " القرش " الذي يتم فيه القبض على المعلم الضبع في قضية مخدرات ، في حين تعيش تقاحة مع القوادة سكينة التي تمنحها كل ما تملك قبل وفاتها . ثم تعلم تقاحة بتجارة المخدرات وتتافق المعلم أبو سريعة . وعندما تنتهي مدة عقوبة الضبع ، تتفق معه تقاحة على

الاشراك معًا ضد أبو سريع ، لكن الضبع يغدر بها ويبيوح بذلك لأبو سريع الذي يحرضه على قتلها !! ثم يفاجأ رجال الشرطة بانتحار أبو سريع ، في حين تقوم تفاحة بقتل الضبع عندما تكتشف غدره ، وينتهي الفيلم بالقبض عليها !!

في عام ١٩٨٨ أخرج أشرف فهمي فيلم "اغتيال مدرسة" الذي كتب قصته بنفسه ، وضمنه عناصر التورط ، والحمل ، والتخدير ، والابتزاز ، والاتهام في قضية أداب ، والخطف للاستيلاء على الميراث ، وذلك من خلال شخصية الأرملة هدى التي تعمل مدرسة وتكتشف أن تلميذتها ميرفت حامل نتيجة علاقتها بزميلها عصام . وعندما تضغط عليه هدى ليتزوجها ، يدعوها لمنزله لإنقاص أبيه ، لكنه ينهاز فرصة وجودها معه في المنزل ليقوم بتخديرها وتصويرها معه في أوضاع مخلة !! عندئذ يبلغ الأب رجال الشرطة وتصبح هدى متهمة في قضية أداب برغم اعترافها بحقيقة ما جرى ! وكما يستيقظ الضمير بدون مناسبة أو مبرر في أفلام كثيرة ، يتزوج عصام ميرفت في اليوم السابق للكشف الطبي بعد كل السفالات التي ارتكبها معها ! ويستمر الفيلم بعد ذلك بدون داع ، إذ أن عم طفليها بعد ذلك يغتتم الفرصة ليحصل على حكم بضمها لحضانته حتى يتسنى له الاستيلاء على ميراثهما !!

في عام ١٩٨٨ أيضًا أخرج عبد اللطيف زكي فيلم "الكماشة" الذي يجمع فيه بين الانتقام ، والمخدرات ، والعصابة ، والاغتصاب ، والمفاجأة الصارخة ، وذلك من خلال شخصية ضابط الشرطة محمود الذي يتحل شخصية تاجر مخدرات وينضم لعصابة إحسان ، كما تتوطد علاقته بنعمة صاحبة أحد المطاعم بالحى . لكن اثنين من كبار أفراد العصابة : جعفر وست الحسن يكتشفان شخصية محمود الحقيقة ، ويحتجزونه ، بل ويأتون بنعمة كى يغتصبها أحد أفراد العصابة أمامه على سبيل الانتقام منه . لكن محمود يتمكن من الهرب بنعمة ، ويهدد ست الحسن بالقتل حتى تعرف له باسم رئيس العصابة ، فيفاجأ بأنه حماه رجل الأعمال

الكبير !! ويتم القبض عليه مع أفراد العصابة ، كما يقرر محمود الزواج من نعمة بعد أن يطلق زوجته التي يتتصادف أنه لم يكن موفقاً معها !!

ولم يشا المخرج المخضرم إبراهيم عماره أن يمر عقد الثمانينيات دون أن يخرج فيلم " يا ما أنت كريم يا رب " ١٩٨٣ الذي استدعي فيه العناصر النمطية ، خاصة تلك التي كانت سائدة بين الأربعينيات والستينيات ، وفي مقدمتها فقد البصر ثم استرداده . ففيه يتعرف اللص مصطفى على إبراهيم الذي يروى له سبب انهياره وتركه العمل بعد أن يتعرض لحادث بسيارة الأجرة التي يعمل عليها ، وتموت زوجته ، وتتفقد ابنته فاطمة بصرها . فيدبر له إبراهيم عملاً ، ويتوه عن السرقة ، وتم خطبته على فاطمة . لكن جمالات زوجة إبراهيم تسعى للتودد لمصطفى الذي يصدها . ثم يقتلها عشيقها حسين . وتهل النهاية السعيدة بوجهها النمطي المستهلك عندما ينجح مصطفى في إخراج إبراهيم من أزمته ، ويعيده إلى العمل ، وتسترد فاطمة بصرها بعد العملية الجراحية التي تتجه دائمًا في الأفلام المصرية !!

وبحلول عقد التسعينيات واصلت العناصر النمطية المستهلكة وجودها بقوة لا مبرر لها ولا معنى ، سوى تكاسل المنتجين والكتاب والمخرجين أو خوفهم من البحث عن آفاق جديدة ، قد لا تكون مضمونة سواء على المستوى الفكري أو الفنى . لكن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة ولا يمكن تجاهله بأية حال من الأحوال هو : هل يمكن أن تواصل السينما المصرية مسيرتها في القرن الحادى والعشرين بهذه الأسلحة الصدئة والأفكار والتوجهات التي استهلكت تماماً من عقود مضت ؟! والتي ستواصل السينما اجترارها وتكرارها ، وهى في انفصال شبه كامل عن مجتمعها المحلى وعن عصرها الذي أصبح فيه العالم قرية صغيرة ؟! إن أية سينما في العالم تستمد شريان حياتها وتتجددتها واستمرارها من المنابع المتدفقة والساخنة للمجتمع والعصر . لكن عقد التسعينيات لم يحمل في طياته بشائر أو بوادر تدل

على افتتاح آفاق جديدة ، وخاصة أن مشاكل دور العرض التي تتناقص وتتعرض ، ومشاكل التوزيع والإنتاج التي طرأت على السينما المصرية في العقدين الأخيرين ، أصبحت تمثل تحديات عاتية جديدة بالإضافة إلى التحديات القديمة التي ترسخت مع رسوخ العناصر النمطية ، سواء في المضمون أو الشكل !

ونظرة تحليلية إلى أفلام التسعينيات تؤكد هذه الاحتمالات الكثيبة التي لابد أن يتکافف السينمائيون المصريون لمواجهتها والقضاء عليها ، وهم قادرون على ذلك لأنهم يرتكزون إلى قاعدة سينمائية عريقة وراسخة تمتد إلى أكثر من ثلاثة أرباع القرن ، وكانت سندًا للسينما العربية وليس للسينما المصرية فحسب . فقد كانت السينما المصرية وستظل السينما الأم لكل الأنشطة السينمائية في أرجاء العالم العربي ، وبالتالي فإن انتصاراتها أو انتكاساتها لابد أن تتعكس على السينما العربية بصفة عامة .

في عام ١٩٩٠ وحده أخرج هنري برکات فيلم "لعبة الأشرار" وحسام الدين مصطفى "العفاريت" ، وإيناس الدغيدي "قضية سميحة بدران" ، وناجي أنجلو "العذراء والعقرب" وعادل عوض "العقرب" وهى كلها أفلام زاخرة بالعناصر النمطية المستهلكة . ففى فيلم "لعبة الأشرار" يتزوج الأديب الكبير رياض من كاميليا التي على علاقة سابقة بعزمى محامى رياض . واستكمالاً للعبة الكراسي الموسيقية بين الشخصيات فى مسائل الحب والزواج ، فإن عزمى يتزوج من منار سكرتيرة رياض ، وفى الوقت نفسه تشک فى علاقته بкамيليا . وتمكن منار من تسجيل شريط لكاميليا وهى تحت عزمى على قتل منار ورياض بعد أن توهّمه بوجود علاقة بينهما . فلا يزال القتل هو الحل السعيد والحاصل للمشاكل المستعصية !! تواصل منار خططها للإيقاع بкамيليا وعزمى ، فتستدعي رياض لمنزلها فى حين يراقبه عزمى ويسرع وراءه

ليقتلها . ويفشل فى قتل منار التى تتجح فى الإيقاع بينه وبين كاميليا فيفقلاها .
يجاجأ عزمى برياض الذى لم يمت لأن الرصاص لم يكن حقيقا !! فينهار
للعقاب الذى ينتظره !!

أما فيلم " العفاريت " الذى قام ببطولته عمرو دياب ، فكان المفروض فيه أن يكون فيلماً غنائياً مثل أفلام عبد الحليم حافظ التى يميل إليها الشباب ، والتى تثير المشاعر الرقيقة المرهفة . لكن ما جرى فيه كان كالتى : يتمكن المقدم رفعت من القبض على عباس رئيس عصابة مخدرات ، فينتقم أحد أعوانه بقتل رفعت فى حين يخطف زميله شماندى ابنته الرضيعة دينا . تنهار زوجته كريمة بطبيعة الأمر ، أما شماندى فيسلم دينا ومعها الطفلة الأخرى لوزة للمعلمة محروسة ، وتصبحان نشالتين ضمن عصابتها . ثم تهرب دينا وتمكنت من مقابلة المطروب عمرو دياب ، وتعرض عليه موهبتها الغنائية كما يعلم بقصتها ، مما يدفعه إلى إبلاغ رجال الشرطة عن وكر محروسة ، ويفاجئون بإصابتها إصابة خطيرة بعد أن حاول شماندى قتلها ، فتسرع كريمة إلى محروسة بالمستشفى ومعها الطفلتان لتتلها على ابنتها لكنها تلفظ أنفاسها الأخيرة : فتقرر تربية الطفلتين !!

فى فيلم " قضية سميحة بدران " ، تتزوج الصحفية سميحة من جارها القديم يوسف الذى يجمع ثروة كبيرة ، ثم يتضح أنه عضو فى عصابة تهريب مخدرات ، وتتزوج من سميحة ليشغلها عن تحقيقاتها الجريئة عن عالم المخدرات !! (فهذا هو الحل العقلى ليأمن خطورتها !!) ترتاب سميحة فى علاقة زوجها عباس وأخته زهيرة التى تتاجر فى الأطعمة الفاسدة . أما عباس فيقوم بتاجير وحداته السكنية لأكثر من شخص . وتكشف سميحة حقيقة يوسف بحسها الصحفى ، وتمكنت من سرقة مستدات تدين عصابته ، ويتم القبض بالفعل على عباس . عندئذ يخطف يوسف شقيق سميحة ليضغط عليها حتى تسلمه المستدات ، لكنها تقاومه فيحاول قتلها ، لكن الرصاص تصبب زهيرة وعزت ، ويتم القبض عليه .

فى فيلم " العذراء والعقرب " تتم خطبة فاطمة وجارها جابر فى نفس الوقت الذى يطعم فيها المعلم سلطان صاحب المقهى فى الحى وصديق أبيها . وبعد أن ينجح فى استدراجهما إلى شقة صديقه نرجس ويغتصبها ، يتذكر لها تماماً وينكر ما حدث عندما تواجهه بأبيها . عندئذ تنتقم منه بقتله ويتم القبض عليها . يساندها جابر بكل قوته ويصر على تحريراته مع صديقه سوكة إلى أن يتوصلا إلى العلاقة الخفية بين سلطان ونرجس . وبعد ذلك يستدرجها جابر حتى تعرف بمكيدة سلطان ، وتدلّى بشهادتها فى المحكمة ، فتعزز موقف فاطمة التى تحصل على البراءة فى نهاية الفيلم .

فى فيلم " العقرب " كنا نتوقع رؤية سينمائية جديدة لأن مخرجه عادل عوض ينتمى إلى الجيل الجديد من شباب الخريجين . لكن الفيلم جاء محسواً بالعناصر النمطية المستهلكة بحيث يمكن تسكينه فى أى عقد من العقود السابقة . فيه تتزوج الفتاة الثرية ناھد من الرسام ماهر برغم إرادة أبيها ، وينجيان هبة . ثم يسافر ماهر ويعيش فى فرنسا ، ويطلق ناھد التى ترك هبة فى ملجاً دون أى مبرر درامى أو منطقى ، فابنتها ليست من أبناء السبيل . ثم تتزوج ناھد من طارق وتنقنه أن يتبنى هبة دون أن يعلم بحقيقة برغم أن الشريعة الإسلامية لا تسمح بالتبني . وعندما تدب الخلافات بين الزوجين ، تغازل هبة إلى جانب طارق ، ويحدث أن يعود ماهر ويتزدد على ناھد فى غياب زوجها ، فتحرض هبة عشيقها السائق حسين على قتل ناھد لكنها تنهار عندما تكتشف الحقيقة . وعندما تفشل محاولة انتحارها ، تصاب بالجنون !!

أما عام ١٩٩١ فقد شهد وحده عرض عشرة أفلام مرة واحدة من النوع النمطى الذى يكرر التيمات السابقة بطريقة أو بأخرى . منها فيلمان لحسن الصيفى : " مجرم رغم أنفه " ، و " بنت الباشا الوزير " ، ثم فيلم " عصر القوة " لنادر جلال ، و " نور العيون " لحسين كمال ، و " الهروب "

لعاطف الطيب ، و "الصرخة" لمحمد النجار ، و "نساء ضد القانون" لنادية حمزة ، و "تحت الربع" لشريف حمودة ، و "البريء والجلاد" لمحمد مرزوق ، و "المفسدون" لإسماعيل حسن .

فى فيلم " مجرم رغم أنفه " تكتشف عزيزة سرقة مجوهراتها ثم يتصل بها اللص ويحدد معها موعداً ليعيد إليها المسروقات . ويطلب منها بمنتهى السذاجة أن تترك له باب شقتها مفتوحاً !! فتفاجأاً عزيزة بمجيء جارها عصمت ، ويقبض عليه رجال الشرطة المختبئين داخل الشقة . ثم يتضح أن عصمت مصاب بمرض السير نائماً ، مما يوقعه في مشاكل !! وفي الوقت نفسه يعترف أحمد زميل عزيزة التي يحبها بأنه السارق ، وأنه فعل ذلك حتى يفرق بينها وبين عصمت الذي تحبه ، فهو يعلم بمرضه ، ويعيد إليها المجوهرات . وينتهي الفيلم بأن تتزوج عزيزة من عصمت . فهل هناك استهانة بعقل المتفرج أشد من هذا الفيلم !؟ وهل هذه هي نوعية الأفلام التي تختتم بها نهاية القرن العشرين لتنطلق إلى آفاق القرن الحادى والعشرين !؟

فى فيلم " بنت الباشا الوزير " لحسن الصيفى أيضاً ، تؤمم الحكومة أملاك إبراهيم باشا ، وتحدد إقامته ، وتقوم أم السعد على خدمته . يشعر إبراهيم بعاطفة تجاه أم السعد ، فيتورط معها وتحمل منه ويتزوجها !! تتجه ابنتها جليلة ، ويموت إبراهيم ، وتمر السنوات ، وتخرج جليلة في معهد الموسيقى . وعندما تلجمأ لعمها يطردها وينكر نسبها ، فتلجمأ إلى القضاء . عندئذ يعرض عليها العم أن تتزوج من ابنه عمرو المريض بمرض خبيث !! تعطف جليلة عليه وتتزوجه ويسافران للعلاج . وعندما يطلب عمرو منها الإنجاب عن طريق الأنابيب ، ترفض لأنها طريقة محرمة !! فيموت عمرو بمرضه كما يموت أبوه بأزمة قلبية !!

فى فيلم " عصر القوة " تزداد العداوة بين أسرة أدهم الفيومى والمرسى نوبل ، وكلاهما يتاجران في السلاح . ثم يتورط بكرى الفيومى في جريمة قتل

لشخص من عائلة المرسى ، وينجح محامي العائلة في تبرئته !! عندئذ ينتقم المرسى بقتل ابن الثاني ، ويصاب أدهم بأزمة قلبية . ويعمل المرسى على الاستيلاء على صفة سلاح خاصة بالفيومي ، وكأنها صراع على صفة فاكهة أو خضروات في سوق العبور ، ذلك أن كتابنا لا يهتمون أبداً بدراسة المادة العلمية والعملية للمضامين التي يتعرضون لها بالكتابة ، كما أنهم لا يهتمون كثيراً بنوعية الصراع ومدى إمكان حدوثه في مصر إذا كانت القصة مقتبسة من بلد أو مجتمعات أجنبية . المهم أن المرسى يخطف أولاد ابنة الفيومي المطلقة أمينة ، ويساومها على إعادتهم مقابل شروط لصالحه وأن تتزوجه !! (على أي أساس يمكن أن يتم زواج مثل هذا !؟) وتدعى أمينة الموافقة لكنها تقتله وتستعيد أولادها . ويلتئم شمل أسرة الفيومي وتعود لمزاولة صفحاتها كما تبادر أمينة نشاطها !!

في فيلم "نور العيون" تتوالى أمامنا مشاهد القتل ، والموت ، والسجن ، والتهمة الظالمة ، والانتقام ، واحتراف الرقص ، ومحاولة الاغتصاب ، برغم أن القصة من تأليف نجيب محفوظ . وكان الأمل معقوداً على قصص روائين الكبار من أمثال نجيب محفوظ كى تكون بمثابة نسمات منعشة في الجو الخانق للسينما النمطية ، أو أضواء متألقة للخروج من النفق المظلم ، لكن يبدو أن الطوفان الذي أغرق السينما منذ عقود مضت لا يزال قادراً على التدفق واجتياح معظم الكتاب بما فيهم الروائين الكبار الذين أقاموا أمجادهم الأدبية خارج المجال السينمائي .

في فيلم "نور العيون" يقوم دعبس بقتل غريميه حسونة الذي تلد أرملته مولودتها نور . وتمر السنوات وتموت الأم ، وتتزوج نور من ابن عمها محسن الذي يحاول أن يدفعها للرذيلة ، ويتسبب في الزج بها في السجن في قضية دعارة هي بريئة منها . تنتهي مدة عقوبتها وتحصل على الطلاق ، كما تسعى للعمل في مصنع دعبس الذي تهدف إلى الانتقام منه . لكنه عندما يحاول التودد إليها تصده فيطردها . ثم تحرف الرقص وتصبح راقصة مشهورة ، ويحدث أن تقابل مع

دعبس الذى يعاود محاولته للإيقاع بها . وعندما يفشل يعرض عليها الزواج ، بل ويعرف لها بجريمته !! فتكشف له عن شخصيتها الحقيقية ، ويقع فى قبضة رجال الشرطة المختبئين !!

فى فيلم " الهروب " تفرض التوليفة المملة والنموذجية نفسها على كل الشخصيات والأحداث والمواقف التى تصور شاباً يدعى منتصر ، جاء من أقصى الصعيد ليعمل بالقاهرة ، فى شركة تتولى سفر العمال إلى البلد العربية ، لكنه يكتشف أن الشركة تلجم إلى التأشيرات المزورة . ويدب الخلاف بينه وبين مدحت صاحب الشركة فيدبر له تهمة حيازة مخدرات . يدخل السجن وعندما يخرج منه يفاجأ بابنة عمه التى عقد قرانه عليها قد استسلمت لرجوات التى تدفعها لاحتراف الدعارة . ويقرر الانتقام من مدحت فيقتله ، كما يتورط أيضاً فى مقتل رجوات . يتم القبض عليه لكنه يتمكن من الهروب . وفي إحدى محاولات القبض عليه ، يحاول الاحتماء فى صديقه ضابط الشرطة سالم ، لكن رجال الشرطة يطلقون الرصاص فى اتجاههما ليلقيا مصرعهما !!

أما المخرج محمد النجار الذى بدأ ببداية واعدة وقوية بفيلمه " زمن حاتم زهران " ١٩٨٨ ، فإن طوفان العناصر النمطية سرعان ما يطويه فى فيلم " الصرخة " ١٩٩١ الذى يتم فيه إلهاق عمر بمعهد الصم والبكم حيث ترعاه الدكتورة تيسير . والعجيب أنه يصبح - وهو صاحب العاهة - محل إعجاب ووله كل امرأة تقابله ، فتعجب به وفاء الطالبة بالمعهد ، وتطمع فيه الدكتورة تيسير وتحاول الإيقاع به فى حبها لكنه يصدها . ثم تدخل الأحداث فى خط ليست له علاقة بالخطوط السابقة ، فيتزوج عمر من جارته معزوزة التى تطمع فى ثروته ، بل وتحاول سرقته فيطردها !! واستمراراً للسفلة النمطية التى تتمتع بها شخصيات سينمائية عديدة ، فإن معزوزة تدبر له تهمة الاعتداء على صديقتها فكرية ، لكن القاضى فى المحكمة يطلب منه أن يتزوجها . عندئذ يقرر عمر ورفاقه الانتقام من

النساء الثلاث : الدكتورة تيسير ، ومعزوزة وفكرية ، فيسلطون عليهم جهاز يفقدون به السمع لينتهي هذا الفيلم الذي تضمن العناصر النمطية التي وردت في أفلام سابقة عبر عقود متابعة ، لكنه تفوق عليها عندما ألغى تماماً العلاقات الموضوعية أو المنطقية بين هذه العناصر ليصبح الفيلم " سمك ، لبن ، تمر هندي " !!

في فيلم " نساء ضد القانون " تكافح الصديقات الثلاث نادية وعلوية وزينب في مواجهة ظروف مادية صعبة . تتزوج نادية من جلال صاحب الملهى الذي تعمل فيه راقصة !! يستغلها دون أن تعلم في عمليات تهريب الذهب . ويحدث أن تتزوج أختها عائشة من الثري شوشة الذي يتاجر في العملة ، ويتحقق معه جلال على تحويل مبلغ كبير من الدولارات . ثم يخطط جلال مع أعوانه لقتل شوشة للاستيلاء على المبلغ . تفاجأ نادية بحقيقة جلال . لكن أزمة الكل (التي أصابها بها المؤلف بطبيعة الحال !!) تشد عليها ، وتكشف أختها عائشة جريمة جلال . وتفاجأ بأن لنادية خطيباً سابقاً يدعى أحمد يقوم بمراقبة جلال وأعوانه ، ويبلغ عنهم الشرطة ويتم القبض عليهم . وفي النهاية تموت نادية وينهار أحمد ، وقد نسي المؤلف تماماً صديقتها اللتين بدأتا معها الكفاح !! ذلك أن التلقيق هو المبدأ الذي يربط بين خطوط القصة !! بل إن العنوان نفسه " نساء ضد القانون " ليست له علاقة بالفيلم الذي كان فيه الرجال وحدهم هم الذين ضد القانون ، لكن النساء عندما يقفن ضد القانون ، يجدن جمهور السينما لمشاهدة الفيلم أكثر من الرجال !!

في فيلم " تحت الربع " تحمل الفتاة الفقيرة شكرية سفاحاً من عشيقها الذي يرفض الزواج منها ، فتضطر إلى العمل بالتسول ، وتقع في يد عباس الذي يقع في حبها ويتزوجها عرفياً . لكنها تكتشف أنه تاجر مخدرات وينصحها أحد أعوانه بالفرار منه حتى لا تلقى مصير زوجته التي انتحرت . وتقوم شكرية بالتبليغ عنه فيحكم عليه بالسجن . وببساطة شديدة تحتل شكرية مكان عباس وتتصبح ملكة الشحاتين ، ويتمكن ابنها من استكمال دراسته . وتنتهي مدة عقوبة عباس ويخرج

من السجن ويعرض عليها الزواج لكنها ترفض . فيشرع في الانتقام ويجعل ابنها مدمناً للسموم البيضاء ، ثم يبلغ الشرطة عنها . وتشاء الصدف (المملة) أن يتولى خطيب ابنتها القبض عليها في نفس اللحظة التي يلفظ فيها ابنها أنفاسه الأخيرة نتيجة لتعاطي الهيروين .

في فيلم " البريء والجلاد " تسرى التوليفة النمطية في كل الأحداث والصراعات منذ البداية عندما يقرر رجل الأعمال الكبير حمدي الانتقام من عبد الحميد ومصطفى ويدرك شهادتهم ضد أخيه سعيد الذي ثبت عليه تهمة القتل والسرقة وتم إعدامه . ويشك فيهم حمدي لثراهم المفاجئ ، فيستغل عدم معرفتهم به إذ أنه كان بالخارج . ويبدا بالتقرب من عبد الحميد وتم خطبته على ابنته سحر التي يتخلى عنها بعد أن يغدر بها . ثم يلفق تهمة حيازة هيروين لابن عبد الحميد فتموت الأم من شدة الصدمة . ولا يكتفى بهذا بل يؤجر مجرماً لحرق مصنع عبد الحميد ليصاب بالجنون ، كما ينجح في تبديد مدخلات مصطفى عندما يشاركه في مشروع وهمي !! أما بدر فيجعل ابنه مدمناً . والظاهرة الغريبة أن الثلاثة أصيروا بغباء منقطع النظير جعلهم لا يدركون حقيقة المؤامرة التي ينسجها لهم حمدي الذي يبدو أنه تقمص شخصية الكونت دى مونت كريستو الذي استهلكته السينما المصرية أكثر من اللازم . وفي النهاية تثور فاطمة ضد شقيقها حمدي ، وتقاوماً بأن سعيد مذنب بالفعل ، وتثبت بالدليل أنه يدفن النقود المسروقة بجانب قبره ، وهي صدفة لا تخطر على بال بشر !!

في فيلم " المفسدون " لا يضيع الكاتب أو المخرج وقتاً ، إذ يقوم رجل الأعمال أباصيرى منذ البداية باغتصاب إحدى موظفاته فتتحرر ، ويصمم زوجها عادل على الانتقام منه . وفي الوقت نفسه يختلف تاجر المخدرات رشوان مع أباصيرى فيقرر التخلص منه بالاتفاق مع عادل على قتله مقابل مبلغ من المال . تكتشف الفنانة التشكيلية راوية (!!) جريمة عادل وتكون الشاهدة الوحيدة ، وتبلغ

رجال الشرطة كما تبدي استعدادها لرسم صورة القاتل من الذاكرة لتشرها الجرائد ، كما يفعلون في الخارج !! يهددها عادل بالقتل ، ثم يتفق معها على رسم صورة مختلفة عن ملامحه . ويفاجأ عادل بشوان وهو يغدر به ويرفض تسليمه حقه ، فيهدده بمستدات لديه تدينه . ويقوم أعون بشوان بخطف ابن اخت راوية ليضغط على عادل حتى يتم تسليمه المستدات . وفي الموعد المحدد بينهما يصل رجال الشرطة بعد أن تبلغهم راوية به ، ويقبضون على بشوان وأعونه بعد أن يتمكن أحدهم من قتل عادل !!

أما عام ١٩٩٢ فقد شهد عرض أربعة أفلام من النوع النمطي القح : "فارس المدينة" لمحمد خان ، و "بنات في ورطة" لأحمد السبعاوي ، و "امرأة آيلة للسقوط" لمدحت السباعي ، و "غرام وانتقام بالساطور" لمحمد شبل .

وبرغم البصمة الفنية الجديدة المميزة لمحمد خان ، وفترته على خلق جو عام في الفيلم يستطيع أن يستغرق المتدرج ، مثلاً فعل في "خرج ولم يعد" ١٩٨٥ ، و "عودة مواطن" ١٩٨٦ ، و "سوبر ماركت" ١٩٩٠ ، فإنه في فيلم "فارس المدينة" ١٩٩٢ الذي كتب قصته أيضاً ، يرضخ تماماً لكل العناصر والحيل النمطية المستهلكة برغم أن عنوان الفيلم يوحى بغير ذلك تماماً . فالبطل اسمه فارس ، كون ثروته من تجارة العملة . ينفصل عن زوجته دلال ويتركها لتعيش مع ابنه بكر الطالب الجامعي . فقد كان فارس على علاقة بفتاة تبتز أمواله . وفي لحظة يخسر أمواله ويتحتم عليه أن يسد خسارته لصديقه المليونير أدهم . وفي حادث مفتعل يعتقد فارس أنه صدم مدرس التاريخ العجوز الذي يدخله المستشفى لعلاجه . وبعد فترة يعرف حيلة هذا المدرس الذي يلقى بنفسه أمام السيارات الفارهة ليعيش فترة في المستشفى على حساب المتسبب !! ويبيع فارس كل مشاريعه ، ويضطر صديقه المليونير لخطف ابنه حتى يسرع في السداد . ثم يكتشف أن ابنه وقع في دائرة الإدمان فتأخذه أمه إلى الخارج للعلاج . ويحدث أن

يصيب فارس إصابة كبيرة بعد أن أودع أمواله في السيارة ، ثم ينتهي الفيلم بزواجه من الممرضة التي أعجب بها ويبداً حياة جديدة !! ولعلنا نتساءل : أين هي الفروسيّة في كل هذا ؟ أم أن حظ البطل فيها هو اسمه فقط ، كعادة محمد خان في الربط بين اسم البطل وتعبير دارج وشائع بين الناس ، مثلاً فعل في " ضربة شمس " ، و " مشوار عمر " !!

في فيلم " بنات في ورطة " يدعو رجل الأعمال عاصم الصديقات الخمس رباب وعبير ودينا وزيني ونور إلى منزله للاحتفال بعيد ميلاد إداهن ، ثم يضع مخدراً لعبير وينصبها مما يتسبب في موتها . ويصدم كريم بما حدث لأخته عبير فيصاب بالجنون . ويقرر أن ينتقم منهن بعد شفائه ، وكأنه مريض بالأنفلونزا وعلى وعي كامل بما سوف يفعله بعد الشفاء . وبالفعل يشرع في ممارسة لعبة الكونت دى مونت كريستو في تنفيذ انتقامه ، فيقترب إلى الفتيات الأربع اللاتي فرق بينهن الزمن حتى ينفرد بكل منهن على حدة . فقد أصبحت نور صحفية ، ورباب فنانة تشكيلية ، ودينا متزوجة من رجل ثري ، وزيني مطربة تشق طريقها في عالم الغناء . ويرسم كريم خططاً محكمة تمكنه من قتل ثلات منهن ، إلا أنه يتم القبض عليه عندما يهم بقتل نور . أما عاصم الذي اغتصب أخته عبير وتسبب في موتها فلا نعلم عنه شيئاً فيما يتصل بخطته للانتقام !!

في فيلم " امرأة آيلة للسقوط " شارك فتاة الليل أحلام ، محسن وشاهين وليلي في عمليات سرقة ونصب ، لكنها تكف عن هذه الجرائم بعد أن تتزوج وتتجرّب . ثم يترك زوجها العمل ويصبح عاطلاً ومدمداً !! فتضيق به وتهجره وتعود إلى البنسيون الذي كانت تقيم فيه قبل زواجها ، وهناك تفاجأ بزميلتها محسن وشاهين اللذين ينجحان في إقناعها ببيع مجوهرات مسروقة ليتقاسماً قيمتها ، إلا أنها يتم القبض عليها فتشى بهما ، لكنهما يشهدان عليها بأنها قاتلة صاحبة المنزل وطفلها وسارقة لمجوهراتها . وعقب القبض عليها يكتب الصحفي شكري مقالات

يهاجم فيها أحلام وكانها قضية مصيرية للمجتمع كإسرائيل أو الإرهاب ، ثم نكتشف عذراً أقبح من ذنب هو أنه كان خطيبها السابق الذي تخلت عنه ، ولذلك يشن عليها حملة باللغة الشرasse لتصفية حسابه الشخصى التافه !! وبمنتهى البساطة يصدر الحكم بإعدامها . لكن شكرى يدرك - بمنتهى البساطة أيضاً - أن أحلام بريئة ، وأن شركاءها محسن وشريف وراء هذه الجريمة ، فيسعى بكل وسيلة لإثبات براءتها قبل أن يتم إعدامها على يد عشماوى ، بحيث يقوم هو شخصياً بدور الشرطة والقضاء !!!

فى فيلم " غرام وانتقام بالسلطور " الذى كتبه وأخرجه المخرج الراحل محمد شبل ، تعمل فتحية فى محل فتحى وماجدة ، ثم تفاجأ بابيها الذى يخبرها بوجود ثروة فى مخبئه بالمنزل ، لكنه يموت قبل أن يبوح لها بالمكان . ويعلم فتحى بذلك ، فيتفق مع حبيبته ماجدة التى تتطلع للثراء ، على الزواج من فتحية ثم قتلها ، وبذلك يرثها ويتزوجان . وعندما يعثر الزوجان على الثروة ، يخنق فتحى فتحية ويدفنه فى إحدى الحدائق . ثم يتضح أنها لم تمت ، بل تعود لتكشف زواج فتحى وماجدة . وتبدأ الحيل التى تشبه " لعب العيال " حين تلجم فتحية إلى محسن زوج صديقتها الذى يهوى صنع أقنعة من المطاط ، وكان هذه الصناعة الفنية والتكنولوجية الدقيقة والمتقدمة يمكن أن تكون مجرد هواية خاصة بفرد !! المهم أن فتحية تظهر لفتحى بأقنعة مخيفة تثير الرعب فى نفسه ، وتجعله يذهب ليتأكد من وجود الجثة ، فيفاجأ بفتحية التى تطلقه لأن العصمة فى يدها ، وكانها كانت فى حاجة إلى كل هذه الحيل كى تطلقه فى النهاية دون أن يلقى جزاءه عندما سعى لقتلها بالفعل !! فهل هناك استهانة بعقل المترجع أكثر من هذا ؟

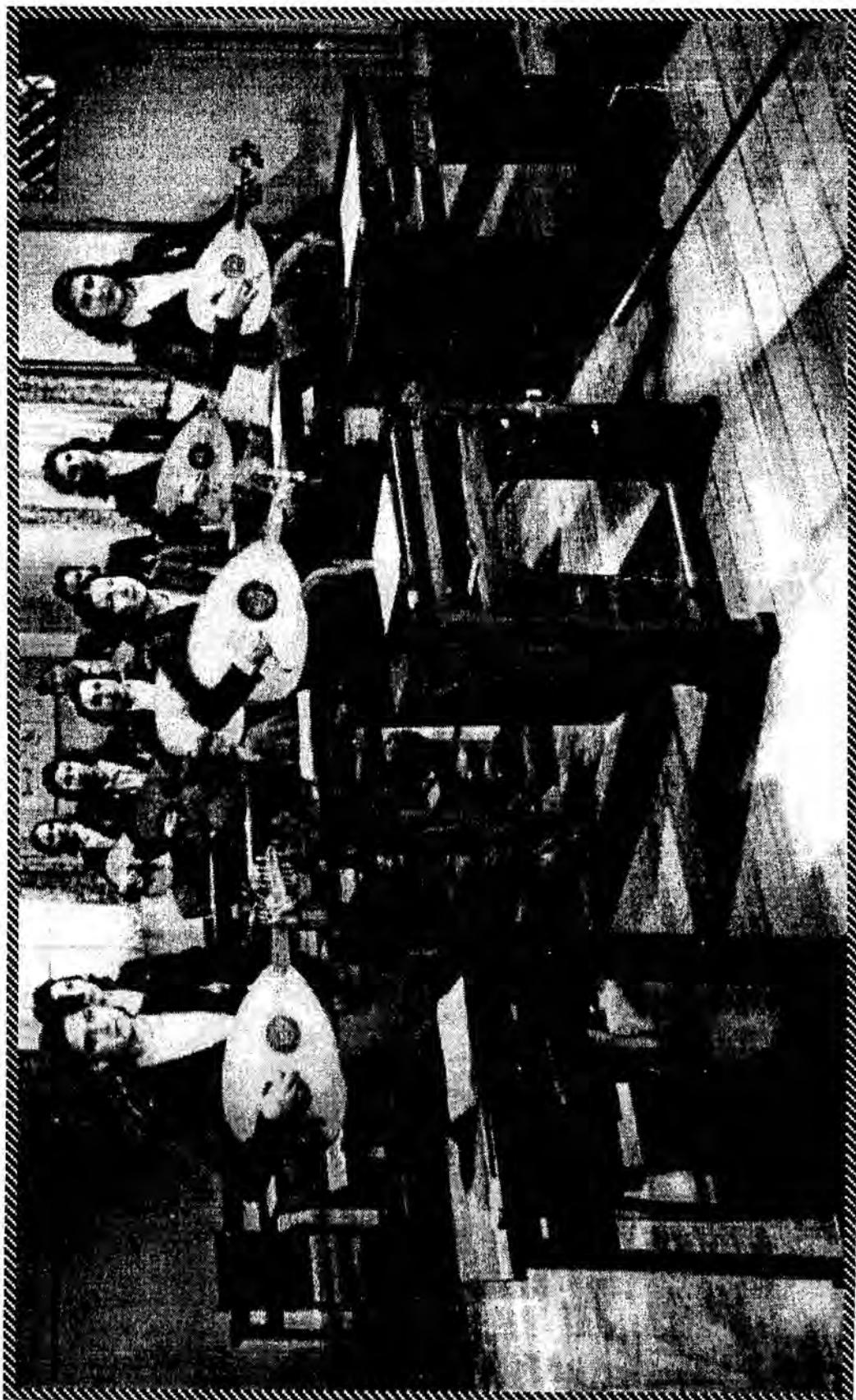
وتتوالى الأفلام النمطية ذات التوليفة المستهلكة فى التسعيينيات مثل فيلم " الزمن الصعب " لمحمد حسيب ١٩٩٣ ، و " الشرسة " لأحمد صقر ١٩٩٣ أيضاً . فى الفيلم الأول يتعرف جلال على فراج فى أثناء عملهما بالكويت ، ويسبق فراج

إلى مصر حيث يشترك مع شهبور وعباس في خطف رئيسة زوجة جلال وطفلتها وسرقة منزله !! يساومها فراج على منحه رصيدها بالبنك مقابل الإفراج عنهما فتفاوض ، إلا أنه يطمع فيها فتقاومه ويصيّبها إصابة خطيرة !! كذلك يقتل شريكه ليستحوذ على الغنيمة . ويعود زوجها جلال ويبلغ الشرطة ، كما يدرك أن فراج وراء الجريمة ، ويتوصل إلى المخابأ وينقل زوجته إلى المستشفى . كما يتم القبض على شهبور الذي يدعى أن رئيسة خانت زوجها مع فراج . ويوجه ضابط المباحث فايز تهمة قتل فراج لجلال الذي يتمكن من تهريب شهبور واحتجازه ، بل ويضعه في وضع المحكوم عليه بالشنق ليعرف بالحقيقة . وبالفعل يعترف بجرائمها وبراءة زوجته لحظة وصول رجال الشرطة ، عندئذ تخور قواه ويسقط شهبور ميتا !! وإذا كان عنوان الفيلم "الزمن الصعب" فهو زمن صعب بالفعل لأنه أنتج هذه النوعية من الأفلام !!

في فيلم "الشرسة" تتردد الممرضة سامية على أحد الأثرياء للإشراف على ترميمه ، فيلاحقها ابنه شريف . وعندما يموت الثرى تتجه سامية في إيقاع شقيقه عالم في غرامها ، فهي تطمع في الثراء وتتزوج منه بالفعل في حين يتزوج شريف من ابنة عمه وبيتز أموالها ، ثم يعاود ملاحقة سامية التي تستسلم له ببساطة ، ويؤجر شقة ليلاقيا فيها ويغدق عليها بالمال . عندئذ تكتشف الزوجة خيانة شريف فتبليغ عما علم الذي يسرع إلى الشقة بعد أن يحصل على نسخة المفتاح من الزوجة ، ويتسلل داخلها في أثناء شجار العشيق بسبب المال ، وشريف يهم بخنقها فيطعنها عالم من الخلف بسكين ويخرج في صمت ! (فهذه هي الطريقة المثلث لحل المشاكل وحسم النزاعات !!) . يصل رجال الشرطة وتتهم سامية بقتل شريف وبذلك يحقق عالم انتقامه !! (هكذا بهذه البساطة !!)

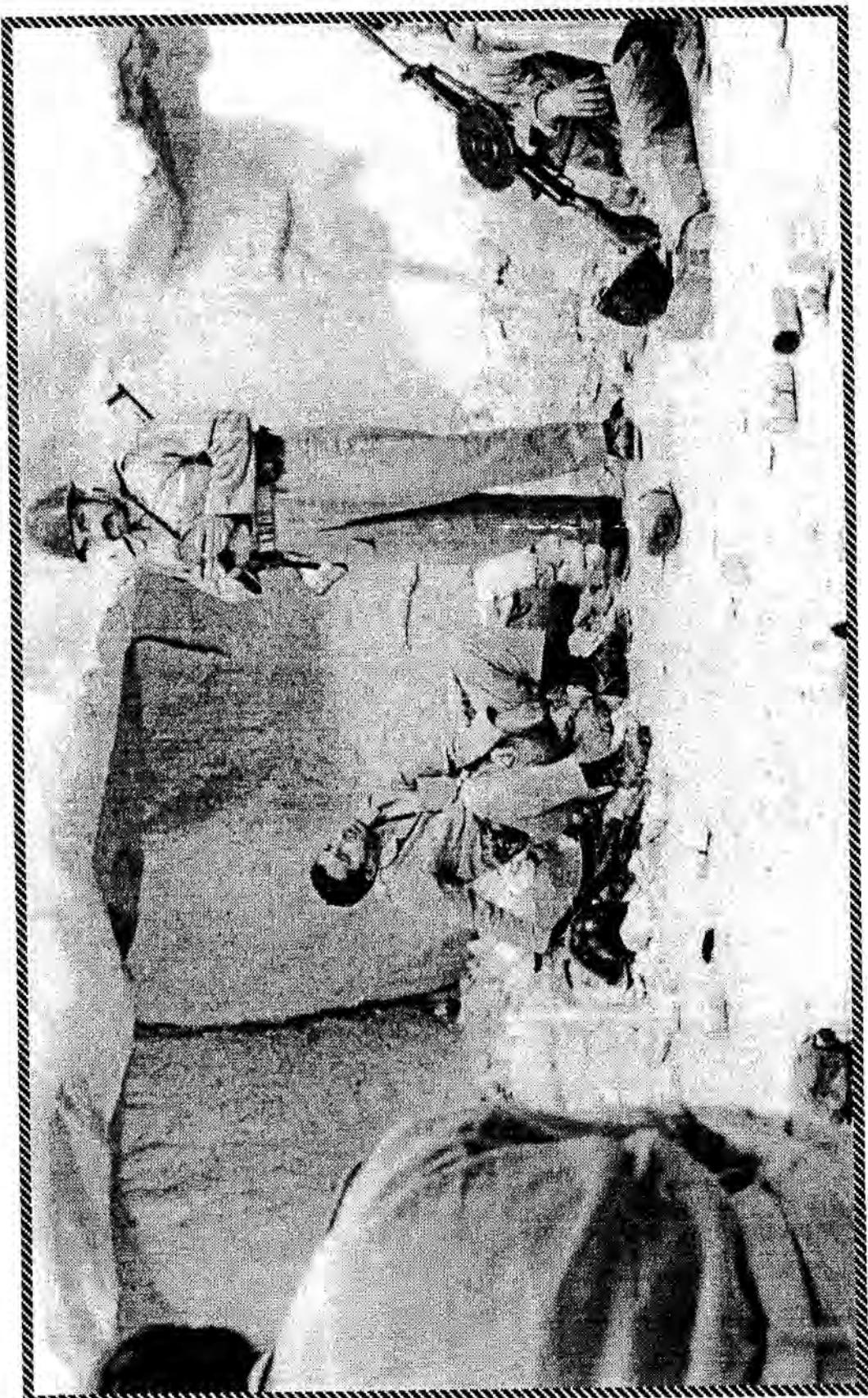
• • • •

وهذا يعني أن السينما المصرية تملك القدرة التي مكنتها من الاستمرار والعبور إلى القرن الحادى والعشرين برغم هذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية التي كثيرة ما أدخلتها في متأهلات جانبية ، ودوائر مفرغة ، وطرق مسدودة ، نتيجة للتكرار والاجترار للتيهات التي بدأت بها مسيرتها منذ أو اخر العشرينات ، وعدم التركيز على القضايا الحية والملحة للمجتمع المصرى المعاصر ، ومحاكاة النماذج الواردة من الخارج ، خاصة تلك الواردة من السينما الأمريكية ، وغير ذلك من العوائق والمعوقات التي كبلت مسيرتها ، وأبطأت من انطلاقتها برغم أنها تملك كل مقومات العراقة والخبرة والموهبة والعلم الذي تمثل في تخرج دفعات ، في كل التخصصات السينمائية ، منذ أوائل السبعينيات ، في المعهد العالى للسينما ، الذى يجب أن تتاح له الفرصة كاملة للاستفادة العلمية والعملية من مواهب خريجيه وطاقاتهم وإمكاناتهم . فإذا كانت السينما المصرية قد استطاعت مواصلة السير والتطور - إلى حد ما - برغم القوالب التي صبت فيها أفلام كثيرة ، فلابد أنها ستطلق إلى آفاق القرن الحادى والعشرين بقوة وحيوية إذا ما حطمت هذه القوالب . وهى مهمة ملقة على عاتق كل السينمائيين دون استثناء : فنانين وفنين ونقاداً الذين إذا ألقوا نظرة على الفصول التالية من هذه الدراسة التحليلية ، سيدركون كم ظلمنا هذه السينما الرائدة التي نفخر بها جميراً ، والتي كان من الممكن أن تصبح مارداً لو لم نعمل ونصر على إدخالها قمم العناصر النمطية التي أفردنا لكل عنصر منها فصلاً بأكمله ، كان من الممكن أن يكون كتاباً مستقلأً بذاته لو لم نقتصر على اختيار عينات من الأفلام التي تنهض أو تتطوى على أحد هذه العناصر بالذات .



عايدة إخراج / احمد بدرخان سنة ١٩٤٢

- ٨١ -



اغنية على المر
إخراج / على عبد الخالق



الحفيد ١٩٧٤ سنة سالم عاطف / إخراج



على من نطلق الرصاص سنة ١٩٧٥



سنة ١٩٧٥

علي من نطق الرصاص



سنة ١٩٧٥

ومضى قطار العصر



الاقدمر إخراج / هشام ابو النصر سنة ١٩٧٨



الطوق و الاسورة إخراج خيري بشارة سنة ١٩٨٦



سوق الاتوبس سنة ١٩٨٣



زوجتى والكلب سنة ١٩٧١

الفصل الثاني

الاحتال والتكر والتشابه

كان الاحتال والتكر والتشابه من الحيل والأساليب التي أقبلت عليها السينما المصرية بشهية مفتوحة بطول تاريخها ، إما لإحداث مفارقات كوميدية ، أو للهروب من مأزق خطيرة ، أو اكتشاف أسرار الآخرين ، أو الإيقاع بالمنحرفين في شر أعمالهم .. الخ .

ونظراً لأن الماكياج والحيل كانت بدائية إلى حد كبير ، فقد كان الرجل الذي يتذكر في زى امرأة أو العكس لا يقنعنا كثيراً بمصداقية شكله ومنظره ، ومع ذلك كنا نتغاضى عنها لاستمتاعنا بالمفارقات الكوميدية أو المأزق المثيرة. وقد لجأت السينما في معظم أنحاء العالم إلى استخدام حيل الاحتال والتكر والتخفى والتشابه ، لكننا لا نعتقد بالكم الهائل الذي استخدمته السينما المصرية التي كانت تميل إلى استخدام الأدوات والحيل الظاهرة ، خاصة تلك التي تحدث تأثيرات مضمونة في جمهور المشاهدين .

بدأت حيل الاحتال في السينما المصرية بفيلم "الدكتور فرحت" سيناريو وإخراج توجو مزراحي عام ١٩٣٥ ، وفيه يكلف صاحب لوكاندة أحد مستخدميه بالبحث عن ترجمان ، فيجيئه بالقروي فرحت الذي أخذ يتباطط مع نزلاء اللوكاندة. والطريف أن أحداً لا يتسائل عن مدى إمكانية هذا القروي الساذج كى يقوم بعمل

الترجمان ، فمن أجل المفارقات المضحكة يتسامه الجميع بدلاً من أن يتساموا ، سواء أكان المؤلف أو المخرج أو المتردج! ثم ندخل في لعبة الانتهال عندما يعمل الدكتور حلمى إلى البلدة ليجد أن الأهالى يظنون أن فرحته هو الدكتور حلمى الذى يطلب منه أن يقوم بانتهال شخصيته بالفعل ، كى يختبر عواطف حبيبته نونا. وعندما يصل الدكتور حلمى المزيف إلى الإسكندرية ، لا يرود فى عين نونا ، ويرفض الأب زواجهما. ثم يقدم الدكتور حلمى نفسه للعائلة على أنه مجرد موظف بسيط ، لكن نونا تقع فى غرامه بالفعل ، وفي النهاية يكشف عن شخصيته الحقيقية وينسحب الدكتور حلمى المزيف (فرحت) من حياتهما .

وفي عام ١٩٣٦ كتب بديع خيرى قصة وحوار فيلم "أشودة الراديو" الذى كتب له السيناريو وأخرجه توليو كارينى ، والذى يعاني فيه عبده الموسيقى المغمور من سوء الحظ ، برغم أن زوجته نادرة تمنع بصوت جميل وتساعده فى عمله إلا أن أرباحها قليلة. ومع افتتاح الإذاعة المصرية فى عام ١٩٣٤ ، يقرر أن يقدمها للإذاعة لاستغلال موهبها ، فى حين يلتحق أحمد - أحد تلاميذ عبده- نادرة بحبه. وعندما يمرض عم عبده ، يسافر إليه لعله يرث بعضاً من ماله لكنه يشفى ، وهناك يصله خطاب عن خيانة زوجته ، فيوهم الجميع بأنه مات منتحرأ ويختفى ، ثم يتذكر فى هيئة شخص آخر. وتعمل نادرة فى الإذاعة بمنتهى الجدية لاحتاجتها الشديدة للمال ، وينتهز أحمد الفرصة فيتقدم للزواج منها لكنها ترفض. عندئذ يتتأكد عبده من إخلاص زوجته وحبها له فيقرر العودة. والتذكر كحيلة لاختبار المشاعر الحقيقية للطرف الآخر كما فى الفيلم السابق "الدكتور فرحت" أصبح بعد ذلك من أوضح السمات التى تميز حيل التذكر والانتهال فى السينما المصرية.

وفي عام ١٩٣٧ كتب نجيب الريحانى وبديع خيرى قصة وحوار فيلم "سلامة فى خير" الذى كتب له السيناريو وأخرجه نيازى مصطفى. وفيه يذهب سلامه المحصل فى أحد المحال التجارية إلى البنك لإيداع اپراد المحل لكنه يجده

مغلقاً ، فيقع في حيرة خوفاً من ضياع الإيراد منه ، يشير عليه أحدهم بالإقامة في أحد الفنادق ، ويودع المبلغ لدى إدارة الفندق. وهناك يتقابل مع أحد النساء الذي يطلب منه أن يحل محله لأن هناك خطراً على حياته. وينجح سلامة في انتقال شخصية الأمير ويقوم بالمهمة على خير وجه. وفي النهاية يتسلم حقيبة النقود التي استبدلت بحقيقة أخرى سهواً ، بها عينات من الأقمشة ، فيطلب صاحب المحل القبض على سلامة . لكن الحقيقة تظهر ، ويسلمه الأمير مكافأة مجزية هو وصاحب المحل ، ويعود مع زوجته إلى المنزل. وكان فيلم "سلامة في خير" أول فيلم يقدم لعبة الانتحال بأسلوب سينمائي مثير ومبهر ، إذا ما قورن بالfilمين السابقين .

وفي عام ١٩٣٧ أيضاً كتب بشاره واكيم قصة وحوار فيلم "الحب المورستاني" الذي كتب له السيناريو وأخرجه ماريو فولبي ، وفيه يقع أحمد في حب إحسان ابنة رسام شهير. ويطلب أحمد من صديقه قنديل المشورة ، فينصحه بأن يذهب إلى والد حبيبته بأن خاله من المعجبين بفن العظيم ويتمنى أن يقوم الرسام برسمه ، ويتفق على أن ينتحل قنديل شخصية الحال المزعوم وعندما ينهمك الرسام في عمله ينتهز أحمد الفرصة لمقابلة حبيبته ، وبالفعل تتحقق الحيلة في البداية لكن الحقيقة تظهر في النهاية .

وفي عام ١٩٣٨ كتب أحمد جلال وأخرج فيلم "بنت الباشا المدير" الذي تتدحر فيه أحوال حكمت وأخوها لدرجة أنها يبيعان أثاث منزلاً . وعندما يحصل الأخ على وظيفة ، يصاب في حادث وهو في طريقه لاستلامها وينقل للمستشفى. عندئذ تتكر حكمت في زي رجل للحصول على وظيفة مدرسة لأولاد الباشا باسم حكمت أفندي!! وتنقابل مع أولاد توفيق باشا الذي آثر العناية بأرضه. وتقع ابنة الباشا في حب الشاب حكمت في حين أنها تحب توفيق . وتتضح الحقيقة -ولابد أن تتضح - ويتزوج توفيق من حكمت وبدرية بمن تحب .

فى عام ١٩٣٨ أيضاً كتب فؤاد الجزائرى وأخرج فيلم "بحب باشا" الذى قدم فيه لأول مرة لعبة التشابه أو الشبيه الذى يترتب على وجوده سلسلة من مواقف سوء التفاهم وربما الرعب أيضاً. فيه يدير بحب وأم أحمد كازينو للرقص والغناء. ويتردد عليه عائلة غراب باشا الذى يكرهه عبد الموجود باشا لدرجة أنه يحاول قتل بحب للشبيه الشديد بينه وبين غراب. ومن هذا التشابه تنتج مواقف كوميدية أما أم أحمد فتسولى على الباشا ، وفي النهاية ينكشف الموقف ويعود كل زوج إلى زوجته . وغنى عن الذكر أن الممثل فى هذه الحالة يقوم بدور الشخصيتين فى آن واحد ، وعليه أن يتقمص الملامح والسمات الشخصية والسلوكية لكل منهما حتى تبدو الفوارق بينهما برغم التشابه الشديد الذى لا يخرج عن حدود المظهر الخارجى.

فى عام ١٩٣٩ كتب توجو مزراحي وأخرج فيلم "عثمان وعلى" الذى لعب بطولته على الكسار الذى تخصص فى شخصية عثمان عبد الباسط ، كما تخصص فوزى الجزائرى فى شخصية المعلم بحب ، كما لمسنا فى الفيلم السابق الذى أخرجه له أخوه فؤاد الجزائرى . فى هذا الفيلم يتم طرد عثمان عبد الباسط وزميله بندق من عملهما فى مصلحة التليفونات بسبب ياسمينة الخادمة التى توقع عثمان فى حبها . ثم يعملان فى أجزخانة ، وفي أثناء ذهابهما إليها تقع عليهما "مرتبة" فيغمى على عثمان ، ويراه موظفو الشركة التى يعمل بها على بك مديراً ، والذى يسافر فى إجازة مع عشيقته . ونظراً للشبيه الكبير بينهما يعامله الجميع على أنه المدير ، مما يؤدى إلى كثير من المفارقات المضحكة فى البيت والعمل. ثم يكتشف الجميع سرقة خزانة الشركة ، فتتجه العيون نحوه متهمة إياه بالسرقة ، لكن عثمان يتمكن من الهرب ، وتتضارب الأقوال والشكوك : هل هو عثمان عبد الباسط أم على بك ؟! وعندما يعود على بك من الخارج يتم القبض عليه فى حين يتمكن عثمان من القبض على السارق ، ويكتشف الجميع الحقيقة .

فى عام ١٩٤١ كتب بديع خيرى ونجيب الريحانى قصة وحوار فيلم "سى عمر" الذى كتب له السيناريو وأخرجه نيازى مصطفى. فيه يطرد ناظر عزبة عمر الألفى باشا ، الموظف البسيط جابر بعد أن يكتشف تزويراً فى الحسابات . ويحدث أن ينقابل جابر مع برلننى التى تلاحظ الشبه الكبير بينه وبين زوجها الغائب عمر. وبناء على مشورة أحد المحامين ، توهם أسرة عمر أنه على قيد الحياة ، ويعيش فى الهند ، ثم تتفق مع جابر على انتقال شخصية عمر. وتسقطبه العائلة بترحاب ، لكن جميل بك أحد الأقارب يكشف حقيقة عمر ، ويواجهه بعمليات الاختلاس التى يقوم بها ، فى حين يصل عمر الحقيقى وتفع مفارقات بينه وبين جابر الذى يكشف له مدى التسipp والاختلاس فى أمور العزبة. وفي النهاية يكتشف مدى ولاء جابر الذى يزوجه من أخته لولا .

وفى نفس العام (١٩٤١) كتب يوسف وهبى وأخرج فيلم "عريس من استبول" عن شاب من استبول له قريبة فى مصر ، ويطلب جده زواجه منها وإلا حرمه من الميراث . فقد كان مستهتراً لا يتحمل الحياة الزوجية ، لكن يمتنى لأوامر جده ، ويصل إلى مصر بصحبة عمه وسائق سيارته ، وإذا بالفتاة المرشحة للزواج منه ترفض الارتباط به لأنها لا تعرفه ، بل وتفق مع خادمتها على أن تتحول شخصيتها وتقوم بدورها . ويدعىان للشاب أن الفتاة التى سيتزوجها تعيش فى الريف ، ويفعل الشاب نفس الشىء بحيث ينتحل السائق شخصية السيد . وبعد عدة مفارقات تترتب على هذا الانتحال المزدوج ، تتضح الحقيقة ويتزوج الشاب من الفتاة ، والسائق من الخادمة ، والعم من زوجة أخيه المتوفى .

فى عام ١٩٤٢ كتب أحمد جلال وأخرج فيلم "العرис الخامس" الذى تصبح فيه بهيرة الأرملة الثرية محطة أنظار طلاب الثروة ، رشيد وعزيز وحسنى وصفوت وغيرهم ، فترحل إلى عزبتها لتبث فى هدوء عن كل من طلب الزواج منها ، ولتجد منهم الغارق فى الديون ، والطائش ، والمزور ، فترفضهم جميعاً

وتسافر إلى الأقصر بحيث تلتقي بشاب فقير ، فتتحول شخصية وصيفة السيدة الثرية لكنه ثرى يتذكر هو الآخر في شخصية الشاب الفقير كى يهتدى إلى زوجة مخلصة تحبه لشخصه وليس لثروته .

فى عام ١٩٤٥ كتب أحمد جلال وأخرج فيلم "أميرة الأحلام" الذى يعود فيه إلى لعبة الاتصال القائم على التشابه هذه المرة ، وذلك من خلال شخصية حميدة بائعة الفاكهة الفقيرة التى تشبه إلى حد كبير الأميرة نور الصباح . وفي أحد الأيام يضيق أحد الشبان حميدة فتضطر للهرب إلى الفندق القريب حيث كانت تنزل به بالصدفة الأميرة صباح التى تلتقي بحميدة وترجوها أن ترتب لها فى حضور إحدى الحفلات العامة . وتوافق وتحضر الحفل الذى تقابل فيه شاباً يعجب بها ، لكن أحمد جلال لا ينجرف وراء التيار الرومانسى الجارف فى زمانه ، والذى يرى فى الحب طاقة قادرة على اجتياز كل الحواجز الاجتماعية ، بل يفضل عليه النظرة الواقعية التى تضع الأمور فى نصابها الطبيعي . ولذلك ينكشف السر فى النهاية وتعود حميدة من حيث أتت .

فى نفس العام (١٩٤٥) يخرج نيازى مصطفى فيلم "الأنسة بوسة" الذى يتطرف فيه أبو السعود الإبيارى فى لعبة الاتصال بهدف اختبار المشاعر الحقيقية للطرف الآخر ، وذلك من خلال شخصية فوزى باشا المليونير الذى يدرك جيداً أن الناس لا تحترمه إلا لثروته ، فيفكر فى حيلة يختبر بها معارفه ، فيدعى الإفلاس ليختار لابنته زوجاً لا يطمع فى ثروتها ، ولكى يؤكد حقيقة ادعائه ، يسكن فى شقة فى حى شعبى ، وينتقل فى الطرق بالبيانو تصاحبه ابنته بالغناء . ويحدث أن تقع الابنة فى حب شاب من عائلة كبيرة وينوى أن يتزوجها برغم فقرها . وبالطبع يعارض والداه إلا أن الابن يصر على موقفه ، وتنكشف لهم حقيقة فوزى فيوافقان على زواجهما .

فى العام نفسه (١٩٤٥) أخرج أحمد بدرخان فيلم "شهر العسل" الذى كتب قصته والسيناريو أيضا ، فى حين ترك الحوار ليوسف جوهر . وفيه تضطر هناء لقبول الزواج من نديم لأنه ثرى ويمكنه أن ينقذ أسرتها من الديون . وفي إحدى الحلقات يغنى ويتصادف أن توجد فتاة أخرى اسمها جمالات ، تشبه هناء . وينسبب هذا التشابه فى سوء التفاهم التقليدى حين يتعرف المطرب فريد على جمالات . ثم يتبع الأمر على خطيبى الفتاتين : هناء وجمالات بحيث يظن كل منها أن الأخرى خطيبته . وتذهب الائتنان إلى منزل فريد ، وهناك تبدأ المفاجآت وسوء الفهم . ويقع فريد فى ورطة وينتهى الأمر بأن يقع نديم فى حبها . وفي نهاية الفيلم يتزوج فريد من هناء وينجح فى إنقاذ أسرتها من الديون .

ويبدو أن عام ١٩٤٥ هو عام أفلام الانتحال والتكر والتشابه ، فيه أيضا يخرج إبراهيم لاما فيلم "البيه المزيف" الذى يقدم فيه ثلاث شخصيات متشابهة دفعة واحدة !! منير الممثل الذى ينتحل شخصية البيه المزيف ، وحسن بك ، وشقيق منير . ويحدث أن يشاهد سكرتير حسن ، منير على المسرح ويفاجأ بالشبيه الكبير بينه وبين رئيسه . ويحدث أن يسافر حسن إلى الحبشة بعد أن يعقد صفقة مع أحد الأغنياء ويوصى سكرتيره ألا يخبر أحداً بسفره . ويتردد هذا الغنى على المكتب ويلح على مقابلة حسن ، وحتى لا يتطرق الشك إليه يطلب من منير أن ينتحل شخصية حسن بك وأن يقوم بعمله ، فيسبب الكثير من الحيرة لموظفي مكتبه لاختلاف عاداته وأخلاقه . وينتصدف أن يعود حسن يوم ميلاد زوجته ليفاجأ بمنير وقد أقام حفلاً كبيراً . ويسارع السكرتير لشرح لحسن كل شيء . كان حسن يشك فى زوجته ، ولذلك يخفى عنها خبر عودته لكنه يجدها ما تزال وفية ، كما يعود منير إلى حبيبته .

فى عام ١٩٤٦ يخرج عباس كامل فيلم "صاحب بالين" الذى يضيق فيه المنجد بمعيشه وعائلته وينتصدف أن يصاب أحد الأثرياء فى حادث سيارة ، كما

تشاء الظروف أن يكون شبيهاً للمنجد . ويتفقان أن ينتحل كل منهما شخصية الآخر ، بحيث يعيش المنجد حياة البذخ والثراء والرفاهة التي تسبب له الكثير من المشاكل وتحرمه راحة البال ، طبقاً للمقوله التي سادت السينما المصرية منذ بدايتها وحتى الخمسينيات ، والتي تؤكد أن الغنى هم ونكد وكآبة ووجع قلب ، أما الفقر فهو راحة البال والسعادة والجنة بعينها !! لدرجة أن المنجد في نهاية الفيلم يترجى الثرى الذي حل محله أن يرجع إلى قصره !!

في عام ١٩٤٦ أيضاً كتب أنور وجدى وأخرج فيلم "ليلي بنت الأغنياء" والذي تهرب فيه فتاة من أسرة كبيرة في ليلة زفافها من زوج دميم فرضته عليها زوجة أبيها المستبدة . وتذهب الفتاة إلى قرية في الريف لتعيش فيها في زى فلاحه فقيرة . ويكتشفها صحفي شاب ولا يلبي الحب أن يربط بينه وبينها . وتعود الفتاة إلى بيت أبيها لكن زوجة الأب المستبدة ترغمها مرة أخرى على الزواج من الشاب الذي هربت منه في المرة السابقة . ويوشك الزواج أن يتم لو لا تدخل الصحفي وبمساعدة أبيها بحيث تتوقف إجراءات الزواج وتتزوج الصحفي .

في نفس العام (١٩٤٦) يخرج محمد كريم فيلم " أصحاب السعادة" الذي يسقط فيه رجل الأعمال مريضاً نتيجة للإجهاد الشديد . ويستدعي وكيل دائنته وكلفه بالاتصال بابنه في بيروت للحضور . يصل الابن ومعه خطيبته التي يتركها في الفندق ويذهب لرؤية أبيه . وعندما يعود لا يجدها . يبحث عنها في كل مكان ولكن بدون جدوى !! في حين يلح والده على رؤية الخطيبة . عندئذ يتعرف الابن على فتاة أخرى ويطلب منها أن تتحل شخصية الخطيبة فتوافق . يعجب الأب بالفتاة التي ملأت حياته بالبشر والتفاؤل والحيوية ، وطردت منها الكآبة والحزن . لكن الابن يطردها ، وتفصل من عملها ، وتعود إلى الإسكندرية . يسارع وكيل دائنة إلى كشف الحقيقة للأب الذي يسافر إليها ويتوصل إلى مكانها ويعلن زواجه منها .

في عام ١٩٤٧ يعود أحمد جلال إلى لعبة الانتحال في فيلم "عودة الغائب" الذي يفر فيه الغلام من منزل أبيه ، وتموت الأم حسرة عليه ، ويعيش أبوه وأخته بعده في حزن . تذكر لهما الأيام وتسوء أحوالهما ، في حين كان أملهما أن يعود الغائب . فجأة يهبط على المنزل فتى أفاق ينتحل اسم الغائب وشخصيته ، ولكن ما أن يرى الأب الطيب والأخت الوديعة حتى يفيض قلبه بالتنويم والحب ، ويكرس حياته لخدمتهما وإسعادهما !! بل ويحب الفتاة التي تظنه أخاهما . ثم يحدث أن يعود الغائب الحقيقي مما يضع الفتى على حافة الفضيحة ، لكن الأقدار التي قذفت به إلى ذلك المنزل مجرماً ، هي التي جعلته شريفاً ، ولذلك لا يخذه بل ويتزوج أخته ويعيش سعيداً .

في نفس العام (١٩٤٧) يخرج حلمى رفلة فيلم "العقل في أجازة" الذي ينتحل فيه شاب ثرى شخصية سائق يعمل في خدمة فتاة أرستقراطية لأنه يحبها ولا يستطيع أن يبتعد عنها ، ولكنها تهمله وتعبر بمشاعره ، فهى مخطوبة لشاب يوهمها بامتلاك العديد من الأ Ferdna ، كما أنها توهمه بامتلاك ثروة طائلة ، وذلك بهدف إنقاذ أهلها من هاوية الإفلاس وعندما تكتشف حقائق الأسرة وسوء تصرفاتها وعجرفتها أمام الشاب المتذكر في وظيفة السائق فإنه يتركها غير آسف عليها ، بل ويقابل فتاة طيبة تحبه وتخلص له فيتزوجها ويسعد بها ، أما الفتاة الأرستقراطية فتتدبر حظها من ضياع أموال الشاب من بين يديها .

في عام ١٩٤٧ أيضاً يخرج حسن فوزى ويكتب فيلم "صباح الخير" الذي تعجب فيه مطربة مصرية بمطرب لبناني دون أن تراه ، ويحاول الزوج أن يعرف سر هذا الإعجاب فيحضر إليها منتحلاً شخصية هذا المطرب اللبناني ، ويحاول إغراءها لكنها تصدأه . وتشاء الصدف أن يحضر المطرب اللبناني بالفعل إلى القاهرة ويلتقي بالزوج والزوجة التي تثور عليه عند مقابلتها الأولى بعد سوء التفاهم الذي وقع نتيجة لما فعله الزوج ، وينتهي الفيلم بأن يتأكد الزوج من حب زوجته وإخلاصها له ، في حين يتزوج اللبناني من ابنة عمه .

وفي العام التالي (١٩٤٨) يكتب حسين فوزى ويخرج فيلم "بلبل أفندي" الذى يجرب فيه لعبة التشابه بعد أن جرب فى فيلمه السابق "صباح الخير" لعبه الاتصال . ففى "بلبل أفندي" تتزوج الممثلة كواكب من محب بك الترى العجوز الذى أنجب ابناً من زوجته الأولى . تترك كواكب البلاتوه فى أثناء تصوير فيلمها ، فتقوم الفتاة الفقيرة بطة شبيهة كواكب بالدور ، لكنها تخفي هذا الأمر عن خطيبها بلبل أفندي ، وتوacial كواكب غيها فتقرر السفر مع عشيقها بل وتتبرأ بذلك لزوجها الذى يصاب بنبوبة قلبية . لكن ابنته تتفى إلى جواره وتطلب من بطة أن تقوم بدور الزوجة ، فتوافق بطة وتنتظر بالندم والتوبة حتى تتحسن نفسيته ويختار الأزمة . ويحدث أن يسافر بلبل إلى الأقصر ويخبر كواكب أن عشيقها يحاول سرقة مجوهراتها . وعندما تتحرر كواكب يتهم بلبل بقتلها ، لكن الحقيقة تظهر وتعود بطة إلى حبيبها .

أما عام ١٩٤٩ فقد أكد أن شعبية تيمة الاتصال والتكرار والتشابه كانت آخذة فى الانشار والرسوخ بين سينمائيين كثيرين لدرجة أن هذا العام وحده شهد عرض سبعة أفلام تتخذ من هذا المضمون تيمة أساسية لها : "صاحبة الملائم" لعز الدين ذو الفقار ، و"جواهر" لمحمد عبد الجود ، و"لهاليبو" لحسين فوزى ، و"منديل الحلو" لعباس كامل ، و"فاطمة وماريكا وراشيل" لحلمى رفلة ، و"على قد لحافك" لفؤاد شبل ، و"إوعى المحفظة" لمحمود إسماعيل .

فى فيلم "صاحبة الملائم" يقدم عز الدين ذو الفقار ثلاث أخوات لا يمتلكن سوى خمسمائة جنيه ، فى حين أنهن يهدفن أن يتزوجن من شبان أثرياء ، لكن لو قسم المبلغ بينهن فلن تستطيع أى واحدة منهم أن تتصيد عريسها المنتظر . ولذلك يتفقن على أن تتحل سهام شخصية مليونيرة ، فى حين تتحل نبيلة شخصية سكرتيرتها وسنية وصيفتها . ويستأجرن جناحاً فى أحد الفنادق . ويحدث أن تحب سهام سمير الذى يدعى الثراء ، فى حين يحب المليونير كمال نبيلة وكذلك تحب

سنن عذر سكريتير المليونير . وينتج عن الانتهال مواقف عديدة زاخرة بسوء الفهم بين الأخوات وأحبابهن لكنها تنتهي بزواج كل فتاة بحبيبيها .

فى فيلم " جواهر " يمزج المخرج محمد عبد الجاد بين الانتهال والفانتازيا الكوميدية عندما يدعى اللسان أنهمًا ملكان . فالفيلم يدور حول بخيل يفتر على ابنته لدرجة تباعد بينه وبينها . ويحدث أن يغمى عليه فيسرع أهله بنقله إلى القبر اعتقاداً منه أنه توفي . وهناك يفتح القبر عليه لسان يدعى أنهمًا ملكان قد جاء لحسابه على بخله ، فيقسم الرجل أن يصبح كريماً بل ومسرفاً إذا عاد إلى الدنيا ، وأن يعطيهما مقابل هذا نصف ثروته . وينفذ اللسان وعدهما ، فيعودان به إلى الدنيا ، وهناك يجد ابنته قد تغير حالها وأصبحت شديدة الإسراف . وكانت تحفل بزواجهما فيبارك هذا الزواج ، وكان الإسراف فضيلة تستحق المباركة !!

فى فيلم " لهالبيو " الذى كتبه وأخرجه حسين فوزى ، يمارس مرة أخرى لعبة التكر المفضلة عنده من خلال شخصية إلهام فتاة الاستعراض فى فرقة حنفى الذى يغار عليها من ملاحقة أمين ابن الباشا لها . فهو الذى تولى تربيتها وتدربيها على فنون الاستعراض منذ طفولتها . فهى ابنة مجدى باشا الذى تزوج أمها لاعبة الأكروبات برغم معارضة أبيه البasha وطردها لها . وعندما يموت والدها يتکفلها حنفى الذى يقرر الذهاب بها إلى جدها الذى يكره النساء ، ولذلك فهى تترک فى ثياب شاب يتعلق به الجد بصفته حفيده العائد . لكن حنفى يشرع فى تهديد إلهام بكشف سرها كى يبتز جدها . يتفهم أمين سر تصرف إلهام فى حين يضغط عليها حنفى لتعلن راقصة ، ويقع البasha فى حبها ، ويبدأ الصراع عليها بينه وبين أمين . عندئذ تقرر ترك القصر ، لكن الجد يكتشف سرها فيعيدها بعد أن يتغير موقفه من النساء ويبارك زواجهما من أمين .

فى فيلم " منديل الحلو " الذى كتبه وأخرجه عباس كامل ، تعود تيمة التشابه كأقوى ما تكون من خلال سوء التفاهم الذى ينتج عن التشابه بين الراقصة قطر

الندى وعزيزه التى تعيش مع أمها ، وتحب الأسطى عزوز الذى يخطبها مما يثير حقد الأسطى نعيم الحلق الذى يحبها أيضا ويستغل التشابه ويدبر مكيدة عندما يخبر عزوز أن عزيزة تعمل بعلمه ليلى تحت اسم قطر الندى ، فيهجرها عزوز . أما المليونير شنابك فيقع فى حب قطر الندى ويهديها جوهرة ثمينة ، فى حين يدبر مدير المسرح حيلة للاستيلاء على الجوهرة ، ويستغل التشابه بين قطر الندى وعزيزه بدوره ويطلب أن ترقص بدلاً منها . ويستغل المدير انشغال قطر الندى بالبحث عن حقيقة عزيزة فيسرق الجوهرة . وتقع تهمة السرقة على الأسطى عزوز وشقيقته فيتم القبض عليهما ، لكن الحقيقة تتضح ، وتتزوج عزيزة من الأسطى عزوز بعد أن ثبتت له براءتها .

فى فيلم "فاطمة وماريكا وراشيل" لحلمى رفلة يلعب فتى مستهتر بقلوب الفتيات ، ولا يستطيع أبوه أن يجبره على الزواج . يتعرف على راشيل فيدعى أن اسمه يوسف ، وعندما تبدأ فى استئراف ماله ، يتعرف على ماريكا اليونانية فيوهمها أنه من أصل يونانى فتقع فى غرامه ، وفى يوم خطبته لماريكا تحضر راشيل فينكشف أمره . عندئذ يصر والده على تزويجه من فاطمة المصرية وإلا سيحرمه من الميراث فيتذكر فى زى فلاج ويذهب لمقابلتها وكله أمل أن ترفضه عندما تراه فى هذا الزى . وكانت هى بدورها تخطط بهدف أن تجعله يتغير من هذا الزواج إلا أن كل طرف يعجب بالطرف الآخر ويتزوجان .

فى فيلم "على قد لحافك" يمارس المخرج فؤاد شبل لعبة التكر المتبادل من خلال شخصية قطاييف ابنة سمارة العالمة ، والتى تتعطش لحياة البذخ والترف ، ولذلك فهى لا تستجيب لحب حسين الموسيقى الفقير لها ، وتسعد عندما تتعرف على شاب يدعى أنه محسن بك والحقيقة أنه سائقه ربيع ، فى حين تدعى قطاييف أنها ابنة كبير باشا ، بل وتنتهز فرصة سفر أسرة كبير باشا وتقيم حفلًا للأسرتين فى قصره . لكن أسرة وجيه

خطيب أمانى ابنة بكرى باشا تحضر فجأة ، وتكشف حقيقة الأسرة المزيفة ، وترتزوج قطائف من ربيع الذى ينتمى إلى نفس طبقتها .

فى فيلم "أوعى المحظة" لمحمود إسماعيل يتأكد لدينا أن معظم حيل الانتحال والتكرر كانت بهدف الفوز فوق الحواجز الطبقية أو الحصول على أكبر قدر ممكن من المال ، سواء بالزواج أو بالخداع . ففى هذا الفيلم ينزل المحتال فى فندق وهو ينتحل شخصية رجل ثرى من رجال الأعمال ويصادف امرأة جميلة تتمثل هى الأخرى شخصية ثرية ، وهى فى حقيقة الأمر محتالة أيضا . وينتفق الالتباس على أن يعملا يداً واحدة ويقع اختيارهما على رجل هندى ثرى من نزلاء الفندق . وبعد عدة حوادث يتضح أن هذا الرجل ما هو إلا محتال كبير ، وتبغض الشرطة عليهم جمياً .

وفي عقد الخمسينات يقدم حسين فوزى فيلم "سيبوني أغنى" عام ١٩٥٠ والذى ينهض على الانتحال المتبادل من خلال شخصيتى توتة وهند ، إذ أن توتة فتاة تعشق الموسيقى والغناء أما زميلتها هند فتعشق الآداب والفلسفة . يرسلهما والدهما من لبنان إلى مصر ليتولى صديقه إدخال كل منهما المعهد الذى يختاره لهما !! ويبعدو الانتحال هنا فى منتهى السذاجة والاستهانة بعقل المترجع عندما تتفقان أن تحل كل منهما مكان الأخرى فى المعهد الذى يختاره الأهل لهما ، لأن السؤال البسيط الذى يمكن أن يدور فى ذهن المترجع العادى : ولماذا لا تختار كل منها المعهد الذى تحب أن تدرس فيه طالما أن المعهدان مقبولين من الأهل ؟! المهم أن توتة تصبح مغنية ، وهند أدبية ، ونتيجة تداخل واستبدال شخصية بشخصية أخرى ، يحدث العديد من اللبس وسوء الفهم إلى أن ينتهى الفيلم بأن يقتطع الأهل بأن تسير كل فتاة حسب هواها وميلها الفنى والدراسي .

فى العام نفسه (١٩٥٠) قدم أحمد بدرخان فيلم "أنا وأنت" الذى يعتمد على الانتحال بالتلليفون من خلال قصة غرام تتشاوى بين مطر ب وراقصة عن طريق

التليفون ، فكل منها يختبر الآخر . ينتحل المطرب شخصية الخادم ، ويدعى أنه المحب الولهان الذى يحادث حبيبته فى التليفون وأنه صاحب الصوت الجميل ، فى حين تقدم الراقصة خادمتها على أنها الحبيبة التى كانت تستمع إلى صوت المطرب يومياً فى التليفون . وعندما يجد كل منها صدى فى قلبه ، يلتئم شملهما بعد قصة حب طويلة من خلال المحادثات التليفونية .

كما يقدم فؤاد شبل فى نفس العام (١٩٥٠) فيلم " حماتك تحبك " الذى يقوم فيه بافتعال نوع من الانتهال متطرف فى السذاجة وحال تماماً من أى نوع من المصداقية . ففيه يذهب حميدو سائق التاكسي إلى فيلا أحد الأثرياء ليعيد حافظته التى تركها سهواً فى سيارته . ويطلب منه الثرى أن يحل محله لأن زوج صديقه سوف يحضر وما عليه إلا أن يواجه زوج الصديقة !! وتنعد الأمور ، ولا يستطيع حميدو أن ينجو من هذه المواقف ، ويقاد اليأس يستولى عليه ، لكن الحقيقة تتضح أخيراً .

فى عام ١٩٥١ أخرج هنرى بركات فيلم " ورد الغرام " الذى يتقدم فيه لطيف ابن عبد الغنى لخطبة إلهام ابنة تيسير بك فترفضه . يثور لطيف ويشيع عنها سوء سلوكها وعلاقتها الغرامية المتعددة ، ويرفع تيسير قضية تعويض . ثم يتفق لطيف مع ابن خاله الطيار ماهر على تمثيل دور المحب حتى يتمكن من كسب القضية لهم . يتودد إليها فتتشا علاقه تقلب إلى حب جارف ويقرر الزواج منها . ويتم التقط صورة لها لكن ماهر يطلبها للزواج ، فيرسل لطيف إحدى صديقاته لتمثل دور زوجته مما يجعل إلهام تتسحب من حياته . وكالعادة تتضح الحقيقة أخيراً ، ويتم الصلح بين الأطراف المعنية ، ويتزوج ماهر من إلهام .

فى نفس العام (١٩٥١) يخرج حسن رمزى فيلم " المعلم بليل " الذى يستخدم فيه الانتهال كوسيلة للإنقاذ من ورطة أو موقف حرج ، وذلك من خلال شخصية شاب يعمل بالإخراج السينمائى ، ويستغل رجلاً ثرياً كى ينتج له فيلماً . لكن يحدث

أن تتزوج الراقصة المشهورة التي كانت تقوم ببطولة الفيلم وتعزل . ويأتي الإنقاد للخرج في شخصية المعلم ببلل صاحبة أحد الملاهي والتي تشبه الراقصة المعروفة إلى حد كبير ، فيستغل هذا الشبه لكي يحتال على الرجل الثري . وبعد أن يعلم صديق الراقصة المعروفة ، يوهمه بأنه سيجعله البطل في الفيلم . وتعود الراقصة الحقيقية من رحلة شهر العسل ، وتكتشف الحقيقة ، وتشعر المعلم ببلل وإن كانت في النهاية تتزوج من المخرج السينمائي .

وفي فيلم " الحب في خطر " (عام ١٩٥١ أيضاً) يقدم حلمى رفلة شخصية مخرج مسرحي يعهد بدور البطولة لأحدى العاملات التي تندمج في دورها اندماجاً كلياً ، وتتقمص شخصية محتاله تسطو على عقد ثمين من أحد المحال . وترتكب الجريمة فعلاً وتحاول الهرب إلى القاهرة . أى أن الانتحال الوعي في الأفلام السابقة يتتحول إلى تقمص غير واع يجعل الشخصية تتحرك تحت وطأة ما يمكن تشبثه بانفصام الشخصية .

كذلك في عام ١٩٥١ يخرج السيد زيادة فيلم " خضراء والسندياد القبلي " الذي يفقد فيه عباس عقله بعد أن ينقل إليه مدير أعماله نبأ وفاة ابنته في الخارج ، وكان يدعى ذلك كنباً !! وعندما يرى مدير الأعمال محمود الفتاة خضراء التي يظن أنها ابنة عباس لأنها تشبهها تماماً ، فيخطفها ويحتجزها في مكان مجهول لكي يمنع عباس من الرجوع إلى صوابه إذا ما رأها لكي يواصل نهب أمواله . لكن كمال الموظف بالدائرة يخلصها في حين تعود ابنة عباس الحقيقية فيرجع لأبيها رشده ويتزوج كمال من خضراء . أى أن للشبه في هذا الفيلم نتائج غير مرغوبه من الشخصيات ، ولذلك كان من الضروري إخفاوه بدلاً من استخدامه واستغلاله .

ولا يزال في عام ١٩٥١ مجال للمزيد من أفلام الانتحال والتكرر ، إذ يقدم جمال مذكر فيلم " سماعة التليفون " الذي تدبر فيه فتاة (مقلباً) بين زميلة لها وشاب ، من خلال التليفون ، إذ توحى إلى زميلتها ، وهي طالبة فقيرة أن تداعب

ابن المحامي الذى يعمل أبوه عنده. وعندما يقع فى غرامها توهّم أنه ابنة أحد كبار التجار . ويصدق الشاب لعبيتها ، لكن سرعان ما يكتشف حقيقة أمرها ، فيسخر منها فى بادئ الأمر لكن يحبها بعد ذلك ويتزوجها .

فى عام ١٩٥٢ أخرج يوسف شاهين فيلم " سيدة القطار " الذى تعلم فيه الأم خادمة عند ابنتها دون أن تعرف أنها أمها . وينتهي الفيلم بأن يربح الأب مبلغاً كبيراً ، لكنه يفقد اتزانه ويسقط من النافذة وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يخبر ابنته بحقيقة أنها أمها .

أما عام ١٩٥٣ فقد عرضت فيه أربعة أفلام حافلة بالانتحال والتكرار " غلطة العمر " لمحمود ذو الفقار و " ابن للايجار " لحلمى رفلة و " عائشة " لجمال مذكر و " اللص الشريف " لحمادة عبد الوهاب ، مما يدل على أن السينمائيين المصريين لم يملوا أبداً من حيل الانتحال والتكرار والتشابه ، ووجدوا فيها وسيلة سهلة وجاهزة لابتکار المفارقات والتحولات الدرامية .

فى فيلم " غلطة العمر " يعاني الدكتور سامي من عجرفة زوجته منيرة ويفتقد فيها الحنان الذى لمسه فى المطرية نادىء الذى تتردد على عيادته للعلاج . تشعر الزوجة بالتغييرات فى حياة سامي وانشغاله عنها وعندما تفشل فى إعادته للمنزل ، تثير له الفضائح حول علاقته بنادىء فلا يجد سامي حيلة إلا أن يشيع أنه مات !! ويتكر فى شخصية أخرى ، ويتزوج من نادىء التى تعزل الغناء . (برغم أن هذا يعتبر تزويراً فى أوراق رسمية من الناحية القانونية) . أما صاحب المسرح الذى كانت نادىء تعمل به فيلاحظها لأنه لم يستطع أن يتخلص من حبه لها ، لكنها تصدّه . وتزداد حالة الدكتور سامي سوءاً ولا يجد ملذاً له سوى بيت الله كى يغرق فيه عذابه وألامه .

فى فيلم " ابن للايجار " يعمل زعتر وملبسة فى فرقة مسرحية متنقلة يديرها جوهر ومحبوبة . ويقوم جوهر بأداء دور المنوم المغناطيسى . تطلب منه قسمة

التي تعمل عند بخاتى باشا معرفة مكان ابن الباشا الذى يختفى منذ عشرين عاماً ، فيقابل جوهر مع الباشا ويمكنه بدرجاته أن يكتسب نعمته ويدعى بأنه سيعيد إليه ابنه . يتفق مع زعتر على القيام بدور الابن المفقود ، ويواافق ليجد نفسه بين يوم وليلة بين أب طيب يهبه كل ما يريد من مال ، ويوضع فيه نعمته ، وأخت تدعى هيا محبه كل الحب . ويقوم زعتر بإدارة أعمال الباشا بكل نعمة وأمانة ، ويكتشف أن جلال خطيب هيا يتلاعب بأموال الباشا ، فيقرر أن يعيد للباشا ماله . ثم لا يستطيع أن يواصل الانتحال أكثر من هذا فيصارح الباشا ويقرر الانسحاب من حياتهم ، لكن معرفة الباشا بحقيقة تجده ينتمى به أكثر لأنه لا يطمع أن يكون له ابن بهذه الصفات الحميدة . وينتهي الفيلم بزواج زعتر من هيا والباشا من ملمسة .

فى فيلم " عائشة " يصبح الشبه خيراً وبركة للبطلة عائشة التي كان أبوها مدبولى السكير يجبرها على بيع أوراق اليانصيب مع أخيها ليستولى على القروش القليلة التي يجمعونها ليسكر بها . ويعطف عليها أحد الأثرياء ، فيشتري منها يومياً الأوراق . وعندما يرتبط بها أبوياً لأنها تشبه ابنته التي فقدتها ، يطلب من أبيها أن يرعى عائشة وتعيش معه بالفعل كابنة لقاء مرتب شهري ، وهو يحيطها بكل حب ورعاية .

فى فيلم " اللص الشريف " شابان متشابهان ، أحدهما مجرم خطير يقود عصابة تعيث فساداً فى المجتمع ، والأخر عجلاتى فقير يحب فتاة تبادله الحب ، لكن أهلهما يرفضون زواجه منها لفقره ، ويريدون زواجهما من غريم له غنى . وكالعادة فى حالات التشابه تحدث مفارقات فى حياة الشاب الفقير ، كما يحدث سوء تفاهم ، مما يضطر المجرم أن يقبض على الشاب ، ويوشك على قتله كى يحل محله فى الحياة بعد أن يقلع عن الإجرام . لكن الشرطة تقبض عليه وعلى أفراد عصابته ، وتتفذ العجلاتى الفقير ليعيش سعيداً مع حبيبته .

فى عام ١٩٥٤ قدمت السينما أربعة أفلام أخرى من أفلام الانتهال والتتكرر والتشابه : " أربع بنات وضابط " لأنور وجدى ، و " الفارس الأسود " لنيازى مصطفى ، و " حلاق بغداد " لحسين فوزى ، و " أبو الذهب " لحلمى رفلة .

فى فيلم " أربع بنات وضابط " يمتزج الانتهال بالشبه الذى كان فى أفلام كثيرة خير أداة للانتهال . ففى الفيلم تهرب أربع بنات من الإصلاحية ، ويشكل مجلس تأديب للضابط لإهماله . يصادف رجل البنات الأربع ، ويكتشف أن من بينهن فتاة تشبه بنت ثرية من عائلة عريقة تختفى من سنين . يأخذهن إلى العائلة ويدعى أنها الفتاة المختفية . تقوم الفتاة بدورها على خير وجه . وتشاء الصدف أن تكون الأم هى عمة الضابط . وعندما يزورها يفاجأ بهن ويبيوح لعمته بحقيقةهن ، لكنها تتمسك بهن لأنها تعرف الخدعة منذ البداية .

فى فيلم " الفارس الأسود " نقابل ابنة بدويين من قبيلتين قامتا بقتل أبويهما لظنهم أن زواجهما غير شرعى ، ولذلك يتذكرون لها تماماً ، فلا تجد حيلة سوى أن تتذكر وتظهر فى زى فارس ملثم بالسوداء ، وينقذ القبيلة من الأعداء ببراعته وشجاعته وحيلته . ويبحث الأعداء عن الفارس الأسود فى حين يتهم أهل القبيلة الفتاة المسكينة أنها على علاقة آثمة معه ، فيزداد غضبهم ، لكنهم فى النهاية يعرفون أنها الفارس الأسود وتبثت لقبيلة براءة والديها .

فى فيلم " حلاق بغداد " يتحول البطل شخصية مجنون لأنه يريد أن يصل إلى جارته بنت الوالى والتى يحبها !! وتقترح جاريته عليه أن تذهب إلى قصر الوالى لتكون فى خدمة ابنته لتعمل المستحيل لضم العاشقين . وتدخل الشخصيات فى مفارقات كوميدية خاصة عندما يسمح للحلاق الذى ادعى الجنون بدخول القصر

فى فيلم " أبو الذهب " يتزوج أبو الذهب من المطربة إحسان التى كان العترة ينافسها عليها ، وينجبان طفلهما . يبلغ عنه الشرطة بمساعدة صديقته أمينة التى انتحلت شخصية إحسان زوجة أبو الذهب . ويحكم عليه بالسجن فيستغل العترة

الفرصة ويطلب من إحسان أن تطلب الطلاق من أبو الذهب خاصة أنه خان العهد بينهما . ويصم أبو الذهب على الانتقام فيدعى الجنون وينقل إلى المستشفى !! حيث يلاحظ الشبه الشديد بينه وبين مأذون فيستغل الشبه !! وعندما يذهب العترة ومعه صديقته أمينة وقد انتحلت شخصية إحسان لتوقيع الطلاق ، يكتشف أبو الذهب الحيلة ، ويقبض على العترة . ويفرج عن أبو الذهب الذي يعود لإحسان بعد أن تأكد من إخلاصها وحبها .

في عام ١٩٥٥ تم إنتاج ثلاثة أفلام من نفس النوعية: "السعد وعد" لمحمد عبد الجاد ، و "ملكة النساء" لاحسان فرغل ، و "من رضى بقليله" لبهاء الدين شرف . في الفيلم الأول الذي كان له عنوان آخر هو "ما حدش واحد منها حاجة" !! يهرب شاب من الدائنين الذين يطالبونه بما عليه من ديون ، وذلك باستبدال شخصيته بشخصية ممثل انتحر غرقاً في النيل في حين يبحث عنه أحد وكلاء البنك ليسلم له الجائزة الأولى التي يستحقها . وعندما يتدخل ورثته يقعون في شباك محтал . لكن الشاب يحاول أن يكشف عن شخصيته ونوايا الورثة ، وبالفعل يقبض الجائزة ويسدد ديونه .

في فيلم "ملكة النساء" تؤسس سيدة مملكة تعتكف فيها النساء من كل الجنسيات هرباً من الرجال وقسوتهم . وتشاء الصدف أن يهبط طيار ومساعده في المنطقة ، فيعجب بفتاة تصحبه إلى المملكة متكرراً في ثياب نساء . وعندما يبحث الآخر عنه ، يقع في أيديهم وتحبه الطبيبة ، وأيضاً امرأة أخرى لكنه ينفر منها فتسجنه ، في حين يكشف الآخر أمره للملكة فيدخلوه السجن أيضاً . وعندما ينجحان في الهرب تتسابق النساء خلفهما وهن يهتفن بحياة الرجال ورغبتهم في الزواج منهم .

في فيلم "من رضى بقليله" يقرر شابان تمضية سهرة ممتعة بعيداً عن زوجتيهما ، فيتعرفان على فتاتين تحاولان ايقاعهما بعرض الزواج غير أن زوجتي

الشبابين تتقربان في زي الرجال للبحث عنهم . وتعودان بهما بعد أن تلقناهما درساً لكي لا يكررا التجربة . فالتكرر في السينما المصرية يقدم حلولاً حاسمة لقضايا مصيرية !!

ويبدو أن حلمي رفلة كان من أكثر المخرجين إقبالاً على حيل الانتهال والتكرر ، إذ أنه يقدم بمفرده أربعة أفلام من هذه النوعية في عقد الخمسينات وحده ، كان آخرها فيلم " الأرملة الطروب " ١٩٥٦ ، الراخر بحيل متعددة من الانتهال والتكرر . ففيه يذهب شاب لخطبة أرملة ثرية ، لكنها توهّمه بأنها الخادمة ، في حين تتحول الخادمة شخصية سيدتها . أما والد الأرملة فيحرص على أن تبقى ابنته أرملة حتى لا تحرم من الثروة طبقاً لوصية زوجها الراحل . ثم يتكرر شقيق الزوج في زي امرأة ليخطب الأرملة باعتباره والدة أحد موظفي الدائرة لكن أمره يفضح ، فيختطف الأرملة ليرغمها على الزواج . تهدّه بالانتحار من النافذة ، وتشترط أن يتم زواجهما من موظف الدائرة الذي تحبه وأن يترازن الشقيق لوالدهما عن نصف الثروة .

في عام ١٩٥٧ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " ابن حميده " الذي يتكرر فيه ابن حميده وزميله بصفتهما من رجال المباحث للإيقاع والقبض على عصابة لتهريب المخدرات . ولعل حيل الانتهال والتكرر التي يقوم بها رجال المباحث هي الحيل الوحيدة المقنعة تماماً للمتفرج سواء على المستوى العلمي أو العملي لأنها تنهض على أصول منهجية وأسرار حرفية ، وليس مجرد شطحات تطراً على بال شخصية وتنفعها إلى تتفيدها بمنتهى السذاجة والبدائية . ولذلك كان من المنطقي أن يعود فطين عبد الوهاب إلى مثل هذه الحيل المقنعة والمقنعة في فيلم " إسماعيل يس بوليس سري " ١٩٥٩ الذي يتخفى فيه العسكري إسماعيل والصوص بكيه ويتكرران في أكثر من شخصية ، وبعد حوادث مثيرة تقع العصابة في قبضة الشرطة . وإن كان فطين عبد الوهاب قد لجأ إلى الانتهال التقليدي في فيلم " إمسك حرامي "

١٩٥٨ الذى يواصل البلطجى فيه خداعه وخطته الاستغلالية بتقديم أسماء الواقع تحت رحمته على أنه طبيب ينجح فى كسب ثقة الجواهرجى الذى يريه جوهرة ثمينة ويتمنى البلطجى من سرقتها .

فى فيلم "شارع الحب" الذى قدمه عز الدين ذو الفقار عام ١٩٥٨ كان الانتحال أو التكر هو حبل النجاة الذى أنقذ الموسيقى الذى كان مشهوراً فى الماضى وقتل زوجته بسبب خيانتها ، فعاش مع حسب الله تحت اسم مستعار ، وعندما تكتشف الشرطة شخصيته الحقيقية كانت العقوبة قد سقطت بمضي المدة. كذلك كان التكر هو الوسيلة التى دخل بها الشاب الفقير عبد المنعم قصر الفتاة الأرستقراطية كريمة كى يدرس لها الموسيقى عندما تخفى فى شخصية رجل عجوز لا خوف منه عليها .

فى عام ١٩٥٩ قدم حسن الصيفى فيلم "حسن وماريكا" الذى استخدمت فيه حيل الانتحال والتكر بطريقة مبالغ فيها ومجوحة من خلال شخصية الشاب حسن الذى يحب ماريكا ابنة الحلاق اليونانى والتى ينافسه فى حبها الأستاذ فهلوى . ويصل خطاب من ماركو يطلب فيه يد ماريكا ، فيتكر كل من حسن وفهلوى قى شخصية ماركو!! يصل ماركو الحقيقى ويكتشف الأب حيلتهما فيهربان . ثم يدخل حسن منزل ماريكا متكرراً ، فى شخصية سيدة . فيكتشف الأب الخدعة ويلعنة الشرطة ويقبض على حسن . ثم تظهر الحقيقة الكبرى وهى أن ماريكا ليست يونانية بل مصرية اسمها بهية ووالدها متهم فى قضية قتل .

وعندما يهل عقد السينينيات ، نجد أن معظم المخرجين أقبلوا بشهية مفتوحة لدرجة مذلة على استخدام حيل الانتحال والتكر والتقمص والتشابه ، كما لو كانت الأساليب والحيل السينمائية والدرامية قد أجبت واندثرت ولم يتبق هناك سوى هذه الحيلة السطحية التى لا تحتاج إلى تكتيك معقد أو فكر عميق . صحيح أن هناك مخرجين استخدموها بأسلوب الكوميديا والفارص لتجسيد المفارقات والسلبيات

والثراء الإنسانية لكن هناك أيضاً من لجا إليها لعجزه عن بناء الفيلم على أساس عضوي ينطوى على نمو طبيعي وتطور منطقي نابع من تفاعلات الأحداث والمواضف ذاتها ، وليس مفروضاً عليها من الكاتب أو المخرج كى يوجهها الوجهة التي يصطنعها هو وليس الوجهة التي تشكل نتيجة طبيعية للسياق الدرامي والسينمائي .

شهد عام ١٩٦٠ خمسة أفلام من هذه النوعية : " سكر هانم " و " ثلاث وريثات " للسيد بدير ، و " حلق السيدات " لفطين عبد الوهاب ، و " أبو الليل " لحسام الدين مصطفى ، و " لقمة العيش " لنيازى مصطفى .

فى فيلم " سكر هانم " يتلقى نبيل مع ليلى على الزواج وأيضاً فريد مع سلوى . تصل برقية تفيد وصول عمة فريد المهاجرة لأمريكا ، ويجدان أنها فرصة لمقابلة الفتائين ، لكن العمة تعذر عن الحضور . يتذكر صديقهما الممثل سكر في زى سيدة ويدعى أنه عمة فريد فتافت السكر . وإذا بوالد فريد والمعلم شاهين يطاردان العمة المزيفة بهدف الزواج منها فى حين تصل فتافت السكر الحقيقة وتكتشف الحقيقة التي لا يستوعبها المعلم شاهين ويواصل مطاردة سكر .

فى فيلم " ثلاث وريثات " تفوز ميرفت وفوقية وكاميليا بالجائزة الأولى فى اليانصيب فيقمن فى فندق فاخر لاصطياد زوج غنى . تقوم ميرفت بدور الفتاة الغنية وفوقية وصيفتها أما كاميليا فتقوم بدور الخادمة ، تصادف ميرفت الشاب ممدوح الذى يوهمها بأنه مليونير أما فوقية فتعرف على عاصم الكاتب الروائى الفقير ، فى حين تكتفى كاميليا بمحاجلة خادم الفندق حسن . ثم تتضح الحقيقة فيعرفن أن ممدوح شاب أرستقراطى لكنه مفلس أما المليونير الحقيقي فهو عاصم !!

فى فيلم " حلق السيدات " يستدعي زيزو الكواشير لتصفييف شعر السيدة أشجان فى قصرها الفخم حيث تشكوا له عبث زوجها النصاب الأرستقراطى الذى

يخونها مع إلهام صائدة الرجال الأثرياء . يعدها زيزو بأنه سيخلصها من مشكلتها وينتحل شخصية المليونير شحتوت الذي ينقدم لإلهام ويتزوجها بالفعل لكنها تكتشف خدعته . تكافئه أشجان وتفتح له مهلا للحلاقة في فندق كبير .

في فيلم "أبو الليل" ينتحل المجرم شخصية رجل أعرج يدعى النص في حين يروع القرية بجرائمها لمدة طويلة ، بل يدخل دوار العمدة ومركز الشرطة على أنه مخبر يسعى لمساعدتهم في القبض على أبو الليل ، والحقيقة أنه يتسلط أخبار القرية كلها لكي يخطط لارتكاب جرائمه .

في فيلم "لقطة العيش" يحصل محسن على وظيفة ناظر عزبة في قرية وفي الطريق يقابل ابنة صاحب العزبة وكان من شروط الوظيفة أن يكون متزوجا فيتذكر صديقه فتحى في شخصية الزوجة !! ويحاول شرير القرية غزال أن ينتقم من ناظر العزبة وزوجته إلا أنه يفشل . وعندما تكتشف ابنة صاحب العزبة أن محسن غير متزوج يتم زواجهما بمنتهى البساطة !!

في عام ١٩٦١ عرضت ثلاثة أفلام هي "زوج بالإيجار" و"الأزواج والصيف" لعيسي كرامة و"مع الذكريات" لسعد عرفة . في الفيلم الأول يضيع مراد أمواله على الخمر ويهرج منزل الزوجية وتسوء أحواله وتتراكم عليه الديون ويصبح على وشك الإفلاس ، فيسافر إلى عمه لأخذ سلفة منه . وفي الطريق يقابل فلفل وهو محتج يشبهه تماما فيتفق معه على أن يكون بديلا له بحيث يحل محله في مكتبه ومنزله !! وبعد كل هذا السخف والتفاهم واللا معنى تعود الأمور إلى قواعدها الأولى !!

في فيلم "الأزواج والصيف" تسرق الزوجة بمفردها في أجازة صيف ويحدث أن يلتقي الزوج صدفة بصديقه من أيام العروبية ، ويذهب معها إلى بيتهما الذي تداهمه الشرطة بحثا عن زوجها المجرم الهارب فيأخذ الزوج بدلا من زوج

الصديقة المجرم ، خوفا من الفضيحة وحماته سلطة اللسان !! فهل هناك نكتة أسف من هذه !!؟

فى فيلم " مع الذكريات " يطلق شريف على خطيبته إلهام الرصاص فى مشهد سينمائى فإذا به يقتلها فعلا لاستبدال الرصاص الزائف بنخيرة حية !! تحاول آمال ابنة عمه أن تملأ حياته اعتمادا على الشبه القوى بينهما !! وبمرور الوقت تتطور علاقته بآمال إلى حب عميق !! أى أن ارتباط الإنسان وحبه للأخر ينبعان على المظهر الخارجى والملامح الشكلية وليس على الشخصية الإنسانية بأبعادها وأعمقها التى لا يمكن حصرها .

ويبدو أن نيمة الشبه قد سيطرت على سعد عرفة فكررها مرة أخرى بعد فيلم " مع الذكريات " فى فيلم " حب لا أنساه " ١٩٦٣ الذى تعيش فيه فتاة حزينة على ذكرى حبيبها الذى لا تستطيع أن تنساه ثم تصادف شابا شبيها بحبيبها فتأنس إليه لكنها تشعر بفزع يجتاحها عندما تذكر حبها الأول . تقع بين شقى الرحى : حبها الماضى وحبها النامى لكنها تحاز فى النهاية إلى الواقع الجديد !

فى فيلم " ثمن الحب " ١٩٦٣ لمحمود ذو الفقار يحرص على علوى بك على الحفاظ على ثروة الأسرة بإصراره على تزويج ابنه صلاح من زوجة عمه لكن ابنه يحب عزيزات المحامية ويكتشفها بحبه وأنه يرفض الزواج من زوجة عمه لمجرد ضمان عدم خروج الثروة من أيديهم وأنه يعمل ويعتمد على نفسه وفي مقدوره أن يتزوجها ثم يعرف الحقيقة وان السيدة التى أحبها هى زوجة عمه ويتزوجان .

كذلك شهد عام ١٩٦٣ فيلمين من أشهر الأفلام التى نجحت باستغلالهما نيمة الانتقام والتذكر : " صاحب الجلالة " لفطين عبد الوهاب ، و " الساحرة الصغيرة " لنيازى مصطفى . فى الفيلم الأول يعود فطين عبد الوهاب لنيمة فيلم " سلامة فى خير " (١٩٣٧) لنيازى مصطفى ولكن بتتويعات من نوع جديد ، إذ يزور

السلطان مارينجوس الأول مصر وينزل فى فندق مينا هاوس حيث يتم اكتشاف مؤامرة لقتل السلطان من قبل السلطان المخلوع فتتم الاستعانة بالحمل حسن للقيام بدور السلطان للشبح الشديد بينهما مقابل مبلغ كبير من المال ، ومن خلال الأحداث والمفارقات الكوميدية يقع السلطان فى الكثير من المآزق .

فى فيلم " الساحرة الصغيرة " يحكم على الأب بالسجن فى قضية خاصة بالشرف فيطلب من صديقه عصمت مقابلة ابنته مشيرة القادمة من لبنان كى ينتحل شخصية أبيها إذ أنها تقيم هناك منذ طفولتها ولم يرها أبوها منذ زمن بعيد ويقع عصمت فى حيرة إذ بمرور الأيام يشعر بالحب نحوها . كذلك فهناك سهير التى تحب عصمت ويستعدان للزواج فتشعر بالغيرة من مشيرة . وتنتحل المشكلة عندما تنتهي مدة عقوبة الأب ويعترف لمشيرة بالحقيقة فتسحب سهير ليتزوج عصمت من مشيرة .

ومن الواضح أن فى هذا الفيلم أصداء من النتيمة التى استخدمها حسن الإمام من قبل فى فيلم " قلوب الناس " ١٩٥٤ وإن كان الفرق بينهما هو الفرق بين الميلودrama والكوميديا .

وشهد عام ١٩٦٤ عدة أفلام منها " للرجال فقط " لمحمود ذو الفقار ، و " زوج فى أجازة " لمحمد عبد الجواد ، و " الابن المفقود " لمحمد كامل حسن ، و " المارد " لسيد عيسى ، و " هارب من الزواج " لحسن الصيفى .

فى فيلم " للرجال فقط " تعلم إلهام وسلوى فى معمل تحليل إحدى شركات البترول غير قانعتين بوجودهما فى هذا المعمل وتطمجان إلى القيام بالكشف عن آبار البترول فى الصحراء ، لكن مدير الشركة لا يوافق لأنها مهمة قاصرة على الرجال فى حين تعلن الشركة عن حاجتها إلى مهندسين . فتحصلان على أجازة شهر وتسافران إلى الصحراء متحلتين شخصيتى مهندسين وتنضمان إلى زملائهم الممهندسين (بهذه البساطة والسهولة !!) وتنتهى القصة بنجاحهما فى الكشف عن

آبار البترول الجديدة !! وتتزوج كل منهما من احبه قلبها بعد أن تكشف شخصيتها .

فى فيلم " زوج فى أجازة " يستخدم محمد عبد الجود إحدى نيمات الانتهال والتذكر التي استهلكت تماماً إذ يقرر عصام أن يهرب من ملل حياته الزوجية فيدعى لزوجته جمالات انه مكلف في مهمة عمل لمدة شهر في أسوان إلا أنها تكتشف خداعه وسفره إلى الإسكندرية وتشير عليها صديقتها أن تذكر كفتاة شقراء لعوب تحت اسم روزيتا وتجح في أداء الدور لدرجة أن عصام يعرض عليها الزواج فتكشف جمالات عن شخصيتها الحقيقية !!

فى فيلم " الابن المفقود " يفقد الثرى الصعيدي عبد الفتاح طفله فى حادث ولا يكف عن البحث عنه وخاصة أن أخيه إسماعيل يطمع فى ثروته بعد وفاته . ويعثر الأب على ابنه لكنه يخفي النها خشية اعتداء أخيه عليه ويحدث أن يتفق إسماعيل مع عصابة للبحث عن شاب ينتحل شخصية ابن أخيه مقابل مبلغ كبير . وتنتمكن العصابة من العثور على حسين شقيقه الابن المفقود ويقبل حسين العرض بعد تردد لأنه فى ضائقه مالية ولنتمكن من الزواج من سميرة التي يحبها ويسافر إلى الأقصر للقاء أبيه المزعوم لكن سرعان ما يكشف حسين له حقيقة شخصيته فيكافنه .

فى فيلم " المارد " يعتدى باشا فى الريف على الفلاحين وحرماتهم . يثور الأهالى ضده لكنه يتهمهم زوراً ويسجنهم . يخرج أحدهم من السجن ويذكر فى زى أبور لينتقم من مقتل أبيه . وفي نفس الوقت يذكر فى زى المارد المقنع ويهاجم ممتلكات الباشا ويرد للفلاحين حقوقهم .

فى فيلم " هارب من الزواج " يلجأ حسن الصيفى إلى نفس النيمة المستهلكة التي استخدمها محمد عبد الجود فى نفس العام فى فيلم " زوج فى أجازة " إذ يفاجأ زكى بأن أباً يخطب منه السكرتيرة الجميلة التي اختارها للزواج فيقرر أن ينتقل

من فتاة إلى أخرى دون أن يرتبط معهن بالزواج إلا أن أباه يختار أن يزوجه أمينة ابنة أحد أصدقائه والتي لا تعجبها هذه الطريقة في الزواج فتتكر في شخصية صديقتها فيعجب بها زكي ويصر على رفض أمينة الحقيقة في حين تعجب أمينة بشخصية زكي وتعترف له بحقيقة أنها ويستعدان للزواج .

ثم يأتي عام ١٩٦٦ الذي شهد لعبه الانتحال والتكر والتشابه في عدة أفلام شهيرة وناجحة مثل " صغيرة على الحب " ، و " ٣٠ يوم في السجن " ، و " جناب السفير " لنيازى مصطفى الذى كان له نصيب الأسد من هذه الأفلام . كما قدم حسن الصيفى فيلم " غرام في أغسطس " .

في فيلم " صغيرة على الحب " يعلن التليفزيون عن مسابقة لاختيار طفلة تجيد الغناء فتتكر سميحة في زي طفلة وتنقدم للمسابقة ويتم اختيار مخرج الاستعراض كمال لها وتخفي سميحة عن اختها وزوجها وخطيبها الأمر . وتمرر الوقت تشعر سميحة بالحب نحو كمال ولكي تتمتع بلحظات في صحبة كمال تظهر له بشخصيتها على أنها شقيقة سميحة الكبرى فيقع في حبها وفي النهاية يكتشف كمال حقيقة سميحة ويتزوجها .

في فيلم " ٣٠ يوم في السجن " المأخوذ عن مسرحية نجيب الريhani الشهيرة يعمل أمشير فتورة في الكباريه الذي يمتلكه صديقه الثرى مدحت الذي يحكم عليه بالسجن شهر بعد إصابته لأحد الأشخاص ويدخل أمشير بدلا منه ليقضى مدة العقوبة في حين يتودد مدحت لأزهار ، فتكتشف خطيبته سهير نزواته وتفسخ الخطبة وتتزوج من أمشير الذي تعجب به .

في فيلم " جناب السفير " يقوم سفير دولة فيحان برحمة خارج البلاد ويستغل خادم السفاره غيابه فيرتدى ملابسه ويحدث إحدى الموظفات على ارتداء ملابس حرم السفير أيضاً كنوع من التسلية المثيرة التي يمكن أن تترتب على هذا التكر لكن التكر يتسبب في ارباك شديد عندما يصل السفاره عدد من سفراء بلاد أخرى

لمقابلة السفير . (وإن كان من المفروض أن مثل هذه المواعيد واللقاءات تحدد سلفا خاصة في السلك الدبلوماسي !!) المهم أن السفراء يظنون أن الخادم هو السفير فيجاريهم بل ويجرؤن معه محاديث واتفاقات مهمة !!! بل إن الأدهى من هذا أن السفير يصل ويكتشف ما فعله خادمه فيشكره لإجراء صفقات اقتصادية هامة مع السفراء لمصلحة بلاده !!! (ولا نعلم من أين أتى الخادم بهذه الخبرة الدبلوماسية الرفيعة !!) إذ يبدو أنها إرادة الكاتب والمخرج !!

في فيلم " غرام في أغسطس " نعود - بلا ملل - إلى تيمة الشبه الذي يصل إلى حد التطابق أو الاستساخ وتنصرف كل الشخصيات على هذا الأساس كما لو كان أمرا متوقعا وممكنا وطبعياً للغاية . ذلك أن سلوى تعانى من صدمة نفسية على اثر حادث يقع لها هي وزوجها في ليلة زفافهما ويلقى الزوج مصرعه ويحدث أن تقابل مع فريد الذي يشبه زوجها تماما لدرجة أنها تعتقد أنه زوجها !! يضطر فريد من باب الشفقة والعطف أن يجاريها حتى تتماثل للشفاء . عندها تكتشف الحقيقة وتتزوج من فريد !!

في عام ١٩٦٧ عاد نيازي مصطفى إلى أفلام الاتصال والتكر والشبه فأخرج فيلمين وهما " أخطر رجل في العالم " ، و " شباب مجذون جدا " . أما حسام الدين مصطفى فقد أخرج في العام نفسه " جريمة في الحي الهدى " .

في فيلم " أخطر رجل في العالم " يصل إلى القاهرة مسٹر إکس وهو زعيم عصابة دولية للتهريب وذلك لمزاولة نشاطه في مصر . يعلم بأمره رجال الشرطة المصرية ويرافقونه مستغلين الشبه الكبير بين مسٹر إکس وموظف المطار زکی إذ يحل زکی محل إکس ، ويعلم بأسرار العصابة وخططهم لعملية جديدة . تنجح مهمة زکی ويتم القبض على إکس وعصابته .

في فيلم " شباب مجذون جدا " تتنكر مدحیة في شخصية شاب لتعمل ضمن الفرقة الموسيقية المكونة من أخوتها الثلاثة !! ويطلب يوسف من مدحیة أن تتحل

شخصيتين في آن واحد بأن تمثل دور زوجته الجديدة ليثير غيره زوجته المتعالية . توافق لتنقم من حمدي ابن يوسف الذي سخر من قبل من عواطفها . تنجح خطة يوسف وتسعى الزوجة حتى يترك مديحة التي تتزوج من حمدي بعد أن تعرف لهم بحقيقة تكرها في شخصية شاب !!

في فيلم " جريمة في الحي الهدى " يبدو التكر مقنعا للغاية لأنه من صميم عمل رجال المباحث والمخابرات . ففي عام ١٩٤٤ يكلف اثنان من أفراد عصابة صهيونية بمقتل اللورد موين وزير المستعمرات البريطاني في القاهرة ويتم القبض عليهم . يتولى ضابط الباحث أحمد عزت القضية ويتكدر في شخصية أخرى ويمثل الحب والغرام على زميلتها جينا لمعرفة أسرار العصابة التي تكشف شخصيتها ، فيختطفون ابنته مني ليضغطوا عليه لإطلاق سراح الشبابين وترحيلهما إلى الخارج . يوهمهم أحمد عزت بالموافقة وأخيرا ينجح في القبض على أفراد العصابة وإنقاذ طفلته .

تواصل أفلام الانتهال والتكر والشبه زحفها في عام ١٩٦٨ فيقدم نيازي مصطفى فيلم " بابا عايز كده " ، وفطين عبد الوهاب " غفيت مراتي " ، وعبد المنعم شكري " مجرم تحت الاختبار " ، وحسن الصيفي " ابن الحنة " .

في فيلم " بابا عايز كده " يقع كوكو مصمم الأزياء في حب نادية التي تريد أن تتزوج من رجل ليس له تجارب ويضطر كوكو أن يتكرر في شخصية أخرى بحكم أنه زير نساء لكنها تكتشف تكره وتريد أن تنتقم منه عن طريق ابن عمها الذي يدعى له أن بينهما علاقة . يثور كوكو لكنه يكتشف الموقف على حقيقته ، ويتم الوفاق بينهما !!

أما فيلم " غفيت مراتي " فيعد من أشهر أفلام الانتهال اللاواعي الذي يصل إلى درجة التقمص للشخصية الأخرى والذي يتمثل في شخصية عايدة المصابة بمرض تقمص شخصيات بطلات الأفلام مما يسبب لها ولزوجها بعض

المشاكل . عندئذ ينصحه أحد الأصدقاء أن يجعل زوجته تعيش قصة مثيرة هو بطلها بحيث يدعى لها أنه مجرم سابق وهو الآن يتزعم عصابة لسرقة البنك الذي يعمل فيه . تتباه به عايدة ، لكن يتضح أن الصديق كان يستغل صالح وكان ينوي السرقة بالفعل . وفي النهاية تتمثل الزوجة لشفاء .

في فيلم " مجرم تحت الاختبار " يسقط المجرم الخطير عبد المقصود بسيارته من أعلى جبل المقطم بعد مطاردة مع الشرطة . تشرع شركة سينمائية في إنتاج فيلم عن قصة حياته ويتناول وجود شبه كبير بين الممثل فوزي والمجرم فيسند إليه دوره ، ثم يتضح أن المجرم لم يمت ويتلقى مع عشيقته ل تستدرج فوزي إلى وكر العصابة ويحتجزه هناك ويحل محله في تمثيل الفيلم !! ويهتدى للطريق المستقيم أثناء ممارسته للعمل الشريف !! لكن رجال الشرطة يكتشفون حقيقته ويلقى مصرعه فعلا بعد مطاردتهم له .

في فيلم " ابن الحنة " يعمل عزمي كبديل لممثل مشهور يحدث أن يموت في حادث ، ويختبر على بال عزمي فكرة خبيثة تدفعه إلى أن يحل محله في جميع شئون حياته العامة والخاصة ويوهم الجميع أن الدوبلير هو المتوفى ويستكمل الفيلم وكان الحب قد ربط منذ البداية بين عزمي وجارته سميحة التي كان عاشر صاحب المقهى يطمع في الزواج منها . وعندما تقمص عزمي شخصية الممثل المتوفى ستحت الفرصة لعاشر كى يتزوج من سميحة لكن فى أثناء عقد القران يفاجئهم عزمي بالحقيقة ويمنع زواج عاشر من سميحة ويتزوجها هو !!

ولا يشاء عقد الستينات أن يرحل دون أن يقدم في عام ١٩٦٩ سبعة أفلام دفعه واحدة من أفلام الانتقام والتذكر والتشابه : " نص ساعة جواز " لفطين عبد الوهاب " ، و " العتبة جزار " لنيازى مصطفى ، و " الشجعان الثلاثة " و " ابن الشيطان " لحسام الدين مصطفى ، و " فتاة الاستعراض " لمحمود ذو الفقار ، و "ليلة واحدة" لسعد عرفة ، و " عائلات محترمة " لعبد الرحمن الخميسى .

فى فيلم "نص ساعة جواز" تتفانى الممرضة فاطمة فى خدمة طبيب الأسنان وزير النساء حسنى لأنها تحبه بالفعل كما تتعلق به داليا صاحبة محل الزهور وهى فتاة مثالية تكره الكذب ولما كان يريد الاحتفاظ بها دون قيد الزواج يدعى لها انه متزوج ولكنه غير موفق مع زوجته وينوى طلاقها ليتزوجها ، تطلب منه مقابلة زوجته للتأكد بنفسها أنها ليست السبب فى طلاقها ولا يجد أمامه سوى فاطمة لترتكر فى شخصية زوجته الوهمية لكن داليا سرعان ما تعرى هذا التكرر والتلاعب وتسحب من حياته . وفي النهاية يشعر بالحب الحقيقى لفاطمة ويتزوجان .

وفى فيلم "العتبة جاز" يزاول أفراد شبكة تجسس نشاطهم فى أحد الملاهى ويرأسها عباس الذى لا يرتاح لعميل المنظمة ماكس فيأمر أعوانه بقتله . تجند أجهزة الأمن هدى لصالحهم بحكم أنها مساعدة عباس . يتزدد عبد الحفيظ الشبيه بماكس على الملئى ويتوهم أفراد الشبكة أنه لم يمت . تستغل أجهزة الأمن ذلك فيطلبون من عبد الحفيظ التمادى فى انتقال دور ماكس حتى يعرفوا أسرار الشبكة وتحركاتها وبالفعل تقع فى قبضتهم .

فى فيلم "الشجعان الثلاثة" يموت الصول شعلان فى أثناء أداء عمله وهو يطارد عصابة المعلم عاشر لتهريب مخدرات . يقرر أبناءه الثلاثة عرفة ومبروك وشريف الانتقام لمقتله فيتركون عملهم وينتحلون شخصيات أخرى بحيث يتعرفون على أفراد العصابة بل ويعجب بهم عاشر ويضمهم للعصابة مما يمكنهم من معرفة أسرارها وخططها التى يبلغون بها الشرطة التى تقبض عليهم .

فى فيلم "ابن الشيطان" يتذكر رجل غامض فى شخصية ابن الشيطان !! فهو مصاب بعقدة نفسية تجعله يكره أى رجل يتزوج من أخرى انتقاما من أبيه الذى تزوج غير أمه وهو طفل . ويشيع ابن الشيطان الرعب فى القرية لدرجة أن

المعلم عتريس متهد الأفراح يرفض إقامة أي فرح خوفاً من بطشه . تطارد قوات الشرطة ابن الشيطان فيسقط من فوق قمة جبل ليواجه الجميع بأنه عتريس !!

في فيلم "فتاة الاستعراض" يرث احمد عن أبيه أملاكاً من بينها مسرح ويعرف على فايزة الراقصة بإحدى الفرق الاستعراضية التي تؤجر مسرحه . ينتحل احمد شخصية شاب فقير وعاشق للمسرح حتى يكون قريباً من فايزة التي يعجب بها وتقع في حبه . تفاجأ الفرقة بإذار من محامي احمد لدفع إيجار سنة مقدم للمسرح وإلا تعرضوا للطرد وذلك دون علم احمد . وتذهب فايزة لمقابلة صاحب المسرح ليتازل عن الإنذار فتفاجأ بالشخصية الحقيقة لأحمد ويستعدان للزواج .

في فيلم "ليلة واحدة" يتزوج احمد من سامية التي تعمل في الغرفة إلا أن هناء التي تحبه تنجح في الإيقاع بينهما . وتحاول سامية أن تكتشف مشاعر زوجها فتغير من مظهرها وتنتحل شخصية شقيقتها أميرة العائدة من لندن فيقع في حبها ويعرض عليها الزواج . وعندما يسافر إلى الغرفة ليحسم أمره مع زوجته سامية يكتشف أنه لا يزال على حبه ويستأنفان حياتهما .

في فيلم "عائلات محترمة" الذي كتبه وأخرجه الكاتب اليساري والمفكر التقدمي عبد الرحمن الخميسي لا نجد أى أثر لتوجهاته العقائدية بل يقدم فيلماً نمطياً زاخراً بالمقالب وعمليات الانتهال المتبادل !! إذ يبدو أنه ليس في مقدور أحد أن يتصدى لطوفان العناصر النمطية في السينما المصرية . ففي الفيلم يرفض شوكت زواج ابنه ممدوح من ابنة أخيه نوال لأنه يطمع في زوجة ثرية تمكنه من سداد ديونه بعد أن بدد ثروته . يجد ضالته في نيفين ابنة الأرملة تفيدة ، لكن نيفين ترسم خطة لمعرفة أخلاق ممدوح فتنتحل شخصية شغاله فاطمة في حين تحل فاطمة مكانها . وهي الحيلة التي وردت من قبل في فيلم "سلامة في خير" ١٩٣٧ وتكررت في أفلام يصعب حصرها . ولا تنتصر الحيلة على نيفين وفاطمة بل يمارسها ممدوح أيضاً إذ ينتحل شخصية توكل سائق أبيه ويحل توكل مكانه ،

ويتقابل الجميع ويدرس كل منها الآخر فتعجب فاطمة بتوكل وبيالها نفس المشاعر . وعندما تكتشف حيل الانتحال يتزوج ممدوح من نيفين وتوكل من فاطمة . أى أن الخميسى يحرص على الزواج من داخل الطبقة الاجتماعية وعدم تجاوز حدودها وتنويبها كما كان ينادى فى كتاباته وبذلك انتصر للأفكار السينمائية النمطية على حساب توجهاته العقائدية .

أما عقد السبعينيات فقد شهد أربعة أفلام لنيازى مصطفى الذى لم يمل أبداً لعبه الانتحال والتكر والتشابه : " سفاح النساء " ١٩٧٠ ، و " عندما يغنى الحب " ١٩٧٣ ، و " حبيبى شقية جدا " ١٩٧٤ و " بنت اسمها محمود " ١٩٧٥ . كما شهد العقد ثلاثة أفلام لمخرج مخضرم لم يرتبط اسمه بهذا النوع من الأفلام لكن يبدو انه انجرف أخيراً مع التيار . هذا المخرج هو هنرى بركات الذى قدم فيلم " الزائرة " ١٩٧٢ ، و " مع حبى وأشواقى " ١٩٧٧ ، و " المرأة هى المرأة " ١٩٧٨ .

فى فيلم " سفاح النساء " تجتاح القاهرة موجة من الذعر والرعب لظهور سفاح يقوم باختطاف جميلات الشهيرات وقتلن . يتفق الصحفى المغمور محسن مع خطيبته على انتقال شخصية السفاح وقتلها حتى يقبض عليه أملأ فى الشهرة والمجد فى عالم الصحافة ، بشرط أن تظهر قبل تفاصيل الحكم فيه ليثبت برامته إلا أن السفاح资料 يدس له جثة ممثلة مخطوفة وتصبح جريمة الوهمية جريمة . لكن صديقه كوداك المصور الصحفى بالجريدة يستطيع أن يصل إلى السفاح资料 بمساعدة الشرطة ويتم الإفراج عن محسن .

فى فيلم " عندما يغنى الحب " تعلم صفاء وميرفت وليلى فى محل أزياء ، وعندما يعود هانى ابن صاحب محل من الخارج يتكر فى شخصية أحد السعاة فى محل حتى يكتشف سير العمل على حقيقته ويعجب هانى بليلى وتبادل مشاعره لكنها عندما يكشف لها عن حقيقتها تحاول الانسحاب لفارق الاجتماعى بينهما لكنه يتمسك بها ويبارك أبوه زواجهما .

فى فيلم " حبيبى شقية جدا " يلعب التشابه فى الأسماء دورا حيويا فى لعبة الانتقال ذلك أن حنان فتاة مرحة هى ابنة حسين المنياوي عسکرى المرور الذى يعمل تحت رئاسة عميد يحمل نفس الاسم وله ابنة تدعى حنان أيضا !! تستغل حنان هذا التشابه فى الأسماء وتدعى لزملائها فى الجامعة أنها ابنة العميد . وبسبب هذا الانتقال تقع فى مشاكل عديدة يحلها العميد لها المنياوي فهو يعاملها كابنته . تعرف حنان بعلاء الذى يعجب بها وتبادلها مشاعره لكن أبها يسعى كى ينتقل إلى الاسكندرية لبعد ابنته عن الكتب والادعاء والانتقال وهناك تقاجأ بعلاء الذى يكتشف حقيقتها ومع ذلك يتمسك بها .

فى فيلم " بنت اسمها محمود " يرفض المعلم فرغلى المتزمنت دخول ابنته حميدة الجامعة فيهندي حبيبها الدكتور حسن لاقناع والدها أنها تحولت إلى رجل بعد إجراء عملية جراحية لها وأصبحت شابا جامعا ثم تعرف حميدة لأبيها بالحقيقة بعد أن أثبتت له قدرة الفتاة على العمل مثل الرجل عندما نجحت أيضاً فى الإشراف على محل الموبيليا الذى يمتلكه وضاعفت من أرباحه . وينتهى الفيلم بالأب وقد غير من موقفه ورأيه .

فإذا انتقلنا إلى أفلام هنرى بركات فى السبعينيات ، سجد فى فيلم " الزائرة " حامد وهو يتفق مع نادية على انتقال شخصية ابنة خالتة ليلى التى تشبهها تماماً ، وذلك للاستيلاء على ثروة عم ليلى الثرى . تعيش مع العم وتنقابل مع حبيبها السابق حسن ، وتبوح له بالحقيقة ، إذ أنها بالفعل ليلى التى تهرب بعد أن يصر أبها على تزويجها من حامد ، بل وتعترف لحسن بخطة حامد الذى يكتشف حقيقتها وتنفل محاولته لقتلها . يبلغ عنه حسن ويتم القبض عليه .

فى فيلم " مع حبى وأشواقى " تتزوج نادية فى أثناء وجودها فى أثينا برعوف الذى يخدعها ويسرق مجوهراتها ويهرب . ثم تضبط الشاب حمدى فى حجرتها بالباخرة وهو يحاول سرقتها ويرجوها ألا تبلغ الشرطة ، فتطلب منه أن ينتحل

شخصية الزوج أمام عمهما مقابل مبلغ من المال. وبمرور الأيام ينمو الحب بين نادية وحمدي ، ويكشف لها عن حقيقته. فهو صحفى تمكن من كشف حقيقة عمهما وشريكه طارق ، فهما يقومان بعمليات تهريب. ويتتمكن من الحصول على مستندات مهمة تدينهما . وفي النهاية يتزوجان .

فى فيلم "المرأة هي المرأة" يعود رجل الأعمال كمال علاقته بالممثلة زيزى التى تلاحقه ، لكن زوجته رشا تكتشف خيانته فتتحول شخصية أختها ميرفت. ويعجب بها حسن صديق كمال فتعرف له بحقيقةها ، ويتعاونان على إبعاد كمال عن زيزى . وتجح خطتها ويعدها كمال بالإخلاص .

فى عام ١٩٧١ قدم يوسف شاهين فيلم "الاختيار" الذى شارك نجيب محفوظ فى كتابة قصته التى تدور حول البحار محمود الذى يعيش حياة منطلقة ، وهو الشقيق التوأم للكاتب الكبير سيد الذى يتمتع بالمال والشهرة ، إلا أنه يعيش فى عذاب نفسي ويكتشف زيف حياته ، وإذا به يقوم بقتل محمود ويعيش الشخصيتين. ويعثر رجال الشرطة على جثة محمود ، وتحوم الشبهات حول سيد. ويكتشف رجل المباحث فرج أن سيد مريض نفسياً ، وقد أصابه الجنون ، لكنهم يتذمرون منه ويدخلونه مستشفى الأمراض العقلية. والسؤال الذى يطرح نفسه بشدة هنا هو: كيف لكاتب كبير مثل سيد بلغ من المال والشهرة ، أن يكون مريضاً نفسياً بهذا الشكل لدرجة الجنون وارتكاب جريمة قتل أخيه التوأم؟! لم يكن من المعقول أن يمنعه هذا المرض أصلاً من أن يكون كاتباً ومفكراً؟!

فى عام ١٩٧٢ قدم فطين عبد الوهاب فيلم "أضواء المدينة" الذى يركز على المفارقات الكوميدية للانتحال والتتكر. فيه يقوم المنتج السينمائى عادل بمسابقة لاختيار فتاة تقوم بدور أميرة فى فيلمه الجديد. وتحتاز ممثلة الفرقة البسيطة سعاد الاختيار ، إلا أن عادل يرفض إسناد الدور لها لمظهرها المتواضع ، فتتكر فى مظهر إحدى الأميرات فى حفل يحضره عادل الذى يعجب بها ويعرض عليها

التمثيل ، بل ويعدها بزيارة أسرتها لإقناعها بالموافقة. ينقذ حكمة زميل سعاد الموقف فهو ابن بواب قصر أحد الأمراء المسافر للخارج ، وتقىم سعاد مع أفراد فرقتها بالقصر ، مدعية أنها الأميرة شاه ، فيقرر عادل الزواج منها بعد أن يقع في حبها. وعندما يعود الأمير الغائب إلى قصره ، تعرف عادل بالحقيقة ، فيعدل عن موقفه وتفوز بالدور وبعادل زوجاً.

في عام ١٩٧٣ قدم عاطف سالم فيلم " زمان يا حب " الذي تساور فيه عبير مع الفرقة الاستعراضية التي تعمل بها إلى بيروت لتقديم عروضها . ويحدث أن يقع خالها خليل الذي يعيش في بيروت في ورطة ، إذ أنه يدعى لعيير بأنه مليونير في حين أنه يعمل رئيساً للخدم في قصر المطربي المشهور مدحت . فهو يستغل سفره فيدعى لها بأنه صاحب القصر . لكن مدحت عندما يعود فإنه يتفهم الموقف ، بل ويشعر بالحب نحو عبير التي تبادله مشاعره مما يثير غضب صديقه ليلي فتعرف له بحقيقة خالها !! ومع ذلك يقرر مدحت الزواج من عبير لكن خليل يذكره بفارق السن بينهما ، فيعدل عن قراره .

في عام ١٩٧٤ قدم السيد بدير فيلم " أرملة ليلة الزفاف " الذي يتذكر فيه وكيل نيابة لكشف جريمة برغم أن هذا من اختصاص رجال المباحث . ففيه تتزوج مها من الثري مجدى الذي يلقى مصرعه ليلة زفافهما. ويذكر وكيل النيابة أحمد في شخصية مهندس ويتعرف على مها ويوجهها بحبه !! تقدمه الأسرة ، ويتردد على المنزل ويضع آلات التنصت بداخله (وهذا ليس من اختصاصه أيضا !!) المهم يثبت آلات التنصت من خلال مكالمة تليفونية بين خديجة عمها وعشيقها مدحت أنهم القاتلان حتى لا يحرما من أموالها ، ويتم القبض عليهما.

في عام ١٩٧٥ لجا صلاح أبو سيف - وهذا ليس أسلوبه - إلى حيلة الانتقام في فيلم " الكذاب " الذي يقوم فيه الصحفي محمود بفضح تلاعب سامي مدير مصنع نسيج للأقمشة الشعبية ، مستنداً إلى شهادة العاملين سعيد ومرزوق ، إلا أن سامي

يضغط عليهم ليغيرة أقوالهما ، ولا يجد محمود وسيلة لمعرفة الحقيقة سوى انتقال شخصية الجرسون إبراهيم في مقهى بالحى الذى يسكن فيه مرزوق !! يقرر سامي التخلص من محمود ، فتندفع سيارة لورى لتصدمه ، ويهرع سعيد لينبهه لكنه يقع تحت عجلاتها ! ينهار مرزوق لمصرع سعيد ويصمم على كشف الحقيقة كاملة ، كما يعترف سائق اللورى بخطة سامي .

وفي عام ١٩٧٥ قدم أحمد فؤاد فيلم " الكل عاوز يحب " الذى يركز على المفارقات المضحكة للاحتلال ، إذ يعجب أحمد بليلى ، لكن صديقه عبد السلام يحذر من مسعود ابن عمها الشاب المتزوج الذى يريد أن يتزوجها برغم زواجه من نفيسة . ومع ذلك يتمسك أحمد بها ويعترف لها بحبه وتبادلهم مشاعره . يعلم مسعود ويقرر قتل أحمد الذى ينتحل شخصية رجل عجوز ومدرس شقيقها الخصوصى حتى يضمن أن يقابلها بدون مشاكل . وأخيراً يتم التفاهم مع مسعود الذى يوافق على زواج الحبيبين .

فى عام ١٩٧٥ أيضاً قدم محمود فريد تيمة الاتصال فى إطار زاخر بالفارص والتهريج فى فيلم "ملوك الضحك" الذى يعجب فيه المعلم فرحت الثرى بالراقصة سهام ، ويقرر أن ينتج لها فيلماً بشرط أن يكون المخرج إيطاليا !! إلا أن سهام مشغولة عنه بحبا لشاكر الذى تمنى أن يقوم ببطولة الفيلم أمامها وتدعى أنه أخوها . يلجاً صابر لصديقه شاكر كى يخبر له عملاً ، فيقدمه للمعلم فرحت على أنه المخرج الإيطالى "صابرينو" الذى بعث لاستدعائه !! يتعرف صابر بمضيفة الفندق وفاء ويعجب بها ويصارحها بشخصيته الحقيقية ، وتنفعه بالاعتراف بالحقيقة . وينثور فرحت لكنه فى النهاية يبارك زواج شاكر وسهام ، وصابر وفاء ، ويعود إلى زوجته وأولاده .

فى عام ١٩٧٨ قدم سيف الدين شوكت فيلم "المليونيرة النشالة" الذى تنشر فيه الأم الثرية صورة ابنتها المفقودة ميرفت فى الجرائد . ويحدث أن يتعرف

المصور المتجلو محسن على النشالة فيفي التي تشبه ميرفت تماماً ، فيقنعها بانتهال شخصيتها . ويرحب ابن خالتها عادل بها في حين يرتاب فيها ابن عمها حسن الذي يطمع مع أقاربه في ثروة الأم. يتهمها حسن بسرقة علبة مجوهرات ، فتهرب خوفاً من افتضاح أمرها. تتوصل الأم لمعرفة مكانها ، وتتأكد أنها بالفعل ميرفت من قلادة ترثديها فيفي بداخلها صورتها !!! وكالعادة تبارك الأم زواجهما من عادل !

في عام ١٩٧٩ قدم حسن الصيفي فيلم " نوع من النساء " الذي تتزوج فيه الأرملة الثرية سامية من المحامي حسين الذي يشبه زوجها حسني تماماً. تفاجأ بأن زوجها الراحل كان زعيم عصابة مخدرات وتقوم العصابة بخطف حسين ظناً منهم أنه حسني ليجبروه على دفع نصيبهم من آخر عملية ، ويتمكن حسين من الهرب ويتم القبض على العصابة .

وفي عام ١٩٧٩ قدم أحمد يحيى فيلم " الأيدي الفنرة " الذي يعمل فيه كمال مديرأً لحسابات إحدى الشركات ومسئولاً عن الخزانة . يتعرف على الأرملة الثرية عليه وشقيق زوجها زكي ، كما يصادق سعيد الذي يشبهه تماماً ، ويبيوح له سعيد أنه يشك في سلوك زوجته عنيات . ويبحث زكي كمال على سحب مبلغ كبير من الخزانة ليشاركه في إحدى صفقاته لكنه يفاجأ بأنه نصاب . ويقوم كمال بقتل سعيد في منزله وينتحل شخصيته حتى يهرب من تهمة الاختلاس . يقرر الانتقام من زكي وعليه ، ويتعارك مع زكي وتحثه عليه على الهرب بعد قتلها زكي . وعندما يصل إلى منزل سعيد يفاجأ ب الرجال الشرطة الذين يقبضون عليه بتهمة قتل زوجته عنيات !!

وبحلول عقد الثمانينيات ، واصل كل من نيازي مصطفى وحسن الصيفي إصرارهما على ممارسة لعبة الانتهال والتكر والتشابه ، فقدم نيازي مصطفى فيلمين : " أذكياء لكن أغبياء " ١٩٨٠ ، و " الرجل اللي باع الشمس " ١٩٨٣ ،

وكل ذلك حسن الصيفى : "رجل فى سجن النساء" و "عضة كلب" . لكن سمير سيف فى منتصف الثمانينيات زاحمهما بشدة بأربعة أفلام دفعة واحدة : "احترس من الخط" ١٩٨٤ ، وكل من "الهلفوت" و "المطارد" ١٩٨٥ ، ثم "النمر والأنثى" ١٩٨٧ ، مما يدل على عجز معظم خريجى المعهد العالى للسينما عن مقاومة طوفان العناصر النمطية ، وسرعة الانضواء بين أمواجها ، برغم أن الأمل كان معقوداً عليهم فى ضخ دماء جديدة فى شرائين السينما المصرية التى أصابها التصلب نتيجة تكرار نفس العناصر النمطية واجترارها . ونظراً لغياب القطاع العام الذى كان يشجع التجارب غير النمطية بل والطليعية مثلاً فعل شادى عبد السلام فى فيلم "المومياء" ومذكور ثابت فى فيلم "حكاية الأصل والصورة" فإننا لابد أن نتوقع طغيان المد التجارى الذى ينظر إلى السينما على أنها مجرد صناعة وتجارة ، ولا بد أن تكون أرباحها مضمونة إلى حد كبير . وهذا الضمان لن يأتي إلا بتجنب الموجات الجديدة والمعامرات الفنية غير المحسوبة ، ذلك أن رأس المال بطبيعته جبان ، ويؤمن بأن ما يعرفه خير مما لا يعرفه ، أى ترسيخ كل العناصر النمطية فى تربة السينما المصرية ، حتى لو تعافت جذورها فيها .

فى فيلم "أنكياه لكن أغبياء" يتذكر الطالبان الجامعيان زغلول وحسونة فى ملابس النساء لكي يوافق حمدى على تأجير غرفة لهما فى الفيلا التى لا يؤجرها إلا للفتيات الجميلات اللاتى يرحب ب فى اصطيادهن . يتعرف الصديقان على نزيلات الفيلا بيستة ونجوى وناهد ، فيربط الحب بين بيستة وحمدى ، كما تعجب نجوى بزغلول ، وكذلك ناهد بحسونة ، فهما زملاؤهما فى الجامعة ، تكتشف بيستة سلوك حمدى لكنه يعاهدها على الاستقامة ، ويحدد موعداً لزواجهما ، فى حين يكتشف الجميع حقيقة زغلول وحسونة .

فى فيلم "الراجل اللي باع الشمس" يتفق العالم المصرى جميل المقيم فى أمريكا على بيع اختراعه لاحدى الشركات المصرية التى يديرها عدنان ، لكنه

يؤجل حضوره إلى القاهرة لتوقيع العقد . عندئذ تتفق سوزى سكرتيرة العالم جميل ومساعده عبد القادر مع الموظف البسيط جميل على انتقال شخصية العالم جميل حتى يستوليا على قيمة المشروع مقابل منحة من المال ، مستغلين عدم مقابلة عدنان للعالم من قبل ، إلا أن الحيلة تكشف ، ويتعاون جميل مع رجال الشرطة فى القبض عليهم .

فى فيلم " رجل فى سجن النساء " تخلى صفاء عن يونس لتتزوج من ثرى ، فيقرر الانتقام من الرجال الأثرياء ، ويتكرر فى ملابس النساء ويوقع الأثرياء فى حبه ثم يسرقهم . ثم يتعرف بنوسة التى تعمل فى محل سمير الذى يتاجر فى المخدرات دون علمها . ويورطها فى إحدى القضايا ويتم القبض على يونس بملابس النساء فى قضية آداب ، وبعد الإفراج عنه يسعى لإثبات براءة نوسة ثم يعمل عند سمير ويبلغ رجال الشرطة قبل سفره ، فيقبضون على سمير متلبساً بوضع المخدرات فى حقيبة يونس ويعترف ببراءة نوسة .

فى فيلم " عصبة كلب " تصل لعبة الانتقام إلى مستوى " لعب العيال " حين يحصل الصديقان عونى وسمير على عرض مغر للعمل فى أحد ملاهى الإسكندرية ويفشل عونى فى الحصول على أجازة ، فيشير عليه الساعى سعفان فى أن يسعى لبعضه كلب حتى يتمكن من الحصول على الإجازة !! (وكأنه لا توجد وسيلة أخرى لتحقيق ذلك !!) وتشاء الصدف كالعادة أن يصاب سمير بالعصبة بدلاً من عونى ، فيتفقان على أن ينتحل سمير شخصيته ليحصل على الشهادة الطبية !! ثم يهربان من المستشفى بعد أن يرفض التمرجي الرشوة ليمنحهما الشهادة ، لكنه يلحق بهما ويقبض عليهم !!

فى فيلم " احترس من الخط " يتفق سامي على الزواج من نبيلة صاحبة الشركة التى يديرها . لكن ابن عمها خصوصى الذى يحبها بـإخلاص ، يكتشف اختلاسات ومخالفات فى الشركة ، فيخطط سامي للتخلص منه ، فهو أحد المختلسين ، ويحثه

على الانتحار بعد أن ترفض نبيلة حبه ، إلا أن خصوصى يتراجع عن فكرة الانتحار ويختفى ، ثم يسلم سامي خطاباً لنبيلة من خصوصى يعترف لها بالانتحار بسبب اختلاساته من الشركة . وتنشر الصحف أخبار الحادث . لكن خصوصى يعود متكرراً في شخصية أخيه الخط ، ويكشف حقيقة سامي أمام نبيلة ، ويتم القبض عليه مع شركائه ، وتوافق نبيلة على الزواج من خصوصى .

في فيلم "الهلفوت" يتزوج الشاب عرفة من الأرملة سينة السمعة وردة التي تستقيم . ويتقابل مع مرسي الغريب عن البلدة والذي جاء لمقابلة القاتل المأجور عسaran لينفذ جريمة خاصة بالثرى كيلانى . وإذا بعرفة ينتحل شخصية عسaran ويستولى على المبلغ المتفق عليه . ثم يذهب لصديقه دسوقى . يعرض عليه مبلغاً آخر لتنفيذ الجريمة لكنه يرفض فيقتل أخوانه دسوقى . ويعود إليهم عرفة لينتقم لصديقه . وعندما تتحقق به وردة ، تلقى مصرعها على أيديهم ، فيصوب بندقتيه إليهم جميعاً على سبيل الانتقام منهم !!

في فيلم "المطارد" نعود إلى فتوات نجيب محفوظ الذين استهلكوا تماماً في أفلام كثيرة ، لكن يبدو أن توابع الفتوة والعنف والضرب والقتل بالإضافة إلى شهرة نجيب محفوظ ، قد أغرت كثيراً من الكتاب والمخرجين بالإقبال عليها ، مما جعلها تتضوئ تحت بند العناصر النمطية والأحداث المليودرامية . في هذا الفيلم يهرب سماحة الناجي بعد أن يدبر له القللى فتوة الحى تهمة قتل . وينتحل شخصية الشيخ المسن ، ويفتتح محلأً للعطارة في حى آخر ، ويتزوج من محسن ، ويعرف لها عن حقيقته ، وأنه يهوى نفسه لفتوة ليغيب اسم الناجي للحى . وعندما يثور خضر الناجي على القللى الذي يرفع الإتاوات ، يعتدى عليه . وعندما يدافع رضوان عن عمه يقتله القللى . فيعود سماحة إلى الحى لينتقم لمقتل أخيه ، إلا أن القللى يصييه ويتم نقله إلى المستشفى . وتتزوج محسن من حلمى خفير الحى الذي يخبرها بمقتل سماحة الذي لم يمت بل يتماثل للشفاء ويقتل حلمى ويهرب ليظل باقى عمره طريداً .

فى فيلم "النمر والأثنى" نعود إلى الشبه الذى يؤدى إلى الانتقام . ففيه يتولى الضابط وحيد مهمة القبض على تاجر المخدرات عبده القماش ويتوصل بتحرياته إلى ابنته المختفية منذ سنوات . يتفق وحيد مع فتاة الليل التائبة نعيمة التى تشبه ياسمين على انتقام شخصيتها ، وتوهم القماش أن وحيد زوجها ، بحيث يمكن وحيد من مراقبته عن قرب . لكن سيد مطلق نعيمة يكشف حقيقتها للقماش ، فينتقم من وحيد بجعله مدمناً إلا أنه يشفى !!! يلحق القماش وعصابته إلى أسوان حيث العملية الجديدة . ويعثر على المخدرات لدى أحد المسؤولين الكبار والمشترك فى العصابة ، فيتم القبض عليهم جمياً ، ويتزوج وحيد من نعيمة بعد تردد !!

إذا عدنا إلى مطلع الثمانينيات سنجد فيلم "شعبان تحت الصفر" ١٩٨٠ للخرج هنرى بركات وفيه يبرز الانتقام كوسيلة للاستيلاء على الميراث. فعندما يموت المليونير الغطريفى ، يتفق أقاربه عبد الجود وناريمان مع الشاب البسيط شعبان على انتقام شخصية الغطريفى المقيم فى باريس هرباً من جريمة قتل ، وهو الوريث الوحيد للغطريفى . ويوافق شعبان بشرط أن يأخذ نصف الثروة . عندئذ يتم القبض على شعبان بصفته فريد ، ويفشل فى إقناع رجال الشرطة بحقيقة شخصيته ، إذ أنه تخلص من كل الأوراق التى تثبت شخصيته. فلا يجد مناصاً من أن يهرب فى حين تشير عليه خطيبته أن يدعى الجنون ويدخل المستشفى . لكن عندما يتوصل عبد الجود وناريمان إلى الحقيقة التى تحتوى على نصيب شعبان فى الصفقة ، يتم القبض عليهم ويعترفان بالحقيقة .

فى عام ١٩٨٠ أيضاً قدم محمد عبد العزيز فيلم "غاوى مشاكل" الذى ترك فيه عزة المنزل بعد أن تضيق بحياتها مع أمها وزوجها المعلم محمود ، ثم تتعرف على مدحت الموظف البسيط الذى يعرض عليها الزواج فترفض ، فهى تطمع فى زوج ثرى . وقبل أن تموت الأرملة المريضة ماجدة جارة مدحت ، توصى عزة بتسليم طفلها لحماتها الثرية صفية ، التى تظن عند مقابلة عزة أنها ماجدة التى لم

ترها من قبل لعدم موافقتها على زواجها من ابنها لفارق الاجتماعي بينهما. تستغل عزة الفرصة وتتحل شخصية ماجدة لتحقيق طموحها في الثراء ضاربة بنصيحة مدحت لها عرض الحائط . وبمرور الوقت يستيقظ ضمير عزة وتعترف لصفية بالحقيقة وترحل عائدة إلى مدحت وتتزوجه !

في عام ١٩٨٤ قدم أحمد السبعاوي فيلم " نعيمة فاكهة محمرة " الذي يتقابل فيه نعيمة مع الأرملة المريضة ليلي التي تطلب منها قبل أن تموت أن ت safar بطفليها الرضيع إلى الإسكندرية لتسليمها لحماتها التي لم ترها لاعتراضها على زواجها من ابنها . وتعتقد الحماة أنها ليلي وترحب بها بعد أن يستيقظ ضميرها ، وتنتحل نعيمة الفرصة فتحل شخصية ليلي ، وتعجب بالابن الآخر محمود الذي يعرض عليها الزواج . لكن ضميرها يستيقظ وتعترف بشخصيتها الحقيقة ، وتطلب منه أن يتركها لفارق الاجتماعي الكبير بينهما ، لكنه يتمسك بها ويأمل أن يلتئم شملهما .

في عام ١٩٨٦ قدم أحمد فؤاد فيلم " الحق يفهم " الذي يحتاج فيه أهالي كفر نور المعونة ، فيذهب الشيخ عاشور لحضورها من كفر مجاور . ويحدث أن يتقابل مع المطارد جابر الذي يعلم بمهنته فيتمكن من تعطيله ، وينتحل شخصيته بنية السرقة . ويبارك به الأهالي عندما يتصادف إصلاح بعض الأمور على يديه ، كما ينجح في إقناع الغازية ورد أن تتب عن الرقص فيثور عليها أخوها سعد ويسبيها برصاصة يستخرجها جابر الذي يشعر مع الأيام أن شيئاً داخله يتغير ، فيقرر الإقلاع عن الإجرام ، لكن الطبيب يبوح للعمدة أن طريقة استخراج الرصاص لا يقوم بها سوى المطاريد ويشكون بالفعل في جابر ، ويصطحبونه ليؤم بهم صلاة الجمعة ، ف تكون خطبته عن المطارد جابر وظروف حياته التي اضطرته للإجرام ، ونفيه الصادقة للتوبة .

وفي عامين متتالين ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ أخرج ناجي أنجلو فيلمين: " لقاء في شهر العسل " ، و " الأب الشرعي " ، مما يدل على أن السينما المصرية لن تبرأ في

المدى القريب من حمى الانتحال والتكر والشبه . ففى الفيلم الأول يسافر رعوف مع زوجته منى إلى الإسماعيلية . ويحدث أن يستغل نادر وجود شبه كبير بين زوجته وبين منى ، إذ أن نادر يخطط لقتل زوجته ليرث بوليصة التأمين الخاصة بها . ويتصل برووف ويخبره بخيانة زوجته ويعطيه رقم حجرته بالفندق ، فيقوم رعوف بخنقها ويسلم نفسه للشرطة !! (بهذه السذاجة التي تصل إلى حد الغباء والتخلف العقلى !!) يصل نادر ليفاجأ بزوجته التي تسترد وعيها فيقتلها !! ثم يفاجأ رعوف بمنى التي لم تمت !! ويساور ضابط المباحث الشك في نادر ويطلب من منى أن تدخل المشرحة ، ويستدعي نادر للتأكد من جثة زوجته ويتركونه بمفرده . فيفاجأ بها ما تزال على قيد الحياة ، ويهتم بقتلها لكنه يفاجأ برجال الشرطة !!!

نجد نفس الافتعال والتلقيق والسطحية في فيلم " الأب الشرعي " الذي تفاجأ فيه شريفة بمطلقها يوسف الذي تنتهي مدة عقوبته بالسجن في قضية مخدرات . وتلاحظ تغيراً في بعض سلوكه فتشكي فيه . فتذهب إلى السجن للتأكد من حقيقته ، وتفاجأ بوجود يوسف الذي تدهورت صحته تماماً . تكتشف أن الرجل الآخر نصاب ، واستغل الشبه الكبير بينه وبين يوسف زميله في السجن وكان يطمع في حياة كريمة !

فى عام ١٩٨٩ كتب محدث السباعى وأخرج فيلم " إحنا اللي سرقنا الحرامية " الذى يكتشف فيه كمال الذى يعمل فى شركة رشدى عمليات تزوير ، يقوم بها المدير عباس وابن أخيه عادل . ويفاجأ كمال بوجود شخص يشبهه تماماً ، ويحثه على ترك مثاليته ، ويعده بأن يسانده ، فى حين يعجب كمال بنيفين ابنة رشدى لكنها مرتبطبة بعادل . عندئذ يتمكن الشخص الشبيه من سرقة أوراق تدين عباس وعادل ويسلمها لرشدى . وتعجب نيفين بشخصية كمال التى هى فى حقيقة الأمر شخصية الشبيه ، وتتفاقق على الزواج منه ، وينسحب الشخص الآخر من حياتها ، ليتزوجها كمال ويعده بأن يكون بجنبه دائماً ، وكان الشبيه هنا يمثل صراع الضمير وانتصاره داخل كمال !

في التسعينيات انحسرت أفلام الانتحال والتكرر والتشابه ليس لأن السينمائيين أدركوا أنها استهلكت تماماً وأصبحت مثيرة للملل نتيجة للاحاحها وتكرارها الممج بطول مسيرة السينما المصرية منذ العشرينات ، ولكن لأن الإنتاج السينمائي نفسه انحسر وتقلص نتيجة لعوامل كثيرة منها تقلص دور العرض السينمائي ، والضغط التي يمارسها الموزعون العرب ، وإلغاء القطاع العام ، وتدور الاستوديوهات ، وغير ذلك من الأسباب التي أدت إلى أزمة السينما التي أصبحت على لسان كل المهتمين بها والعاشقين لها .

ومع ذلك يمكن الاستشهاد ببعض أفلام الانتحال والتكرر والتشابه ، والتي تثبت أن هذه الحيل لم تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد ، ففي فيلم "آه وآه من شربات" ١٩٩٢ لمحمد عبد العزيز ، تشرع نهى في الاستعداد لزواجهما من أشرف والسفر معه . وفي ليلة زفافهما يتم القبض عليها بتهمة سرقة !! يذهل أبوها اللواء السابق ، لكن رجال الشرطة يؤكدون له أنها شديدة الشبه بالمتهمة !! (وكانه ليست هناك أدلة أو مستدات غير الشبه) عندئذ يتذكر الأب أنه في الماضي قامت إحدى العصابات بخطف سها توأم نهى للضغط عليه ليتازل عن قضيئهم لكنه يرفض ! (تلك المتألقة الفجة المسطحة التي أغرت بها السينما المصرية !!) وطبقاً للتوليفة المشهورة والمعتادة ، يتم إلهاق الطفلة بالسيدة كواكب التي تدير وكرا للشاليين ، وقد تحول اسمها إلى شربات . ويسرع الأب إلى ابنته الضالة ويصرح لها بشخصيتها الحقيقية . ويتم القبض على كواكب . يتوصل أحد أفراد العصابة وهو خطيب شربات إلى مكانها لكنها ترفض الذهاب معه ، فيخطف نهى للضغط على شربات لتعود . ويحدث أن تعود شربات لخطيبها بعد أن تسرق مجوهرات شقيقتها وتسعى كواكب إلى إتمام زواج شربات ، ويبلغ والدها الشرطة . ويتم القبض على العصابة ، ويتولى والد شربات توكيل محام كى يصدر الحكم ببراءتها .

وفي نفس العام (١٩٩٢) أخرج أحمد السبعاوي فيلم "هارب من التجنيد" الذي تعيش فيه سوزى وصبية على ابن أخيها ماجد المصاب بالجنون والذي يهرب من المستشفى في نفس الوقت الذي يهرب فيه محمددين من وحدته العسكرية ويستقلان نفس السيارة !!! (هل هناك صدف ملقة أكثر من ذلك ؟!) يقع للسيارة حادث فيلقى ماجد مصرعه !! و تستغل سوزى الشبه الكبير بين محمددين وماجد فتورطه لينتقل شخصية ماجد حتى تستمر وصايتها لأنها كانت تبتز أموال ماجد . لكن محمددين يضيق بتصريفه فيبلغ الشرطة ويثبت أنه محمددين !

في عام ١٩٩٣ أخرج أحمد السبعاوي فيلم "أقوى الرجال" الذي يعمل فيه زكي محصلاً ببهيمة النقل العام . ويطلب منه صاحب البيت إخلاء الشقة . ويتصادف في الوقت نفسه أن تسعى أجهزة الأمن للقبض على الوحش ، وهو مجرم يشبه زكي تماماً !! لكنهم يقبضون على زكي بسبب هذا الشبه ولا يفرج عنه إلا بعد أن يثبت شخصيته الحقيقية . لكن حياته تصبح جحيناً لأن الكل يهربون منه ظناً منهم أنه الوحش مما يؤثر في سلوكه بالفعل . ويتحول إلى وحش مفترس خاصة عندما يحاول صاحب البيت اغتصاب زوجته . ثم يذهب لمقابلة الوحش الحقيقي الذي تدور بينه وبين أجهزة الأمن معركة يموت فيها زكي لصعوبة التفريق بينه وبين الوحش !!!

وهناك أفلام أخرى تلعب نفس اللعبة ، وإن كانت عناوينها تدل على مستواها الفكري والفنى مثل "خلال بالك من عزوز" لناصر حسين ، و"الراقصة والحانوتى" لنجدى حافظ ، و"فتحية والمرسيس" لسعيد محمد وغيرها من الأفلام التي وجدت في حيل الانتهال والتكرر والتقمص والتشابه كنزاً لا يفني . لكنه إذا كان كنزاً ظلت السينما تهمل منه لمدة تناهز ثلاثة أرباع القرن ، فقد آن الأوان ليدرك الكتاب السينمائيون أن هذا الكنز أصابه الصدأ ، ولم يعد عملة رائجة ، والتعامل بها لا يعني سوى خداع الجماهير والاستهانة بعقلها . ذلك أن لغة السينما

لغة غنية وخصبة وحافلة بحيل وأساليب وأشكال فنية لا يمكن حصرها ، خاصة عندما تجسد القضايا الملحة والمصيرية للمجتمع المعاصر الذى لا يلجأ إلى الانتحال أو التكرر إلا فى دوائر المباحث أو المخابرات أو الجاسوسية أو العصابات الدولية ، أما الناس فى حياتهم اليومية فلديهم اهتمامات أخرى لا يمكن تهميشها بالأسلوب الذى لجأت إليه السينما المصرية ، فكانت النتيجة أن المجتمع نفسه قام بتهميشه وجعلها مجرد أداة للفرجة والتسليه ، وليس للتفاعل والتطور والتجديد والانطلاق إلى آفاق جديدة .



نساء الليل سنة ١٩٧٣



امرأة قتلتها الحب سنة ١٩٧٨



جنون الحب إخراج / نادر جلال سنة ١٩٧٧



جنون الحب إخراج / نادر جلال سنة ١٩٧٧



الرصاصة لا تزال في جيبي
سنة ١٩٧٤ م



عيون لا تسام
سنة ١٩٨١ م

الفصل الثالث

الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً

كان الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والابن غير الشرعي من العناصر النمطية والتوابل الميلودرامية التي أغرم بها الكتاب السينمائيون برغم أنها لم تكن تشكل ظاهرة في المجتمع المصري ، بل كانت نتيجة لتأثيرهم بالسينما الأمريكية ؛ بالإضافة إلى أن الشرف في مجال الحياة الجنسية ، موضوع حساس وشائك ومثير بل ومحظى ولا يمكن إصلاحه أحياناً إلا بإهدار الدم ، ولذلك صال وجال في السينما المصرية ، في حين انحصر مضمونه في السينما الأمريكية في موضوع الاغتصاب بصفته انتهاك الكيان الإنساني ضد إرادة صاحبه .

وقد بدأ هذا العنصر النمطي في إثبات وجوده منذ بداية السينما المصرية عندما أخرج وداد عرفى وستيفان روستى فيلم "ليلي" ١٩٢٧ ، الذي تتعرض فيه ليلى لأحد أشرار الصحراء وهو سالم الذي يحاول اغتصابها لكن أحمد ينقذها . ثم تتم خطبتها إليه وتتورط معه تماماً . وتعجب السائحة أليس بأحمد الذي عمل مرشدأً لها ، فيغرس بها لدرجة أنه ينسى ليلى التي بدأ الجنين يتحرك في أحشائتها . تتبذها البلدة فتخرج هائمة في الليل ، وتتکاد سيارة أن تقضي عليها ، ولم يكن صاحب السيارة سوى رعوف الذي أحبها قبل أحمد الذي كان قد ملك عليها لها . يحملها رعوف إلى منزله حيث تضع طفلها وتودعه بين يديه وأخته لتفيض روحها لبارئها!

وفي العام التالي (١٩٢٨) أخرج إبراهيم لاما " فاجعة فوق الهرم " الذي تحدث فيه محاولة من سليم للاعتداء على منيرة في عزبته ، لكنها محاولة لا تتم إذ سرعان ما يصل سعيد وينقذها ، وبالتالي لا تترتب عليها أية نتائج .

في عام ١٩٣٩ كتب توجو مزراحي وأخرج فيلم " ليلة مطيرة " الذي ينقدم فيه شاب آفاق للزواج من الفتاة المثقفة سنية ، لكن أباها يرفض ، فينصب الشاب شباكه حولها حتى تقع فيها وتتورط معه عندما يسلبها شرفها . يكتشف الأب ذلك فيبحث عن شاب يقبل أن ينقذ سمعته ، أى حل يجمع بين الحرج المصري والمرونة الأوروبية . ويجد ضالته في شاب فقير ، يقبل الفكرة من أجل علاج أمه . ومع ذلك تعامله سنية باحتقار وتهمل شئونه ، لكنه بالإرادة والتصميم يبدأ حياته بنجاح كبير . ثم يعود الشاب الآفاق لمطاردتها من أجل الحصول على المال . وعندما تطلب الزوجة الطلاق ، يقبل زوجها ، لكنها تؤجل طلاقها لوقوع أبيها في كارثة مالية ، ولشهامة زوجها فإنه يساندها بحيث تعود الحياة إلى طبيعتها بينهما ، ويموت الشاب الآفاق في النهاية .

في عام ١٩٤٢ أخرج هنري بركات فيلم " الشديد " الذي تقع فيه سهير في حب حسين صديق محمد شقيق صديقتها . وبرغم الحب بينهما فإنهما لم يتزوجا بل تتزوج من محمد . ويسافر حسين إلى الإسكندرية هرباً من غرامه الفاشل ، ويندفع في مضاربات ومراهنات حتى يفلس ولا ينقذه من محنته سوى صديقه محمد . ويتجدد حبهما ويتورطان وتحمل منه ثم تلد طفاتها سعاد . وعندما يكتشف محمد خيانة صديقه وزوجته ، فإنه لا يلجأ إلى الحل النمطي الشرقي " القتل أو الطلاق " وإنما يسلك كالأوربيين في الأربعينيات ويكتفى بأن يمتلى قلبه حسراً وندماً ، أما العشيق حسين فيهيم على وجهه باسماً شريداً !!

في عام ١٩٤٥ يعود هنري بركات إلى هذه التيمة التي ستتصبح نمطية بعد ذلك ، في فيلم " هذا جناه أبي " الذي كتب قصته يوسف جوهر . تدور أحداث الفيلم

في طنطا عام ١٩٢٥ حين يرشح أحد المحامين نفسه في الانتخابات . ويعرف على فتاة ريفية ، تورط معه وتطالبه بالزواج ، لكنه يرفض لمكانته الاجتماعية ، ويعدها بأن يتکفل بطفلتها . تضع المرأة طفلتها سميحة وتموت . وبعد مرور سنوات يصبح ذا شهرة في حين تعمل سميحة في مشغل لإعالة أسرتها . وتقع في حب سمير بك ابن أحد الباشاوات والذي يقرر أبوه تزويجه من ابنة شريكه . ويعتدى سمير على سميحة ، وعندما يعلم الأب بهذه العلاقة يرسل ابنه إلى الشام ، فتضطر إلى رفع قضية عليه للحصول على حقها . ويستعين الباشا بصديق المحامي الكبير الذي يفاجأ بأن سميحة هي ابنته التي تخلى عنها منذ حملت أنها بها ، فيعترف بأبنته لها ويأخذ حقها من الباشا ومن سمير الذي يعده بالزواج منها !

في عام ١٩٤٥ أيضاً أخرج جمال مذكر فيلم "الحياة كفاح" الذي ييلور النتائج المأساوية للحمل سفاحاً . ففيه يتعرف الشاب الثرى بمرضة ويتزوجان ، لكن أبوه يطردها من المنزل ، فيضطر إلى أن يعيش معها حياة بائسة . وتضحي الزوجة بنفسها وتجعل زوجها يعتقد أنها لا تحبه حتى يطلقها ويعود لأسرته . وتفتح محل لملابس حيث تقابل فتاة لعوباً في حكم المخطوبة لزوجها السابق ، وقد حملت سفاحاً من آخر . وحين عرف أبوها بذلك قتل عشيقها وانتحر !! وتعترف لخطيبها بأمر ابنتها ، إلا أنه يكتشف تضحيه مطلقته من أجله فيعيدها إلى عصمه .

أما عام ١٩٤٦ فقد شهد أكبر قدر ممكناً من أفلام الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والأبناء غير الشرعيين : "يد الله" و "شمعة تحترق" ليوسف وهبى ، و "دنيا" لمحمد كريم ، و "سر أبي" لولى الدين سامح ، و "سلوى" لعبد العليم خطاب ، و "عواصف" لعبد الفتاح حسن ، و "الخطيئة" لإبراهيم عمار .

في فيلم "يد الله" يتزوج الابن الأكبر لأسرة صعيدية محافظة من زينات الفتاة العصرية المستهترة التي تتجه في إيقاع محروس الابن الثاني للأسرة في

شباكها ، ويتورطان في علاقة تجعلها تخطط للتخلص من زوجها حتى تتزوج من عشيقها محروس . تنهز فرصة مرضه وتضاعف له مقدار الدواء ويموت بالفعل . يفيق الأخ على وفاة أخيه ، فيقرر الانتقام لشرف الأسرة من الزوجة العابثة . ومثل معظم أفلام يوسف وهبي التي ألفها وأخرجها ، ينتهي الفيلم بنفس اللمسات الميلودرامية عندما يكتشف الأخ جريمتها فيصل الأمر بها إلى الجنون ، ويسارع هو إلى الانتحار .

في فيلم " شمعة تحترق " تفشل محاولة سميرة للاتحار بعد أن تخلى عنها حبيبها الذي غرر بها . تعرف لأمها وتعزل الناس . ويحدث أن يتعرف حمدي على الأسرة ، وهو أرمل وله ابنة وحيدة تنشأ بينها وبين سميرة صداقة وطيدة . يقدم حمدي لخطبة سميرة ، وفي ليلة الزفاف تعرف له بالحقيقة . ونشاء الصدف أن يتقدم الشاب الذي غرر بها لخطبة ابنة حمدي . عندئذ تحاول سميرة إنقاذ الابنة منه فتطلق عليه الرصاص ، لكن يتضح أنه لم يمت نتيجة هذه الطلاقة بل من طلاقه أطلقته عشيقته التي هجرها !! يدرك حمدي مدى تضحية سميرة فيصفح عنها ويعاملها معاملة طيبة .

في فيلم " دنيا " تسجن فتاة خمس سنوات لقتل ولدتها الذي وضعه من شاب يغرر بها ثم يهجرها . تخرج من السجن وهي مصممة على الانتقام من الشاب . تلتقي به وتكتم عنه سر سجنها . وتفاجأ بقبوله الزواج منها مما يجعلها تعيش في صراع ما بين حبها ورغبتها في الانتقام منه . تحاول أن تنسى الماضي بعد أن أدركت حبه الجارف لها ، لكن هناك من يكشف لأم الشاب عن ماضي الفتاة فتضيق بزواجهما . وعندما ترى الفتاة أنها ستكون سبباً في نكبة كبيرة يمكن أن تتحقق بالأسرة ، تضحي بحبها وتتحرر من أجل أسرة شاب سبق أن غرر بها وتسبب في كل النكبات التي لحقت بها !!!

في فيلم " سر أبي " يتربى على الاغتصاب أيضاً كل النكبات التي تتحقق

بالشخصيات ، وكان بذرة الدنس لابد أن تثمر ثمارها المريمة المأسوية ، لكنها لا تصل في معظم الأحيان إلى النهايات التراجيدية التي تقضي بالموت على الشخصيات ، ذلك أن النهاية السعيدة خير باسم لجراح الماضي وماسيه !! في هذا الفيلم يسافر الشاب الصغير فؤاد ابن عادل باشا إلى الخارج . ويقتل عطية ناظر العزبة ، و تستجد زوجته أمينة بالباشا لحمايتها من أهل زوجها المقتول والذين يرشحون لها زوجاً سيني السمعة . ويطمع فيها الباشا ويعتدى عليها بالفعل ، وعندما تخبره أنها حامل يطردتها . وتشاء الصدف أن تضع مولودتها نهاد في نفس اليوم الذي تلد فيه منيرة زوجة سكرتير الباشا ولديها محروس . وعندما يقرر الباشا الزواج من أمينة ، فإنها تموت !! وعندما يربط الحب بين فؤاد ونهاد ، يعيش الأب في حيرة أمام هذه العلاقة . وبالفعل يقرر فؤاد الزواج من نهاد ، لكن الأب يرفض بحجة الفارق الاجتماعي . وعندما يصر فؤاد ، يضطر أبوه للاعتراف بحقيقة علاقتها . عندئذ تعرف منيرة بأنها أبدلت نهاد وهي رضيعة بمحروس ابن أمينة لأن زوجها كان يريد ولداً ، وبذلك يتم زواج فؤاد من نهاد !!

في فيلم " سلوى " لعبد العليم خطاب ، يظن أبوه أن طفلته جاءت عن طريق غير شرعى ، فيتركها لعاشر سبيل وتنقطع الصلة بينهما . وعندما يتضح له أنه كان مخطئاً في ظنه ، يبحث عن الطفلة ولكن دون جدوى . تكبر الطفلة في منزل ذلك العاشر الذي يعمل رئيس عصابة نشل ، ويعلمها السرقة . تمر الأيام ويستطيع الأب أن يستدل على مكانها ويعود بها إلى أسرتها .

في فيلم " عواصف " تكتشف زوجة محام كبير أن لها أخاً غير شرعى فتمده وتساعده بالمال ! (وكان الأخ غير الشرعى لا يستطيع أن يعمل ويكسب ويعتمد على نفسه !!) المهم أن امرأة كانت تطمع في الزواج من زوجها ، تشرع في الكيد لها ؛ فتبوح للمحامي بأن هذا الشاب عشيق لزوجته . وبالفعل يطلقها حين يراها معه كما يطردها أبوها . وتذهب لتعيش مع أخيها . وعندما تعلم الأم بما حدث ،

تعمل على تبرئة ابنتها ، وتضحي بنفسها من أجلها ، فتخبر زوجها بحقيقة ابنتها ، وتوكل لزوج ابنتها برعايتها ، وتعود الحياة مرة أخرى بين الزوجين .

في فيلم "الخطيئة" ترفض الفتاة - هذه المرة - الزواج من الشاب الذي تورطت معه بل وحملت منه . وهو سلوك غير مصرى على الإطلاق . ذلك أن أمينة تحب الموسيقى الفقير عادل ، وترتبط معه لكنها ترفض الزواج منه . يكتشف الدكتور خليل الحمل فتكون فرصة لابتزاز المال من جدة أمينة ، ويفشى السر لشكري بك ، وينفقان على ابتزاز الجدة . تأمر الجدة خفير الفيلا بقتل الرضيع إلا أنه يأخذه إلى منزله . ويدخل شكري وخليل الفيلا ويسرقان ما بها من مال ثم يحرقان الفيلا . لكن شكري يخون شريكه ويغلق عليه باب الغرفة إلا أنه يتمكن من الخروج ويطلق الرصاص على شكري . وكالعادة يعترف شكري بالمؤامرة مع خليل قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة . وبعد كل هذه الكوارث الميلودرامية ، يلتقط شمل أميرة عادل ، هو وأميña وطفلهما في حياة مستقرة !!

كذلك شهد عام ١٩٤٧ أربعة أفلام من هذه النوعية : "ضربة القدر" ليوسف وهبى ، و "غدر وعذاب" لحسين صدقى ، و "ثمرة الجريمة" للسيد زيادة ، و "أبو حلموس" لإبراهيم حلمى ، وإن كان الفيلم الأخير قد تناول نيمة الابن السفاح بأسلوب كوميدى لا يقدر عليه سوى بديع خيرى ونجيب الريحانى .

في فيلم "ضربة القدر" تتجلى مأساة فتاة تورطت مع شخص كانت تحبه ، فتضطر إلى الهرب بعد أن تخلى عنها لتعمل مربية لطفلة رجل أرمل يتزوجها دون أن يعلم شيئاً عن ماضيها . ويتصادف أن يعود شقيق الزوج فتفاجأاً بأنه الرجل الذي غرر بها وتخلى عنها !! (وكأنها لا تعرف شيئاً عن أشقاء زوجها !!) وإذا به يواصل سفالتة ويبتز أموالها في مقابل عدم إفشاء سرها ، كما يسرق أوراقاً خاصة بالزوجة الأولى لشقيقه الذي يدرك أخيراً شخصيته الشريرة . أما الزوج فكان يعلم كل شيء عن زوجته ويسامحها وتعود الحياة بينهما !

فى فيلم " غدر وعذاب " يعانى أشرف الكهل من وقوع ابنته فى حب شاب كاد أن يغدر بها ، فيمنعها من مقابلته ، فيلجأ إلى معاكستها بالتلفون فتصده . لكنه يواصل حملته ويخبرها بحقيقة أمها الخائنة ، فتسفسر من أبيها عن الحقيقة ، فيخبرها أنه تعرف على أمها وفاء وهى تغنى فى كباريه !! وتزوجها دون علم أسرته ، ودون أن يعلم أنها من أسرة كبيرة وأن شاباً غرر بها . تمر السنوات وتفاجأ بأن الشاب الذى غرر بها هو شقيق زوجها أشرف ، الذى كان يتلقى علومه فى الخارج . تحاول أن تعرف لزوجها بالحقيقة ، فى حين يطاردها الشاب ويطلب منها أن يعيدا علاقتهما . وعندما تقابلها يفاجئها أشرف فيطلقها . عندئذ تنتقم وفاء من الشاب فتقتله ، ويتم القبض عليها . وليس من الصعب رصد التشابه الواضح بين هذه القصة وقصة فيلم " ضربة القرد " التى كتبها يوسف وهبى ، مع ملاحظة أن الفيلمين عرضا فى عام واحد .

فى فيلم " ثمرة الحرية " كانت البطلة ثمرة لخطيئة أمها مع رجل مستهتر من رجال الأعمال . تتعرف على ابن الجيران الذى يحبها لكنه يعدل عن الزواج بها بعد أن يكتشف حقيقتها . تعمل عاملة شباك فى سينما وتعرض لمغازلة صاحبها . وعندما تترك عملها ، تقع فى براثن صاحب كباريه . ثم تتعرف بأحد أثرياء الحرب والذى يقدم لها الكثير من ثروته طمعاً فيها . وتخفى الفتاة عن أمها حقيقة عملها . وتشاء الصدفة أن تعرف الأم عمل بنتها . ثم تمرض الأم فتضطر إلى الاستدانة من أجل علاجها ، ويبحث الجار عنها حتى يجدها ، ويتعرف عمه على أمها فيتضخم له أنها الفتاة التى اغتصبها فى الماضى ، فيصلح خطأه ويتزوجها فى حين تتزوج الفتاة من الشاب الذى أحبها بإخلاص !!

فى فيلم " أبو حلموس " يصبح ابن السفاح سلاحاً مطلوباً فى أيدى الشخصيات كى تستخدمه فى تحقيق أغراضها دون أية مشاعر مأسوية أو حساسيات شائكة ، بل إنه يتحول إلى لعبة مسلية ومثيرة ومحرجة لهم . فالموظ

الجديد بإحدى الدوائر له دراية بالحسابات والأعيبها ، بحيث يكتشف تلاعب ناظر الوقف فيها لصالحه الشخصى . يقع الموظف فى حب ابنة ناظر الوقف ، فى حين تدعى إحدى الراقصات على ابن ناظر الوقف أن لها ابنًا من علاقة معه ، لكنها لا تبادله الحب لأنها على علاقة بأخر !! ترك له الطفل الذى تجد فيه ابنة ناظر الوقف فرصة لكي يوافق أبوها على الزواج من الموظف الجديد بعد أن تدعى أن الطفل هو ابنها من علاقة مع الموظف الجديد ، ويوافق الأب مضطراً . وتمر الأيام ويكسب الموظف الجديد ورقة يانصيب ، فتتبدل عواطف الأسرة نحوه بعد أن استكروا زواجه من ابنته فى البداية .

فى عام ١٩٤٨ قدم عبد الفتاح حسن فيلم "نرجس" الذى كتبه وأخرجه ، وصور فيه حياة فتاة لقيطة تنشأ فى بيت لرجل متوسط الحال ، وتحب شاباً متواضعاً مثلها . لكن تشاء الظروف أن يتعرف عليها أبوها الثريان ، ويعرضان عليها الزواج من شاب ثرى من طبقتهم إلا أنها ترفض وتتزوج من الشاب الذى أحبها لنفسها .

فى عام ١٩٤٩ قدم يوسف وهبى فيلم "بيومى أفندي" الذى صور فيه شخصية بيومى الساعاتى الذى يرث مهنته أباً عن جد ، ويربع فيها كما يشتهر بأخلاقه الطيبة . يحدث أن يحب زبيدة الخادمة ويتزوجها بالفعل . تلد له ابناً بعد سبعة أشهر ، ويدرك أن هذا الابن ليس من صلبه لكنه يكتم السر ويتصرف بأسلوب أوربى لا يتأنى لساعاتى !! ثم ينجبان طفلة . وتمر السنوات ويخطب ابن ابنة أحد الباشاوات الذى يوافق على زواجهها من ابن ساعاتى !! فى حين تحب الابنة طبيتها الذى يتضح أنه ابن غير شرعى أيضاً . ويثور الجميع ضد هذا الزواج إلا أن بيومى يضطر إلى إفشاء السر حتى ينتزع ابنته من هذه المشكلة . وفي النهاية يتم زواج ابنة بيومى بالدكتور والابن من ابنة البasha !!

وبحلول عقد الخمسينيات يتضاعف عدد أفلام الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والأبناء غير الشرعيين ، إذ يبدأ العقد بفيلم "المظلومة" لمحمد عبد الجواد ، والذي يصور حياة هند الفتاة التي يغويها سيدها شوقي ، فتستسلم له وتحمل منه وعندما تطلبها بالزواج يتذكر لها . وفي ليلة زفافها تهرب مع آخر حتى لا ينكشف عارها لأسرتها ، وتلتجأ لإحدى صديقاتها التي يتبنى زوجها ابنها الرضيع كمال الذي يشب وهو يعتقد أن هند خالته . وعندما يحب زميلته سامية ، تكشف حقيقته لكن والد حبيبته يقدر ظروفه ويوافق على زواجه منها .

أما عام ١٩٥١ فقد شهد ثلاثة أفلام من هذه النوعية : "ابن النيل" ليوسف شاهين ، و "ليلة الحنة" لأنور وجدى ، و "ليلة غرام" لأحمد بدرخان . ففى الفيلم الأول يجد حمدان الشاب الريفى نفسه مرغماً على الزواج من زبيدة القروية التي يستغل سذاجتها ويسلبها شرفها . وبرغم حبه لها ، فإنه دائم التنمر من الحياة الريفية التي يحياها ، وكله أمل أن يرحل إلى القاهرة . وبالفعل يغادر قريته إليها بعد أن يعتقد أن زوجته توفيت أثناء الولادة . وفي القاهرة تتلقفه عصابة لتجارة المخدرات لكنه لا يعلم حقيقة أمرهم إلا بعد أن يتورط معهم ، ويحكم عليه بالسجن . يتوب ويعود إلى قريته ليجد زوجته على قيد الحياة وأنها أنجبت ابنه .

فى فيلم "ليلة الحنة" تحب فتاة بسيطة ابنة تومرجى فى أحد المستشفيات ، شاباً ثرياً ، يعتدى عليها ويخلل عنها برغم أنها حامل منه ، وتعمل مطربة لتنكفل بحياتها وحياة طفليها . ويستيقظ ضمير الشاب بعد أن يموت الطفل ، ويطلبها للزواج بشرط أن تترك عملها كمطربة . لكن صاحب الكباريه يجد نفسه فى مأزق إذا تركت العمل لأن ذلك سيقلل من إيراداته ، ولا يجد مناصاً من أن يفتشى سر ماضى هذه الفتاة لأسرة الشاب . وبالفعل يرفض أبوه إتمام هذا الزواج ، لكن الشاب يفكر فى حيلة تدفعه إلى تهديد أبيه بالانتحار ، فيشعر بالندم ويبارك زواجه من الفتاة التي يحبها .

فى فيلم "ليلة غرام" المأخوذ عن قصة "لقطة" لمحمد عبد الحليم عبد الله ، تدخل ليلي الملجأ برعاية المرضعة زينب التي تموت بعد حين . وتنقق ليلي فى دراستها ، وتعمل لدى طبيب كبير فى مستشفاه بالقاهرة . ويحدث أن تتعرف على كوكب ابنة مرضعتها زينب . ثم تتعرض ليلي لغيره زوجة الطبيب الذى يطردھا بعد مؤامرة من الممرضات ضدها . تحصل على عمل فى مستشفى بالإسكندرية حيث تتم علاقه حب بينها وبين الدكتور جلال الذى يقرر الزواج منها ، لكن أهله يكتشفون أنها لقطة . وتنهى حياتها بدون أى مبرر درامي إذ تجرح يدها ويثلوث الجرح ويُسرى المرض فيها وتموت !!

وقد شهد عام ١٩٥٢ ثلاثة أفلام أيضًا هي : " غلطة أم " لهنرى بركات ، و " على كيفك " لحلمى رفلة ، و " من عرق جبى " لفيرنتشو . فى الفيلم الأول تظهر فى حياة أب ابنته سعاد التى كانت ثمرة علاقه آثمة له مع أمها ، بعد أن ظن أن النسيان قد ابتلعاها . ويختلف على مركزه الأدبى والعائلى فيطردھا ويتنكر لها ، فتعمل مغنية فى كباريه يستغل مديره معرفته بحقيقة نسب الفتاة ، فيبتز أمها طائلة من الأب الذى يندم فى النهاية ويعرف بأبوته للفتاة ، بل ويقتل مدير الكباريه . كما تعرف لها أمها بتنخلى أبىها عنها . وفى النهاية تزول المخاوف التى تهدد حياة الأب ويلتقم شمل الأسرة .

فى فيلم " على كيفك " ينهم شاب ظلماً فى ليلة زفافه بإنجابه ابناً غير شرعى من أخرى ، ويحضر أبو الفتاة ويفضحه أمام عروسه ، ويلزمه بزواجه من ابنته . لكنه يهرب فى حين يظهر الشاب الذى غدر بالفتاة ويتزوجها . تشور العروس وترفض الزواج من الشاب المتهم ، فيحاول اجتذابها إليه باللجوء إلى مستشفى الأمراض العصبية !! والظاهر بالجنون !! وعندما تعلم العروس بمرضه ، تسرع لزيارته فى المستشفى ، فيتضح لها الحيلة ، لكنها توافق بعد أن تتأكد من براءته !!

فى فيلم " من عرق جبينى " يخرج عواد من السجن ، ويدهب إلى بلدته ، ويطلب شريكه أنيس بنصيبيه من الصفة التى أدىت به إلى السجن . يتعرف على عثمان شقيق أنيس ويقابل شقيقته فاطمة التى يقع فى حبها . يعتدى عليها وتحمل منه . أما الأخ الرابع فيحب ابنة متولى البقال . ويسرق أنيس مع عصابته مخزن البقالة ، ويكتشف أهل البلدة جريمته فيطالبوهم بالرحيل فوراً . ويتزوج عواد من فاطمة ، وينكشف أمر أنيس فى تزعمه السرقات المتكررة ، فيعتدى على عواد لكنه فى النهاية ينال جزاءه .

كما شهد عام ١٩٥٣ ثلاثة أفلام أيضاً هي : " دهب " لأبور وجدى ، و " الحب المكرور " لعبد الله بركات ، و " طريق السعادة " لكامل حفناوى .

فى الفيلم الأول تولد طفلة سفاحاً من أم فقيرة تموت ويأمر الأب منير بالخلص من الطفلة ، ونلک بأن تلقى ابنة أخيه دهب بالطفلة فى النيل ، لكنها تتركها فى الطريق لعل أحداً يعطف عليها . وبالفعل يعثر عليها ألفونسو وهو فنان متشرد ويتعرف على دهب قبل أن تصرف . يكتشف فيها موهب فنية فيدر بها ويقوم برعايتها ، ويخرجان معاً طلباً للرزق . يعملان فى أحد المسارح حيث تغنى وترقص ، وتحسن أحوالهما المادية . وفي لقاء ثان بدهب تبوح لألفونسو بحقيقة الطفلة التى هي ابنة منير الذى اعتدى على أمها الخادمة وتخلى عنها ، ثم تدل عما عن مكانها . يخسر منير كل أمواله فى القمار فيسعى إلى ضم الطفلة إليه حتى ينعم بثراها . ويرفع قضية للضم . لكن القضاء يرى أن ألفونسو هو أحق بحضانتها ، ثم يتزوج من دهب ويعيش الثلاثة معاً .

فى فيلم " الحب المكرور " يعيش رجل على أموال زوجته التى ينفقها على علاقاته النسائية الكثيرة . تستهويه جارته فيوطد صلته بزوجها ، ثم يتزدد عليها فى غياب زوجها . وعندما تصده يدفع الراقصة لإيقاع زوجها فى شباكها . وبالفعل يبدد عليها مبلغاً كبيراً . ينتهز الرجل الفرصة ويقوم بسداد الأموال ليكسب ود

الزوجة ، إلا أنها تصر على صده ، فيحاول أن يغتصبها إلا أن زوجته تحضر في الوقت المناسب وتنقذه بالفعل .

في فيلم " طريق السعادة " تتطلع ابنة موظف بسيط إلى الجاه فترفض كل من يتقدم للزواج منها ، إلا أن أبيها يرغمها على الزواج من حسين الذي تهرب منه في ليلة زفافها مع شاب ميسور لكنه يغدر بها ويتركها تعاني بؤس الحياة . وتشاء الصدف أن تقابله مرة أخرى فيخدعها مرة أخرى ويعدها بالزواج ، فتذهب إليه في منزله ، ويحاول اغتصابها لكنها تقاومه بل وتنقذه دفاعاً عن نفسها . عندئذ يدافع عنها خطيبها السابق حتى تثبت براءتها ، وتتزوج منه ، وهو الذي سبق أن رفضته وهربت منه .

أما عام ١٩٥٤ فقد زادت فيه جرعة أفلام الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً ، فأصبحت خمسة أفلام هي : " موعد مع السعادة " ، و " رقصة الوداع " لعز الدين ذو الفقار ، و " ليلة من عمرى " لعاطف سالم ، و " شرف البنت " لحلمي رفلة ، و " الظلم حرام " لحسن الصيفي .

في فيلم " موعد مع السعادة " تعيش إحسان في منطقة البحيرات مع أبيها الذي يرعى منزل أحد الأثرياء والذي يحضر في أوقات متفرقة لاصطياد البط مع مجموعة من أصدقائه . تحب إحسان هذا الشاب الثري الذي لم يشعر بحبها وإن كان قد لاحظ جمالها ، ويعتدي عليها وهو مخمور تماماً . وعندما تكتشف أنها حامل ، تهرب إلى القاهرة وتلذ طفلتها ، في حين يسافر الشاب إلى الخارج لاستكمال دراسته الطبية . تعمل إحسان ممرضة في أحد المستشفيات . وتشاء الصدفة أن يعمل بنفس المستشفى نفس الطبيب بعد عودته من الخارج ، وتشاء بينهما علاقة صداقية ، لكنها تخفي عنه ما حدث . وعندما يتوصل أهلها إلى مكانها ، يحضرون للقصاص ، فتعترف أمام أبيها بالحقيقة ، ويتزوجها الطبيب .

فى فيلم " رقصة الوداع " يعتدى ابن الأسرة الثرية على الخادمة وتحمل منه . وتسعى الأسرة إلى إخفاء جريمة ابنها ، فتتزوج الخادمة من مجرم ، ويمنح اسمه للطفلة ثمرة الجريمة ، والتى تكبر وتصبح راقصة مشهورة . وتقع فى حب شاب يستطيع بعد ذلك أن يعرف الأب الحقيقي الفتاة التى يحبها ، فيعرف الأب مكان ابنه ويحاول إنقاذها من أبيها المزعوم لكنه يثور عليه ، فى حين تكتشف صاحبة الكباريه أن زوجها يشتهى الفتاة ، وتدفع بأعوانها لابعاده عن طريقها بحيث تعود فى النهاية إلى أبيها الحقيقي وللشاب الذى يحبها .

فى فيلم " ليلة من عمرى " تعمل فتاة فى حقل عنب ، وتقع فى حب ابن صاحب العزبة ، ويتورطان فى علاقتهما ، لكنه يعتزم الزواج منها فيكتب لها ورقة يقر فيها بخطئه ونيته للزواج منها ، ثم يسافر إلى أوروبا للدراسة حيث تطول غيابه . ويكتشف أبوها ما حدث بعد أن تظهر عليها علامات الحمل . فلا يقتلها بل يهربها من البلدة إلى إحدى قريباته لتقيم معها وتلد مولودها ، ثم تعود إلى البلدة لتسقسر عن أخبار حبيبها الذى يعود ويتزوجان .

فى فيلم " شرف البتت " تمنع الممثلة ابنتها الشابة ذات الميول للتمثيل من ممارسة هوايتها . لكن يحدث أن يرى الكاتب المسرحي الكبير أن الابنة هي الممثلة المناسبة لدور البطولة فى مسرحيته بدلاً من أمها . وتشرع الفتاة فى حفظ دورها سراً ، لكن المفاجأة أن الأم كانت تتمرن على نفس الدور الذى انتظرته لتحقق به مجدًا ، وعندما تعرف ما كانت ابنتها تخفيه عنها ، تظن أنها تورطت وفقدت شرفها !! (وكان الشرف هو الثمن المعتاد فى مقابل المجد الفنى !!) وينتهي الفيلم بأن تتمثل الفتاة الدور الذى حلمت به دون أن تفقد شرفها !!

فى فيلم " الظلم حرام " تقع هدى ضحية فريد الذى يغرس بها وتحمل منه . ثم يوهمها بحيلة أنها قتلت خادمه !! ويستغل ذلك فى ابتزاز أموالها خاصة بعد زواجها من رجل ثرى . ثم يتزوج شقيقها من هدى ، ويرسل إليها خطابات باسم

هدى ، ويقع أحدهما فى يد الزوج الذى يظن أن زوجته هدى هى المقصودة .
يتوصل لمكان فريد ويشاجران ، ويطلق فريد الرصاص عليه فيصييه ، ويلقى
فريد مصرعه وهو يحاول الهرب ، ثم يعرف الشقيق الحقيقة !!

فى عام ١٩٥٥ أخرج عز الدين ذو الفقار فيلم "شاطئ الذكريات" الذى
يموت فيه الصياد ويسعى ابنه الفاسد إلى بيع المراكب ، فيشتريها صديق أبيه ، فى
حين يعلن فنسخ خطبة ابنته له !! وتسعى الفتاة إلى أخيه بالتبني ، وتعترف له أنه
اغتصبها وأنها حامل ، ويرفض الزواج منها . فيتعاطف معها ويتزوجها فتتجبر له
ولداً . يعود الأخ الفاسد لاسترداد فتاته طمعاً في أموالها ، وعندما ترفض يكتشف
أنها متزوجة من أخيه فيخطف ابنهما !! لكن الحقيقة تكتشف ، وتعود السعادة إلى
الزوجين ، ويلقى الأخ الشرير جزاءه على يد عشيقته !

وفي عام ١٩٥٥ أيضاً أخرج حسين صدقى فيلم "قلبي يهواك" الذى تجبر
فيه سعاد ابنة التاجر الثرى على أن تخطب لشاب لم تحبه لأنها تحب أحمد الموظف
الذى يعمل عند أبيها ، وتأمل أن تتزوجه ، لكن يتضح أن له ولد من مطلقة
فتزوج من زكى الطامع فى ثروة أبيها . ثم تشاء الصدفة أن تتعرف سعاد بمطلقة
أحمد التى يعجب بها زكى ويحاول اغتصابها وإغراءها بمعاشرته ، لكن الصدفة
تتدخل مرة أخرى ويقع لها حادث أليم يودى بحياتها ، وفي النهاية يتزوج أحمد
من سعاد !

فى عام ١٩٥٦ يخرج عز الدين ذو الفقار فيلم "عيون سهرانة" الذى يربط
فيه الحب بين فاطمة وابن الجيران الطالب فى السنة النهائية فى كلية البوليس .
ويبيوح الأب لابنته بسر رهيب وهو أن ابنته الأخرى انتحرت تخلصاً من عارها ،
واعترفت له قبل موتها بمن اعتدى عليها . وعندما ذهب إليها فوجئ بأن هناك
شخصا آخر سبقه ، وخشي أن يقبض عليه فهرب بفاطمة وغير اسمه ، وعمل فى
الكباريه الذى تمتلكه رجاء ، والتى يتضح أنها القاتلة ، وهذا سر عطفها على

صابر. عندئذ تدرك فاطمة أنها لا يمكن أن ترتبط برجل البوليس الذي يكلف بالقبض على صابر ، لكن ضمير رجاء يستيقظ ، فالتهمة ثابتة على صابر وهي أدرى بشقاء ابنته ، فتعترف بالجريمة ، ويلتئم شمل العائلة وتتزوج فاطمة من الصاباط .

وفي عام ١٩٥٦ أيضاً يخرج أحمد بدرخان فيلم "إزاي أنساك" الذي يكتشف فيه المطرب المشهور موهبة مغمورة في فرقته فيرعاها ويشعر نحوها بالحب ، مما يثير غيرة الفتاة التي كانت تمثل عليه الحب طمعاً في ثروته . ترسم خطة مع صديقها كى يمثل على المطربة دور العاشق ويوجهها بالزواج . وتنقاد المطربة للصديق ، وتتهرب من المطرب الذي يضطر للبحث عن أخرى تقاسمه الاستعراض ، في حين يعتدى الشاب عليها وهي مغمورة ، وعندما تستعطفه ليتزوجها يطردتها . وتندم على ما فعلته مع المطرب الذي يصفح عنها ويستأنفان حياتهما في الحب والفن .

أما عام ١٩٥٨ فقد شهد ثلاثة أفلام هي : "قلوب العذارى" لحسن الإمام ، و "الهاربة" لحسن رمزى ، و "توبة" لمحمود ذو الفقار .

في الفيلم الأول يعجب ابن البasha بفتاة فقيرة وتتورط في علاقتها معه ، في حين تواصل عشيقة الابن ابتزازه . وعندما يحاول أن ينهى علاقته بها ، تتحرّأ أمامه !! ويقبض عليه بتهمة القتل ، لكن الحقيقة تظهر ، كما تظهر آثار الحمل على الفتاة التي تضع مولودها في أثناء سفر أبيها الذي يكتشف الحقيقة ويطلب من البasha أن يتزوج ابنته من ابنته فيرفض . لكن عندما يرى البasha حفيده ، يبارك الزواج بينهما !!

في فيلم "الهاربة" يضغط العمدة على ابنته لتتزوج من ابن عمها ، فتهرب إلى القاهرة حيث يأويها طبيب في منزله ويغرس بها . ثم يسافر إلى ألمانيا في بعثة لمدة ثلاثة أعوام . (ودائماً يحدث السفر بعد التورط والحمل) !! المهم أن صديق

الطيب يقنعها بالسفر مع فرقة غنائية تجوب البلاد العربية لأنها تتمتع بموهبة الغناء . ويحدث أن يرسل إليها الطبيب خطاباً من الخارج إلا أنه لا يصلها . تضع مولودها ، وتحقق نجاحاً كبيراً . ويعود الطبيب من بعثته ويعين وكيلاً لمستشفى بلدتها التي هربت منها !! تطالبه بالاعتراف بابنه إلا أنه يماطل نظراً لأنه خطب فتاة أخرى !! كما يضم ابن عمها على قتلها عندما يكتشف ما حدث ، لكنه يتراجع ويكتفى بحرمانها من العودة إلى بلدتها !! وينتهي الفيلم بندم الطبيب على موقفه منها فينفصل عن خطيبته ويتزوجان !!

في فيلم " توبة " تعلم وداد ممرضة ، ويطمع فيها أبو المعاطى الذي يوهمها برغبته في الزواج منها ، فتتورط معه ثم تكتشف أنها حامل ، لكنه يتخلى عنها ويطردها ، فتتوارى عن الأنظار حتى تضع طفلتها ، ثم تتحرف الغناء (تماماً كما حدث في فيلم " الهاربة ") !! وفي إحدى جولات الفرقة تلتقي بثلاثة أطفال ، وعندما يعود أبوهم من السفر يعرف ما بذلته وداد من أجلهم . ثم تعتزل الغناء وتصارح أحمد ب الماضي وتبتها ، فيقرر الزواج منها لكن أبو المعاطى يدبر خطة لازاحتة من طريقه . وبحكم أن أحمد يعمل محصلاً ، فإنه يقوم بسرقة الإيراد منه ، فيتهم بالاحتيال . عندئذ تشك وداد في أبي المعاطى ، فتوهمه بحبها وتستدرجه للاعتراف بهذه الجريمة على مسمع من رجال الشرطة الذين يقبضون عليه ، ويتم الإفراج عن أحمد الذي يتزوج من وداد .

ويختتم عاطف سالم عقد الخمسينيات بفيلمه الشهير " إحنا التلامذة " ١٩٥٩ الذي لا يجد فيه ثلاثة من الشبان الجامعيين الرعالية الكافية من ذويهم ، وتجسد مأساتهم عندما يعتدى أحدهم على خادمته التي تظهر عليها آثار الحمل . ولما كانوا في حاجة إلى نقود لإتمام عملية الإجهاض فإنهم يقدمون على السرقة والقتل ، في حين أن الفتاة تلتقي حتفها عند محاولة إجهاضها ، ويتم تقديمهم للمحاكمة .

وبحلول عقد السبعينيات يتدفق طوفان أفلام الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً والأبناء غير الشرعيين بلا هواة وبلا رحمة ، وكأنها ظاهرة عمت المجتمع المصري كله .. ففي عام ١٩٦٠ وحده عرضت ستة أفلام دفعة واحدة : "نساء وذئاب" لحسام الدين مصطفى ، و "المراهقات" لأحمد ضياء الدين ، و "البنات والصيف" من ثلاثة قصص : الأولى من إخراج عز الدين ذو الفقار ، والثالثة من إخراج فطين عبد الوهاب ، و "معاً إلى الأبد" لحسن رمزي ، و "العاشرة" للسيد زيادة ، و "أبو أحمد" لحسن رضا .

في فيلم "نساء وذئاب" تثق مساعدة في سيدتها عادل الذي يوهمها بحبه فتسلمه ، ثم تكتشف أنها حامل ، لكنه يتخلّى عنها فتترك له الرضيع ، وتغادر القرية إلى القاهرة . تتقابل مع رجل يجبرها على العمل في كباريه ، وتبدل اسمها إلى لوليتا . وبعد فترة تصبح صاحبة كباريه ، ويتردد عليها الدكتور محسن ، الذي تكتشف أنه ابن عادل ، مما يتتيح لها الفرصة للانتقام من عادل . وتتفع نحسن إلى إدمان الخمر حتى تسوء حاليه ، ثم تفاجأ بأن محسن هو ابنها . تسرع للمستشفى ، ولكن بعد فوات الوقت .

في فيلم "المراهقات" تعيش صافية حياة قاسية مع زوج أمها السكير ، ويحدث أن يعتدى عليها أحمد ابن زوج أمها ، فتتعاطى حقنة لاجهاض نفسها إلا أنها تموت في لحظة عودة حبيبها أحمد ليتزوجها . وهي قصة مقتنة على المستوى الدرامي لأنها تخضع لحتميات لا يمكن الفكاك منها ، وتشكل تنويعاً من ضمن التنويعات الثلاث التي تشكل نسيج الفيلم .

في فيلم "البنات والصيف" الذي يتكون من ثلاثة قصص ، لا ترتبط بعضها بعضاً إلا ببرباط الصيف والجنس ، تحتوى القصة الأولى التي أخرجها عز الدين ذو الفقار ، والثالثة التي أخرجها فطين عبد الوهاب على تيمات الاغتصاب والتورط . في القصة الأولى تظهر امرأة شابة مسلوبة الإرادة ، وزوجة

لرجل لا شخصية له ، ويثق في صديقه ثقة مطلقة ، ويستسلم لسيطرته عليه !! (وهذه أعراض لتخلف عقلي وليس لمجرد انعدام شخصية الزوج) !! إذ أن الصديق يشتهي الزوجة ويغتصبها . وبعد فترة تقرر المقاومة لكنها سرعان ما تخاذل . تلجم إلى إثارة غيره زوجها وشكوكه لكنه سادر في غفلته !! تدرك صديقة الزوجة موقفها فتبر الأمر بحيث يضبط الزوج زوجته في أحضان صديقه . وتتظر ثورة الزوج فلا يحدث ، فقتل الصديق وتتحرر . أما القصة الأخرى (الثالثة) فتدور حول فتاة طموح ومتخرجة وتعيش في جو من الأحلام والمخاطر . وتتعرف على شاب يغريها بحديثه المعسول فتستجيب له ، ثم يذهب بها إلى شاليه خاص ويحاول الاعتداء عليها ، لكنها تقاومه حتى ينقدها شاب كان قد تقدم لخطبتها ورفضته .

في فيلم " معاً إلى الأبد " لحسن رمزى ، ينقذ المهندس أحمد هدى من الغرق ، ثم يدعوها إلى منزله حيث ترى صورة أمه نجوى التي كانت على علاقة بابيها وأنجبت منه أحمد !! ولذلك يرفض أبوها زواجهما من أحمد ويبيوح لها بحقيقة علاقتها ! لكن عمة أحمد تخبره بالحقيقة وهي أن أمه احترقت في القطار مع ابنها الذي أنجبته من رافت . (فما أسهل الحلول لأعقد المسائل في السينما المصرية) !! ويتسرب اليأس إلى هدى فتحاول الانتحار ، لكن سرعان ما يبيوح أحمد لرافت وهدى بحقيقة الأمر كما أخبرته العمة ، فيبارك الأب زواجهما !! (ويادار ما دخلك شر !!)

في فيلم " العاشقة " يتظاهر شلبي ابن العمدة بحبه لأشواق المتزوجة من خليل ، فيحثها على الهرب معه ، وبعد أن يشبع رغبته منها يعود لبلدته ليقتل بيد خليل .

وفي فيلم " أبو أحمد " يقدم جاد على جريمة قتل يذهب ضحيتها رئيس الكراكة طمعاً في أن يصبح هو الرئيس . يعين أبو أحمد رئيساً للعمال ، ويتقدم قاسم ابن خالة أمينة زوجة أحمد للزواج من نعيمة أخته . يرحب أبو أحمد بهذه الزيجة

لكنها ترفض لأنها لا تحبه . ويخبر الطبيب أبو أحمد بأن نعيمة حامل ، فيفهم خطأ أنه يقصد أمينة التي تطلب من جاد أن يتوسط لدى رمزي لإصلاح خطئه مع نعيمة ، في حين يحاول رمزي إجهاض نعيمة ، ويدبر جاد مقابلة بينه وبين أبو أحمد ليشهد مقابلة نعيمة برمزي . وتذهب أمينة لمقابلة رمزي بشأن إصلاح خطئه ، فيفاجئهما أبو أحمد وتشتب بينهما مشاجرة . يخبر جاد أبو أحمد أن زوجته أمينة حملت سفاحاً ، لكن القبض يتم على جاد الذي يعترف بجرائمها ويعود أبو أحمد لزوجته !

أما عام ١٩٦١ فيشهد ستة أفلام من هذه النوعية : " موعد مع الماضي " لـ محمود ذو الفقار ، و " غرام الأسياد " لـ رمسيس نجيب ، و " لا تطفئ الشمس " لـ صلاح أبو سيف ، و " فطومة " لـ حسن الصيفي ، و " الضوء الخافت " لـ فطين عبد الوهاب ، و " حياتي هي الثمن " لـ حسن الإمام .

في فيلم " موعد مع الماضي " يقع ابن صاحب مصنع في حب ابنة أحد العمال ، ويعلمها القراءة والكتابة ، ثم يتورطان في علاقتهما ، ويستعد للزواج منها فيفاجأ برغبة أسرته في أن يتزوج من ابنة صاحب مصنع منافس له فيرفض . يطرده أبوه غير أن حبيبته تهرب لكي لا تتفق في سبيل سعادة أسرته ومستقبله . وعندما تحس بدنو أجلها ترسل إليه ابنهما وتموت بين ذراعيه .

في فيلم " غرام الأسياد " تعجب ابنة السياسي بالابن الأكبر لـ سيد القصر إلا أنه لا يشعر بعواطفها ، تلتف نظر الابن الأصغر فيتعلق بها ويحاول أن يغتصبها لكنها تدافع عن نفسها . وتحول إلى عارضة أزياء !! فيقع في غرامها الشقيق الأكبر .

في فيلم " لا تطفئ الشمس " تتوسط ليلى في حب فتحى ويزوجونها فتطلب الطلاق ثم تحاول الانتحار ، لكنها تعدل عنه ثم تصرف عن فتحى إلى شاب آخر .

فى فيلم "فطومة" تهيم فتاة على وجهها فى الشوارع ، فيفاجئها طبيباً السابق ويصطحبها إلى منزله ويغتصبها ثم يختفى من حياتها ليسافر إلى الخارج ويعود طبيباً يعمل فى دار حضانة ، وكانت قد أنجبت ابنًا أودعته فى نفس الدار ، ثم عملت راقصة ، وتزوجت من بطجي شرير . تلتقي بالطبيب السابق فتقرر الانتقام منه وتورطه فى جريمة قتل زوجها ، إلا أن براعته تظهر ، ويتزوج منها بعد أن يصفو الجو بينهما !!!

فى فيلم "الضوء الخافت" يتعرف الكاتب المعروف على فتاة يقنعها بأن تتجه للتمثيل لأنها يرى فيها بطلة لقصته . وتوافق لكن المخرج السينمائى يطمع فيها فتسجّب له وتهجر الكاتب . تعيش فى الشقة التى أعدّها المخرج لها ، وحين يشرع فى اغتصابها ، تهدّه بمسدس . ويشتعل فى شقتها حريق ينبع عن تشوّه فى وجهها . وعندما يعلم الكاتب بذلك ، يرسلها إلى الخارج للعلاج !!

فى فيلم "حياتى هى الثمن" يلتقي طبيب شاب وزوجته برجل واسع الثراء ، فتعجبه الزوجة ويحاول الوصول إليها عن طريق أغراء زوجها بأن ينشئ له مستشفى ويرسله للخارج . يحاول اغتصاب الزوجة فتصده . لكنه يوصى بمبلغ كبير لابنها مدعياً أنه ابنه نتيجة علاقة آثمة مع الزوجة . يطلق الطبيب زوجته ، لكن زوجة الرجل الثرى تثبت فى المحكمة بالتقارير الطبية أن زوجها رجل عقيم ، وبذلك تبرئ الزوجة وتعود الحياة الزوجية إلى مجريها بين الطبيب وزوجته .

وفى عام ١٩٦٢ عرضت ثلاثة أفلام : "الخطايا" لحسن الإمام ، و"رسالة من امرأة مجهولة" لصلاح أبو سيف ، و"مذكرات تلميذه" لأحمد ضياء الدين . ففى الفيلم الأول يربط الحب بين حسين وزميلته سهير ، فى حين يقرر الأب تزويجها من أخيه أحمد ، ذلك أن حسين قد تبنّته الزوجة فى بداية حياتهما لكن حسين وأحمد لا يعلمان بهذا السر .

ويرفض أحمد الخطبة لعلمه بحب حسين لسهير . ويصرح والد أحمد لوالد سهير بحقيقة حسين الذي يعارض موقف أبيه الذي يثور عليه ويطرده من المنزل بعد مصارحته له بحقيقة التي تؤكدها الأم لحسين ، فهو ابنها نتيجة تورطها في علاقة بأخر ، و تستعطفه بأن يعود إلى المنزل . يحتفظ حسين بسر أمه ، ويندم الأب على تصرفه ويوافق على زواجه من سهير .

وعندما كانت السينما المصرية تقتبس روايات أجنبية ، فكان اختيارها يقع على الروايات الراخراة بالعناصر النمطية والمواقف الميلودرامية التي اعتادها الجمهور . وفيلم "رسالة من أمراه مجهولة" المقتبس عن رواية سينفان زفایج المعروفة بنفس الاسم مثال على ذلك . فهو يصور أحمد الفنان المشهور الذي يعيش حياة حافلة بالأصدقاء والمعجبين . يتعرف على أمل التي تعجب به ، ويرى فيها لأول مرة الحب الصادق . لكنها تورط معه وهو مخمور وتحمل . تبتعد عنه وتلد طفلها الذي يصاب بعد ذلك في حادث ، وينقل إلى المستشفى في حالة حرجة وخطيرة . وترسل له و تستعطفه لرؤيه ابنه الذي يشفى بعد أن ينقل إليه دم من أبيه !! ثم تحل النهاية السعيدة النمطية بعد طول معاناة نمطية أيضاً !!

في فيلم " مذكرات تلميذة " تعيش نادية أحالمها الوردية ، لكن جلال صديق شقيقها حسن ، يغرس بها بوعوده الكاذبة بالزواج ثم يتركها بعد أن تورط معه . تترك منزل أسرتها وتنقابل مع شاب فقير يعطف عليها ويتزوجها . وعندما يعلم حسن ما فعله جلال ، يقرر الانتقام منه وتنشب معركة بينهما ، في حين يصل زوج شقيقته نادية ويحاول تهدئه الأمور إلا أنه يصاب ليلقى مصرعه وتنهار نادية !!

وشهد عام ١٩٦٤ ثلاثة أفلام بمثابة ثلات تنويعات على الاغتصاب والحمل سفاحا : فيلم "أدهم الشرقاوى" لحسام الدين مصطفى ، و "آخر شقاوة" لعيسى كرامة ، و "العمر أيام" ليوسف عيسى . ففي الفيلم الأول كان أدهم الشرقاوى

يسرق من الأغنياء ليعطى الفقراء ، لكن طريقته هذه لا تعجب أحد أتباعه الذي يشاق للمال الحرام ، بل ويحاول اغتصاب خطيبة أحدهم ، ويبلغ الحكومة عن مكانه، فيداهم البوليس المكان في أثناء عقد قرانه على سلمى ويموت في المعركة .

أما في فيلم "آخر شقاوة" فتحول الولادة سفاحا إلى لعبة خبيثة بين الشخصيات : ثلاثة طلبة يعيشون في شقة واحدة ، أحدهم جاد في دراسته في حين يتعرف زميلاه على فتاتين تتفقان مع أحدهما على ابتزاز أموال الشبابين ، وتدعى إيهادهما أنها ولدت سفاحا من أحدهم . وسرعان ما يلقى كل واحد من الثلاثة التهمة على الآخر ، مما يؤدي إلى اضطراب العلاقة بين الشاب المتفوق وحبيبه ، لكن أذوبة الفتاتين تكشف في النهاية .

في فيلم "العمر أيام" يتقرب فتحى من وداد ابنة صاحب المصنع ليحقق أطماعه في المستقبل ، لكن أباها يرفض هذا الزواج غير المتكافئ ثم يجبر بعد ذلك على تزويجها منه بعد أن تحمل منه سفاحا .

وشهد عام ١٩٦٥ أربع تنويعات نمطية على نيمة الاغتصاب وتوابعه في أربعة أفلام : "أرملة وثلاث بنات" لجلال الشرقاوى ، و"الثلاثة يحبونها" لمحمود ذو الفقار ، و"الحرام" لهنرى بركات ، و"العنب المر" لفاروق عجمة .

في فيلم "أرملة وثلاث بنات" يستولى دياب على نصيب أسرة شريكه محفوظ بعد وفاته . ويعتدى جودت خطيب زهرة ابنة محفوظ عليها ثم يتخلى عنها فتصاب بعقدة نفسية . وتسدين الأم حتى توفر المال اللازم لعلاج زهرة . وتتجأ إلى دياب ليعيد إليهم نصيبيهم ، فيشترط أن يتزوج من ابنتها هدى . توافقان حتى ينفذا زهرة ويخرجوا من أزمتهم .

في فيلم "الثلاثة يحبونها" ترتبط إيمان الطالبة الجامعية المتحررة التي تعمل في الوقت نفسه سكرتيرة لمدير شركة ، بثلاثة رجال : مديرها الذي يساعدها في

مراجعة محاضراتها ، وخطيبها الأديب الشاب الذى يحبها ويحاول إبعادها عن تصرفاتها التى تسئ إليها . أما زميلها فى العمل فهو مثلها ، يأخذ الحياة من جانبها اللاهى . يتركها خطيبها عندما تكثر الأقاويل عنها ، ويتزوج من صديقتها التى تحبه فى صمت . ويسئء مدیرها فهمها ويستدرجها إلى شقته ويقوم باغتصابها فتها .

فى فيلم " الحرام " تعمل عزيزة وزوجها عبد الله ضمن عمال التراحل . ويصاب زوجها بالمرض الذى يقعده عن العمل وعن ممارسة حياته الزوجية معها . وذات يوم يشთاق إلى البطاطا فتذهب عزيزة لقتلها من الأرض ، فيفاجئها شاب ويعتدى عليها وتحمل . وتتجه فى إخفاء حملها عن الأعين خوفاً من الفضيحة . وعندما تضع طفلها تخف أن يفضحها صراخه فتقتله دون وعي وهى تحاول أن تسكته . تعود إلى العمل متحملة لآلام جسدها فتصاب بحمى النفاث وتموت .

فى فيلم " الغنب المر " يهرب اللسان هاشم وتوفيق من قبضة الشرطة . ثم يعمل هاشم بمزرعة عنب يملكها ناشر ، بل ويقوم بإنقاذ نادية بعد محاولة الشاب المستهتر ممدوح ابن ناشر لاغتصابها ، وتنوطد العلاقة بينهما . وعندما يكتشف ناشر حقيقة هاشم ، يطرده وتتصحّه نادية بتسليم نفسه . وعندما يموت ناشر ، يتحكم ممدوح فى المزرعة وأهلها ، لكن نادية ترفض الزواج منه . ويقع توفيق فى قبضة الشرطة فى حين يسلم هاشم نفسه ويعيد المبلغ المسروق .

فى عام ١٩٦٦ أخرج حسن الصيفى فيلم " مبكى العشاق " عن قصة ليوسف السباعى ، يفقد فيها المهندس الشاب زوجته فى حادث سيارة ، فيأتى لطفلته بخادمة لترعاها ، إذ أنه يعمل فى معامل تكرير البترول . وتنتظر الطفلة بها ، وتذهبان لقضاء الإجازة فى منزل أبيها بالسويس . ويطمع الأب فى الخادمة ، وبدون وعي يغتصبها وتحمل منه ، فيطلب منها أن تتخلص من الجنين ، غير أن الطبيب لا

يوافق على إجراء العملية . وعندما تشعر الطفلة بوجود مشكلة بين أبيها والخادمة ، تحاول الانتحار ، فيقرر الأب الزواج من الخادمة .

في عام ١٩٦٦ أيضاً أخرج نجدى حافظ فيلم "رجل وامرأة" الذي يعاني فيه سامي من عقم زوجته . يسافر إلى لبنان في مهمة عمل ، ويتعرف على فجر التي تعمل بأحد الفنادق ويتورطان في علاقة تؤدي إلى الحمل . ثم يعود سامي إلى مصر ويعيش في صراع لأنه لا يستطيع أن يعترف لزوجته وفي الوقت نفسه لا يستطيع أن يكتب رغبته الحارقة للإنجذاب . وتلاحظ ليلي قلقه فتضغط عليه ويعرف لها بما حدث . ترحب ليلي بتربيبة الرضيع ، فيرسل إلى فجر لكي تأتي لكن الطائرة تحرق بها !!

في عام ١٩٦٧ أخرج صلاح أبو سيف فيلم "الزوجة الثانية" الذي يتحرق فيه العمدة الجشع عثمان لإنجاب طفل يحمل اسمه ، بعد زواج دام عشرين عاماً مع زوجته رقية . وبالفعل يتزوج من فاطمة بعد أن يجبر زوجها على طلاقها ، لكنه لا يستطيع أن ينال منها شيئاً . ويصاب بشلل عندما يفاجأ بأنها حامل إذ أنها لا تزال على علاقتها بزوجها ، بل وتجب بالفعل ، فلا يتحمل العمدة الصدمة ويموت .

في نفس العام (١٩٦٧) أخرج حسام الدين مصطفى فيلم "السمان والخريف" الذي يفقد فيه الشاب المرموق عيسى الدباغ دوره السياسي والحزبي بقيام ثورة يوليو التي يعجز عن الانتحام بها ، ويستبعد من المناصب الحساسة . يلتقي بفتاة الليل ريرى التي تتعلق به وتخلص له . لكن عندما تكتشف أنها حامل ، يطردها ، ويعيش متخبطاً في ضياع . تمر سنوات ويفاجأ بريرى التي تزوجت من صاحب محل عجوز ، وترفض أن تعود إليه .

في عام ١٩٦٨ يقدم كمال الشيخ فيلم "الرجل الذي فقد ظله" الذي يصور حياة يوسف السويفي الصحفي الانهازى والوصولى ، الذي يبيع نفسه في محاولة

لتحقيق طموحه ، كما يسعى للزواج من سعاد الفتاة الأرستقراطية . أما الخادمة مبروكة التي تجسد مأساة فتاة كادحة ، فإن والد يوسف يغتصبها ، ثم يتزوجها وتضع مولودها . وعندما يموت الأب يطردها يوسف ، لكن الوزارة تسقط ويفقد يوسف مكانته .

في عام ١٩٦٨ أيضاً ، أخرج حسين كمال "البوسطجي" الذي يتلخص فيه موظف البريد عباس على خطابات الأهالي في إحدى قرى الصعيد ، فيكتشف علاقة حب آثمة بين فتاة وشاب . فقد حملت منه لكن حبيبها يرسل إليها خطاباً يطمئنها بعزمها على الزواج منها . يضطر عباس لحرق الخطاب بعد أن وقع عليه أثر يتذرع علاجه ، مما يقطع الأمل في حل المشكلة ، ويكتشف الأب فضيحة ابنته فيقتلها .

في عام ١٩٦٩ أخرج صلاح أبو سيف فيلم "شيء من العذاب" الذي تعيش فيه الطالبة آمال مع أمها وزوجها ، فيحاول زوج الأم اغتصابها ، لكنها في دفاعها عن نفسها تقتله بآلة حادة وتهرب لاجئة إلى شاليه بالإسكندرية وتتاجراً أن صاحبه هو الرسام الشهير أحمد خالد ، والذي يقع هو وتلميذه شريف في غرامها . وعندما يفاتهاها أحمد تعرف له بحبهما الذي لم يكن هو نفسه حباً خفياً عليها . وعندما تنشر الصحف تفاصيل الجريمة ، تسلم نفسها ، ويحكم عليها بالبراءة . عندئذ يدرك أحمد أن فارق السن ليس في صالحها ويبارك زواجها من شريف .

في عام ١٩٦٩ أيضاً أخرج عبد الرحمن شريف فيلم "زوجة بلا رجل" الذي تورط فيه نادية في علاقتها مع حبيبها مدحت وتحمل منه . ويقع لمدحت حادث لسيارته ويصادر إلى الخارج لاستكمال علاجه دون أن تعلم نادية التي تبوح لأختها سهير بamasاتها . فتستغل سهير فرصة سفر زوجها في رحلة عمل طويلة في أمريكا ، وتتسبب المولود لنفسها كى تتقذ سمعة أختها . لكن مدحت يعود ويشرح نادية الموقف ويتم زواجهما .

وفي عقد السبعينيات لم تخفت أو تهدا حمى الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً ، بل استمرت بنفس القوة والساخونة والرسوخ . فقد شهد عام ١٩٧١ أربعة أفلام هي : " الغفران " لعبد الرحمن شريف ، و " لعبة كل يوم " لخليل شوقي ، و " حادثة شرف " لشفيق شامية ، و " خطيب ماما " لفطين عبد الوهاب .

في فيلم " الغفران " تفقد الأرملة الثرية عنيات وحيدها الطفل محسن فتها . وفي أثناء إغماها من شدة الصدمة تحطم بأن محسن قد أصبح شاباً عاطلاً ومنحرفاً . ويتعرف على أقران السوء الذين يستغلونه ويبدون ثروة أمه ، كما يحاول اغتصاب سميرة ابنة عبد الجود الجنابي لكن أمه تمنعه من التورط . ثم يتورط في قضية شيك مزور باسم أمه ، فيصل رجال الشرطة ويقبضون عليه . عندئذ تستيقظ الأم وقد وجدت في هذا الكابوس تخفيفاً لصدمتها وهذا يعني أن الاغتصاب قاسم مشترك حتى في الأفلام التي نكلت فيها الأم وحيدها الذي لم يرتكب مثل هذه الجرائم ، والذي لا يمكن أن تخطر ببال أم تمر بمثل هذه المحن !!

في فيلم " لعبة كل يوم " يقوم عينو باغتصاب فكيهه ابنة المعلم ، ثم يساوم أمها أن تعطيه مبلغاً من المال مقابل أن يتزوجها فتوافق ، لكنه يهرب بالمبلغ !!

في فيلم " حادثة شرف " يضيق شعبان بملحقة غريب لخطيبه بنات ، فيتكرر شجاره معها ويفسخ الخطبة . يكتشف غريب أنه يحب بنات بالفعل ويلح عليها للتزوجه لكنها ترفض . يلتقي بها ذات يوم في الحقل فتفزع منه . ويعتقد أهل القرية أنه اغتصبها ، ويصررون على أن تقوم أم جورج بالكشف عليها . وبالفعل تثبت براءتها ، لكن هذا الحادث يترك أثراً عليها لاحساسها أن براءتها قد اغتيلت بالفعل . فتذهب إلى زكية ذات السمعة السيئة وتستسلم لها . ولعل هذا المفهوم الإنساني والناضج لعنصر الاغتصاب يرجع إلى أن يوسف إدريس هو الذي كتب قصته وسيناريو وحوار هذا الفيلم .

في فيلم "خطيب ماما" تعرف مني لصديقتها مشيرة عن تورطها مع شاب يتخلّى عنها (كما يحدث في معظم أفلام الاغتصاب أو التورط) !! ولذلك تسلّم مشيرة خطاباً له لترسله إليه . ويتصادف في أثناء وجود مشيرة على الشاطئ ، أن يطير الخطاب ليقع بين يدي الصديقين فرحت وطلعت فيخشيان على مشيرة من الإقدام على الانتحار ، ظناً منها أنها صاحبة المشكلة فيبلغان جدها . تتعلق مشيرة بطلعت الذي يعطف عليها . وفي نفس الوقت ينمو الحب بينه وبين أمها ، فتوضّح لهم مشيرة حقيقة الموقف ، وتتجه في الامتحان بشركة الطيران لتعمل مضيفة حسب أمنيتها ، في حين تتزوج أمها من طلعت !

كما شهد عام ١٩٧٢ أربعة أفلام : "الأضواء" لحسين حلمي المهنّد ، و"كلمة شرف" لحسام الدين مصطفى ، و"ال حاجز" لمحمد راضي ، و"ليلة حب أخيرة" لحلمي رفلة .

في فيلم "الأضواء" تهرب هناء إلى القاهرة وتتجأ لطماطم حائكة الملابس لممثلة مشهورة . وهناك يعتدى عليها عباس البلطجي ثم تترك طماطم وتعمل خادمة في منزل سالي النجمة المشهورة لعل حلمها في المجد السينمائي يتحقق ، لكن كل أمالها تخيب وتبتعد نهائياً عن طريق الفن .

في فيلم "كلمة شرف" يتخذ السجين سالم عهداً على نفسه بأن يعود إلى السجن بعد السماح له بالخروج منه ، ليعرف لزوجته بالسر في الحكم عليه بالسجن ، إذ كان كبس فداء عندما اغتصب شقيقتها كامل زميلته في الجامعة وحملت منه ثم تخلّى عنها . وتتجأ إليه فيذهب بها إلى طبيب لإجراء عملية إجهاض حفاظاً على سمعتها . وتموت الفتاة في أثناء العملية ويتم القبض عليه وعلى الطبيب ، ثم يفاجأ سالم بزوجته التي تفارق الحياة . ويعود سالم إلى السجن موفياً بعهده .

فى فيلم "ال حاجز " يصاب صلاح بالحمى وتزداد حالته سوءاً ، وتعتى به نادبة ، لكنه يحاول الاعتداء عليها !! فتقاومه فرعاً من حالته . فيخرج المشرط الذى عجز عن استخدامه عندما فشل فى دراسته فى كلية الطب ليقتلها به بلا أى مبرر نفسى أو درامى !!!

فى فيلم "ليلة حب أخيرة" تظهر الصورة التقليدية للمخرج السينمائى الذى لا يقدم الاغتصاب فى أفلامه فحسب ، بل يمارسه أيضاً فى حياته الشخصية !! إذ يعود المخرج فؤاد وجدى من الخارج والذى كانت تربطه علاقة حب بمديحة ، فيحاول أن يعيد علاقته بها ، لكنها تصده لأنها تحب زوجها . وعندما يفشل معها ، يحاول استمالة ابنتها نجوى لكنها تقتله عندما يحاول اغتصابها . فتحاول الأم تبرئة ابنتها من التهمة فتعترف أنها القاتلة ، لكن رجال المباحث يكتشفون الحقيقة ، ويرى القضاء فى جريمة نجوى دفاعاً شرعياً عن الشرف . والتساؤل الذى يطرح نفسه بشدة هنا : كيف يتأنى لمخرج سينمائى أن يخرج فلماً بطله مخرج سينمائى أيضاً وفى صورة سفاح نساء بدون أى مبرر ، فى حين أنه يعلم جيداً أن الجنس لا يشكل أية معضلة أو عقبة فى حياته لدرجة أنه عندما يفاجأ بالصد من حبيبته السابقة لا يجد أمامه فى الدنيا كلها سوى ابنتها ليغتصبها !!؟

وشهد عام ١٩٧٣ أربعة أفلام أيضاً : "حادث النصف متر" لأشرف فهمى ، و"الرجل الآخر" لمحمد بسيونى ، و"شلة المراهقين" لنبذى مصطفى ، و"عاشق الروح" لأحمد ضياء الدين .

فى فيلم "حادث النصف متر" تستلم وفاء لخطيبها أحمد وتحمل منه بالفعل . ويرحب أحمد ويحدد معها موعداً للزواج ، لكن صديقه يشيه عن عزمه لأنه يدين استسلامها له قبل الزواج . وتنثر عليه وفاء لتردده ، وتنقل إلى المستشفى بعد محاولتها للتخلص من الجنين ، ويشرف على علاجها ابن عمها الدكتور مصطفى . وعندما يعرب أحمد لها عن ندمه ، ترفض فى حين يخبره مصطفى عن موعد زواجه من وفاء .

في فيلم "الرجل الآخر" تستدعي سلوى ذات يوم السباق لصلاح عطل ، فيستغل وجودها بمفردها فيعتدى عليها ويهرب . وعندما يصل زوجها صلاح ليجدها في حالة انهيار ، يصاب بأزمة نفسية حادة تؤثر على علاقته بزوجته وعلى عمله . تترك سلوى المنزل بعد أن تضيق به وبمعاملته . ويجتاز صلاح أزمته النفسية ، ويعتذر لزوجته التي تعود لاستئناف حياتها معه .

في فيلم "شلة المراهقين" نرى صورة مكررة ومهزوزة لفيلم "إحنا التلامذة" وذلك من خلال أصدقاء أربعة ، لكل واحد منهم مشكلته . يعاني صفات من حالته المادية الصعبة التي تحول دون زواجه من حبيبته نانا ، في حين يعاني زغلول من أبيه الذي يستجيب أكثر لمطالب زوجته . أما عادل فيقع في حب راقصة في حين يتورط محمد مع حبيبته سميرة ويحتاج للمال لإجراء عملية إجهاض . ولذلك يخططون لسرقة العجوزة دولت التي يقتلها عادل الذي يقبض عليه رجال الشرطة ومعه زغلول في حين يسلم محمد نفسه بعد أن تموت سميرة في أثناء العملية . أما صفات فينتحر عندما تتم خطبة أخيه على نانا !!

في فيلم "عاشق الروح" نرى تكراراً لرواية "غادة الكاميليا" لألكسندر ديماس ولكن بعد إضافة توابيل التورط والحمل سفاحاً ، إذ تتورط راقصة الملهمي عايدة في علاقتها بالدكتور مراد وتحمل منه ، فيقرر الزواج منها . يثور أبوه ويدهب لمقابلة عايدة ، ويطلب منها الانسحاب من حياة مراد حفاظاً على مستقبله ، وألا تخبره بزيارةه . وبالفعل تتخلص عايدة من الجنين وتبدأ في صد مراد . ثم يشتد عليها مرض الصدر فتتصل بالأب و تستعطفه لروية مراد !! (برغم أن مرض السل لم يعد مميتاً كما كان في أيام غادة الكاميليا) !! ويعترف الأب لابنه بما فعله ، وبتضحيته عايدة التي تموت بين يديه !!

في فيلم "الرصاصة لا تزال في جيبي" (١٩٧٤) لحسام الدين مصطفى تدور الأحداث في زمن النكسة في أعقاب حرب ١٩٦٧ ، ويفترض أن تكون هذه

هي التيمة الأساسية بكل أبعادها ، لكن لا مانع من أن يطبع عباس في الزواج من فاطمة ابنة إبراهيم الذي يوافق ، ومع ذلك يقوم بالاعتداء عليها ، ثم يتذكر لها ويرحل عن القرية ، فيصمم محمد على الانتقام لشرف ابنة عمه .

ثم شهد عام ١٩٧٥ خمسة أفلام : "النداهة" لحسين كمال ، "ونغم في حياتي" لهنري بركات ، "يا رب توبة" لعلى رضا ، و"الكرنك" لعلى بدر خان ، و"الظلال على الجانب الآخر" لغالب شعث .

في فيلم "النداهة" يطبع ساكن العمارة المهندس علاء عالم الإلكترونيات في فتحية زوجة الباب القادمة من الريف . يستدعيها بموافقة زوجها بحجة إعداد عشاء لبعض ضيوفه ، ثم يحاول اغتصابها ، فتهرب منه إلى حجرتها ، فيلحق بها في غياب زوجها الذي يصل ليفاجأ بما حدث . فيقرر زوجها أن يرجع بها إلى بلدتها . لكنها تهرب منه في الطريق وتتراءى أمامها صور وهي تعمل كممرضة أو عاملة في مصنع .

في فيلم "نغم في حياتي" تنتهي هناء من دراستها وتعمل سكرتيرة للمطربي الكبير ممدوح . تتوتر طف في علاقتها بمحسن وتحمل منه ، لكنه يتخلّى عنها ويهاجر إلى البرازيل ويتغاضف معها ممدوح ويتزوجها ويمنح المولود اسمه . يعود محسن بعد أن يفشل في حياته هناك ، ويحاول تجديد حبه لهناء ، لكنها تصدّه فيهدّها بمطالبتها بابنه . ينسحب ممدوح من حياتها وخاصة أنها لا تزال على حبها لمحسن ، وذلك حتى يتمكن الطفل من أن يعيش بين والديه الحقيقيين .

في فيلم "يا رب توبة" تتوتر حسنية في علاقتها مع ابن عمها زكي وتحمل منه . وعندما تبوج أنها لوالدة الباشا ، يثور عليها ويرغمها على الزواج من الفلاح إبراهيم . وتضع مولودها في الشهر السادس ، فيرتاب إبراهيم فيها . وعندما تعرف له بالحقيقة ، يهم بقتلها ، ولكن يسبقها حسن ويصوب بندقيته نحوها فتفديها أنها وتموت . يقوم إبراهيم بقتل زكي ويحكم عليه بالسجن مع حسن . وتعمل

حسنية بأحد الملاهي لكي توفر المال لعلاج ابنتها المريضة التي لا تحتمل عذاب مرضها فتخنقها وتصاب بالجنون . ولعل هذا الفيلم أكبر دليل على طغيان العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ، حتى على المخرجين والكتاب من أمثال على رضا ومحمد عثمان اللذين يمتلكان قدرات وموهاب لإمتاعنا بأفلام مثل "إجازة نصف السنة" ، "غرام في الكرنك" ، و "حرامي الورقة" ، وذلك في جو مصرى صميم وبهيج وزاخر باللمسات الجمالية والإنسانية الراقية واللماحة ، والرقصات والألحان والأغانى التي أبدعها محمود رضا وعلى إسماعيل . إنهم يتذكرون كل هذا التراث والجمال والخصوصية خلفهم ، ويقبلون على الاغتصاب والقتل والجنون !!!

في فيلم " الكرنك " يقوم أحد رجال خالد صفوان رئيس المخابرات المصرى باغتصاب زينب التي تحب إسماعيل ، وذلك لإجبارهما على الاعتراف بالتنظيم السرى الذى ينتمون إليه . ثم يفرج عنهما بعد أن يشترط خالد على زينب وإسماعيل أن يعملا لحسابه . وسواء الفيلم أو الرواية التي كتبها نجيب محفوظ ، عبارة عن ركوب للموجة التي صنعوا السادات بما اسماه بثورة التصحيح . فالفيلم لا يحمل فى طياته أية بطولة قومية أو سياسية أو فكرية ، وكان من الممكن أن يتحول إلى فيلم متميز فى تاريخ السينما المصرية لو أنه كتب وأنتاج فى العهد الذى أرادوا إدانته بعد انتهائه .

أما فيلم " الضلال على الجانب الآخر " فيشحنه مخرجه الفلسطيني غالب شعبث بهموم قومية وفلسطينية على وجه الخصوص ، وذلك عن قصة محمود دباب . ومع ذلك لا بأس من إضافة حادثة تورط وحمل كالعادة ، إذ أن زوزو تورط مع محمود الذى تحبه وتحمل منه ، لكنه يتخلى عنها فى حين يتعاطف معها زملاؤه ، فى حين تحطم مثاليات مصطفى عندما تستسلم زميلتهم شهيرة التى يحبها ، محمود . وإذا عرفا

أن هذا الفيلم من إنتاج ما عرف في السبعينيات "بجماعة السينما الجديدة" ، فهذا يدل على أنه لا نجاة للسينما من العناصر النمطية سواء أكانت قديمة أو جديدة !!

أما عام ١٩٧٦ فقد شهد ثلاثة أفلام : "عودة الابن الضال" ليوسف شاهين ، و "ما بعد الحب" لكمال عطية ، و "مراهقة من الأرياف" للسيد زيادة .

في "عودة الابن الضال" نسمع عن الاغتصاب بعد حدوثه . فعندما يحدد موعد زفاف فاطمة وعلى ، تعرف فاطمة له باغتصاب طلبه لها ، فتشتب معركة بين الآخرين ، تنتهي بمجزرة ، إذ تموت فاطمة والأخان وأمهما . وكأن يوسف شاهين قد تقمص شخصية يوسف وهبي في أفلامه الميلودرامية .

في فيلم "ما بعد الحب" تبدأ المشاهد وخلفيات الأحداث بأسلوب غير نمطي على الإطلاق . فالمهندس شريف يعمل في ترميم معابد فيلة ، في حين يقوم صديقه الجيولوجي أحمد بعمل أبحاث في بحيرة ناصر . لكن سرعان ما تفرض العناصر النمطية نفسها ، وفي مقدمتها الاغتصاب ، إذ تُعرض أحمد عصابة من القرادنة يفرضون الإتاوات على المركب ، لكنه يمتنع عن الدفع . فينتقم منه زعيمهم وذلك باغتصاب سامية زوجة شريف ، معتقداً أنها زوجته . وتعترف سامية لزوجها ، لكنها تخفي عنه شخصية الجاني خوفاً عليه ، فينهار شريف ويهجرها ، إلا أنه يندم عندما تكشف له سامية عن شخصية الجاني ، فيدخل معه في معركة يحسمها رجال الشرطة بالقبض على أفراد العصابة .

في فيلم "مراهقة من الأرياف" تكثر خديجة هي وحسن ذات مساء من شرب الخمر ، ويتصاير وصولاً منع ، فتصطحبه خديجة إلى حجرتها ظناً منها أنه حسن !! وتسلمه نفسها ثم توهن حسن أنه الفاعل ، فيسافر إلى العزبة ليفاتح أبيه في عزمه على الزواج من خديجة ، فيوافقان بعد إلحاح ويصطحبوه . لكنها عندما تراهم خديجة من الشرفة ، تظنهم قد جاءوا ليقتلواها فتختبر !!

فى فيلم " طائر الليل الحزين " الذى أخرجه يحيى العلمى عام ١٩٧٧ ، يأخذ التورط الجنسي شكل المأزق السياسى والفضيحة الشخصية التى تؤدى إلى الحكم بالإعدام . فقد صدر هذا الحكم على عادل بتهمة قتل هو برىء منها . ويهرب ويعترف لرئيس المباحث حازم بأنه قضى ليلة الحادث مع درية التى تعترف له بذلك ، لكنها تهددهما بزوجها طلعت مرجان صاحب النفوذ ومع ذلك يصارحه حازم بتورط زوجته ويطلب شهادتها فيرفض . ثم تفشل محاولة طلعت لقتل زوجته عندما تندم وتعترف له بالحقيقة فى قسم الشرطة . ثم تتفجر ثورة التصحيح ويتم الإفراج عن عادل !!

وفى عام ١٩٧٧ أيضاً أخرج سيد طنطاوى فيلم " ابنتى والذئب " الذى تعيش فيه أزهار مع أبيها بعد وفاة أمها ، وتعانى من تزمنه ، فذهب لترعى عمتها بالريف حيث يعتدى عليها يوسف ابن زوج العممة ، لكنها تتكلم الأمر . وعندما يعمل المهندس مصطفى فى عزبة العممة ، يحب أزهار ويعرض عليها الزواج ، لكنها ترفض خوفاً من الفضيحة . ويكرر يوسف اغتصاب أزهار التى تستغيث هذه المرة ، فتسرع إليها العممة وزوجها ومصطفى ، وتعترف لهم بما فعله ، فيتمسك بها مصطفى ويتزوجان .

أما عام ١٩٧٩ فقد شهد أربعة أفلام : " عاصفة من الدموع " لعاطف سالم ، و " أقوى من الأيام " لنادر جلال ، و " مع سبق الإصرار " لأشرف فهمى ، و " حياتى عذاب " لعلى رضا الذى أصر على أن ينهى السبعينيات بفيلم لا يمت بصلة إلى أفلامه الموسيقية والاستعراضية الممتعة ، ولم يكتفى بفيلمه الميلودرامى " يا رب توبه " الذى قدمه فى نفس العقد ، مما يؤكد عجز الجميع عن مقاومة طوفان العناصر النمطية .

فى فيلم " عاصفة من الدموع " يتورط المحامى الكبير عصام مع سكريترته عزيزة ، ويتخلى عنها برغم أنها حامل وتموت وهى تلد طفلتها هدية . وتمر

الأعوام وتكبر هدية التى يعجب بها طارق والتى تعمل فى محل أزياء تتردد عليه أمه . وتكرر خطأ أمها وتتورط معه وتحمل !! وعندما يعدها ، يرفض والده . ويقوم عبد الله صديق والد هدية الراحل ، والذى كان له فضل تربيتها بعد وفاته ، برفع قضية لأن هدية قاصر . عندئذ يقوم عصام بالدفاع عن طارق . وتصل الميلودراما قمتها عندما يفاجأ عصام بعد الله وهو يصارحه بحقيقة هدية ، فيعترف بأبوته لها ، ويطلب من طارق أن يتزوجها حتى لا يتذنب بوخز الضمير مثله . ولنا أن نندهش لطوفان العناصر النمطية الذى ترك عاطف سالم نفسه نهائاً له ، وهو الذى أخرج أفلاماً أسرية عنيدة ومصرية صميمه مثل " السبع بنات " و " أم العروسة " و " الحفيد " .

فى فيلم " أقوى من الأيام " يربط الحب بين هنية وإسماعيل ويتفقان على الزواج إلا أن مرسى الذى يطمع فيها يقوم باغتصابها ! وتبوح بذلك لبركات والد إسماعيل ، وتوافق على الزواج من مرسى حتى لا تسىء لأبيها . وينهار إسماعيل ويرحل عن القرية فى حين تعيش هنية حياة تعيسة مع زوجها . وتنتفق الأمور لتصل إلى حد قتل إسماعيل لمرسى ويدخل السجن ليخرج منه بعد خمسة عشر عاماً ، وقد ماتت هنية وأصبح هو حطاماً .

فى فيلم " مع سبق الإصرار " يفاجأ وكيل النيابة محمود بصديقه القديم مصيلحى الذى يبحث عن الشخص الذى غرر بزوجته عطيات التى ولدت داليا وهو بشهادة الأطباء عقيم . فيبدأ محمود الذى ينهار ويعرف ، لكنه يشك فى ظروف وفاة عطيات ، ويتم استخراج الجثة ، وبعد أجراء الكشف يثبت أنها ماتت مسمومة ويعرف مصيلحى بأنه قاتلها . ويساومه محمود على كتمان الأمر مقابل أن يترك داليا ليربيها ، لكن مصيلحى يرفض ويلقى مصرعه بعد مطاردة رجال الشرطة له .

فى فيلم " حياتى عذاب " تعيش فاطمة بعد طلاقها من محمود مع خالتها ، وتنقق مع ابنتها فؤاد على الزواج . لكن ابن خالتها يموت بعد أن تورط معه وقبل أن يعقد قرانها عليه . وتنكشف فاطمة أنها حامل . وتفاجأ بعد أن تلد طفلها أحمد ، بمحمود الذى يقنعها بإعادتها لعصمته ، فتدعى له أن خالتها تبنت أحمد من الملجاً ، وتنقنه أن ينسبه إليه ، فيوافق ويرزقان بعادل . وتمر الأيام ويكبر أحمد ويقرر الزواج من نادية ابنة الدكتور يوسف صديق محمود . وتنتمس نادية بعد أن يخبرها محمود بحقيقةه . ثم يثور محمود على أحمد عندما يضبطه متلبساً بسرقة مبلغ من المال من مكتبه ، فيصدمه بحقيقةه ، فيترك المنزل . تعرف فاطمة لأحمد بالحقيقة ، ويندم محمود ويطلب من فاطمة أن تعيد أحمد الذى يمنع أمه من إفشاء سرها !!

أما عقد الثمانينيات فيفتحه كل من حسن الإمام بفيلم " لا تظلموا النساء " ، وحسن يوسف بفيلم " دموع بلا خطايا " ، وذلك في عام ١٩٨٠ ، في فيلم الأول يلقى محمود مصرعه وتعترف خادمته فاطمة بقتله : ويتشكل المحامي أحمد في أقوال فاطمة وعدم مطابقتها للتقرير الشرعى ، فتبوح له عن حقدها على حمودة الذى تسبب في وفاة أمهما بعد أن غدر بها ورفض الزواج منها برغم أنها حامل منه . ويعترف حسنين الشغال بالفيلا أنه القاتل بعد أن ضاق بسلوك حمودة المنحرف ! (وهل كان حسنين الشغال وصيأ على الأخلاق الحميدة لدرجة أنه يصبح هو نفسه قاتلاً) فعندما يجده على قيد الحياة بعد طلاقه فاطمة الوحيدة يجهز عليه برصاصتين . ويتم الإفراج عن فاطمة !!

أما حسن يوسف فيخرج فيلم " دموع بلا خطايا " الذى يواصل سلسلة أفلامه المأخوذة عن قصص لموسى صبرى الذى لم يكن يملك أية دراية بفن التأليف الروائى ! ففى هذا الفيلم يعيش كمال وفایزة حياة سعيدة لا يعكر صفوها سوى عدم إنجاب فایزة ، مما يدفع بكمال إلى الزواج من ابنة عمه مفيدة لمجرد أن والده

مشتاق لحفيد يجعل منه جداً !! وتسافر فايززة إلى اليونان بدون أى مبرر درامى ، ومن هناك تصمم على الطلاق ، وتنتظر على الرسام كريم الذى يحاول اغتصابها ، فتفقد وعيها ، ثم يترك لها رسالة بها عنوانه !! وكعادة أى اغتصاب لابد أن يتبعه حمل ، وتنترى فايززة لأمها بما حدث .

و تتوصل الأم لعنوان كريم الذى يعترف لفرايززة بالحقيقة التى كتبها لها فى الرسالة التى قرأها ، فهو لم يلمسها !! و تعود فايززة إلى كمال الذى يطلق مفيدة بعد أن يضيق ب حياته معها !! (فهل هناك استهانة بعقل المتفرج أشد من هذه !!؟)

و يشهد عام ١٩٨١ أربعة أفلام : " عيون لا تتمام " لرأفت العبيه ، و " صراع العشاق " ليحيى العلمي ، و " لحظة ضعف " لسيد طنطاوى ، " علاقة خطيرة " لتيشير عبود . فى فيلم " عيون لا تتمام " المقتبس عن مسرحية يوجين أونيل " رغبة تحت شجرة الدردار " ، يعجب إسماعيل بمحاسن ، و يتفقان على أن تطلب الطلاق ليتزوجا . وفي الوقت نفسه تتوتر في علاقتها معه و تحمل ، في حين يطلب منها إسماعيل أن تؤجل طلب الطلاق حتى يضمن أن تؤول الورشة لوليه ، و بذلك يعود إليه حقه الضائع لكنها تثور عليه . وعندما تتعذر ولادة محاسن ، و يخieri الطبيب زوجها إبراهيم بين الحفاظ على حياة الأم أو حياة الجنين ، و يفضل إبراهيم الجنين . عندئذ يثور إسماعيل عليه و يقتله . وتموت محاسن و يتم القبض على إسماعيل .

فى فيلم " صراع العشاق " ليحيى العلمي ، تعيش سلمى مع عمها الثرى . يعجب بها الابن الأكبر محسن وتنقع في حبه ، لكن أخاه عباس يطمع فيها ، و بالفعل يقوم باغتصابها ، فينهار محسن . و يقرر الأوسطى متولى صديق أبها أن يتزوج منها لكن عباس يقتله . تضيق الحياة بسلمى فتقرر قتل عباس وتصيبه برصاصة لكنه يتحامل على نفسه ويفتله قبلاً يلفظ أنفاسه .

فى فيلم "لحظه ضعف" تبرز مأساة ابنة السفاح عندما يكتشف أن سحر ليست ابنته وإنما هي نتيجة لعلاقة آثمة لزوجته سنية قبل زواجها منه . تموت سنية ويسىء عبد الغفار معاملة سحر التي تسافر إلى اليونان لتعيش مع خالتها . وهناك تتعرف على شريف الذي يعرض عليها الزواج ، فتعترف له بحقيقة ، فيتمسك بها ويعودان إلى مصر ويتبين أن عبد الغفار قد كلف شريف بمهمة إرجاع سحر بعد أن ندم على ثورته ضدها واقتصر أنها ضحية ، في حين طلب شريف من عبد الغفار أن يتكلم السبب في مهمته ويبارك زواجهما .

فى فيلم "علاقة خطيرة" يفاجأ المدرس أحمد بتلميذه سهام التي تتهمه بالاعتداء عليها ، ويعاقب باليقافه عن العمل فيصمم على معرفة الحقيقة ، حتى تتعترف له إحدى التلميذات بعلاقة سهام بالمهندس صلاح الذي يهرب إلى القاهرة خوفا من افتضاح أمره لأنها متزوج . يتأكد أحمد بنفسه من هذه العلاقة ، وتتدم سهام وتعترف ببراءته أمام الجميع .

فى عام ١٩٨٢ أخرج حسن الأمام فيلم "دماء على الثوب الوردى" ، و محمد خان فيلم "الثار" ، ووصفى درويش فيلم "الكلمة الأخيرة" . فى الفيلم الأول تعجب الموظفة رجاء بمحمود الذى يعمل فى مصنع عمه ، و تلاحقه وتتورط فى علاقتها به ، لكن خطيبته تتم على ابنه عمه مشيرة . ثم يحدث أن ينفرد محمود فى المركب برجاء التى تطالب به بالزواج لأنها حامل ، لكن توازن المركب يختل و تسقط رجاء ويفشل محمود فى إنقاذهما ، ويشهد ضده المراكبى . و يحكم عليه بالسجن عشر سنوات !

فى فيلم "الثار" يقوم أربعة أشخاص باختطاف ندى وهى فى الطريق مع زوجها أحمد الذى يلتقط رقما واحدا من أرقام السيارة ، و يبلغ الشرطة ، تعود ندى وهى منها بعد أن تتعرض للاغتصاب الوحشى منهم وتفقد جنينها . يصمم أحمد على الانتقام منهم بنفسه . وبعد بحث يعثر على سيارة بها نفس المواصفات ،

فيقوم بقتل ثلاثة أشخاص ويتم القبض عليه قبل ارتكاب الجريمة الرابعة . ويفاجأ بأن رجال الشرطة قبضوا على الجناة الحقيقيين .

في فيلم " الكلمة الأخيرة " تتورط فضيلة مع يسرى الذي يتخلى عنها ، فتبوح لجارها حمودة بمشكلتها . ويندم يسرى ويدهب ليخطب فضيلة ، فيفاجأاً بنقلها إلى المستشفى بعد محاولتها الانتحار ، ويقتلها حمودة !!! وهكذا يجد أى مخرج جيد نفسه منجرفا مع طوفان العناصر النمطية .

في عام ١٩٨٣ أخرج حسن الأمام فيلم " كيدهن عظيم " الذي نعود فيه إلى الابنة غير الشرعية سماسم التي كانت نتيجة زواج أمها العرفي بالثرى لطفي شاهين الذي يرفض الاعتراف بها . تنهار سماسم عندما تبوح لها أنها بحقيقةها . وترسم خطة ناجحة للإيقاع بجلال ابن لطفي في حبها بحيث يصم على الزواج منها برغم اعتراض أبيه ، بل وتعترف سماسم لجلال بحقيقة علاقتها ولكن إجراءات الزواج تأخذ مجريها ، مما يجبر لطفي على الاعتراف بابنته سماسم ليمنع زواجهما الباطل .

في عام ١٩٨٤ قدم أحمد فؤاد فيلم " بيت القاصرات " الذي تتعرض فيه البائعة المتوجولة نعيمة لمحاولة اعتداء و يتم ترحيلها إلى دار الأحداث . وهناك تثبت حسن سلوكها وترسلها الإدارية إلى أحد المستشفيات لتعلم التمريض . يتقدم أمين حبيبها للمديرة كى توافق على زواجهها ، لكن قرار الموافقة يتعطل لتنفيذ بعض اللوائح . تهرب نعيمة بمساعدة زميلتها فواكه التي تذهب بها إلى منزل القوادة جمالات . يفاجأ أمين وهو ينصرف من الدار بسيارة الشرطة وبها بعض المنحرفات من بينهن نعيمة .

في عام ١٩٨٤ أيضاً أخرج أحمد السبعاوي فيلم " الطيب أفندي " . تتورط سعاد مع أحمد وتحمل منه ويتخلى عنها . تتعرف بالطبيب الذي يتعاطف معها ، وعندما يتم القبض عليها في قضية آداب ، تعهد بطفلتها ليرعاها الطبيب .

وقد شهد عام ١٩٨٦ ثلاثة أفلام هي : "الجوع" لعلى بدرخان ، و "جذور في الهواء" ليعيى العلمي ، و "الطوق والاسورة" لخيرى بشاره .

فى فيلم "الجوع" يتزوج جابر من زبيدة لينقذها من الفضيحة بعد أن يغتصبها أحد الفتوات الذى يلقى مصرعه . لكن الأحداث فى قصة نجيب محفوظ بعد ذلك ليست لها علاقة بعملية الاغتصاب ، إذ يتوج الحرافيش فرج الأخ غير الشقيق لجابر فتوة الحى ويعدهم بتحقيق العدل والأمان ، لكن ينسى وعوده ، فتقود زبيدة الحرافيش فى حملة ضد فرج وينمكرون منه ويقتلونه .

فى "جذور في الهواء" يتورط الصحفى أيمن ربيع فى علاقته بحبيبته تحية . ويتم اعتقاله لمقالاته السياسية الجريئة ، فى حين تتجه الهام فى إفناع تحية بمقابلة المسئول الكبير سعد ليفرج عن أيمن . لكنها تذهب بها إلى منزل القوادة حميدة حيث يغتصبها سعد هناك !!! لكن يفرج عن أيمن بالفعل ويعود إلى صحفته ويتزوج تحية . ثم تتجه إلها مرة أخرى فى إيقاع أيمن فى شباكها ، و تذهب به إلى منزل حميدة ويفاجأ بها تسأل إلها عن تحية التى تعرف لأيمن بالحقيقة ، فيطلب منها الاتصال بسعد ليقابلها فى منزل حميدة حيث يفاجئ سعد فى المصعد ويقتلها .

فى "الطوق والاسورة" تعيش "حزينة" مع زوجها المشلول بخيت وابنتها فهيمة فى قرية الكرنك بالأقصر عام ١٩٢٢ . يموت الأب وتتزوج فهيمة ، و بعد سنوات تمرض وتموت ، فتسعى "فرحانة" مع جدتها "حزينة" على رزقهما فى منزل الشيخ فاضل حيث يغويها ابنه صابر ويتخلى عنها . وعندما يعود مصطفى ابن الأسرة الغائب فى الحرب إلى أهله . تكتشف "حزينة" أن "فرحانة" حامل . وعندما ترفض البوح لخالها مصطفى عن الشخص الذى غرر بها ، يدفنها فى الحفرة حتى العنق ، ثم يقوم السعدي ابن عمتها بقتلها .

وفي عام ١٩٨٨ واصل خيري بشارة إخراج القصص التي تفتر حزنا و كآبة ، فكان فيلم " يوم مر ويوم حلو " الذي تعلق فيه أرملة فقيرة أولادها ستة في حين يماطل عرابي في إتمام زواجه من ابنتها سناء ، فترضخ الأرملة عائشة لكل مطالبه ، ويعيشان في إحدى حجرات المنزل . يضيق الجميع بعرابي الذي يعتدى على لمياء شقيقة سناء ، بحيث تتطور الأحداث ويرحل عرابي في النهاية عن المنزل .

وفي نفس العام (١٩٨٨) أخرج محمد خان فيلم " أحالم هند و كاميليا " الذي تعلم فيه الصديقان هند و كاميليا بالخدمة في المنازل . و تورط هند في علاقتها بالنشال عيد ، و تضغط عليه كاميليا ليتزوجها لأنها حامل منه . ويقرر عيد التوبة بعد أن تلد هند طفلتها أحالم ، و يعمل بتجارة العملة و يهرب بمبلغ كبير ، لكن يتم القبض عليه ويسجن . تعثر هند و كاميليا على النقود وتسافران في سيارة أجرة إلى الإسكندرية . وفي الطريق يعتدى عليهما السائق وصديقه ، ويسرقان النقود . تتحطم أحالمهما لكن السعادة تجمعهما مع الطفلة أحالم على الشاطئ .

أما في عام ١٩٨٩ فقد شهد حشدا من أفلام الاغتصاب ، منها على سبيل المثال : " المغتصبون " لسعيد مرزوق ، و " الاغتصاب " لعلى عبد الخالق ، و " حارة برجوان " لحسين كمال ، و " فضيحة العمر " لعادل الأعصر .

في فيلم " المغتصبون " تتعرض صفاء لحادث اختطاف من خمسة أشخاص في أثناء وجودها بالطريق مع خطيبها مختار . يذهبون بها إلى مكان مهجور ، و يقومون باغتصابها ، ويفشل مختار في إنقاذهما لتهديدهم له بالقتل . تصل صفاء إلى منزلها بمساعدة مختار وهي منهارة ، فيبلغ أبوها الشرطة ، و يتمكن رجالها من القبض على الجناة . و يقدمون للمحاكمة ، وينور الرأي العام ضد جريمتهم البشعة ، و يحكم على اثنين منها بالإعدام والباقين بالسجن سنوات متفاوتة .

فى فيلم "اغتصاب" تتعرض الممرضة صفاء لعملية خطف من ثلاثة شبان: ممدوح وفهمى وشكري ، وهى فى طريقها لحضور حفل زفاف صديقتها فى منطقة نائية . وتمكن من الهروب منهم والاحتماء بأصحاب المكان . يلحقون بها ويقعنون من تحتمى بهم بكمبون ، وتتكرر مطاردتهم لها . عندئذ يستيقظ ضمير ممدوح ، ويقرر حمايتها من زميليه ، ويصاب إثر مشاجرة معهما . وتمكن عفاف من الهرب وتستقل سيارة أجرة لتعود إلى بيتها . أى أن الاغتصاب الفعلى لم يحدث برغم أن عنوان الفيلم "اغتصاب" لزوم الرواج التجارى !!

فى فيلم "حارة برجوان" تتورط المطلقة زينات مع مدحت الذى يتخلى عنها . يعجب بها سيد وتسلمه له ، ويرفض الزواج منها بالرغم أنها حامل . تلد زينات فيقرر سيد الزواج منها بعد أن تنجذب الولد الذى يتوقف إليه فترفض . يتفق مع مدحت على خطف المولود حتى توافق . يعترف مدحت له بعلاقته بزينات ، ويتصارعان على نسب المولود ويتنازعان !! وقبل أن يموت سيد متأثرا بإصابته ، يدلها على مكان المولود . ثم يستمر حسن مع زينات وابنها بعد تعلقه بهما !!

فى فيلم "فضيحة العمر" تعانى لواحظ من مرض الكلى . ويتصل مجهول بالدكتور الكبير شاهين ليذهب لإنقاذها من أزمة شديدة ، فيفاجأ بها تهمه باغتصابها ، و تستغىث بالجيران وتلتقص به التهمة !! يقرر ابنه عادل البحث عن الحقيقة ، وعندما يشتد المرض بلواحظ ، تعرف لعادل بالحقيقة . فهى ابنه شاهين الذى اعتدى على أمها حيث كانت تعمل خادمة لديه ، ورفض الاعتراف بها ، ومن هنا كان انتقامها منه . تموت لواحظ ولا يجدى اعتراف عادل لتهيئة أبيه ، أما خطيبها شوقي الذى يعرف الحقيقة ، فإنه يرفض الشهادة لصالح الدكتور شاهين !

ويحل عقد التسعينيات ، ومازالت العناصر النمطية كما تتمثل فى الاغتصاب والتورط والحمل سفاحا والأبناء غير الشرعيين ، تفرض نفسها على الأفلام بنفس

القوة والحيوية ، مما يدل على أن معظم السينمائيين قد استكانتوا لها كرهان مضمون للرواج التجارى ، برغم أنها لا تمثل مشكلة ملحة أو شائعة في المجتمع المصري.

في عام ١٩٩٠ قدم محمد النجار فيلم "الذل" الذي يبدي فيه عزيز ثروته في لعب القمار . وعندما يموت عمه كاظم باشا في ألمانيا ، يفاجأ عزيز بهدينام التي تحفظ بوصية عمه والتي تتصل على أن تؤول أملاكه لخادمه الوفى حاججة ، ويعترف فيها بأنه ابن غير شرعى له . ويتفق عزيز مع هدينام بالتكلتم على الوصية مقابل منحها مبلغا من المال . لكنه عندما يغدر بها ، تسلم هدينام الوصية لحاججة الذي ينتقم من عزيز لأن ينفيه ألوانا من الذل لمعاملته القاسية له .

أما فيلم "حارة الجوهرى" ١٩٩٢ لمدحت السباعي فإنه زاخر بكل العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية المرتبطة بالتورط والخيانة والحمل والقتل . وفيه يتورط عادل في علاقته مع جارته فتحية ، ويعدها بالزواج بعد عودة أخيها النقاش محمود من السفر . ثم يتورط أيضاً مع زوجة مدير شركته التي اكتشف خيانتها لزوجها ، كما يتخلى عادل عن خطيبته برغم أنها حامل !! فيصمم الأخ محمود على الانتقام منه ، ويكتشف نجاتي مدير الشركة حقيقة زوجته . ويشاجر مع عشيقها ويموت !! كما يقتل عادل أيضاً على يد محمود قبل أن يستفيد من جريمته !!

في عام ١٩٩٣ يواصل مدحت السباعي نفس التوجه في فيلم "فرسان آخر زمان" الذي يرتكب فيه الأصدقاء الثلاثة وجدى وطارق وعادل جريمة عندما يحاول أحدهم اغتصاب فتاة فتموت نتيجة لصدمه عصبية ويتخلصون من جثتها . وتمر الأيام بمنتهى البساطة ، فيصبح طارق صحفيا مرموقا ، ويعمل عادل رئيسا لفريق كرة قدم ، في حين يعمل وجدى مدرساً دون أدنى إحساس بالذنب تجاه البائسة التي قصوا عليها . ولكن نظرا لأن الفساد يقضى على نفسه بنفسه ، فإن الصراعات بينهم تتحول إلى معركة فعلية ليلقى طارق وعادل مصرعهما في حين يصاب وجدى بالجنون !!!

وفي نفس العام أيضاً (١٩٩٣) يقدم عاطف سالم فيلم " توت توت " الذي يصور حياة فتاة بلهاء تدعى كريمة ، تعيش في حى شعبي ، وتكتسب قوتها بقوتها البدنية مثل حمل الأثقال . وفي مولد أحد المشايخ يأتي أحد الأثرياء إلى الحى ، ويعجب بجسدها ويأخذها لتعيش معه ، ويغتصبها . وعندما تظهر عليها آثار الحمل ، يتركها في أحد شوارع القاهرة لتضع حملها وتظل هائمة هي وابنها حيث تمارس أمومتها بالغرفية ، وتعود إلى حارتها ، وتكتشف الحقيقة عندما يعود الثرى إلى المولد مرة أخرى .

و السؤال الذى يفرض نفسه بقوة على السينمائيين المصريين وهم مقبلون على الأفق البعيدة والعميقة للقرن الحادى والعشرين هو : هل تستمر السينما المصرية فى اجتذارها لهذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ، خاصة تلك التى لا ترتبط ارتباطاً حمياً أو عضوياً بالمجتمع المصرى الذى يفترض فيها أنها تبلوره ، وتفاعل معه نحو رؤى وأفاق جديدة . وخاصة أن مصر تمتلك من المواهب والقدرات والإمكانات والخبرات والتجارب والتاريخ الطويل والتراث العميق ما يؤهلها لمواصلة الريادة السينمائية فى العالم العربى ، وهو الدور الذى لم تخل عنه منذ العشرينات من القرن العشرين .

ومن هنا كان الرصد التفصيلي للأفلام التى استسلمت لهذه العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية ، كنوع من المرأة أو الخريطة التى تقدم وتجمع الملامح جنباً إلى جنب ، حتى يدرك السينمائيون الطرق المسدودة أو الدوائر المفرغة أو المتأهات الجانبية ، التى يمكن أن تشتت طاقاتهم وموهبتهم وإمكاناتهم فيما لا يجدى . ونحن نقدم أيضاً هذا التحليل الفدى - الذى قد يبدو قاسياً فى بعض الأحيان - ليس لأننا نسخر من السينما المصرية ، ولكن لأننا نحبها . فهى تشكل جزءاً عضوياً فى فكرنا ووجودنا وثقافتنا وحضارتنا ، لا يمكن غض الطرف عنه بأية حال من الأحوال . ولذلك سنواصل فى الفصول التالية من هذه الدراسة رصد وتحليل العناصر النمطية الأخرى كى ندرك أننا رضخنا لها أكثر وأطول من اللازم .



حارة برجوان سنة ١٩٨٩



الجريدة الصاحكة



وَلَا مِنْ شَافِ وَلَا مِنْ درى
سنة ١٩٨٣



الشَّعَابِينَ سنة ١٩٨٦



أَفْرَاج سَنَة ١٩٦٨



آه يا بلد إِخْرَاج / حَسَنْ كَمَال سَنَة ١٩٨٦

الفصل الرابع

الانتقام والقتل والعنف

لأشك أن الانتقام والقتل والعنف من التوابع الحريفة التي يقبل عليها السينمائيون في شتى أرجاء العالم ، إذ إن المتفرج العادى الذى يعيش حياة روتينية ، يحتاج بين الحين والأخر ، لجرعة من الإثارة تطرد عن حياته الرتابة وعن نفسه الملل . لكن المشكلة أن السينما الأمريكية بعنصرها النمطية الطاغية على السينما العالمية ، قد تطرفت في التركيز على مشاهد العنف والقتل والانتقام بهدف منح الجماهير أكبر قدر ممكن من الإثارة ، خاصة بعد أن تطورت الحيل والتكنولوجيا السينمائية ، إلى حد كبير . وحاولت السينما في بلاد كثيرة أخرى محاكاة السينما الأمريكية حتى لا تختلف عن الركب ، لكن هذه البلاد نسيت أن مظاهر العنف والقتل والانتقام تختلف من مجتمع إلى آخر ، وأن النموذج الأمريكي خاص بالمجتمع الأمريكي ، وإن كان زاخرا بكثير من التطرف والافتعال والبالغة التي قد لا تكون شائعة في هذا المجتمع أيضاً . وخاصة أنه عنف مادى وجسدى ، في حين أن العنف النفسي والوجدانى يمكن أن يكون أكثر إثارة وأعمق تأثيرا من مجرد الضربات والجرائم والدماء المهدمة .

وقد بدأت بوادر الانتقام والقتل والعنف منذ فجر السينما المصرية ، وان كانت قد تبلورت في فيلم "سبح الماضي" الذى أخرجه إبراهيم لاما عام ١٩٣٤ ، وصور فيه حياة مهندس يدعى رمزى ويعيش حياة سعيدة مع زوجته دلال ، لكنه

يقع في حب زوجة صديقة محمود الذي يكتشف علاقتها ، فيقرر الانتقام ويقتل رمزي بحجر يصيب عموده الفقري ويصاب بشلل ، ثم يقتل زوجته ، ويسرق مجوهراتها !! ويهرب . وتضع دلال مولودها ، وتمر ثلاثة سنوات يفقد فيها محمود ثروته ، ويوصل انتقامه من رمزي فيخطف طفله ليضعه على حافة هاوية في جبل المقطم . وفي محاولة يائسة يقف رمزي على قدميه ، فيسارع محمود لقتله لكن قدمه تنزلق ويقع من أعلى الجبل . وتقوم دلال ورمزي بفك قيد ابنها ، وتعود السعادة مرة أخرى إلى الأسرة.

وفي عام ١٩٤٢ أخرج أحمد جلال فيلم " رباب " الذي تعيش فيه رباب مع زوجة أبيها التي تعاملها بقسوة ، فتضطر للهرب من المنزل وتخبئ لدى الممثلة سعدية وتتعرف على إحسان ، ويصمم الوالد على الانتقام من رباب التي تهرب إلى القاهرة وتعمل مدرسة باسم نجوى ولكن سرعان ما تعود للتزوج من والد إحسان !! ويهدها عبد الجبار الذي يطمع فيها بفضح سرها ، فتطلق عليه سعدية الرصاص وفي النهاية تتضح للزوج الحقيقة كاملة فيصفح عن رباب.

ومن الواضح أن العناصر النمطية في السينما المصرية متشابكة ومترادفة لدرجة أنها تشكل شبكة عنكبوتية أو أخطبوطية ، بحيث يصعب في كثير من الأحيان فصل عنصر عن آخر ففي فيلم " رباب " مثلاً ، يوجد الاغتصاب والانتقام والاحتلال والابتزاز بفضح السر . وكانت هذه الشبكة من ضمن صعوبات هذه الدراسة التي لجأت إلى التركيز على العنصر النمطي الذي يشكل العمود الفقري للفيلم وتسكينه في الفصل الذي تتبع منه أو تصب فيه أو ترتبط به بطريقة أو بأخرى .

في عام ١٩٤٤ أخرج يوسف وهبي فيلم " غرام وانتقام " الذي تعزل فيه الفنانة سهير الغناء لزواجهما من الثرى وحيد عزت الذي يطلق عليه مجهول الرصاص في حفل زفافهما ويقتلها . تنهار سهير ويقف إلى جانبها ابن عمها

صفوت وكيل النيابة الذى تحصر شكوكه فى الموسيقار جمال حمدى برغم الإفراج عنه لعدم كفاية الأدلة . ويرسم خطة مع سهير لانتزاع الاعتراف منه ، بحيث تمثل عليه الحب فى حين يختفى صفت فى حجرة بمنزل سهير فى أثناء وجود جمال معها ، والذى يعترف لها بارتكابه الجريمة بداع الشرف ، إذ أن وحيد كان قد غرر بشقيقة جمال الذى حاول أن يضغط عليه ليتزوجها فأصر وحيد على الرفض . وتشاجرا فانطلقت رصاصة أصابت وحيد . ويبهر صفت فى هذه اللحظة ويقبض على جمال الذى يثور على سهير لخداعها ، إلا أنها تقع فى جبه بالفعل ويتفقان على الزواج بعد الإفراج عنه خاصة بعد أن اكتشفت سهير خداع وحيد لها . ويفاجأ جمال يوم الاحتفال بزفافهما بمصرع سهير فى حادث سيارة ، لمجرد أن أسمهان بطلة الفيلم كانت قد لقيت مصرعها بالفعل فى حادث سيارة قبل انتهاء التصوير .

فى عام ١٩٤٦ أخرج نيازى مصطفى فيلم " راوية " . تقرر راوية الفتاة البدوية الانتقام من ضابط شرطة قتل شقيقها لجريمة قتل ارتكبها أخذاً بالثأر . وترحل إلى القاهرة بحثاً عنه . تتعرف عليه فيدعوها إلى منزله ويعرف حقيقتها وحقيقة ما تتوى عمله ، فى حين تكتشف أنه اعتزل الخدمة واحترف الفن التشكيلي . يحاول استمالتها ليقتل فى نفسها تلك الرغبة الأثمة لكن تصميمها على الانتقام كان أقوى من أية رغبة فى التسامح ، وتطلق عليه الرصاص ، فيتظاهر الضابط بالموت فتبكيه ، وتحاول قتل نفسها . عندئذ يعترف لها أنه استبدل الرصاص بآخر مزيف ، فنهداً ويتم التفاهم بينهما !!

فى عام ١٩٤٧ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " المنتقم " الذى كتب له السيناريو بالاشتراك مع نجيب محفوظ . وفيه يعمل شابان كيماويان فى معمل ، ويتنافسان على حب ابنة صاحب المعمل والتى تختار أحدهما ، فيدس الآخر له مادة كيماوية خطأ فى التجارب التى يجريها ، فيؤدى ذلك

إلى انفجار شديد يصيبه بالعمى . وتخالى عنده خطيبته والناس جمِيعاً مما يضاعف من صدمته . وتعمل لديه فتاة كمراهقة وسكرتيرة ، تلاحظ ميله الشديد إلى الانتقام بعد أن اكتشفت جريمة زميله . ونظراً لاعجابها به فإنها تعمل على أن يخفف عنها من حدة ميله وتصميمه على الانتقام . ويحدث أن يجري جراحة يسترد بها بصره ، ويخفى ذلك عن الجميع حتى تكتشف الأمور أمامه . وتشاء الصدف أن يصاب زميله في حادثة تشبه تماماً الحادث الذي دبره له من قبل !!

في عام ١٩٤٨ اتزايد عدد أفلام الانتقام والقتل والعنف إلى أربعة أفلام دفعة واحدة : "الريف الحزين" لـ محمد عبد الجواد و"خيال امرأة" لـ حسن رضا ، و"السعادة المحرمة" لـ السيد زيادة ، و"يحيى الفن" لـ حسن حلمي .

في فيلم "الريف الحزين" يقدم محمد عبد الجواد تنويعه مصرية على نيمة الثأر والانتقام التي جسدها شكسبير في مسرحية "روميو وجولييت" ففي إحدى قرى الريف نشب خلاف بين عائلتين ، تولدت عنه ضغائن وأحقاد توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد . فكل منهم يتذهب ليثأر من الآخر ، وكل منهم يقوم بتدمير الآخر ، لكن الحب في النهاية يستطيع أن يطفئ نار الانتقام عندما أحبت شاب من العائلة الأولى ابنة العائلة الثانية ، فيعمل الأبناء على فض النزاع وتغليب الحب على حقد الأسرتين .

في فيلم "خيال امرأة" تجد الفتاة تعيسة الحظ نفسها في موقف القاتلة في جريمة قتل ارتكبها أحد المجرمين الخطرين ، إذ استغل المجرم سذاجتها فيوهمها بأنها القاتلة . وبعد أن تلقى الفتاة الأمرين على يديه ، تذهب إلى البوليس لتعترف بجريمتها التي لم ترتكبها ومن خلال الاعتراف والاستجواب يهتدي البوليس إلى القاتل الحقيقي ويقبض عليه ، في حين يطلق سراح الفتاة . وتتزوج بمن تحب .

فى فيلم " السعادة المحرمة " يربط الحب بين فتاة وشاب ، فتشتعل نار الحقد فى قلب رجل عجوز مغرم بهذه الفتاة ويعمل على التخلص من غريمها ، فيخطفها أحد أعوانه ، ويأويها فى منزله ثم يتزوجها ، لكنها ما تزال على حبها للشاب . وعندما تهمل زوجها ، يزداد حقده عليها ، وينتقم منها بأن يربى ابنتها تربية فاسدة ، وكأنه ليس ابنته !!! فينشأ الابن عاطلاً ضائعاً . كما يوصى بحرمان زوجته من الميراث إذا تزوجت بعد وفاته . وتمر الأيام ويعود حبيبها الذى نجا من الموت بأعجوبة وتضحي بالثروة فى سبيل حبها .

فى فيلم " يحيا الفن " يعمل المطرب مع زوجته فى كباريه ويتودد أحد الأثرياء من مرتدى الكباريه لزوجته محاولاً الإيقاع بها ، فيهدى الزوج بقتلها . وبالفعل يقتل الرجل ويتهم الزوج زوجته بقتله وهى بدورها تتهم زوجها بالقتل !! فتصبح الحياة بينهما جحيمًا . يفكر الزوج فى الانتحار !! وحين يبدأ فى التنفيذ ، تكتشف الحقيقة ويظهر القاتل资料 . وتعود الحياة بين الزوجين كما كانت عليه من حب ومودة .

فى عام ١٩٤٩ أخرج عبد الفتاح حسن فيلم " المرأة شيطان " الذى لا تستطيع فيه فتاة كبح جماح حبها لزوج ابنة عمها ، فنقتلها ليخلو لها الجو . لكن الزوج يتزوج من ممرضة أحبها بالفعل ، فتحطم آمال الفتاة وتنقم لنفسها ، وذلك بأن تشي به إلى البوليس متهمة إياه بقتل زوجته ، لكن الحقيقة تتضح فى النهاية ، وتظهر براءة الزوج ، وينكشف أمرها ليزوج بها فى السجن .

أما عام ١٩٥٠ فقد شهد ثلاثة أفلام من هذه النوعية : " أمير الانتقام " لهنرى بركات ، وكل من " امرأة من نار " و " دماء فى الصحراء " لفيرننشو . ففي الفيلم الأول يزوج بشاب نبيل فى السجن ظلماً ، حيث يقضى فيه فترة طويلة . وبعد انتهاء مدة عقوبته ، يخرج ليثار لنفسه من أودعوه السجن . وفي أثناء ذلك يحب فتاة تبادله الحب وتعاونه على الانتقام ممن دبروا له هذه المكيدة . وتنجلى

شجاعته وفروسيته وقوه إرادته التي جعلته يتفوق على كل أعدائه وخصومه ، ويحقق لنفسه السعادة بعد الشقاء . وكان هذا الفيلم من أفضل الأفلام المصرية التي اقتبست عن رواية " الكونت دى مونت كر يستو " ، إذ أن الاقتباس تكرر بعد ذلك في عدة أفلام لكنه لم يكن على مستوى هذا الفيلم الرائد .

في فيلم " امرأة من نار " تتزوج سيدة أجنبية لعوب من موظف ويطاردها رئيسه ، فتحث زوجها على قتله ، وفعلاً يطعنه لكنه لا يموت ويتحامل على نفسه ويهرب لكنه يموت تحت عجلات الترام : غير أن الزوجة تهرب مع صديق جديد فيفاجنهما زوجها في البار حيث ذهبت لتدفع طفلها لدى إحدى صديقاتها لترعاها " ويثور الزوج ويقتلها ، ويقبض عليه البوليس !!

في فيلم " دماء في الصحراء " تدور أحداث القتل والانتقام بين قطاع الطرق المهاجمين للقوافل في الصحراء . كان خالد واحداً منهم وله صديق اشتهر بقتل ضحاياه ، وقتل أسرة مكونة من أب وأم وابنة . أما الابنة الأخرى جازية فقد هربت وصممت على أن تنتقم لأسرتها . هذا الصديق له شقيقة عرجاء ومريبة ومتزوجة من رياض الذي يعشق جازية التي تلتقي بخالد في أثناء مطاردة سوليم لها ، فيتصدى له وينقذها ويقتلها . وتحاول قبيلة سوليم قتل خالد ، لكنه يهرب إلى منطقة صخرية ، وينضم إلى إحدى القبائل ويعيش بينهم .

في فيلم " الأم القاتلة " الذي أخرجه أحمد كامل مرسى عام ١٩٥٢ ، ينساق مهندس متزوج وله ابن وابنة ، وراء راقصة تتصب شباكها حوله بمساعدة صديقها حتى يتورط في علاقته معها ويتزوجها لتحصل على ثروته . وفعلاً يتم ذلك دون علم الزوجة والأولاد . وعندما يحاول خطيب الابنة أن ينقذه منها ، فإنه يقع أيضاً في شباكها ، فلا تجد الابنة مفرأً من إبلاغ أمها بذلك . فتسعى الأم إلى الراقصة وتحاول التفاهم معها لتخلي عن خطيب ابنتها ، لكنها ترفض فتضطر الأم إلى

قتلها . وبهذه التضخمية تعود الطمأنينة إلى الأسرة !!! أى أن القتل هنا هو وضع حد لل المشكلات المتفاقمة وليس مصدراً متجدداً لها .

وفي عام ١٩٥٣ أخرج حسن الإمام فيلم " فى شرع مين " الذى يصور زكية الزوجة المستهترة التى تدفع زوجها إلى تجارة المخدرات ليوفر لها المال ، مما يؤدى به إلى السجن لعدة سنوات ، تعيش فيها زكية وابنتها لواحظ مع أختها عائشة . وكانت بين زكية وزوج أختها علاقة قبل زواجه ، وبالفعل تتزوج منه وتطرد أختها من المنزل !!! في حين تقوم لواحظ باستمالة خطيب نعمت . وتنتهي مدة عقوبة زوجها السابق الذى يحاول الانتقام منها لكنه يفشل . ويحدث أن تقتل زكية لواحظ بطريق الخطأ ، فتهاجر وتتشرى !! ويعود الزوج إلى عائشة نادماً لليواصلاً حياتها .

فى عام ١٩٥٤ أخرج يوسف شاهين فيلم " شيطان الصحراء " الذى لا يستطيع فيه أحد أن يتصدى لبطش الوالى الظالم زيد الذى يرهق الأهالى بجباية الأموال وخطف النساء . ويحدث أن يقتل أحد أفراد قبيلة بنى مازن ، فيثور عصام صديق القتيل على الوالى ويتوعده ويتحداه ويصر على محاربته للأخذ بالثأر . وينفذ الفتاة دلال التى كانت قد اخطفها والدى وقع فى حبها ويستمر فى محاربته وخداعه ، وينضم إلى جيش الوالى كفارس بحيث يستطيع فى النهاية أن يقضى عليه ويعود بدلال . أى نفس التوليفة الأمريكية التى تعتمد على الثلاثي الشهير : البطل والشرير والفتاة الجميلة ثم النهاية السعيدة .

فى عام ١٩٥٥ أخرج إبراهيم عمارة فيلم " دموع فى الليل " الذى يترك فيه الشاب منزل أبيه هرباً من مضايقات أبيه ، ويصادق زوجة شابة لمحام مشهور . وتحاول زوجة أبيه أن تقتل زوجها ، وتقع التهمة على الابن ، لكنه يبرأ من هذه التهمة بفضل المحامى المشهور . ومع ذلك فإنها بمعاونة عشيقها تتمكن من قتل الزوج عندما كان الابن فى منزل زوجة المحامى . ولا يدافع الابن عن نفسه حرصاً على سمعة الزوجة ، لكنها تقر بالحقيقة ويبرأ للمرة الثانية !!!

فى عام ١٩٥٧ أخرج حسن الإمام فيلم "لن أبكي أبداً" الذى تجد فيه أسماء فرصة سانحة لمجىء الباشا إلى القرية للانتقام منه إذ أنها اعتبرته مسؤولاً عن وفاة أبيها فى الماضى . وتحرض الفلاحين على عدم التعاون مع البasha . ويحضر أحمد إلى القرية ، ويعود الوفاق بينه وبين هدى بعد اكتشاف الحقيقة ، ويساعد هدى وأباها فى زراعة الأرض بل ويجدن الفلاحين لذلك . ويتم جنى القطن ، وتقوم أسماء بحرق المخزن إلا أنها تلقى مصرعها . ويصمم الجميع على التخلص من عنصر الشر .

وشهد عام ١٩٥٩ ثلاثة أفلام هي بمثابة ثلاثة تنويعات على تيمات القتل والانتقام "دعاء الكروان" لهنرى بركات ، و "أنا بريئة" لحسام الدين مصطفى ، و "قاطع طريق" لحسن الصيفى .

فى فيلم "دعاء الكروان" ترحل الأم زهرة مع ابنتيها آمنة وهنادى من قريتهم بعد موت الأب . وتعمل هنادى خادمة فى منزل مهندس الرى فى حين تعمل آمنة فى منزل المأمور . يعتدى المهندس على هنادى ، وعندما يصل خالها ، يقتلها . وتعمل آمنة فى منزل المهندس بهدف الانتقام لمقتل هنادى ، لكنها تشعر بالحب تجاه المهندس لدرجة أنها تواجهه بالحقيقة ودافعاً للعمل عنده ، فيعرض عليها الزواج لأنها أحبها أيضاً . وعندما يصل خالها لقتلها ، يقتليها المهندس بنفسه ويموت بين ذراعيها.

فى فيلم "أنا بريئة" يموت والد ناھد ، ويتكفل بها قريبه الأستاذ فاضل الذى يحبها ويتزوجها وينجيان طفلتهما . يزورهم رمزى ابن خالة فاضل ، ويستغل انشغال فاضل بعمله فيحاول استمالة ناھد ، وعندما يكتشف فاضل ذلك ، يحاول قتل رمزى !!! (ويبدو أن القتل حل سهل جداً فى السينما ، أو أنه أول خطوة حاسمة تخطر على بال الشخصيات حتى لو لم تكن من النوع الذى يمكن أن يفكر فى هذا السلوك الذى يعتبر إجرامياً حتى لو كان انتقاماً لشرف مهدى) !! المهم أن

ناهد تحول دون وقوع الجريمة ، إلا أن رصاصة تصيب فاضل ، ويهرب رمزي
بنادق إلى بنسيون إلا أنها لا تخضع له ، بل وتهده بالتبليغ عنه إذا لم يذهب
لزوجها ويعرف له بحقيقة الأمر وبراءتها . وتنواصل لعبة القتل فيحاول قتلها
لكنها تتجو ، ثم يلقى رمزي مصرعه في مطاردة من الشرطة !!

فى فيلم "قاطع طريق" يصمم وحيد على الانتقام من الأسماء أحد أفراد عصابة أبو العز ، والذى قتل ابن عمه الضابط جلال ، ثم كون عصابة أخرى خاصة به . يسافر إلى الإسكندرية ووحيد فى أعقابه حيث يطلق عليه الرصاص ، ويهرب فى سيارة تقودها مطربة بعد أن يهددها . وفي منزل المطربة يروى لها وحيد قصته وتروى لها ماضيها ، فينصحها بأن تعود إلى الطريق المستقيم . ويتتصادف أن يصل أبو العز إلى منزل المطربة ، والذى تهاجمه الشرطة بمعاونة وحيد فى القبض على العصابة . ويعترف أحدهم أنه هو الذى قتل الأسماء ، فى حين يفرج عن وحيد ويتزوج من المطربة .

وبحلول عقد السبعينيات ، عرضت في عام ١٩٦٠ ثلاثة أفلام : "العملاق" لـ محمود ذو الفقار ، و "رجل بلا قلب" لـ سيف الدين شوكت ، و "أقوى من الحياة" لـ محمد كامل حسن .

فى فيلم " العملاق " يرحب أحد المقاولين فى الانتقام من غريميه . ويتزوج فى اليوم الذى يتهم فيه بقتل مقاول من شركاء غريميه ، ويحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة . وتتزوج سكرتيرته من شريكه بعد طلاقها وبعد سنوات يهرب من السجن ويرغم القاتل على الاعتراف . فيحصل على برائته ، ويبارك سعادة حبيبته بين زوجتها وأطفالها .

فى فيلم "رجل بلا قلب" يقع إقطاعي فى غرام خادمته التى سبق لابنه أن وعدها بالزواج . ويتبين أن الخادمة لم تكن إلا شقيقة لاحدى ضحايا الإقطاعي ،

وقد جاءت لتنقم منه . وفي آخر لحظة تهرب الخادمة مع ابن الإقطاعي فيطاردتها ليقتلها ، لكن زوجته تستطيع أن تقتله قبل أن ينفذ خطته .

في فيلم " أقوى من الحياة " يتزوج رجل متوسط الدخل والثقافة وسبق له الزواج والإنجاب من سيدة غنية لها ابنة صغيرة . ويتهمها باهتمامها بطفلتها أكثر من ابنها . ويغار من الطفلة فيضع لها السم في الطعام لكن ابنه يموت بدلاً منها . وتحتم الزوجة بقتل ابن وتحكم عليها بالإعدام ثم تظهر براعتها أخيراً . ويلقي الزوج مصرعه في مطاردة من الشرطة .

وفي عام ١٩٦١ أخرج نيازي مصطفى فيلم " دماء على النيل " الذي تكرس فيه غالبية حياتها لخدمة زوجها عبد الرازق الذي يقتل في معركة قامت بينه وبين عواد ابن النجع المجاور . تهار وتبث عن عواد لتنقم منه ، وبالفعل تستدرجه إلى جزيرة نائية ، وتطلق عليه الرصاصات الأولى فتصيبه في ساقه ، وفجأة تنسى ثارها وتعالجه كى يتعافي بعد أن خفق قلبها بالحب . وتكتشف أن زوجها الذي تسعى للانتقام له خائن ، لم يرع لها حرمة واستمراً خيانته لها . وفي النهاية تعود غالبة للنجع لتشيع أنها قتلت عواد وأخذت بالثأر .

في عام ١٩٦٢ أخرج كمال الشيخ فيلم " اللص والكلاب " عن رواية نجيب محفوظ الشهيرة والتي تحكى قصة سعيد مهران الشاب الفقير الذي أنهى مدة سجنه بعد أن أصبح رئيس عصابة ت quam من الأغنياء بسرقةهم . ويحاول قتل عيسى الذي حصل لنبوية زوجته على الطلاق في أثناء سجنه وتزوجها ، لكنه بدلاً من أن يقتله ، قتل ساكناً بريئاً . ثم يحاول قتل رعوف علوان الصحفي الذي دمر حياته ، فيصيب البواب بدلاً منه . ويعيش مع الغانية نور التي تحبه وتحاول إسعاده وحمايته بعد أن أصبح مطارداً . ولكن رجال الشرطة يستدلون على مكانه ويحاصروه إلى أن يلقى مصرعه برصاص أحد هم .

كذلك في عام ١٩٦٣ أخرج كمال الشيخ فيلم "الشيطان الصغير" الذي يختبئ فيه طفل وهو يلهم في سيارة نقل أثاث ، وتنطلق السيارة من الإسكندرية في طريقها إلى القاهرة . ويكتشف الطفل أن سائق السيارة وزميله قد قتلا تاجر مخدرات وأخفيا جثته في السيارة لنقلها إلى جهة نائية ، لكنهما يفاجآن بوجود الطفل في السيارة . و تبدأ المحاولات للتخلص منه ، لكن الموقف يتتطور لصالح الطفل بعد أن يرفض زميل السائق أن يشترك في جريمة قتل طفل بريء .

وفي نفس العام (١٩٦٣) أخرج نجدي حافظ فيلم "الجريمة الضاحكة" الذي حاول فيه أن يعالج نيمة الانتقام والقتل بأسلوب كوميدي ساخر ، أى معالجة العنصر النمطي بأسلوب غير نمطي ، وذلك من خلال محدث سالم المخرج التليفزيوني الذي يستعد للزواج من ليلي التي يحبها . وكان أبوه قد قتله خصومه . وحكم على القاتل وابنه سويلم بالمؤبد . خرج الابن ومات الأب في السجن . ويحاول سويلم قتل محدث قبل أن يقتله أخذا بثار أبيه . يضطرب محدث ويصبح عصبياً بسبب التهديدات المتلاحقة من سويلم في حين يلح محمود خال محدث كي يأخذ بثار أبيه . وبالفعل تتم الجريمة ويختفي محدث الجثة . وتبدأ تحريرات الشرطة ويتبيّن أن محدث هو القاتل . ومن خلال التحقيق تثبت براءة محدث عندما يتضح أن القتيل مات بالسكتة القلبية وأن الرصاص الذي كان بالمسدس غير حقيقي !!! ويخرج محدث من السجن ليبدأ مع ليلي رحلة شهر العسل .

في عام ١٩٦٤ يعود هنري بركات إلى إخراج فيلم "أمير الانتقام" (١٩٥٠) تحت عنوان "أمير الدهاء" ، مع بعض اللمسات والإضافات الجديدة ، لكن نيمة الانتقام ظلت هي الأساس والعمود الفقري للفيلم ، وذلك من خلال شخصية حسن الهملاي التاجر الكبير المشهور له بالنزاهة والذى يحب ياسمينة ابنة أحد التجار . وقد دبر له أعداؤه وفي مقدمتهم شاهين مكيدة أدخلته السجن دون أن يستطيع الدفاع عن نفسه أمام الحاكم الظالم بدران . وفي السجن يتعاون حسن مع زميله في

الزنزانة في إعداد نفق إلى خارج السجن ويهربان . ويعلم حسن على الانتقام من أعدائه ، ومساعدة الوطنيين الأحرار في خلع الحاكم . وبرغم هذه الإضافات الوطنية والثورية المواكبة للمد الثوري في السينما ، فإنه من السهل رصد تيمة "الكونت دى مونت كريستو" .

في عام ١٩٦٥ أخرج عبد العليم خطاب فيلم "العلمين" الذي يتضمن أصوات واضحة من تيمة الانتقام في "روميو وجولييت" لشكسبير لكنها مشوهة إلى حد كبير .. في الفيلم ربط الحب بين عالية وفواز برغم العداوة بين قبيلتيهما الواقعتين بالقرب من العلمين والتي تحول دون زواجهما . يقرر والد فواز أن يزوجه من ابنة أخيه لكنه يرفض لتعلقه بعالية . يقوم نواف ابن عم عالية بقتل فواز ، فت分成 عالية على الانتقام منه فتقتل ، لكنه يتمكن قبل أن يلقي أنفاسه من انتزاع الخنجر الذي طعنته به عالية ليقتلها . وبعد كل هذا العداء الدموي ، تصفوا النقوس بين القبيلتين ويتم الصلح بينهما !!!

في عام ١٩٦٨ أخرج عبد المنعم شكري فيلم "شهر عسل بدون إزعاج" الذي يعالج فيه تيمة الثأر والانتقام بأسلوب كوميدي مرح . فالدكتور منير يتزوج من أمل دون رغبة أبيه فيثور الأب عليه ويقاطعه . يفاجأ الأب بانتهاء مدة عقوبة مدبولي الذي يود قتل منير لوجود ثأر قديم بين العائلتين ، وينسى الأب خلافه مع ابنه ويعلم على إنقاذه من مدبولي . يصطحب الأب ابنه وزوجته إلى الإسكندرية إلا أن مدبولي يعرف مكانهم ويلحق بهم . وفي أثناء مطاردته لمنير يسقط مدبولي في البحر ويقاد يغرق ، فينقذه منير الذي يأسره بتصرفه ، ويتمتع عن قتله .

في عام ١٩٧١ يقدم أشرف فهمي فيلم "القتلة" الذي يقتبسه من فيلم الفريد هينشكوك الشهير "غريبان في قطار" وفيه يتفق الشاب العاطل عزيز مع المهندس عادل على أن يقتل له زوج أمه الذي يشك أنه قتل أباها ، في مقابل أن يقتل له عادل زوجته سوسن ليستولى على بوليسة تأمين تخصها . وينفذ عزيز الاتفاق أما عادل

فيتراجع ولكن تحت تهديد عزيز يبدأ عادل مهمته . وعندما تضبطه سوسن بالمنزل يدعى لها أنه جاء لسرقتها لسداد عجز في عهده بالعمل . وعندما تفرضه المال ويلمس إنسانيتها ، يعدل تماماً عن الاتفاق ويعترف لها بالحقيقة ، ويقرر حمايتها . ويثور عزيز وتنشب معركة بينهم تكون نتيجتها مصرع سوسن وعزيز .

في نفس العام (١٩٧١) أخرج عاطف سالم لنفس السيناريست . محمود أبوزيد الذي كتب " القتلة " لأشرف فهمي ، فيلم " بنات في الجامعة " الحافل بالقتل والانتقام والابتزاز . فيه تورط أميرة مع زميلها عادل وتحمل منه . وعندما تلح عليه ليتزوجها ، يرفض ويقتلها . ثم يحاول التقرب من زميلته ليلى ، فتصده ويقرر الانتقام منها . ينجح في إغراء زميله مراد الذي يمتلك استديو صغير للتصوير ، بتلقيق صورة تجمع بين ليلى وأستاذها الدكتور أحمد في وضع غير لائق . ويرسل الصورة إلى عميد الكلية فيفصلهما من الجامعة . وعندما يكتشف عصام زميل أميرة حقيقة موتها ، يقتل عادل . عندئذ يستيقظ ضمير مراد ويعترف بالحقيقة ، ويعود أحمد وليلي إلى الجامعة .

وكان لحسام الدين مصطفى نصيب الأسد في أفلام السبعينيات التي تدور حول القتل والانتقام والعنف ، فأخرج أربعة أفلام " الخطافين " ١٩٧٢ ، و " الأبطال " ١٩٧٤ ، و " صابرين " ١٩٧٥ ، و " الشياطين " ١٩٧٧ .

في فيلم " الخطافين " يسافر جلال إلى ألمانيا لشراء ماكينات لورشة الخياطة التي يمتلكها ، ويترك أخاه شريف يياشر أعمال الورشة . ينجح حسين في إقناع شريف بشراء بضاعة منه بمبلغ كبير مدعيا له أنها صفقة للشركة تدر عليها أرباحاً مضاعفة . ويفاجأ شريف أنها عبارة عن طوب أحمر ، فيصاب بالانهيار ويصم على استرداد المبلغ . يشتبك شريف مع حسين لكنه يصاب . ويعود جلال وينجح في استرداد نقوده بمساعدة الشرطة ، وتسفر مطاردتهم لحسين عن مصرعه .

فى فيلم "الأبطال" يشاهد الطفل أحمد مقتل أسرته وسرقة ثروة أبيه على يد أربعة جناة . ينقذه الشاب صابر من الموت بعد أن يحرق الجناة المنزل ، لكن التهمة تلتصق بصابر ويقضى خمسة عشر عاماً في السجن !! (وكان الطفل أحمد لم يتم إنقاذه على يد صابر وبالتالي لم يصبح شاهداً في صالحه) !! المهم أن الطفل أحمد يكبر ويصبح بطلاً من أبطال الكاراتيه ، ويلجأ إلى صابر لي ساعده في العثور على الجناة لينتقم منهم (أي تيمة الكونت دي مونت كريستو مرة أخرى) . يوافقه صابر لأنّه يريد منهم تعويضاً مالياً عن السجن ظلماً ! (وكانهم على استعداد للاعتراف بجرائمهم وتعويضه !!) . ويقتل أحمد أحدهم بعد أنه يدخله عن مكان زملائه الثلاثة ، لكنّ أحمد يلقى مصرعه في آخر معاركه .

فى فيلم "صابرین" تضغط عنايات على صابرین لتتزوج من متولى ، فهى لا تبارك زواجها من حسن ضابط الشرطة الذى تحبه برغم رضوخه لجبروت أمه . فتعمل صابرین على الانتقام منهم ، وتحج في ايقاع سعيد في شباكها ، فيطلب من أخيه أن يطلقها وعندما يرفض يقتله ، ويتم القبض عليه . ثم تلقي صابرین لحسن تهمة رشوة ، وتصاب الأم بالجنون ويفرج عن حسن لعدم كفاية الأدلة ، ويعرض على صابرین الزواج فترفض وتعترف له بجرائمها .

فى فيلم "الشياطين" يرى المناضل أدهم برهان ورئيس جمعية وطنية أن العنف هو الوسيلة الوحيدة لقلب النظام والخلص من الاستعمار الإنجليزى ، فى حين تعانى نادية زوجة عاطف عضو الجمعية من حياتها معه فيعدها بالابتعاد عن نشاطه بالجمعية ، لكنّ أدهم يقتله !! ويعجب الأمير نبيل بمحاسن الخادمة بالقصر ويتزوجها دون علم أمه . وتزداد خلافات أدهم مع أفراد الجمعية فيقتله أدهم ، ويتم القبض عليهما . يطلق نبيل محسن لتتزوج من زميله فكري ، ويربيان ابن عاطف بعد وفاة نادية وهى تلده !!

في عام ١٩٧٦ أخرج سمير سيف فيلم "دائرة الانتقام" المقتبس مرة أخرى عن رواية "الكونت دى مونت كريستو" التي اقتبسها هنري بركات مرتين من قبل في "امير الانتقام" ١٩٥٠ " و "امير الدهاء" ١٩٦٤ ، وكان تيمة الانتقام قد استهلكت تماماً فلم يتبق سوى تكرار اقتباس هذه الرواية الأجنبية . ففي الفيلم يتفق جابر مع أصدقائه فتحى وشريف وفؤاد على سرقة فيلا عالم شريف الثرى ، ولو سوء الحظ يتورطون عندما يقتل شريف الخادم . وعندما يختلفون على ما حصلوا عليه ، تدور الخمر برأس جابر فلا يشعر بعد أن يستيقظ إلا وقد هرب زملاؤه بالمال ، وحوله رجال الشرطة الذين يقبضون عليه بتهمة السرقة والقتل ، ويحكم عليه عشر سنوات . ويصصم على الانتقام منهم بعد الإفراج عنه ، وبالفعل ينجح في مهمته فيقتلهم . لكنه يلقى مصرعه بعد مطاردة رجال الشرطة له

في عام ١٩٧٩ أخرج تيسير عبود فيلم "دعونى أنتقم" الذي تلقى فيه هدى زوجة الرائد محمود ، هي وابنها مصرعهما على أيدي رجال عصابة تهريب ذهب انتقاماً منه لأنه تسبب في القبض على بعض أفرادها (وكعادة المنتقم في السينما المصرية ، خاصة إذا كان ضابط شرطة ، أن يستقيل من وظيفته ليتفرغ للانتقام ، وكان وظيفته في جهاز الأمن تعوقه عن تحقيق العدالة !!) وبالفعل يستقيل محمود ويقرر البحث بنفسه عن الجاني . (وهي تيمة أمريكية ترسخت في السينما الأمريكية منذ أيام الويسترن ، والتي تتحقق فيها العدالة على يد فرد واحد أخذ المهمة على عاتقه فأصبحت رسالة حياته) !! وينجح محمود في قتل اثنين من أفراد العصابة ويحكم عليه بالسجن (أى أن الحل هو أن يتحول البطل من رجل أمن إلى مجرم قاتل) !! وفي داخل الزنزانة يتعرف على حسان أحد أفراد العصابة ويهربان ، ويقدمه حسان للعصابة ليعمل معهم . وعندما يتتأكد له أن رئيس العصابة هو المجرم الذي قتل زوجته وابنه ، يصييه إصابة قاتلة إلا أن عرفان بتحامل على نفسه ويصييه فيموت .

فى نفس العام (١٩٧٩) أخرج عادل صادق فيلم "قصة الحي الغربى" برغم أنه لا يوجد فى مصر مثل هذا الحي الغربى ، بل هو موجود فى نيويورك حيث يتجمع المهاجرون من المكسيك وبورتوريكو ، سواء بناء على هجرة شرعية أو تسلل . وقد قدم المخرج الأمريكى روبرت وايز مسرحية ليونارد بيرنشتاين التى تحمل هذا الاسم فى فيلم نال نجاحاً ساحقاً فى السينما سواء على المستوى الفنى أو التجارى . لكن يبدو أننا لم نعد نجيد الاقتباس بدليل أننا ننقل العنوان بحذافيره دون أن تكون له أى دلالة تخصنا . ذلك أن الاقتباس لابد أن يرتبط بالتمصير الذى لا نجد له أية لمسات فى العداء الذى ينشب بين رجب وأصدقائه وبين طلبة وأصدقائه . ثم ينفصل سامي عن طلبة ويعمل فى أحد المحال ، ويربط الحب بينه وبين أمل شقيقة رجب الذى يرفض زواجهما . ثم يقوم طلبة وأصدقاؤه بالاعتداء على نوال خطيبة رجب فيثور عليهم سامي . ويقوم رجب بقتل طلبة وبدون أن يدرى يقوم سامي بقتل رجب ثم يلقى مصرعه على أيدى أصدقاء رجب !! (كل هذا القتل كأنه لا وجود للشرطة المصرية على الإطلاق .

وبحلول عقد الثمانينيات انطلق طوفان أفلام القتل والانتقام والعنف بصورة لم تشهدتها السينما المصرية من قبل ، واستمر بنفس التدفق حتى نهاية التسعينيات ، لدرجة أن نسبة هذه الأفلام فى هذين العقدين تزيد حوالى الضعفين على كل ما أنتجته السينما المصرية منذ مطالعها فى العشرينات . وربما كان هذا دليلاً على انتشار ظواهر العنف والقتل والانتقام ، سواء أكانت السينما هي أحد أسباب هذه الظواهر أو إحدى نتائجها . لكن يبدو أن مزاج المفترج أيضاً لم يعد رومانسياً أو تأملياً أو خيالياً ، بل أصبح بدوره عنيفاً ، وإن كان عنفاً نفسياً فى معظم الأحيان يريد أن ينفس عن بخاره المكتوم داخله بالعنف المادى الذى يراه على الشاشة ، وهو عنف لم يعد قاصراً على الرجل ، بل مارسته المرأة أيضاً بنفس القدر ، سواء بالقتل بالساطور أو دس السم ... الخ .

فى عام ١٩٨٠ أخرج أحمد السباعوى فيلم " وتمضى الأيام " الذى يتزوج فيه المهندس شكرى من ابنه خالته خديجة بضغط من أبيه عبد القادر برغم حبه للدكتورة راوية التى تقرر الانتقام من عبد القادر فتوفعه فى حبها ويتعلق بها ويهمل زوجته عديلة . وعندما يعرض عليها الزواج تفاجئه بخطتها وخداعها له ، كذلك ترفض الارتباط بشكرى الذى يضيق بحياته التى تكتشف علاقته براوية ، كما تتسحب خديجة من حياة شكرى .

أما عام ١٩٨١ فقد شهد تسعه أفلام من هذه النوعية دفعه واحدة : الشيطان يعظ و " الوحش داخل الإنسان " لأشرف فهمى ، و " فتوات بولاق " و " دندش " ليحيى العلمى " و " موعد على العشاء " لمحمد خان ، و " لن أغفر أبداً " لسيد طنطاوى ، و " الذئاب " لعادل صادق ، و " انتخروا الدكتور سليمان عبد الباسط " لمحمد عبد العزيز ، و " بذور الشيطان " لياسين إسماعيل ياسين .

وكانت شخصيات الفتوات والحرافيش التى أبدعها قلم نجيب محفوظ ، مادة خصبة للكتاب والمخرجين كى يخوضوا فى دهاليز العنف والقتل والانتقام ، مثلاً فعل أشرف فهمى فى " الشيطان يغط " الذى يهرب فيه شطا مع وداد خطيبة الدينارى فتوة المنطقة ، ويلجأ إلى الشبلى عدو الدينارى ليحميهما ويتزوجان . لكن الشبلى يطمع فى وداد ويقوم باغتصابهما على سبيل الانتقام من الدينارى . ويعود الزوجان إلى حبيهما فى حين يصم شطا على الانتقام من الشبلى الذى يحدد مع الدينارى موعد المعركة الفاصلة بينهما . وعندما تدور المعركة يخرج شطا من مخبئه ليقتل الشبلى لكن أحد أعوان الشبلى يقتله .

وهو نفس ما فعله يحيى العلمى فى " فتوات بولاق " لنجيب محفوظ أيضاً . ففى الفيلم ينضم محروس لأعوان المعلم عباس فتوة حى بولاق ، فيطلب منه عباس أن يقتل خطيبته حميدة لكي يقتل فيه مشاعر الحب . يرفض محروس ويهرب ويوصى صديقه بحميدة . تقطع أخباره فتوافق حميدة على الزواج من بيومى

وتعطيه مبلغاً من المال تسرقه من أمها ليعينه في تكاليف الزواج . ينجح محروس في قتل عباس ويخطط للانتقام من حميدة ويومي . يقتل حميدة وتهمن الأم بيومي بقتلها لوجوده معها قبل الحادث . وتلتصق به التهمة بعد أن يعثر رجال الشرطة على المال المسروق من الأم في منزله . ويتم الحكم عليه بالإعدام ويصاب محروس بالجنون .

في فيلم " الوحش داخل الإنسان " يعود محمود إلى بلده بعد إتمام دراسته ، فيجد صدفة التي كان على علاقة به قبل سفره ، وقد تزوجت من ابن خالتها سيد الشاب الأبله الذي تعانى من حياتها معه . وعندما يكتشف سيد علاقتهما ، يقومان بقتلها ، كما يقوم جدعنة بقتل الراقصة لواحظ . وعندما تستدعي الشرطة صدفة للشهادة ، يعتقد محمود أنهم اكتشفوا الجريمة ، فيكتب خطاباً يتضمن اعترافه بقتل سيد حتى يبرئ صدفة ويحاولان اللحاق بمتولى ، ينزلق الحسان الذي يجر العربة في البحر ليلقى العشيقان مصرعهما .

في فيلم " دندش " تزوج دندش من جارها مرسى الذي يدخل في معركة مع أعون مدبولي مزيف العملة والذين يتحرشون به ، فيصيب أحدهم ويوهمه مدبولي أنه مات ويهده بتبليغ الشرطة ليضغط عليه حتى يعمل معه ، في حين يخفى مرسى الأمر عن دندش التي تثور عندما تعلم وتبليغ الشرطة ضد مرسى فيهرب . تعمل دندش راقصة في إحدى الفرق . عندئذ يصمم مرسى على الانتقام من مدبولي الذي يصييه بعد مطاردة بينهما ، وينقل إلى المستشفى وتقف بجانبه دندش التي علمت الحقيقة الكاملة في النهاية .

في فيلم " موعد على العشاء " يتم طلاق نوال من زوجها عزت ، وتتعرف على حلاق السيدات شكري ويربط الحب بينهما . وعندما يكتشف عزت علاقتهما ، يحاول إعادتها عنه ، لكنها تثور عليه لتدخله في حياتها ، ويتم زواجهها بشكري . يدبر عزت لمقتل شكري ، فتقرر نوال الانتقام منه ونلوك بأن توهمه بأنها ستعود

إليه وتدعوه لتناول العشاء معها فى منزلها . تضع نوال السم فى أحد أصناف الطعام . ويطلب منها عزت أن تشاركه فيه . فياكلان وتعترف له نوال بوجود السم فيه . ذلك أن العنف هنا عنف نفسي وأشد وقعاً من العنف المادى .

فى فيلم " لن أغفر أبداً " يموت والد حسين نتيجة إهمال الأطباء فى إحدى المستشفيات العامة ، فيقرر حسين الانتقام من الأطباء بسرقة سياراتهم !! وفي إحدى المرات يفاجأ حسين بوجود السائق توفيق فى المقعد الخلفي وهو نائم ، وعندما يستيقظ ، يستغيث بالمارأة ، فيدفعه حسين خارج السيارة ويصاب بالشلل . يتعرف حسين على ابنته ياسمين ويتوه ويعيد تشغيل ورشة أبيه . وعندما يذهب حسين لمقابلة والد ياسمين ليخطبها ، يفاجأ بأنه توفيق ، فتهاهار ياسمين وترفض الزواج منه .

فى فيلم " الذئاب " يكون رجل الأعمال صابر ثروته بطرق غير مشروعة ، ويكلف أعونه بقتل موظف الشركة عزت لأنه شهد ضده فى إحدى القضايا . يسعى صديقه ناجى مع رجال الشرطة لمعرفة القاتل بحكم عمله فى الشركة نفسها ، وينضم إليهم الصحفى مكرم الذى يهاجم صابر فى مقالاته . ويواصل صابر إجرامه للتخلص من كل من يقف فى طريقه ، فى حين يستغل ناجى إعجاب سوسن زوجة صابر به ، فيطلب منها إمداده بمستدات تدين زوجها . يسلمها لرجال الشرطة ويبوح بذلك لصابر !! يتعاركان ويلقيان مصرعهما !!

فى فيلم " انتخبو الدكتور سليمان عبد الباسط " يتعرف الدكتور سليمان أستاذ القانون الجامعى على فتاة الليل ابتسام ، وفى أثناء وجوده فى منزلها ، يصل عشيقها المقاول توفيق الذى يشتباك مع سليمان الذى يقتله وهو يدافع عن نفسه . يقوم بنقل الجثة فى سيارته للتخلص منها ، فيشاهده زغلول صديق توفيق ، ويطالبه بمبلغ من المال شهرياً مقابل كتمانه الأمر . يبدأ رئيس المباحث عادل التحريات - وهو صديق لسليمان - ويتوصل لشخصية زغلول من أوراق توفيق . وعندما

يعلم سليمان ذلك منه ، وقبل أن يصل إليه يقتله . يحصر عادل معارف توفيق ومنهم ابتسام التي تعرف بعد أن يضيق الخناق عليها ، ويتم القبض على سليمان .

فى فيلم " بذور الشيطان " يتزوج عصمت من الثرية العجوز إقبال عمة صديقه رافت . ويقومان بقتلها وينتقسمان ثروتها . ويتزوج رافت من نيفين ابنة عم عصمت الذى يتلقى معها على قتل رافت حتى ترث نصيبيه . وتتجه خطتها لكن عصمت يفاجأ بها بعد ذلك وهى تتفق مع شخص آخر للتخلص منه ، فيقتلها ويصل رجال الشرطة ويقبضون عليه .

فى عام ١٩٨٢ أخرج أشرف فهمى فيلم " الأقوباء " وفيه تلقى نادية بالمهندس سالم ويتفقان على الزواج . ويعترب رمزى وعندما يفشل فى التفرقة بينهما . يقتله ويفلت من العدالة بفروذ أبيه . يثور عادل على أخيه رمزى الذى يهدده بمسدس ، فيحاول أبوهما الباجورى انتزاع المسدس من يد رمزى فتطلق رصاصة ترديه قتيلًا !! وعندما يحاول رمزى قتل عادل ، فإن الرصاصة تصيبه هو ليسقط قتيلًا !!

وفى نفس العام (١٩٨٢) أخرج نادر جلال فيلم " أرزاق يا دنيا " الذى يثور فيه أبوزيد مع زملائه على المعلم شمروخ صاحب الوكالة التى يعملون بها والتى تخضع لزعامة شوشو التى تخالف القانون . فيعملون فى وكالة جديدة ، مما يثير غضب شوشو ، فى حين تنتهى مدة عقوبة غراب زعيم الوكالة القديم الذى خرج ليحل محل شمروخ ، وسرعان ما يشرع مع أعوانه فى مهاجمة أبوزيد و زملائه . وعندما يقتلون أحدهم ، يعتدى أبوزيد على غراب الذى يحرض أعوانه على الاعتداء على زوجته سنابل . يقتله أبوزيد فيصيبه أحد أعوانه غراب إصابة خطيرة !!

ويشهد عام ١٩٨٣ ثلاثة أفلام من هذه النوعية : " الخبز المر " لأشرف فهمى ، و " أسوار المدابغ " لشريف يحيى ، و " غداً سأنتقم " لأحمد يحيى .

فى فيلم " الخبز المر " يعمل سالم على توفير المبلغ المطلوب لشراء أرض عزيزة التى يطمع فيها ابن بلدتهم عواد . وتبصر فهيمة ثمن الأرض وتعطيه سالم ليعجل بزواجه من عزيزة التى ينافسه طلبة فى حبها . يحاول طلبه قتله ، وفى محاولته للدفاع عن نفسه ، يقتله سالم . فيقوم عواد بقتل رضوان لثار بين العائلتين . وفي أثناء مطاردة إخوة طلبة سالم ، يموت عتريس ويصاب سالم فى ذراعه .

فى فيلم " أسوار المدابغ يتوالى مسلسل الاقتتال والقتل عندما يسيطر المعلم خليل على تجارة الجلود بالحى ويعاونه ابنه فاضل ، أما ابنه الآخر حسين فهو يساند العمال . وعندما يقرر محسن إعادة تشغيل مدبقة أبيه الراحل ، يقلق خليل ويحيل عليه أحد أعوانه فি�منحه سلفاً بفوائد حتى تتراءم عليه الديون ويتم الحجز على المدبقة . وعندما يفشل محسن فى تدبير المبلغ ، يضطر للعمل عند المعلم خليل ، وتتدهور حالته . وعندما يكتشف ما فعله خليل ، يقرر قتله ، لكنه يفاجأ بوفاته . عندها يحل فاضل محل أبيه ، ويواجهه محسن بجريمة أبيه ، فيشتبكان ويستطيع فاضل أن يقتله .

فى فيلم " غداً سأنتقم " تضحي حنان وتدخل السجن بدلاً من زوجها محدث لتقضى ثلاث سنوات بعد أن يصدم أحد المارة حتى تتيح له فرصة إثبات وجوده فى الحياة !! لكنه يتخلى عنها بل ويطلقها ، ويرفض أن يأخذ مولودهما ليرعاها فيموت !! تنتهي مدة عقوبتها ويصبح محدث رجل أعمال كبير ويتزوج عشيقته صافيناز . تقرر حنان الانتقام منه (وتنقمص شخصية الكونت دى مونت كريستو إلى حد ما) فهى تسبب له بخطتها فى خسائر مادية كبيرة . فعلى سبيل المثال ، تبلغه بخيانة زوجته له فقتلها . يقبض عليه رجال الشرطة بعد أن تبلغهم حنان ليحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً ، ثم تعرف له بما سببته له .

فى عام ١٩٨٤ يواصل أحمد يحيى إخراجه لأفلام الانتقام فى فيلم "حتى لا يطير الدخان" الذى يرفض فيه كمال ومدحت ور عوف إقرارا ض صديقهم فهمى المال اللازم لإجراء عملية جراحية لأمه التى تموت فىقرر الانتقام منهم . ينتهى من دراسته ، ويكون ثروة كبيرة بطريقة مشبوهة . ينجح فهمى فى الانتخابات ويسبب بنفوذه فى تعطيل صفقة فاكهة لمدحت ، فيضطر لبيعها بمبلغ رخيص حتى لا تفسد . وتضيق خيرية بظروف زوجها مدحت المادية المتدهورة ، فتتقرّب من فهمى الذى يشجعها على طلب الطلاق كى يتزوجها ويحقق انتقامه منها عندما رفضت الزواج منه لفقره . لكنه فى ليلة زفافه إلى جارته القديمة سنية ، تفاجئه أزمة مرضية تودى بحياته !!

وفى عام ١٩٨٤ أيضاً يواصل أشرف فهمى إخراجه لأفلام القتل بالجملة فى فيلم "المجهول" الذى تعيش فيه مديحة مع أمها فى كندا ، حيث تمثل الأم فندقاً فى منطقة منعزلة ، ويقومان بقتل النزلاء ويسرقان ثروتهم . (أى طبعة كندية من ريا وسكينة !!) ويساعدهما رجل أبله يلقى بالجثث فى البحيرة القرية . وعذر الأم فى هذا أنها فى حاجة للمال لتسدد دينها للبنك !! ويصل ابنها ناجى مع زوجته فاطمة إلى كندا ليبحث عنها ويعرف أسباب طلاق أبيه منذ طفولته !! ويعثر على الفندق ، وينزل باسم مستعار !! وتتفذ الأم جريمتها فى حين تكتشف مديحة من جواز السفر حقيقة ناجى فتهاجر . تفاجأ الأم فتسرع للحق بالابنة ، وعندما تغوص جنة ناجى فى أعماق البحيرة ، تلقى نفسها وراءها لتنتهى هذه المأساة التى لا محل لها من الإعراب !!

وكذلك أخرج سيد سيف فيلم "كلاب الحراسة" فى عام ١٩٨٤ ، والذى يتاجر فيه رجل الأعمال الكبير عفت فى المخدرات والمواد الغذائية ، لكن حمدى موظف الجمرك الشريف يتصدى له ويرفض الرشوة ، فلافق له عفت قضية مخدرات يدخل بسببها السجن ثلاث سنوات ، ويخرج مصمماً على الانتقام . وتنفل

محاولته لقتل عفت ، ويهرب ويختفى عند حبيبه عزيزات التى يطمع فيها حسونة الذى ينجح فى التوصل إلى مكان حمدى ، ويُشى به لعفت ، ويصطحبه أفراد من العصابة مع عزيزات إلى مقر عفت الذى يطلق كلابه على حمدى لتفصى عليه لينفرد بعزيزات التى يطمع فيها ، إلا أنه يقع فى قبضة رجال الشرطة مع عصابته .

وشهد عام ١٩٨٦ حشداً كبيراً من أفلام القتل والانتقام والعنف ، نذكر منها " عصر الحب " لحسن الإمام ، و " الحناكش " لعلى عبد الخالق ، و " الورثة " لأحمد السبعاوي ، و " الأوباش " لأحمد فؤاد ، و " أجراس الخطر " لمحمد عبد العزيز ، و " الحلم القاتل " لعادل الأعصر .

فى فيلم " عصر الحب " المأخوذ عن رواية نجيب محفوظ ، يتزوج الكاتب المسرحي حمدى من الممثلة بدرية ، ويكتم صديقه عزت مشاعره لأنه يحبها . وينضم حمدى لجماعة ثورية تحارب الملك والإنجليز ، ويتم اعتقاله لكنه يهرب . يشك فى وجود علاقة بين زوجته وزميله فى الجماعة حسين ، فيطلقها ويقتل حسن يدخل السجن وتتزوج بدرية من الثرى نعمان إلا أن ابن عزت الطالب الثورى يقتله . وتنتهى مدة عقوبة حمدى ، ويتوصل لمكان بدرية ويعرب لها عن أسفه . وعندما يتحرش به عزت ، تقتله بدرية ويحكم عليها بالمؤبد . وأبسط تعليق على هذا الفيلم أن أبطاله لا يمكن أن يكونوا ثواراً أرهنا حياتهم من أجل تحرير وطنهم من الاستعمار ، بل هم حفنة من القتلة التافهين الذين يحلون مشكلات الجنس والزواج بالقتل كحل حاسم وسرعى ومضمون ولا بديل له !! وكان من الأولى أن يسمى الفيلم " عصر القتل " وليس " عصر الحب !! "

فى فيلم " الحناكش " يستولى أحد رجال السلطة على فيلا طاهر سليمان أثناء غيابه بالخارج ، ويعرف لابنه عصام وعمر بأنه يدفن فى حديقة الفيلا خزانة بها سبائك ذهبية . ويتفق مع عصام على تمثيل الحب على شغالة الفيلا عواطف لتسهيل مهمة استعادة السبائك . لكنه يقع فى حبها بالفعل ، ويعرف لها بالحقيقة

فتشترط أن يتزوجها ويهداها مليون جنيه . وتجمع الخطة ويوضع طاهر المجوهرات في خبایا السيارة لسفرهم إلى الخارج بالباخرة . ويغدر طاهر بعواطف فيقتلها وينهار عصام . وعندما تنقل السيارة إلى الباخرة ، يسرع عصام ويحدث تفاصيل سقوط السيارة وتصطدم بطاهر ليلقى مصرعه وتتبادر المجوهرات على أرض الميناء (ولا يعرف أحد من أين أتى المؤلف باسم الفيلم سوى أنه على وزن " العرافيش " لنجيب محفوظ) !!

في فيلم " الورثة " يفاجأ إسماعيل بأن أباه نقل ملكية المصنع لأخيه أحمد الذي يتزوج أيضاً من رشا ، فيزداد انهياره وحقده على أخيه الذي استولى أيضاً على حبيبته ، فيصمم على الانتقام منه . ويبداً إسماعيل بقتل سليم أحد عملاء المصنع ، لكنه يفشل في إلصاق التهمة بأحمد . فيواصل انتقامه بإحداث عطل في سيارة أحمد فتفجر وهو بداخلها ، ثم يتزوج إسماعيل من رشا . لكن يفاجأ الجميع بعودة أحمد الذي فقد الذاكرة بعد نجاته من الحادث . وبالطبع تعود إليه ذاكرته ويواجه إسماعيل بتذليل الحادث ثم يلقى إسماعيل مصرعه على أيدي أقارب سليم ، تطبيقاً لمبدأ من قتل يقتل ولو بعد حين ، لكن ليست هناك صراعات نفسية أو تأنيب ضمير أو تردد في إزهاق أرواح أقرب الناس إلى القاتل !!

في فيلم " الأوباش " نعود مرة أخرى إلى تيمة " الكونت دى مونت كريستو " عندما يتعرض شريف وعروسه صفاء وهما في طريقهما إلى منزلهما لهجوم من ستة شبان ، يصيب أحدهم شريف إصابة خطيرة ويموت ، ثم يعتدون على صفاء التي تنقل إلى مستشفى للأمراض النفسية . ويتردد عليها المريض أحمد الذي تعرض لحادث مشابه عندما تعرضت خطيبته لاعتداء وحشى حال دون ممارسة حياتها الطبيعية عندما تزوجت ، بل وأدى إلى مصرعها بسيارتها . عندئذ يصمم أحمد على الانتقام من الأوغاد الستة ويقتلهم بالفعل ويسلم نفسه .

فى فيلم "أجراس الخطر" ينتقم شكري من زميل دراسته جابر الذى يسرق منه مستدات تدينه فيزوج به فى السجن . وبعد انقضاء المدة يخرج جابر للانتقام منه بالتجسس على كل أسرار عملياته بل وينافسه فى صفقاته المشبوهة ، حتى يتمكن من سرقة أوراق تدين شكري وتكتشف لعملاته سرقاته . لكن دوامة الانتقام لا تتوقف ، إذ أنه عند خروج جابر بزوجته من المستشفى ومعها مولودها ، يصاب بطلق نارى قاتل من أعون شكري .

فى فيلم "الحلم القاتل" تتعرف الموظفة نيللى على النصاب أدهم الذى يوهما بحبه ، وتشاركه فى عمليات السرقة . ثم يحاول أدهم إقناع زميلها رامى بقتل أمه الثرية لكنه يرفض ، إلا أنه يفاجأ بمصرعها وسرقتها . وتعمل نيللى راقصة لتسدد ديون أدهم لتأجر المخدرات . ويكتشف رامى أنها هي وأدهم قاتلاً أمه . ويتخلى أدهم عن نيللى بعد أن يبتز نقودها فتقتلها ، فى حين يفشل رامى فى قتلها ، بل إنه يتعاطف معها لأنها ضحية أدهم !!

ثم يأتي عام ١٩٨٧ بأربعة أفلام هى : "أبناء وقتلة" لعاطف الطيب ، و "حقد امرأة" لنادية حمزة ، و "يا صديقى كم تساوى" ليوسف فرنسيس ، و "المرأة الحبيبة" لعبد اللطيف زكي .

فى فيلم "أبناء وقتلة" يتزوج شيخون من الراقصة دلال ويستولى على مصاغها لشراء حانة !! يرزقان بزهير وونيس . وتنقم منه دلال فتشى لضابط المباحث أحمد غانم تسره على خليل زوج شقيقته الهاوب من السجن فيقبض عليه . وبعد خروجه من السجن ، يقتل دلال ويعمل بتجارة السلاح ويثير ثراء كبيراً . ثم يقرر ابنه زهير الزواج من تلميذته بالجامعة ، فيفاجأ شيخون بأنها ابنة أحمد غانم فيحاول قتله !! وفي محاولة لمنع الجريمة يصاب زهير بطلق قاتلة !!

فى فيلم "حقد امرأة" نواصل مسلسل القتل السهل والسرريع !! إذ تعارض غالية زواج ابنتها نادية من حمدى الذى استولى أبوه فراج على ثروة أبيها عواد

قبل مصرعه ، إلا أن حمدي يسرق من أبيه مبلغاً كبيراً ويعطيه لغاليلية فتوافق !! وتشاء الصدف أن تقاجأ غاليلية في أثناء حفل الزفاف بجارهم منعم وهو يعترف لها بأن فراج هو قاتل عواد ، فتهاجر نادية وتطلب الطلاق . عندئذ تنتقم غاليلية من فراج بتلبيغ زوج عشيقته عن علاقتهما .. وينهار حمدي عندما تحصل نادية على الطلاق بحكم قضائي ، ويطلق عليها الرصاص فتصاب بالشلل ويصاب هو بالجنون ..

في فيلم "يا صديقى كم تساوى" يتعرف سيف على الأرملة الثرية ناريمان ، في حين تطمع أمه في أن يتزوج من سوسن شقيقة زوجة أخيه المتوفى . ثم يتضح أن ناريمان تتوى الانتقام من سيف ، فقد كانت زوجة لأخيه الراحل الذي أنقذته من الإفلاس ثم طلقها ليتزوج من شقيقته سوسن . وعندما يموتان في حادث تؤول الثروة لسوسن . وتتجح ناريمان في إيقاع سيف في حبها ويتزوجان ، ويفاجأا بحقيقة انتقامها وأنه ضحية انتقامها ، إلا أنها تعرب له عن حبها الصادق لكنه يتخلى عنها فتتحر !!

في فيلم "المرأة الحديدية" تنتقم البطلة شخصية الكونت دى مونت كريستو الذي لا يمل السينمائيون المصريون من استدعايه بين الحين والآخر عبر نصف قرن ، وكان مجتمعنا قد خلا من الموضوعات أو المضامين أو التيمات أو الأفكار ، برغم أنها ملقة على نواصي الشوارع على حد قول الجاحظ ، وحياتنا اليومية بل والعادمة زاخرة بها . ففي هذا الفيلم يدعى حسن لخطيبته ماجدة أنه يعمل بالاستيراد والتصدير . ويتزوجان لكنه يلقى مصرعه أمامها برصاص أربعة أشخاص ، يفشل رجال الشرطة في التوصل إليهم ، فتصمم ماجدة على الانتقام بنفسها . أى أنها ستقوم بما عجز جهاز الأمن كله عن تأديته ، فتعثر بين أوراق زوجها على ما يفيدها ، وتتوصل إليهم دون أن تخبر الشرطة لأسباب لا ندريها إلا أنها تريد أن تثبت لنفسها ولنا أنها امرأة حديدية !!! وبالفعل تقتل ثلاثة منهم !! أما رابعهم بيومى فيبلغ الشرطة ليحتمى منها ! ويتعجب المترسج كيف لهؤلاء القتلة أن

يتحولوا إلى قطط مذعورة هكذا أما هذه السيدة العجيبة ؟! ويعترف رابعهم بجريمتهم ، فهم عصابة لتزوير الأوراق المالية وقد استولى حسن على قيمة العملية الجديدة فينفذون جريمتهم . ويتم القبض على ماجدة التي لا تندم بعد أن تعلم حقيقة حسن ، ذلك أن القتل عندها لا يثير أى نوع من الندم !!

وفي عام ١٩٨٨ يستمر تدفق أفلام القتل والانتقام والعنف ، نختار منها على سبيل المثال : "المتمرد" لهنرى بركات ، و " أيام الرعب " لسعيد مرزوق ، و "مخالب امرأة" لعادل الأعصر و " أنا والعذراء والجدى " لأحمد النحاس ، و "حكاية نص مليون دولار" لسعد عرفة .

في فيلم "المتمرد" يرحل هاشم من بلدته بعد أن يرفض قتل يحيى لوجود تأثر بين العائليتين ، ويعمل في مبناء الإسكندرية مع المستخلص الكبير عوني الذي يلتقى لمنافسه رمضان تهمة حيازة مخدرات ، لكن هاشم يشهد ببراءته . تتوثق علاقته به ويعمل معه ، كما يتفق مع ابنته ليلى على الزواج . ثم يفاجأ هاشم بمحىء يحيى ويزيلان الخلافات بينهما . ويتم القبض على عوني وأعوانه لجرائمهم في التهريب . وفي ليلة الزفاف يصل أقارب هاشم ويحاولون أحدهم قتل يحيى ، بحيث يصاب هاشم عندما يحاول إنقاذه .

في فيلم " أيام الرعب " يصاب محروس الموظف ب الهيئة الآثار بالرعب بعد أن يصله خطاب من جده ، يبلغه فيه بالإفراج عن عويضة الذي يسعى لقتله أخذًا بالثار . فيعيش محروس في عزلة وتفشل محاولات خطيبته سلوى إخراجه من أزمته . لكنه يذهب إلى أحد الموالد حيث يفاجئه عويضة بطلقة نارية قاتلة ، ومع ذلك يتمكن محروس قبل أن يلفظ أنفاسه من إصابته بساطور ليسقط قتيلاً وتنهار سلوى !!

في فيلم " مخالب امرأة " تموت هند وتشك أختها مفيدة أن زوجها صبرى قد قتلها فتقرر الانتقام منه ، لدرجة أنها ببساطة شديدة توافق على الزواج منه ثم

نقته . ويبداً رئيس المباحث فى التحقيق وتحوم حولها الشبهات ، فتدعى وجود صديق لزوجها لا تعرفه كان معه قبل مصرعه . وعندما يقوم المحامى بهاء بالدفاع عنها ، يرتاب فيها ، فيضيق عليها الخناق حتى تهار وتعترف ، وકأن المحامى قد أصبح محققا !! ثم تقع مفاجأة فى غاية الافعال عندما يثبت التقرير الطبى أن صبرى لم يمت بطلاقة مسدسها ، ويكتشف رئيس المباحث أن شريف هو قاتل خاله . ويتم القبض عليه ويعترف بأنه كان يطعم فى ثروته !!

فى فيلم " أنا والعذراء والجدى " يموت أبو المعاطى بعد أن يعترف لابنه سليم بأن حسين الذى تولى تربيته هو أخوه . يحرق سليم الأوراق التى تثبت ذلك ويختفى الأمر عن أخيه نجوى طمعاً فى الثروة . ويتفق حسين مع نجوى على الزواج ، ثم يعترف لها سليم فجأة بحقيقة حسين لكنها لا تصدقه ، فيضطر إلى قتل حسين حتى يحسم الموضوع !!

فى فيلم " حكاية نص مليون دولار " تنتهى الأحداث بأن يقوم عامر بقتل سيف الذى يهدده بالشيك حتى يرغمه على مشاركته فى إحدى العمليات الجديدة . وتفشل محاولة حسين للانتحار بعد أن يقتل عامر ، ويتم القبض عليه . فالجميع يقومون بعمليات القتل كما لو كانوا يمارسون لعبة الكراسي الموسيقية !!

فى عام ١٩٩٠ أخرج أحمد يحيى فيلم " الخادم " الذى يدخل فيه كمال السجن بدلاً من شاهين صاحب الشركة التى يعمل بها وذلك بسبب مخالفاته القانونية ! (لاحظ تكرار ظاهرة دخول شخص السجن بدلاً من آخر لأسباب واهية فى أفلام عديدة) !! ويتفق معه على أن يربى محمود . ويختلف شاهين وعده ويتخذ محمود خادماً للأسرة . (وهذا سلوك متوقع من مجرم مثل شاهين لا يمكن أن يكون محل تقدير) !! المهم أن محمود يكافح ويصبح محامياً ويصمم على الانتقام من شاهين . تنتهي مدة عقوبة أبيه فى حين يبدأ محمود انتقامه من شاهين بابنته مى فيوقيها فى شباكه ويبتز ثروتها . ثم يدفع بأخيها علاء إلى الإدمان . ونظراً لسهولة

خطوات وحركات وانطلاقات الشخصيات في الأفلام المصرية ، يصبح محمود رجل أعمال كبير ، ويهرج مني التي تصاب بالانهيار . ثم يرث أحد أعون شاهين ليحصل على مستندات تدينه ويتم التحفظ على ممتلكاته . كما يشتري محمود فيلا شاهين ، ويتزوج من مني لأنها يحبها بالفعل ، وهو الذي هجرها من قبل !!

وفي نفس العام (١٩٩٠) أخرج عبد اللطيف زكي فيلم " البركان " الذي يرحل فيه هريدي بطفله أحمد إلى الإسكندرية هربا من ثأر بين عائلته وعائلة أخرى . ويسافر إلى أمريكا بعد أن يترك أحمد في رعاية الناجر صالح الذي يقترح عليه في خطاب أن يتبنى أحمد حتى يحميه من الثأر فيوافق (برغم أن الشريعة الإسلامية تمنع التبني ، لكن طالما أن التبني شائع في السينما الأجنبية فلماذا لا يشيع عندنا) ؟ ثم تتم خطبة احمد إلى الأرملة ليلي ، ويعود هريدي بعد أن يصبح مليونيرا ، ويعترف لأحمد بحقيقة . ويتبين له أن ليلي تطمع في ثروة أحمد فيحاول إبعاده عنها ، لكن عيناً لدرجة أن أحمد يقاطعه . وعندما تصل العائلة الأخرى للنيل من هريدي ، يسرع أحمد لإنقاذه ١١

وشهد عام ١٩٩١ ثلاثة أفلام هي : " مسجل خطر " لسمير سيف ، و " رغبة متوجة " لخيرى بشاره ، و " شحاتين و نبلاء " لأسماء البكرى .

في " مسجل خطر " تنتهي مدة عقوبة اللص سيد فيخرج و معه زميله بدر ومصطفى الذي يقرر الانتقام من شريكه طارق وصفوت . وكان قد تحمل تهمة السرقة بمفرده على وعد منها لعلاج زوجته المريضة !! (و السؤال هنا : كيف يقع لص في زمانه ، ويدخل السجن نيابة عنهم كما حدث في أفلام عديدة ؟ ! نمط ممل و سخيف وغير مقنع برغم تكراره) !! وبالطبع يتخليان عن زوجته فتموت . ويلجأ مصطفى لسيد وبدر ليساعداه ، خاصة أنهم علموا بقيام طارق وصفوت بعملية تهريب مخدرات جديدة ، وينجحون في الاستيلاء على قيمة العملية . وتحدث مطاردة مع العصابة تؤدى إلى مصرع مصطفى في حين تقع النقود في النيل !!

فى "رغبة متوحشة" تفاجأ ناھد وابنته وفاء وسمحة شقيقة زوجها بمقدم الشاب سيد غزال الذى يخبرهن بأنه زميل الزوج فى الزنزانة . والذى اعترف له قبل وفاته بوجود كنز من الدولارات ثمن عملية الجاسوسية التى قام بها ، ومدفونة بالقرب منه . وتنافس المرأةن على حبه ويعرب لناھد عن إعجابه بها . ويشرعون فى عملية الحفر لكن ناھد تصيبه فى رأسه بمؤخرة البندقية فيسقط فى البئر . تتحقق به سميحة ظنا منها أنه لم يمت وتعثر على النقود . وعندما تعرف وفاء لأمها بکذب ادعائهما بمحاولة سيد الاعتداء عليها ، تنهار ناھد لأنها سمعت إلى قتله على سبيل الانتقام منه !

فى فيلم "شحاتين ونبلاء" يعيش الشاب جوهر حياة الصعاليك فى الحوارى المصرية . فهو متقد لكنه محبط للغاية . أما صديقه الكردى ويکن فيشكان تنويعتين على حياة الصعلكة الثقافية التى كانت منتشرة فى فترة الأربعينيات . فالكردى متقد آخر وصعلوك ولكنه أكثر واقعية ، أما يکن فهو من أشد المؤمنين بعصرية جوهر التى لا نلمسها فى الفيلم على الإطلاق . يکفى أنه يرتكب جريمة قتل إحدى العاهرات ، وتتوالى التحقيقات ويعترف جوهر للضابط أنه القاتل ، لكنه لا يجد الدليل الكافى للقبض عليه . (وكان الاعتراف الكامل دون إكراه لم يعد سيد الأدلة) !! وينتهي الفيلم بموقف مبكى لا معنى له ولا منطق له إذ أن الضابط يترك عمله ليعيش مع الثلاثة فى جو من الضياع والصلعكة !!!

وشهد عام ١٩٩٢ أربعة أفلام هي "لعبة الانتقام" لمحمد عبد العزيز ، "الهجمة" لمحمد النجار ، و "الشرس" لنادر جلال ، و "جحيم امرأة" لطارق النھرى .

فى "لعبة الانتقام" تتزوج نادية من صلاح برغم معارضة أبيها رجل الأعمال مرزوق ، ويرزقان بابنتهما مى ، ومع ذلك يستمر فى محاولات التفريق بينهما . ويطلق البعض الرصاص على مرزوق لثار قديم فيصيرون ويهربون ،

فينتقم مرزوق من صلاح فيتهمه بهذه الجريمة . وينجح ابن أخيه ضابط المباحث في إثبات التهمة عليه ويحكم على صلاح بالسجن . تنتهي مدة العقوبة ويفاجأ صلاح بزواجه نادية بعد أن طلقها منه أبوها غيابيا . ويلقى مرزوق مصرعه على يد أحد منافسيه ، فتلتتصق التهمة مرة أخرى بصلاح ، بل وتصاب ابنته في نفس الحادث . ويقع على في صراع نفسي ينتهي بأن يطلق نادية ل تستأنف حياتها مع صلاح وابنتهما مى بعد أن تثبت براءته .

فى فيلم " الهجامة " يعود سيد ومعه ثروة ضخمة من تجارة المخدرات وينافس المعلم العربى . تحاول نوسة خطيبته وابنة خالته بإعاده عن طريق الإجرام ، لكن بدون جدوى . وينتقم العربى من سيد فيجعل لولا - أخت نوسة - مدمنة ، وتموت بعد تجرعها كمية كبيرة . تنهار نوسة وتحااز للعربى للانتقام من سيد بعد أن تظن أنه السبب ، بل وتقوم بحرق المخزن وهو بداخله ، فيقوم العربى بالإبلاغ عنها ويتم القبض عليها .

فى فيلم " الشرس " يطمع العجرودى أحد أفراد العصابة فى الزواج من فاطمة إلا أنها ترفض . و يتسبب العجرودى فى قتل زين أحد أعوان همام . ويصمم خميس - أخو همام - على الانتقام ، فيقتل ثلاثة من أعوان العجرودى الذى يطلب من همام قتل خميس . ويعترف يوسف - صديق خميس - لفاطمة بشخصيته الحقيقية ، وأنه مكلف بالقبض على كل من همام والعجرودى . يطلب همام من أخيه أن يعتذر للعجرودى إلا أن خميس يرفض ذلك فيقتله همام ، وفي تلك اللحظة تصل الشرطة .

فى فيلم " حريم امرأة " يشاهد الطفل أحمد مقتل أبيه على يد المعلم أبو جبل . يشب أحمد ويقرر الانتقام منه ، ثم يعود إلى الحارة بعد أن أنقذ الكارابي . ويساعد الأرملة بدرية التى يسعى أبو جبل للالستيلاء على مخزن زوجها بعد وفاته ، بل ويتزوج أحمد منها . لكن أبو جبل يختطف بدرية ويخفيها فى مخزن ،

فبلجاً أحمد إلى زكي عشيق زوجة أبو جبل ، وعن طريقه يتمكن من الوصول إلى المخزن . ويتم القبض على أبو جبل وأيضاً زكي .

فى فيلم "لهيب الانتقام" يرسخ سمير سيف تقاليد أستاذه حسن الإمام ، إذ تلقى إحدى عصابات المخدرات تهمة حيازة هيروين لضابط المباحث القدير مدحت لدرجة أنه يفصل من الخدمة . (وماذا كان يمكن أن يصيبه لو لم يكن قديراً؟) . المهم أن الحاج عبد الفضيل يعرض عليه مبلغاً كبيراً مقابل التخلص من مجموعة من تجار المخدرات ، انتقاماً لوفاة ابنته نتيجة إدمانها الهيروين . ويوفق مدحت لينتقم لنفسه أيضاً ، بل ويتحول هو نفسه إلى مجرم إذ يستعين بأحد المرشدين الأشقياء ، وينفذان جريمتيهن . لكن أمر مدحت ينكشف قبل أن ينفذ جريمته الثالثة ، ويقوم تاجر المخدرات المقصود بقتل عبد الفضيل . ثم يفاجأ مدحت (ضابط المباحث القدير !!) أن الشخص الذى اتفق معه ليس عبد الفضيل وإنما هو طلعت السحرى تاجر المخدرات الذى سعى إلى مدحت ليخلصه من منافسيه . ويلقى السحرى وأعوانه مصرعهم بعد أن يضع مساعد مدحت عبوة ناسفة فى السيارة . وفي النهاية يقف أحد الضباط الكبار بجانب مدحت ويعده أن يسانده فى قضيته ليعود إلى العمل . (ونذلك برغم أنه أصبح مجرماً !!) .

ورب قائل يتساءل : وما العيب في معالجة موضوعات الانتقام والقتل والعنف في الأفلام ؟! أليست الحياة زاخرة بأمثالها ؟! أليس من حق الفنان السينمائي أن يعالج ما يتراءى له من موضوعات ومضامين ؟! وبالطبع فإن الإجابة عن هذه التساؤلات هي "نعم" بلا جدال . فمن حقه أن يفعل هذا ، بل من واجبه أن يؤدي هذه المهمة التحويرية والإبداعية . لكن عندما تحول هذه الموضوعات والمضامين والتيئمات إلى عناصر نمطية من خلال المعالجة النمطية ، فإن فن السينما برمته يتحول إلى مجرد أوراق للعب لا يملك اللاعب سوى إعادة تغطيتها أو ترتيبها لعله يكسب "بنطا" جديدا ، لكن تظل أوراق اللعب في النهاية محدودة للغاية . ومهما كان اللاعب ماهرا فإنه لن يستطيع أن يأتي بأوراق جديدة تثير دهشة المتابعين أو تفتح أمامهم أفقا لم تخطر ببالهم . وذلك في حين أن السينما تملك أفقا لغوية وتعبيرية تحسدها عليها الفنون الأخرى . فهي خلطة سحرية أو بونقة عجيبة تتصهر فيها عدة لغات لتكون في النهاية لغة خاصة بها تمتلك من الأبعاد والأعمق والإيحاءات واللمحات والأنواع والأضواء والظلال والأصوات والألحان والصور والرموز والاستعارات والتقابلات والمقارنات ما تعجز عنه لغة الأدب بمفردها أو لغة المسرح أو لغة الموسيقى أو لغة الفن التشكيلي ، إذ أنها استواعت كل هذه اللغات لتنمّح للعالم لغة فنية ليس لها نظير في قدراتها التعبيرية التي لا حدود لها . فحرام أن تترك كل هذه اللغة الثرية والخصبة والمتداقة ، لندور في ذلك عناصر نمطية وأفكار مستهلكة .

وعندما نتكلم عن العناصر أو الأفكار ، فنحن لا نقصد أنها نمطية في حد ذاتها ، لأنه لا جديد تحت الشمس في هذا المجال منذ أن وعي الإنسان هذه الحياة . لكن الخطورة تكمن في المعالجة النمطية المحددة بزوايا أو وجهات نظر أو رؤى أو مفاهيم هي بمثابة قوالب جامدة تصب فيها هذه العناصر أو الأفكار بحيث تبدو معظم الأفلام في النهاية متشابهة . بمعنى أن رؤية فيلم عن عنصر نمطي معين

تغنى عن معظم الأفلام التي عالجت نفس العنصر ، في حين أن السينما العالمية في الدول المتقدمة تنتقل من مرحلة إلى أخرى ، ومن موجة إلى أخرى لتجدد أدواتها الفنية وأساليبها الفكرية ، حتى توافق اهتمامات الناس ، وتجسد طموحاتهم وأحبطاتهم ، آمالهم وألامهم ، وتفتح أمام أعينهم نوافذ جديدة تمكّنهم من استيعاب تيارات الحياة وتلمس معالم المستقبل .

لكن من الصعب تقسيم تاريخ السينما المصرية إلى مراحل أو موجات متبلورة منذ بدايته في العشرينيات ، إذ يمكن تتبع العناصر التي بدأتها عزيزة أمير ووداد عرفى وإبراهيم لاما وتوجو مزراحي ، في أفلام العقد الأخير من القرن العشرين . أى أن هذه المرحلة النمطية والميلودرامية استمرت ثلاثة أرباع القرن ، ولا تزال قادرة على المواصلة بلا ملل . لكن أجراس الخطر دقت أخيراً مع الأزمة المستحكمة التي أمسكت بخناق السينما بعد انحسار دور العرض ، والسيادة شبه المطلقة التي يمارسها التلفزيون ومعه الفيديو . ولا يمكن للسينما المصرية أن تواجه تحديات القرن الحادى والعشرون ، المحلية أو العالمية ، بهذه العناصر النمطية ، الفكرية والفنية ، في عالم أصبح قرية صغيرة ، ليس على المتنزه سوى أن يضغط على زر كى يرى أمامه في لمح البصر الإبداعات السينمائية العالمية التي لا تتوقف عن التجدد والتطور والانطلاق إلى آفاق مبهرة . ولذلك ليس من المبالغة ، القول بأن السينما في مصر وفي الدول النامية بصفة عامة قد دخلت مرحلة أن تكون أو لا تكون . والسينما المصرية تملك من المواهب والقدرات والطاقات والخبرات ما يوهلها لمواجهة هذا التحدى إذا ما استغلتها على أفضل وجه

• • • •



دائرة الانتقام سنة ١٩٧٦



دائرة الانتقام سنة ١٩٧٦



البؤساء إخراج / عاطف سالم سنة ١٩٧٨



ابناء وقتلهم إخراج / عاطف الطيب سنة ١٩٨٧

الفصل الخامس

الأمراض والعاهات

كانت الأمراض المزمنة أو الخطيرة والعاهات الدائمة أو التي يتم شفاؤها بما يشبه المعجزات ، من العناصر النمطية والملحودرامية التي تركت بصماتها واضحة بل وغايرة على مسيرة السينما المصرية منذ العشرينيات وحتى الآن ، وإن كانت حدتها قد خفت إلى حد ما منذ مطلع الثمانينيات ، إذ يبدو أن مزاج الجمهور لم يعد يحتمل تلك المأسى والمحن والتجارب القاسية التي تثير الأشجان والأحزان والألام ، والتي أغرفت بها الأجيال الرومانسية السابقة التي وجدت فيها نوعاً من الإثارة الوجданية والانفعالية التي تظهر النفوس المتعاطفة مع الإنسانية المعدبة ، وهي إثارة قد تصل في بعض الأحيان إلى ما يشبه المتعة أو الإدمان . وكان من المعتاد بالنسبة لهذه الأجيال أن تبكي وتتواعج بالفعل في متابعتها لمشاهدة الأمراض والعاهات .

وقد وجد الكتاب والمخرجون السينمائيون في الأمراض والعاهات أوتاراً مشدودة داخل المترجين ، قاموا بالضرب عليها بتمكن واقتدار ، وأحياناً بتكرار وإصرار قد يصل إلى حد المبالغة ، مما يفسر لنا إقبالهم على تكرار إخراج رواية "غادة الكاميليا" مرات عديدة ومتتابعة دون رؤية جديدة ، ظناً منهم أن مجرد التمصير أو الاقتباس هو في حد ذاته صياغة جديدة ، وكانت محنـة "غادة الكاميليا" أنها أصيـبت بالـسل في زـمن كان يـعد مـرضاً خـطـيراً بل وـمـيـتاً ، ولـذـك اـتـخذـ منهـ

الكسندر دوماس عنصراً قدرياً أدى في النهاية إلى موت بطنه ، لكنه بعد مرور ما يقرب من قرن كامل ، وبعد ظهور المضادات الحيوية بكل أنواعها التي جعلت من السل مرضًا عاديًا يمكن شفاؤه إذا التزم المريض بخطوات العلاج ، تأتى السينما المصرية لتجعله مرضًا مميتًا في أواخر القرن العشرين .

لكن على سبيل الإثارة الميلودرامية ، استهانت السينما المصرية بأمراض مزمنة أو عاهات دائمة مثل الإصابة بالشلل أو فقدان البصر وغيرهما من الأمراض التي لا تزال تثير الريب الحديث الذي عجز عن إيجاد علاج ناجح لها ، وأوجدت لها السينما شفاء مفاجئاً لكنه ترفع الشخصيات - ومعها المترججين - من قاع اليأس والمرارة إلى قمة الأمل والنشوة في لحظة نادرة من لحظات يوم موعود؟ وخاصة أن السينما المصرية أدمنت النهايات السعيدة ، ولا يصح أن يغادر الجمهور دار السينما وبطنه لا يزال مشلولاً أو بطله الجميلة لا تزال عمياء ، خاصة إذا كان في عينيها من السحر والبريق ما يجب أن يملأ الجمهور عيونه بهما .

لكن على المستوى الدرامي والفنى نسي بعض الكتاب والمخرجين أن الإصابة بالأمراض والعاهات في الحياة ، تختلف عنها في الأعمال الدرامية والسينمائية حيث لابد أن تكون لها دلالة درامية أو إنسانية أو اجتماعية ، وليس مجرد عنصر الصدفة أو الحظ السيئ أو الظروف المعيشية المحيطة بالإنسان ، ولذلك ليس من حق المؤلف أن يصيب بطله بمرض مزمن أو عاهة دائمة لمجرد أنه يريد تطوير الأحداث أو عقاب الشخصيات أو إشارة أشجان المترججين ، بل دلالات أوسع وأعمق من ذلك بكثير ، ولذلك قال الناقد الإنجليزى إدوبين موير فى كتابه " بناء الرواية " إن الشخصيات فى الرواية تموت فى الوقت المناسب ، أى أنه لابد أن تكون هناك دلالة درامية أو إنسانية وربما تاريخية أو حضارية وراء موتها ، أما الناس فيموتون فى الحياة اليومية لأن ساعتهم قد حانت .

لكن لم تكن كل الأمراض بهذه المسوية ، فهناك أمراض خفيفة وقابلة للشفاء السريع - وأحياناً بدون علاج - يمكن أن تصلح مادة للكوميديا وهي أمراض يمكن أن تكون عضوية مثل البرد أو الأنفلونزا ، الأرتيكاريا وما يترب عليها من عطس أو سعال أو هرش ، ويمكن أن تكون نفسية مثل الوهم والوسوسة وسوء الظن وتوقع المصائب لكنها كلها تشتراك في كونها غير مميتة أو يمكن علاجها سواء عضوياً أو نفسياً أو عصبياً .

وكان المخرج الرائد محمد كريم في فيلمه " زينب " عام ١٩٣٠ ، قد أرسى المنظور الرومانسي للمرض ، الذي يجعل البطلة تموت فريدة العين من أجل حبيبها ، ولم يكن المرض عضوياً بقدر ما كان نتيجة للحزن على فراق الحبيب ، ذلك أن زينب فتاة ريفية تحب الغولى إبراهيم لكن أبيها يزوجها من الثرى حسن . ويدهب إبراهيم لتأدية الخدمة العسكرية ، وتعانى زين من فراق إبراهيم والوحدة الموحشة ، فينال منها الحزن وتمرض وتلازم الفراش ، وكان إبراهيم يتالم بنفس الدرجة من هذا الفراق ، وفي النهاية تموت زينب في الفراش وهي متشبثة بمنديل إبراهيم في يدها .

في عام ١٩٣٣ قامت فاطمة رشدي بتأليف وإخراج فيلم " الزواج " الذي يربط فيه الحب بين سلمى وابن عمها أحمد الذي يتقدم للزواج منها ، لكن أبيها الجشع يرفض ، ويجرها على الزواج من عزيز الشاب الثرى المستهتر بمجرد أن الأب كان على شفا الإفلاس . وتمر سبع سنوات ، ويصبح أحمد طيباً في حين تعانى سلمى الأمرين من حياتها الزوجية ، ويحدث أن تصاب ابنتها بمرض ، ويحاول أحمد إنقاذهما ، لكنها تموت وتهجر سلمى زوجها ، ثم تصدمها سيارة وتموت في اللحظة التي يصل فيها عزيز ليطلبها في بيت الطاعة بالقوة الجبرية .

في عام ١٩٤٠ أخرج إبراهيم لاما فيلم " رجل بين امرأتين " الذي يتعرف فيه الرسام رأفت على الفتاة الثرية آمال التي تذهب للقائه فتصدمها سيارة وتتقل

إلى المستشفى ، ويظن رأفت أنها قد غدرت به ، ويسانده صديقه فهمي فيطلب من ثريا أن تسرى عنه في محننته ، وينتظر العطف إلى حب ينسيه حبه لأمال التي تغادر المستشفى لكنها تصاب بالسل وترسل خطاباً إلى رأفت يضعه بين شقى الرحي : ثريا وأمال التي تدعى أنها خطبت بعد أن عرفت أن أيامها معدودة ، وينغمض رأفت في شرب الخمر لينسى همومه ، وعندما تباع لوحدة آمال التي رسمها يعرف أنها اشتراها ، وعندما يسرع للقائها ، كان المرض قد تمكن منها تماماً .

وفي عام ١٩٤٢ أخرج توجو مزراحي فيلم "ليلي" الذي كان أول اقتباس لرواية الكسندر دوماس "غادة الكاميليا" ، ففي الفيلم يبلغ الحب مداه بين فريد والمطربة ليلي ، فيهمل دراسته ، وعندما يعلم أبوه بهذه العلاقة ، يسرع لقاء ليلي ، ويستعطفها أن تترك ابنه فتعده بذلك ، وتواجهه ليلي فريد ، وتخبره أن علاقتها به كانت نزوة عابرة وأنها أصبحت تحب شخصاً آخر ، أما في حقيقة الأمر فهي تعيش في عزلة ، بل وتقع صريعة مرض السل الذي يشتد عليها ، وخوفاً من أن تموت دون أن ترى حبيبها ، تطلب من أبيه أن ينبعه بما جرى لها ، فيهرع للقائها بعد أن يعترف له أبوه بالحقيقة ، وفي النهاية تموت بين ذراعيه .

وفي عام ١٩٤٤ أخرج توجو مزراحي أيضاً فيلم "ليلي في الظلام" الذي يربط فيه الحب بين ليلي وحسين منذ الصغر ، والذي يتوج بإتمام الخطبة ، ونظراً لأن حسين يعيش في السودان ، فإن ليلي تذهب لتوديعه لكنها تصاب في حادثة تفقد على أثرها بصرها ، وعندما يطلب منها إتمام الزواج ترفض وتفهمه أنها لا تحبه ، بل وتنجحه لحياة اللهو والعبث ليكون هذا دافعاً قوياً ليتركها حسين ، لكنه في النهاية يعرف الحقيقة ، فيزدادا بها تمسكاً لأنها أرادت التضحية بنفسها ، لعله يجد سعادته المفقودة مع غيرها ، ويصمم على إتمام الزواج .

فى عام ١٩٤٦ أخرج محمد كريم فيلم "لست ملاكا" الذى يعيش فيه رؤوف المحامى الشاب مع خاله وابنته الضريرة ، وعندما يحضر حفلًا بمناسبة عيد القمح، تكون ملكته يسرية ابنة أبو الذهب بك ، فإنه يقع فى حبها ، ويقدم نفسه لأبيها على أنه مهندس حتى يظل بجانبها ثم يتراهن رؤوف مع صديقه "على" على أن يتزوج يسرية ، وتحدث مشاجرة تنتهى بأن تطلق عشيقه الصديق النار على رؤوف فإذا بصوت الرصاص يعيده البصر إلى ابنة خاله التى تشرع فى تمريره ، بعد أن يتأكد من أن حبه لها أقوى من حبه ليسيرية ، ويتزوجان .

وفي نفس العام (١٩٤٦) أخرج إبراهيم عمارة فيلم " الطائفة " الذى يصور حياة الشاب المعموق فؤاد ، وهو أديب انطوى على نفسه بسبب عاهته ، وتعانى أمه من حالته النفسية الكثيبة ، وتحاول جاهدة أن تزوجه من فتاة أحلامه وداد التى سرعان ما تكتشف فيه روحًا فاضلة نقية ، لكن القدر القاسى يحرمه من تحقيق أحلامه ، إذ يظهر شقيقه جميل وهو شاب وسيم تشغل به وداد ، عندئذ يؤمن فؤاد أنه خلق لشيء آخر غير الحب والزواج ، فيتفرغ لأعماله الأدبية .

في عام ١٩٤٧ أخرج عز الدين ذو الفقار فيلم " أسير الظلم " الذى يفقد فيه أديب شاب من أسرة عريقة بصره على أثر صدمة قاسية تسببت فيها امرأة وهى فى حقيقة أمرها فتاة يتيمة تطرد ها زوجها أبيها فتخرج إلى الطريق ، ثم يرشحها طبيب من أصدقاء أبيها للعمل كممرضة لهذا الشاب الضرير ، لكن شقيقه المستهتر يتودد إليها ، فتحقد عشيقته عليه ، فى حين أنه ينقل لشقيقه الأعمى صورة مشوهة عن الممرضة ، بل إن عشيقته تحاول قتلها ، فينقذها كلب أمين ، وعندما يتسلل الشاب إلى حجرة الممرضة محاولاً اغتصابها ، تفاجئه عشيقته وتنقذه ، ويعود إلى الشاب بصره ، ويتزوج الممرضة . وقد كان للمخرج الرومانسى الكبير عز الدين ذو الفقار نصيب الأسد بعد ذلك فى الأفلام التى عانى منها أبطالها من أمراض مزمنة ، أو عاهات دائمة .

وفي نفس العام (١٩٤٧) كتب يوسف وهبي وأخرج فيلم " شادية الوادى " الذى يسافر فيه ثلاثة أصدقاء إلى باريس لطلب العلم ، وبعد أن يقضى أحدهم مدة طويلة بالخارج ، يعود إلى القاهرة عالماً ، فى فن الموسيقى ، ويرى فتاة ويعهد لها بفنه لكي تصبح من مغنيات الأوبرا ويتزوجها ، ويسافر بها إلى الخارج حيث يصاب بشلل نصفي ، ولكن يضحي بنفسه من أجل حبيبته ، يتظاهر بكرهه الشديد لها حتى لا يتعسها ، وفي يوم افتتاح إحدى حفلاتها ينهار ويتحام على نفسه ، ويقاوم المرض ليقود الأوركسترا إنقاذاً لحبيبته .

فى عام ١٩٤٨ عاد عز الدين ذو الفقار إلى نغمته المفضلة فى فيلم " خلود " الذى يربط فيه الحب بين ليلي و محمود منذ طفولتهما ، وفى الوقت نفسه يحاول حسن قتل محمود لكن ليلي تفتقده وتموت ، تمر السنوات ويعيش محمود وحيداً على ذكرى ليلي ، أما حسن فيتزوج ويرزق بنبيل الذى يتقدم لخطبة آمال ابنة أخت الدكتور إبراهيم صديق محمود الذى لا يوافق لأن أباه هو قاتل حبيبته ليلي التى تزوره روحها وتعلن موافقتها على زواج آمال ونبيل الذى يصبح بعد فترة كسيحاً ، فيوهمها أنه يحب غيرها على سبيل التضحية النمطية التى تكررت فى أفلام كثيرة ، إلا أن محمود يخبرها بما جرى من أحداث ، ويتزوجان فى النهاية .

وقد شهد عام ١٩٤٨ فيلمين آخرين من نفس النوعية " سجى الليل " لهنرى بركات ، و " الروح والجسد " لحلمى رفلة ، فى الفيلم الأول يعمل طبيب شاب فى مصحة للأمراض الصدرية ، ويحب ابنة أستاده ، وعندما يقرر أن يتزوجها ، تظهر عليها أعراض المرض ، ويحاول الابتعاد عنها مشجعاً صديقه المهندس على الزواج من حبيبته ، وأخيراً تعرف الفتاة السر ، وتعلم أنه ما يزال يحبها لولا مرضها . وينتفقان على الانتظار حتى تشفى .

فى فيلم " الروح والجسد " شابان : الأول مغني والآخر أديب . يتعرف الأول بمعنوية ويت宦ان دون أن يعرف ذلك الأديب الذى يحبها ويرسل إليها خطابات

فقطن أنها من المغني الذي يبدأ نجاحه في مجاله الفني لكن راقصة تطارده ، ويقع له حادث يفقده بصره فيختفي عن الأنظار ، وتضطر حبيبته أن تتزوج من صديقه الأديب ، وبعد فترة يعود المغني لمجاله الفني بعد أن يعود إليه بصره .

في فيلم "أرواح هائمة" ١٩٤٦ الذي أخرجه كمال بركات ، يسافر صحفي شاب إلى ميدان القتال ليراسل جرينته في أثناء حرب فلسطين فيصاب في حادث سيارة ينتح عنده تشوه وجهه ، ولا تكاد خطيبته تراه حتى تفر منه وتفسخ خطبته ويحاول الشاب أن يتزوج بغيرها إلا أن الفتيات يعرضن عنه وينبذه المجتمع بسبب ذلك التشوه ، وفي النهاية يلتقي الفتاة كانت تعمل ممرضة في المستشفى العسكري ، فيتزوج منها ، وتسافر معه إلى سويسرا حيث تجري له عملية تجميل ناجحة .

في عام ١٩٥٠ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم "جوز الأربعة" الذي يتزوج فيه شاب بفتاة تبادله الحب ، وترى عمه التي تصاب بالشلل بعد زواجهما أن ترى لهما وريثاً ، لكن زوجته تصاب أيضاً بالشلل فتحته عمه على أن يتزوج بثانية ، فيحدث لها ما حدث للزوجة الأولى ، ثم يقتربن بثالثة فتكون مثهم ، ثم يقتربن برابعة فتصاب بالخرس ، لكنه يفاجأ بشفاء زوجاته السابقات على أثر غارة جوية ، مما يحيل حياته إلى جحيم يدفعه إلى التفكير في التخلص من زوجاته بالظهور بالمرض ، إذ جعل ثلاثة منهن يطلبن الطلاق منه ، ولا يتبقى بجانبه إلا الزوجة الأولى وتظل على وفائها له .

في عام ١٩٥٢ أخرج يوسف شاهين فيلم "المهرج الكبير" الذي تموت فيه الزوجة الثرية فيرث زوجها ملابسها ، ويفكر في الزواج من جارته القديمة أسرار فيبدأ في التفريق بينها وبين حبيبها ، وأخيراً يتبيّن أنه مصاب بالسرطان ، فيتخلى عن جبروته ويحاول أن يعمل عملاً طيباً ، فيعيد الفتاة إلى حبيبها ، ويصرف ثروته كلها في وجوه الخير .

وفي عام ١٩٥٢ أيضاً أخرج حلمى رفلة فيلم "حبيب قلبى" الذى يصور حياة موسيقار كبير يدعى سمير ، أصيب صديقه فتحى فى حادث أدى لإصابته فى صوته فاضطر إلى العمل فى وظيفة صغيرة ، لكنه يكتشف حلاوة صوت نادى ، فيقدمها لسمير الذى يعجب بها ويقرر أن تؤدى الحانه .

وفي عام ١٩٥٣ أخرج حلمى رفلة أيضاً فيلم "فاعل خير" الذى ينقدم فيه مطرب مشهور وثرى لخطبة حبيبته ، مما يثير حقد فتاة عابثة كان يعرفها وساعدته على احتراف الغناء ، فتسقىه شراباً يفقده صوته ، فيعمل على إبعاد خطيبته عنه حتى لا يظلمها ، لكن تجرى له عملية جراحية تعيد له صوته ومجلده وحبيبته .

وفي نفس العام (١٩٥٣) أخرج عزالدين نو الفقار فيلم "موعد مع الحياة" الذى يكتشف فيه الدكتور الكبير أن ابنته أمال مريضة بالقلب وحالتها خطيرة ، وعلى الرغم من أنه يخفى عنها ، إلا أنها بالصدفة تعلم ، وتعمل جاهدة لينصرف عنها أحمد وذلك بإيهامه بعدم حبها له ، ولكن تجرى لها عملية جراحية ناجحة لتعود المياه إلى مجاريها بينها وبين أحمد .

ثم يأتي عام ١٩٥٤ ومعه ستة أفلام دفعة واحدة من هذه النوعية "أقوى من الحب" لعزالدين نو الفقار والذى يصاب فيه البطل فى حادث يفقد إحدى نراعيه ، وفيلم "إنسان غلبان" لحلمى رفلة والذى يتعرف فيه البطل على فتاة ضريرة فيحبها ، ويشقى حتى يحصل على المال اللازم لعلاجها ، ويعود إليها بصرها ، وفيلم "حياة أو موت" لكمال الشيخ والذى يشكو فيه رجل من مرض القلب ، وينصاب بأزمة ، ويختفى الصيدلى فى تركيب الدواء الذى تعود به ابنته ، لكن يتم إنقاذه فى آخر لحظة ، وفيلم "الحياة الحب" لسيف الدين شوكت والذى يعود فيه البطل من ميدان الحرب بإصابة فى عموده الفقرى ، تؤدى إلى شلل فى نصفه الأسفل ، لكن العملية تنجح فى النهاية ويتزوج من حبيبته ، وفيلم "عشان عيونك"

لأحمد بدرخان والذي يقع فيه مطرب ناجح في غرام جارته الشابة الكفيفة ، التي تجري لها عملية جراحية ناجحة تسترد بها بصرها ، وتتزوج من حبيبها ، وفيلم "لمين هواك" لحلمى رفلة أيضاً الذي يصاب فيه الفنان التشكيلي بشلل في ذراعه اليمنى لكنه يقهره باستخدام اليسرى .

وفي عام ١٩٥٥ يتم عرض أربعة أفلام "حب ودموع" لكمال الشيخ والذي يجمع ما بين إصابة رئيس المركب بالعرج ، وصديقه البطل بالسرطان ، وفيلم "حن بشر" لإبراهيم عمارة والذي يتبنى فيه البطل طفلاً مصاباً بشلل الأطفال ، وعندما يعجز عن تدبير المال اللازم للعلاج ، ويموت الطفل ، ينتقم من الأغنياء ، وفيلم "الحبيب المجهول" لحسن الصيفي والذي تعانى بطلته من مرض القلب ، ويعحبها طبيب جراح ويتزوجها ، ويجرى لها جراحة ناجحة بعد أن ينقل إليها صمامات قلب زوجة ابن عمه والتي ماتت حديثاً ، وفيلم "الجسد" لحسن الإمام والذي تموت في نهايته البطلة بالسل بين ذراعي حبيبها .

وفي عام ١٩٥٦ تم عرض أفلام الأمراض والعاهات التالية : " وداع في الفجر" لحسن الإمام والذي تصاب فيه البطلة بصدمة نفسية تنتهي بشلل في ساقيها بعد أن يقع زوجها في الأسر ويعلن اسمه في عداد المفقودين في حرب فلسطين ، وفيلم "ودعت حبك" ليوسف شاهين والذي يعاني فيه البطل من مرض التهم إحدى كلبيته ، وبعد صراع مع المرض يموت بعد أن يودع حبيبته وأصدقائه ، وفيلم "نداء الحب" للإمامي حسن والذي يحب فيه البطل فتاة مسلولة عن طريق التليفون ثم يتزوجها وتبدأ مرحلة علاج جديدة ، وفيلم "موعد غرام" الذي تصاب فيه نوال فجأة بالشلل وتختفي ذلك عن حبيبها ، لكنها تسافر في النهاية للعلاج وتفاجأ بحبيبها إلى جوارها في الطائرة .

وفي عام ١٩٥٧ تم عرض الأفلام الآتية : "هارب من الحب" لعز الدين ذو الفقار والذي يرفض فيه البطل الزواج حتى لا يعذب أية امرأة أخرى لإضافته

بالصرع ، لكنه يتزوج من حبيبته في النهاية ، وفيلم "الوسادة الخالية" لصلاح أبو سيف الذي يصاب فيه البطل بالمصران الأعور ، كما تقل زوجته درية إلى المستشفى لإجراء عملية خطيرة لها ، فيموت الجنين ويتم إنقاذهما مما يعيده حياتها الزوجية إلى وضعها الطبيعي ، وفيلم "إسماعيل يس في جنينة الحيوان" الذي ينتهي بابتعاد البطل عن الفتاة الجشعة المتكبرة ليعود إلى الفتاة الكسيحة التي أخلصت له ووقفت بجواره دائمًا .

وفي عام ١٩٥٨ عرض فيلم "الملاك الصغير" لكمال الشيخ والذي تضيق فيه الزوجة باهتمام زوجها بضحي فتصارحها بأن الفيلا التي تعيش فيها لم تعد ملكها ، فتهاجر ضحى وتصاب بالشلل وتموت في النهاية برغم ندم الزوجة .

وفي عام ١٩٥٩ عرض فيلم "حكاية حب" لحلمى حليم والذي يعول فيه مدرس الموسيقى المغمور أمه الكفيفة وشقيقه ، وبعد نجاحه وشهرته كمطرب يكتشف أنه مصاب بمرض في قلبه ، لكنه يجري عملية جراحية ناجحة في لندن ، وفيلم "شمس لا تغيب" لحسين حلمى المهندس والذي تزل فيه قدم سها فيفمى عليها ، لكن الصدمة تسبب لها العمى ، ويتخلى عنها خطيبها ، لكن تجرى لها عملية ناجحة تعيد إليها بصرها وتعرفها حقيقة خطيبها ، وفيلم "من أجل حبى" لكمال الشيخ والذي تصاب فيه البطلة بصدمة نفسية تؤدي إلى شلل بالساقين ، لكنها تشفى عندما ترى طفلاً على وشك الوقوع من على السور فتهض من مكانها تتقذها ، وفي الوقت نفسه تتقذ نفسها من الشلل ، وفيلم "نور الليل" لريمون نصوص والذي يذهب فيه البطل إلى الحرب ويصاب ويفقد بصره ، لكن تجرى له عملية بعد أن يتبرع أحد المرضى له بعينه ، ويعود إليه بصره .

وبدأ عقد السبعينيات بثلاثة أفلام عام ١٩٦٠ ، فأخرج إبراهيم عماره فيلم "حب وحرمان" الذي يصور مرضًا أو عاهة يخجل منها الرجال الشرقيون عامة والمصريون خاصة ، ولذلك يندر أن نجد مثلاً يرحب بأدائها ، ولذلك تكاد تخلو

السينما المصرية من أفلام العجز الجنسي ، فالبطل في هذا الفيلم يرفض إتمام الزواج لاصابته في حادث جعله عاجزاً ، لكن تجرى له عملية تعيد له رجولته ويتزوج ، ولم يجرؤ على القيام بهذه الأدوار سوى ممثلين قلائل مثل رشدي أباظة في هذا الفيلم ، وأحمد مظہر في فيلم " الزوجة العذراء" ١٩٥٨ ، وعمر الحريري في فيلم " غصن الزيتون" ١٩٦٢ ، ونور الشريف في فيلم " السراب " ١٩٧٠ .

كذلك في عام ١٩٦٠ كتب محمود إسماعيل وأخرج فيلم " جسر الخالدين " الذي ينتمي فيه الفنان التشكيلي ثروت مع إخلاص التي تدعوه للعودة إلى منزله بدلاً من حياته في منزل الراقصة ، فيدفعها نحو الأرض ففقد بصرها ، ثم يدمن الخمر فيصاب بالسل ويموت ، وأيضاً أخرج حسن الصيفي فيلم " النغم الحزين " الذي يتسلل فيه اليأس إلى الراقصة سامية لغياب حبيبها فتقبل على الخمر حتى تسقط على المسرح وتصاب بالشلل في ساقيها ، لكنها تشفى وتعود إلى الرقص ، ومن الواضح أن معظم حالات الإصابة بالمرض أو الشفاء فيه بلا أي أساس علمي ، إذا أنها مجرد عناصر نمطية ومفردات تقليدية يتم نقلها من فيلم إلى آخر دون استشارة الأطباء المختصين .

وشهد عام ١٩٦١ ثلاثة أفلام " الخرساء " لحسن الإمام ، وفيه تعانى فتاة خرساء بائسة من ظلم زوجة الأب ، ثم من الاغتصاب لكنها تتزوج في النهاية دون أن تشفى على عكس معظم الحالات المرضية الأخرى في السينما المصرية ، وكذلك فيلم " شاطئ الحب " لهنري بركات ، والذي يصاب فيه الدكتور إبراهيم بنوبة قلبية تم يتوفى وبعد ذلك تصاب زوجته بالشلل ، وهي التي كان قد طلقها لأنها هجرته من أجل عشيقها ، وفيلم " وحيدة " لمحمد كامل حسن والذي يصور حياة فتاة مصابة بالصمم وتضيق بعطف كل من يعرف سر عاهتها ، لكنها تقابل في النهاية من يحبها ويتزوجها .

وشهد عام ١٩٦٢ خمسة أفلام : " الشموع السوداء " لعز الدين ذو الفقار ، و " صراع الأبطال " لتوفيق صالح ، و " طريق الدموع " لحلمى حليم ، و " يوم بلا غد " لهنرى بركات ، و " وفاء إلى الأبد " لأحمد ضياء الدين .

فى فيلم " الشموع السوداء " يعمق عز الدين ذو الفقار الخط الذى بدأه قبل ذلك فى فيلم " أسير الظلام " ١٩٤٧ الذى يفقد فيه شاب بصره على أثر صدمة قاسية سببها امرأة ، مع وجود كلب أمين ومنقذ ، وفىلم " أغلى من عينيه " ١٩٥٥ الذى يصاب فيه شاب بتشويه فى وجهه على أثر حادث ، فيفقد وظيفته وتهجره خطيبته ، لكنه يحترف القمار ويثيرى تم يتحول إلى العمل الشريف ، ويتزوج من فتاة ضريرة ، لكنها تشفى بعد عملية جراحية ، أما فى " الشموع السوداء " فيكتشف الشاعر أحمد عاصم خيانة حبيبته فتتاباه نوبة من الغضب ، فيركب حصانه ، ويسقط من فوقه ويفقد بصره وينزوى بعيداً عن الناس ، لكنه قبل نهاية الفيلم يقع من على السلم ، فيعود إليه بصره لكنه يتكتم أمر شفائه حتى يتمكن من التعرف على قائل شقيقه .

أما فى فيلم " صراع الأبطال " فينشر وباء خبيث بين الفلاحين ، والذى يثبت فى النهاية أنه وباء الكوليرا ، وبعد صراع بين الدكتور شكري ممثلاً للعلم وأم هلال الداية ممثلة للدجل ، يتعاون الجميع فى القضاء على الوباء ، وفي فيلم " طريق الدموع " نلمس تلميحاً واضحاً للمرض الذى عانى منه الفنان أنور وجدى ، بعد النجاح المدوى الذى حققه ، والذى مات به فى النهاية ، وفي فيلم " يوم بلا غد " تعانى ليلى من الإصابة بالشلل ، لكنها من فرط سعادتها لزيارة المطرب الشهير ممدوح لها وتلبيته لدعوتها، تشفى وتمكن من الحركة وتتزوجه !! أما فى فيلم " وفاء إلى الأبد " فيرزق الزوجان بابنة مصابة بشلل الأطفال ، لكن الأم تسافر فى النهاية مع ابنتها للخارج من أجل العلاج وتعود بعد أن تشفى .

وشهد عام ١٩٦٥ فيلمين زاخرین بالجنون والشلل والقلب المريض: فيلم "الوديعة" لحسين حلمى المهندس والذى تصاب فيه منى بالشلل فى حادث سيارة ، أما اختها سميرة فهى فتاة مرحة ومنطلقة لكنها تكتشف فجأة أنها مريضة بالقلب وتموت وهى تضع مولودها . وفيلم "آخر جنان" لعيسى كرامة الذى يعالج ما أسماه بالجنون الوراثى بأسلوب يميل إلى الفارص والتهريج ، فالبطل يتخوف من احتمال إصابته بالجنون الوراثى لأن أبويه ماتا به ، فى حين أن عمتىه تقومان بقتل العجزة ودفنهم فى بدروم المنزل ، فيتم إدخالهما في مستشفى الأمراض العقلية ، ولا يطمئن على قواه العقلية إلا عندما يكتشف أنه لقيط تبناه الأب !! .

وفى فيلم "خان الخليلى" ١٩٦٦ لعاطف سالم ، يصاب أخو البطل ويموت بالسل فى النهاية ، وفي فيلم "عندما نحب" لفطين عبد الوهاب والذى عرض عام ١٩٦٧ ، يصاب بطل السباحة أحمد بمرض القلب الذى يمنعه من الزواج والاستمرار فى رياضته ، لكنه لا ينصاع لنصيحة الأطباء ، ويخفى الأمر عن خطيبته التى تشجعه على الفوز بالكأس التى تكلفه حياته .

فى عام ١٩٦٨ أخرج كمال عطية فيلم "قنديل أم هاشم" الذى جسد فيه الصراع بين العلم والجهل من خلال مقاومة الدكتور إسماعيل لخرافات أهل الحي الذين يستخدمون قطرات من زيت قنديل أم هاشم فى علاج عيونهم ، وهو ما كانت أمه تفعله فى علاج عينى خطيبته فاطمة ، لكنه يفشل فى تغيير عقليتهم ، وفي ثورته يحطم القنديل مما يثير غضب أهل الحي عليه فى حين تفقد فاطمة بصرها ، عندئذ يوهمها بأنه سيعالجها بزيت القنديل فى حين أنه يستخدم أدواته الطبية وتنماذل للشفاء .

فى عام ١٩٦٩ أخرج أحمد بدرخان فيلم "نادية" الذى تصاب فيه نادية بحروق تترك أثراً فى وجهها ، لكن حببها يتجاوز هذه الأمور

السطحية ويتزوجها ، وفي عام ١٩٧٤ عالج المخرج عبد المنعم شكري مرض القلب من منظور فكاوى فى فيلم "المهم الحب" الذى يرعى فيه المرض فهمى مريضة القلب شاهيناز التى تتعلق به فيضطر إلى أن يسايرها حتى لا تصاب بأزمة لدرجة أنه يوافق على الزواج منها فى الوقت الذى يتزوج فيه من حبيبته نعانعة التى تعيش فى نفس المنزل ، ويدعىان لشاهيناز أنها أخته ، لكن الحقيقة تكتشف فى النهاية .

فى عام ١٩٧٥ أخرج أشرف فهمى فيلم "حتى آخر العمر" الذى تتزوج فيه منى من محمود الذى يذهب إلى الجبهة ويعود وقد أصيب بشلل فى ساقيه ، فى حين تكرر زيارات صديقه محى الدين الذى يحاول الاعتداء على منى التى تقاومه ، ثم يصبح الأمل كبيراً فى شفاء محمود عندما يعود زميله المصايب بنفس إصابته من الخارج وقد تماهى للشفاء تماماً .

فى فيلم "حبيبة غيرى" الذى كتبه وأخرجه أحمد مظهر عام ١٩٧٦ يقف يوسف إلى جانب حبيبته الأولى ليلي التى يتخلى عنها زوجها بعد أن تفقد إحدى ساقيهما ، برغم أنها صدته فى البداية عندما أعراب لها عن حبه ، وفي العام نفسه أخرج عبد الرحمن كيخيا فيلم "وداعاً إلى الأبد" الذى يفاجأ فيه الوالدان بإصابة ابنهما عادل بالسرطان ويختفيان عليه . لكنه عندما يعرف ينسحب من حياة نجوى ويسافر إلى الخارج وهو يبارك زواجها من شريف .

وفي عام ١٩٧٧ كتب عبد الرحمن الخميسى وأخرج فيلم "زهرة البنفسج" الذى يصاب فيه كمال بمرض خطير يخفيه عن الجميع ، ومع ذلك كان على علاقة بعشيقه ، مما جعل زوجته سميحة تحصل على الطلاق ، وفي النهاية يصارح عشيقته بحقيقة مرضه ويفارق الحياة ، وهى نفس الفكرة تقريباً التى نهض عليها فيلم "سكة العاشقين" لحسن الصيفى عام ١٩٧٨ ، باستثناء أن الحبيبة تقف إلى جوار حبيبها فى محنته .

وفي عام ١٩٧٩ عرض فيلم "قاتل ما قتله حد" لـ محمد عبد العزيز ، وفيلم "لا تبكي يا حبيب العمر" لأحمد يحيى ، في الفيلم الأول . يعمل الأرمل عادل مندوباً بشركة للتأمين وتم خطبته إلى صفاء لكنه يفاجأ بأنه مصاب بورم في المخ ويخفى الأمر عن صفاء ثم يطلب الثرى أحمد هلال من عادل أن يسحب بوليصة التأمين الخاصة بزوجته شريفة إلا أنه يلقى مصرعه ، فيعتقد معها اتفاقاً أن يحمل عنها الجريمة مقابل أن تمنحه مبلغاً كبيراً من المال ليؤمن به مستقبل ابنته بعد وفاته ، ويحكم عليه بالإعدام ، لكن الطبيب يطلب من النيابة تأجيل تنفيذ الحكم بعد إجراء عملية لعادل ، فتتجه العملية كما ينجح عادل في انتزاع اعتراف شريفة بالجريمة ويقبض عليها .

في فيلم "لا تبكي يا حبيب العمر" تكرر قصة الورم في المخ ، عندما يفاجأ شكري أن أحمد ابنه وطالب الطب مصاب به ، ومصمم على أن يقوم أبوه - بصفته جراحًا كبيراً - بإجراء العملية ، لكن أحمد يموت ، وينهار شكري ، ويستسلم تماماً للعب القمار لدرجة أن زميله في اللعب يطعنه بمطواة ويصييه إصابة بالغة لكن غير قاتلة ، ويعالجه زميله الدكتور حسين ويحثه على العودة إلى مرضاه وتلاميذه .

أما عقد الثمانينيات فقد افتتحه حسين كمال عام ١٩٨٠ بفيلم "حبيبي دائمًا" الذي يتم فيه طلاق فريدة ، وتشتد آلام الصداع التي كانت تلازمها ، وتسندعى الجدة الدكتور إبراهيم الذي كانت تحبه قبل زواجها لكن أهلاًها أصرروا على رفضه ، وينهار إبراهيم عندما يكتشف أنها مصابة بالسرطان ويخفى عنها وعن أهلاها ، ويوافق والداها على زواجهما بعد إلحاح الجدة ويسافران إلى لندن لتجري لها التحاليل والفحوص التي تؤكد أن حالتها ميتوس منها .

ثم شهد عام ١٩٨١ فيلم "داعاً للعذاب" الذي يعود فيه أحمد يحيى إلى فيلم أستاذ حلمى حليم "أيامنا الحلوة" ١٩٥٥ ، ليقدمه بمعالجة أقل رومانسية وأكثر

تفاؤلاً ، فالأصدقاء فى فيلم حلمى حليم يزداد تعاطفهم عندما يكتشفون أن الفتاة مريضة ، لكنهم عندما يسارعون لتوفير المال اللازم لعلاجها وإجراء عملية خطيرة ، لا يمهلها المرض لتسعد مع حبيبها ، وهى خاتمة رواية " البوهيمية " لهنرى ميرجيه التى تم اقتباسها ، أما فى فيلم أحمد يحيى فإن الأصدقاء يتمكنون من تدبير المبلغ اللازم للعملية التى تنجح ويزول الخطر عن الفتاة لتسعد مع حبيبها.

كما شهد عام ١٩٨٢ عرض فيلم " حدوته مصرية " ليوسف شاهين الذى كتبه عن تجربة عملية وشخصية له ، ببطل الفيلم مخرج سينمائى يصاب بأزمة قلبية ويسافر إلى لندن ليجرى له الجراح العالمى مجدى يعقوب جراحة قلب ناجحة ، وفي أثناء العملية تتراءى له بعض الأحداث الماضية التى تمثل أهمية خاصة بالنسبة له ، والتى تشكل نسيج السيناريو بصفة عامة .

وفي نفس العام ١٩٨٢ أخرج محمد عبد العزيز فيلم "رحلة الشقاء والحب" الذي يتعرف فيه صلاح على مني التي تمر بأزمة نفسية بعد فشلها في تجربة حب وتنوطد علاقتها ، لكن عندما تتم خطبتهما ، تصاب مني بمرض خطير وتدخل المستشفى وينتهي الفيلم بموتها .

وفي عام ١٩٨٤ عرضت ثلاثة أفلام من هذه النوعية : "أيوب" لهانى لاشين ، و"طير فى السما" لحسام الدين مصطفى ، و"اللعنة" لحسين الوكيل ، فى الفيلم الأول يصاب المليونير عبد الحميد السكرى بالشلل بعد تعرض أحد مشاريعه للخسارة ، لكنه يشفى نتيجة انفعاله بكتابه فى أثناء نومه ! وفي الفيلم الثانى تعانى جينا ابنة الملياردير عصمت المقيم فى أمريكا من فشل كلوي ، وعندما تتعرف على الشاب الفقير حسن ، يعرض عليه عصمت مبلغاً كبيراً من المال مقابل التبرع بكليته لجينا فيوافق ، وتنتجح العملية ويتبّرّع حسن بالمبلغ لعمل خيرى !! وفي الفيلم الثالث ينجح الصحفى حمدى فى دخول مستشفى الأمراض العقلية لاكتشاف سر مقتل أحد النزلاء وينجح بالفعل فى القبض على القاتل ، لكن حمدى يصاب بمرض التخشب فى المفاصل وتنهار زوجته !!!

وفي عام ١٩٨٥ عرض فيلمان "الجريح" لمدحت السباعي ، و"الدرب الأحمر" لعبد الفتاح مدبولي ، مع ملاحظة أن الأمراض الواردة في الفيلمين ليست لها أية علاقة بالأحداث الواردة فيهما ، في الفيلم الأول يعود عصام الهلالي من سويسرا حيث يعالج من الصرع ، ثم يدخل في صراعات حول قصر أبيه وعزبته وأرض الأرملة الثرية بدرية ، وتصل الصراعات إلى قمتها عندما يشتبك مع غريميه ويقتله ثم يصاب عصام بورم في المخ يؤدي بحياته ، وفي الفيلم الثاني تدخل المحامية نعمة وزوجها في صراع ضد المعلم سلطان الذي يعمل على طرد سكان عماراته لإقامة مشاريع استثمارية مكانتها ، ويعود حمادة ابن المعلم سلطان من أمريكا ويتفق معه أبوه على قتل نعمة ، فيصدمها بسيارته لكنه يلقى مصرعه وهو يهرب فينها أبوه ، وت فقد نعمة بصرها لكنها تسترد بعده عملية جراحية ، أى أن هذه العناصر النمطية مثل الأمراض والعاهات تفرض نفسها بشدة وباللحاج على المؤلفين السينمائيين لدرجة أنهم لا يجدون مفرأً من التفيف .

أما عام ١٩٨٦ فقد شهد أربعة أفلام : "اليوم السادس" ليوسف شاهين ، و"موعد مع القدر" لمحمد راضى ، و"للحب قصة أخيرة" لرأفت الميهى ، و"قبل الوداع" لحسين الوكيل .

فى فيلم "اليوم السادس" يجتاح البلاد وباء الكوليرا عام ١٩٤٧ ، وتقوم صديقة برعاية حفيدها الذى يصاب بالمرض وترفض تسليمه للحكومة لعلاجه ، وتنتظر اليوم السادس الذى يفصل بين النجاة من المرض أو الموت ، بقلق بالغ ، ويموت زوجها فترحل بالطفل من القاهرة إلى الإسكندرية حيث تنهار عندما يأتى اليوم السادس ويموت الحفيد ، ووأوضح أن الرواية المصرية الأصل ، الفرنسية الجنسية أندريل شديد الذى كتب الرواية التى أخذ عنها الفيلم ، ليست لديها أدنى

فكرة علمية أو تاريخية عن طبيعة وباء الكوليرا الذي اجتاح مصر عام ١٩٤٧ ، لأنه كان يقضى على من يصاب به ولا ينجو منه ، في ثمانى وأربعين ساعة على أكثر تقدير ، وليس في اليوم السادس من تاريخ الإصابة به .

أما في فيلم " موعد مع القدر " فيصاب الدكتور مدحت بالسرطان ويختفي الأمر عن الجميع ، ويقرر الابتعاد عن خطيبته نادية ، ويلعب لعبة التضليلية النمطية القديمة التي بدأتها غادة الكاميليا ، فيعاملها بجفاء ، ويدعى أنه انتهازى ويستغل ثروة ومركز أبيها صاحب المستشفى الذي يعمل فيه ، بل ويتقرب من الممرضة الهام التي تحبه والتي يتزوجها بالفعل وتسافر معه إلى لندن للعلاج لكنه يعود ليموت في بلده ، بعد أن تعرف الهام لنادية بالحقيقة .

في فيلم " للحب قصة أخيرة " يجتاح الرعب سلوى من الموت المؤكد لزوجها رفعت المريض بالقلب ، وتلتجأ إلى الأولياء والقديسين برغم أنها لا تؤمن بالمعجزات ، ويتافق رفعت مع طبيبه على إيهام سلوى بأن هناك كشفاً جديداً يحقق شفاءه ، عندها تغمر الفرحة سلوى وتظن أن المعجزة قد تحققت ، لكن تفاجئ رفعت أزمة تقضي عليه وتنهار سلوى .

في فيلم " قبل الوداع " تعانى الممثلة المشهورة شيرين من آلام صداع نتيجة لورم في المخ لابد من استئصاله ، برغم أن حالتها ميئوس منها ، وتم خطبتها لعادل ثم تكتشف بالصدفة حقيقة مرضها ، فتثور عليه وتهتمه بأنه يشفق عليها ، لكنه يؤكّد لها صدق عواطفه ويتزوجان وتموت بعد أن يتمكّن المرض منها .

وشهد عام ١٩٨٧ ثلاثة أفلام : " جرى الوحش " لعلى عبد الخالق ، و " رحلة النسيان " لأحمد يحيى ، و " امرأتان ورجل " لعبد اللطيف زكي ، ففي الفيلم الأول يفشل سعيد في الإنجاب لبلوغ زوجته وفأه سن اليأس ، وعندما يقرر الزواج من أخرى تثور عليه وفأه ، أما عبد القوى فيتوهم أنه فقد القدرة الجنسية ويصاب بالجنون ، ويحدث أن يصاب سعيد بالشلل يوم زفافه فتلزمه زوجته الأولى وفأه

برعايتها ، وفي الفيلم الثاني تقتع الأرملة هالة بالزواج من محمود بعد أن عاشت طويلاً على ذكرى زوجها صلاح الذي استشهد في حرب أكتوبر ، لكنه يعود فجأة بعد سنوات الأسر ، فلا يتحمل محمود الصدمة ويصاب بأزمة قلبية تقضى عليه . أما في الفيلم الثالث فتصاب سهام بمرض خطير ، ويعرض عليها معتز الزواج فتوفيق ، في حين تنهار ابنة خالته مني التي تحبه ، ثم يشتد المرض على سهام فتوصى معتز بطارق وتموت .

وفي فيلم " السجينتان " ١٩٨٨ لأحمد النحاس ، تصاب زينب بنزلة برد شديدة ، ولا تخلى عنها ليلي ، لكن زينب تدم وتحث ليلي على الهرب قبل وصول رجال الشرطة ، لكنها ترفض ويشتد المرض على زينب وعندما يصل رجال الشرطة ، تفطر أنفاسها الأخيرة وتنهار زينب . وفي فيلم " إلا أمى " ١٩٩٠ لعبد العليم زكي تبلور قيمة الإرادة والتحدي في مواجهة محن المرض بأسلوب سلس مقنع من خلال شخصية محسن الرافق الماهر والبطل الرياضي الذي قرر أن يخطب زميلته وحبيته بسمة ، لكن يقع لمحسن حادث يصيبه بالشلل ، وينهار ويطلب من أمه أن تخفى أمر مرضه عن بسمة التي تتتابها الحيرة لانقطاع أخباره ، وعندما تكتشف بسمة ما حدث لمحسن ، تتمسك به وتتم خطبتهما ، ثم يزأول العلاج الطبيعي الذي يجعله يتماثل للشفاء ، في حين أن يس إسماعيل يسأله في نفس العام (١٩٩٠) فيلم " حلقة الرعب " الذي قدم فيه شاباً مصاباً بالشلل وتوأمه المريض نفسياً بدون أى مبرر درامي .

في عام ١٩٩١ عرض فيلمان " زوجة محرمة " لأحمد السبعاوي و " شاويش نص الليل " لحسين عمار ، في الفيلم الأول يصاب حسين فجأة بالشلل ، ويطلب من يوسف أن يتزوج سهام بعد أن يطلقها حتى يضمن مستقبلاً ، لكن بعد فترة تجرى لحسين عملية جراحية تشفيه من الشلل ، فيطلب من شقيقه أن يطلق سهام

ليعيدها إلى عصمته ويتنازع الصراع بينهما لدرجة أن حسين يموت من هول الصدمة . أما الفيلم الثاني فكان له السبق في إدخال الإيدز ضمن قائمة الأمراض والعاهات التي عالجتها السينما المصرية ، وذلك من خلال شاب سار في طريق الفساد والانحلال .

وفي العام التالي (١٩٩٢) أخرج كريم ضياء الدين فيلم " الحب والرعب " الذي يعالج الإصابة بالإيدز أيضاً من خلال شخصية الدكتورة هند التي تعرف لحبيها السابق أحمد بأنها مريضة بالإيدز بعد أن قضت ليتلها في شقتها ، ينهار ويلجاً إلى أحد الأطباء الذي يؤكد أن العدوى انتقلت إليه ، ويقوم بالإبلاغ عن هند التي انتقل إليها المرض عن طريق زوجها ، ثم تقرر عصابة استخدام هند لقتل زعيم عصابة منافسة ، وترضخ هند بعد أن يخطفوا والديها وطفلتها ، لكن المرض ينتقل إلى الزعيم الأول إذ تخونه زوجته مع زعيم العصابة الثانية بعد معاشرته لهند ، وكان الإيدز أصبح نوعاً من لعبة الكراسي الموسيقية ، وفي النهاية تتجأ هند للبوليس للكشف عن العصابة وتسلم نفسها

وكمعادة السينما المصرية التقط الخيط الجديد في نفس العام ١٩٩٢ مخرج آخر هو أحمد فؤاد عندما ألم فيلم " الحب في طابا " الذي يدور حول ثلاثة أصدقاء يذهبون في رحلة إلى شرم الشيخ ، ويشتركون في مغامرة مع ثلاثة ساحرات ، ثم تهبط عليهم الصاعقة عندما يعرفون أن إداهن مصابة بالإيدز ، فينهارون ويعيشون في رعب ، وعند عودتهم إلى القاهرة ، يطلق فخرى زوجته خوفاً من العدوى ، ثم يجتمع الثلاثة في منطقة منعزلة عن ذويهم ، وعندما يذيع خبرهم ، يضطرون للذهاب لتسليم أنفسهم لمستشفى ، يجرى لهم التحاليل اللازمة .

وبرغم المعالجات الإيجابية والمنطقية والناضجة للأمراض والعاهات ، والتي كانت تومض بين الحين والآخر في مسيرة السينما المصرية ، إلا أن العناصر النمطية والأحداث الميلودرامية المعتادة استطاعت أن تفرض نفسها على كم كبير منها ، وعلى سبيل التأكيد فإنه ليس هناك حجر على الكتاب والمخرجين في مجال معالجة الأمراض المزمنة والخطيرة أو العاهات الدائمة والقديمة ، ذلك أن من حقهم التوغل في أي مجال يفتحون فيه آفاقاً جديدة للوعي والإدراك والتوبيخ والارتفاع إلى مستويات أعلى من الإحساس المرهف والتفكير الرأقي ، لكن بشرط إلا يقعوا أسري العناصر النمطية التي يمكن أن تصب إبداعاتهم في قوالب جامدة يمكن أن تحيلها إلى حفريات بمرور الزمن ، فليس هناك فن قادر على استكشاف آفاق المجهول والغامض والمعتم على مستويات فنية وفكرية لا يمكن حصرها ، مثل فن السينما .

• • • •



قدیل أم هاشم سنة ١٩٦٨



جسر الخالدين سنة ١٩٦٠



باب الحديد إخراج / يوسف شاهين سنة ١٩٥٨



أين عقلى إخراج / عاطف سالم سنة ١٩٧٥



أين عقلى إخراج / عاطف سالم سنة ١٩٧٥

الفصل السادس

العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون

كانت العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون من الحيل والألعاب التي مارسها الكتاب والمخرجون المصريون بشفف وإصرار وتكرار ، قل أن نجد لها نظيراً بنفس الدرجة في آية بينما أخرى سواء في الغرب أو الشرق ، وبرغم هذا التكرار فإن الأفلام التي اعتمدت في علاجها لهذه العناصر والتيمات على أسس علمية وطبية وسociولوجية كانت قلة ملحوظة ، إذ أن معظمها اعتمد على الأفكار الشائعة والدارجة بين عامة الناس ، وهي أفكار غالباً ما تكون غير علمية أو مغلوطة أو خاطئة ، فقد كان هدفهم الاستراتيجي هو استغلال العناصر المليودرامية والمثيرة التي يمكن أن تترتب على المفاجآت غير المتوقعة الناتجة عن العقد النفسية وفقد الذاكرة والجنون ، بصرف النظر عن مصادقتها العلمية .

وكانت أول إصابة بالجنون في فيلم " الدفاع " الذي أخرجه يوسف وهبي مع نيازي مصطفى عام ١٩٣٥ ، فالبطل يصاب بالجنون فجأة قبل نهاية الفيلم بدون أي مبرر أو منطق ، سوى أن ضميره استيقظ واعترف بجريمته ، فقد كان طوال الفيلم بكمال قواه العقلية ، فهو جلال باشا المحامي الشهير الذي يصادق الراقصة فتحية ، فيحرق عشيقها عباس بالغيرة ويطلب منها أن تهجر الباشا ، وعندما ترفض فإنه يهددها بالقتل ، وفي جدال حاد بين الثلاثة ، تطلق رصاصة تصيب الراقصة ،

فيهرب الباشا ، ويتم القبض على عباس الذى يتسلل أبوه لجلال كى يقوم بالدفاع عنه ، وبالفعل يحاول أن يبرئه لكن بلا جدوى ، عندئذ يستيقظ ضميره ويعترف بجريمته ويصاب بالجنون فينقل إلى المستشفى ، لكنه يهرب فيلقى مصرعه على يد رجال الشرطة .

فى فيلم "حياة الظلام" الذى أخرجه أحمد بدرخان عام ١٩٤٠ ، يأتي الجنون كعقاب ونهاية مأسوية لحياة المجنون والظلم - إذ يحصل الابن على لisanس الحقوق ، ويفرح أبوه لابنه الذى سيصبح محامياً ، لكن الابن يريد أن يكون أبياً وروائياً ، ثم تدخل الأحداث فى متاهة ليست لها علاقة بما سبق ، إذ يلتف أقران السوء حول الابن الذى ينقاد لهم ، بل ويضيع مال أبيه ويسرق مصاغ أمه لسد مطالب عشيقته ، مما يؤدى إلى وفاة أمه ، وعندما يفلس ، تهجره عشيقته ويصاب بالجنون .

أما إبراهيم لاما فقد سجل فى فيلمه "وحيدة" عام ١٩٤٤ أول حالة لفقد الذاكرة من خلال شخصية الفتاة التى تربت فى منزل جليلة هائم ، وربط الحب بينها وبين ابنها ممدوح ، لكن الأم ترفض زواجهما وتحاول أن تخلص من وحيدة بتزويجها من سعداوي ، وعندما يحزن ممدوح ويمرض ، تحاول جليلة إعادة وحيدة إلى المنزل ، ويبحث عنها ممدوح دون جدوى ، إذا أنها قد هربت مع سعداوي من عزبته بسبب هجوم أعدائه على العزبة وإحراقها ثم قتلها ، عندئذ تفقد وحيدة ذاكرتها التى تستعيدها عندما يعثر عليها ممدوح ويتزوجان .

ثم تصل تيمة فقد الذاكرة إلى قمة تربيعت عليها ولم تتركها حتى الآن ، وذلك فى فيلم "الماضى المجهول" الذى كتبه وأخرجه أحمد سالم عام ١٩٤٦ . فيه يفقد أحمد الذاكرة على أثر إصابته فى حادث قطار ، ويدخل المستشفى ويطلقون عليه اسم حسن ، وترعاه الممرضة نادية بحب ، فى حين تتهزز عائلته فرصة غيابه للاستيلاء على ثروته ، والتى تعرف عليه عندما تنشر نادية صورته ، وعندما

يتزوج أحمد نادية ، تتصدم سيارة فيستعيد ذاكرته ، وبالتالي يفقد صلته بالماضي وزواجه من نادية وأيضاً طفله ، وبالفعل يتقدم للزواج من ابنة عمه ، أما مدير المستشفى فيتعاطف مع نادية ويشير عليها باستغلال موهبتها في الغناء في حفل زفافه كمحاولة لاسترجاعه عندما يتذكرها ، وتنجح نادية فيتذكر كل شيء ويعود إليها ولطفلها في حين تقدر العروس الموقف ، أى أن فقد الذاكرة كان العمود الفقري لكل أحداث الفيلم وموافقه .

ويعود أحمد سالم إلى تيمة فقد الذاكرة في فيلم "المستقبل المجهول" ١٩٤٨ والذى تفقد فيه نادية أهلها في الحرب ، وتصاب بصدمة عصبية تقاد تؤدي بها للانتحار ، ينقذها الدكتور أحمد ويتزوجها برغم حب سميره له ، ثم تصاب نادية بصدمة تفقد ذاكرتها ، وتخفى من حياة زوجها وطفلها ، لكن سميره تعيش في منزل أحمد لتدير شئونه وتربى طفله ، ثم يتفقان على الزواج ، لكن نادية تظهر من جديد وتكتشف علاقة زوجها بسميره فتحاول قتلها بالسم ، وما أن ترى طفلها يحاول تناوله حتى تتناوله هي (وكان يمكن أن تمنعه من تناوله دون أن تتناوله هي) وهكذا تنتهي حياتها وتبدأ حياة أحمد وسميره .

وكان فيلم " فوق السحاب " الذى أخرجه محمود ذو الفقار عام ١٩٤٨ أيضاً ، أول فيلم يدور حول عقدة نفسية لأن الأفلام السابقة ركزت على الجنون وقد الذاكرة ، في هذا الفيلم تعانى فتاة من عقدة نفسية لاعتقادها أنها تسببت في شقاء أختها منذ الصغر ، لذلك تجاهد وتكافح بقدر الإمكان لتتمكن من إسعاد أختها ، أما صديق طفولتها وصباها فلم ينسها أبداً وهو في خضم معركة الحياة ، لكنها كانت تفر منه خشية أن يمنعها حبها من القيام بواجبها نحو أختها ، ولا تتحل عقدتها إلا بعد أن نطمئن على أختها ، فتستجيب لحبه وتتزوجه .

وفي عام ١٩٤٩ أخرج حلمي رفلة فيلم " المجنونة " الذى يتخذ من الجنون عموداً فقرياً ، لأحداثه من خلال شخصيتى عادل الطبيب النفسي وزميلته القديمة

التي تعيش مع عمتها وزوجته اللذين يدبران خطة لتدمير عقلها بحيث أصبحت تشك في كل شيء ، ويتولى عادل علاجها بإحدى المصحات ، وكان يعلم أن عمتها يحاول تعذيبها لكي يظل وصيًّا على ثروتها الكبيرة ، خاصة عندما اكتشفت أن العم هو الذي دبر موت أخيه وزوجته ، وبالفعل يدبر العم خطة لقتل الطبيب لمنعه من علاجها ، لكن الشرطة تحبط هذه المؤامرة ، ويتم شفاء ليلي عندما تكتشف أسرار مرضها ، وتعود لتبدأ حياتها مع عادل الذي أحبها وأخلص لها .

وفي عام ١٩٥٠ أخرج نيازي مصطفى فيلم " أفراد " الذي جمع فيه بين عقدة النقص وفقد الذاكرة ، وذلك من خلال شخصية سامي الموسيقار المغمور الذي تدعوه سيدة أرستقراطية ليعزف في صالونها الذي يموج بكمار الشخصيات ، فيقابل بالسخرية لأنه لا يجاري الموسيقى الحديثة ، ثم يرحل مع إحدى الفرق المتجولة ، ويقع له حادث يفقد الذاكرة ، لكنها تعود إليه بعد عرض الأوبرا التي قام بتألئفه وأثبتت نجاحه .

وفي نفس العام (١٩٥٠) أخرج حسين صدقى فيلم " معركة الحياة " الذي يدور حول أخرين : أحمد المحامي الناجح الذي يؤمن بالمثل العليا ، وفاضل الموظف بأحد المصانع الذي يؤمن بسلطان المال ، ويتزوج من سامية ابنة صاحب المصنع طمعاً في ثروتها ، ويعيشان حياة كلها سهرات وحفلات صاحبة تنتهي بوفاته ، فيرعنى أحمد شئون أسرة أخيه ، لكن سامية تحاول الدس بين أحمد وزوجته ، وعندما تفشل كل خططها ومؤامراتها ، تنتهي بها الحال إلى مستشفى الأمراض العقلية كنوع من التوابيل التي كان حسين صدقى يلجأ إليها للتخفيف من ميله إلى الخطابة والإرشاد والوعظ المباشر بداع وبدون داع ، وخاصة أن مواقف الجنون وتقلباته غير المتوقعة تمنع للممثل والمخرج فرصة الخروج بالمشاهدين على المأثور والترتيب من الموقف .

فى فيلم " قطر الندى " ١٩٥١ ، استخدم أنور وجدى حيلة فقد الذاكرة لإشعال عنصر التسويق ، من خلال شخصية فنان استعراض بسيط متزوج من زميلته ، ويريد أن يلفت الأنظار إليه ، فيدعى أنه قتل زوجته ويسلم نفسه للشرطة ، وتکاد الحيلة تنجح ، ويتحقق الشهرة التي تمناها !! لكن الصدفة تتدخل كالعادة وتكتشف جثة تجعل المحقق يوقن أنه مذنب ، وعيثاً يحاول الفنان أن يقنع المحقق أنه مظلوم ، وأن زوجته على قيد الحياة ، وعندما تطلب للشهادة ، تصاب في حادث وتفقد الذاكرة !! ويقترب موعد النطق بالحكم ، ويحاول المحامي مساعدة الزوجة استرداد ذاكرتها لإنقاذ زوجها . (وإن كان من المفروض أن يقوم بهذه المهمة طبيب نفسي) !! وفي اللحظة الأخيرة تتعرف عليه ويصدر الحكم ببراءته ، ويخرج من السجن ليجد الفرق المسرحية تسعى إليه .

فى عام ١٩٥٢ أخرج كمال الشيخ فيلم " المنزل رقم ١٣ " الذى فرض نفسه بعد ذلك على معظم أفلامه التى تمزج التسويق بالتحليل النفسي ، ففى هذا الفيلم يوحى طبيب نفسي لمريضه وصديقه شريف بأنه قتل رجلاً بعد أن ينومه مغناطيسياً ، ليتمكن مع راقصته من أن يستولى على مبلغ بوليصة التأمين لصالح الراقصة ، وبعد قتله تكتشف أنه يحرمنا من المبلغ المؤمن عليه ، ويتم القبض على شريف ليلة زفافه . ثم يظهر في النهاية أن الدكتور هو الفاعل الحقيقي ، وقد كاد يشرع في قتل نادية خطيبة شريف بعد تنويمها ، ويتم القبض عليه كما يتم زواج شريف ونادية .

فى عام ١٩٥٤ يتم عرض فيلمين من أفلام الذاكرة المفقودة " آثار على الرمال " لجمال مذكر ، و " دلونى يا ناس " للسيد زيادة . فى الفيلم الأول يفقد المؤلف الموسيقى إبراهيم ذاكرته ، ويسعى الطبيب النفسي لمعرفة سر مرضه ، فيتقابل مع خطيبته السابقة راجية التي تؤكد حبها لها ورغبتها في مساعدته ، وتعترف بأن جدها اعترض على زواجهما لأنه يفضل عليه ابن خالتها والذي تفر

منه والذى ابتعد عن طريقها ، وفى النهاية يتضح أن مرض إبراهيم نتج عن موت أخيه فى أثناء تسلقها الطاحونة ، وإحساسه أنه السبب فيه ، ويتم شفاؤه وزواجه من راجية .

فى فيلم " دلونى يا ناس" تقع ناهد فى حب حسن لكن أمها ترفض زواجها ، ثم تفاجئ الأم ابنتها مع حسن فى مكان عام ، فتسرع ناهد وتصطدم بسيارة فتفقد ذاكرتها وتهرب لتقع فى يد منوم مغناطيسى يحتال عليها ويستغلها كمغنية ووسيط فى أعماله ، ويحاول بكل الطرق غير المشروعة تضليل كل من يبحث عنها ، لكنها فى النهاية تعود لأهلهما وتتزوج حبيبها بعد أن تتأكد الأم من حبه وإخلاصه لها .

وشهد عام ١٩٥٥ عرض ثلاثة أفلام " الغائبة " لعز الدين ذو الفقار ، و " ثورة المدينة " لحلمى رفلة ، و " أحلام الربيع " لحسن رمزى، فى الفيلم الأول ينتهز أحد أصدقاء الزوج وقوع حادث للزوجة تفقد على أثره الذاكرة ل يجعلها تشتعل فى ملهى ليلي ، وبعد أن يفقد زوجها الأمل فى العثور عليها يتزوج من ابنة خالته ، ثم تأتى الصدفة بمحض السحر - كالعادة - ويعاين زوجته الأولى التى تعود إليها ذاكرتها ، ويعود إليها ، وفى الفيلم资料 the second الذي لا يمت عنوانه بصلة إلى موضوعه ، سوى أن لفظ " ثورة " كان له رنين برافق فى أعقاب ثورة يوليو ١٩٥٢ ، تموت والدة فاطمة عندما تلدها ، فيلاحظ أبوها أن النساء فى عائلتها يمتن عندما يلدن لأول مرة ، وتعيش فاطمة أسريرة لعقدة نفسية هي أنها لو تزوجت وحملت فسوف تموت مثل أمها ، ومع ذلك تقع فاطمة فى حب أحمد وتتزوج منه ، وهى تنتظر مصيرها المحتمل لكنها تلد وتواصل حياتها الطبيعية ، وتتكرر نفس العقدة تقريرياً فى الفيلم الثالث منذ أن شهدت البطلة موت أمها وهى تضع طفلتها الثانية ، فتصاب بعقدة نفسية وتتفر من الزواج فى حين تحب

اختها الصغرى شاباً وتنتظر الزواج منه ، وتلجأ إلى طبيب نفسي ليعالجها ، فتعود الثقة إليها ، وتقع في حبه لكنه يكتشف أنه مريض بالقلب ، ولكي تتزوج الأخ الصغرى ، تزعم أن الطبيب طلبها للزواج ، وتصارحه بمبررات كتبها لكنه يصارحها بحبه وأن حالته تتحسن ويستطيع الزواج منها .

في عام ١٩٥٨ قدم يوسف شاهين فيلم "باب الحديد" الذي تدور أحداثه في محطة باب الحديد حيث يعمل بائع الصحف قناوى المعقد جنسياً بسبب عاهة تعجزه عن تحقيق أحالمه في الزواج من هنومة بائعة الكازوزة التي تتفجر بالأنوثة والتي ينافسه فيها أبو سريع الحمال الذي يستعد للزواج منها ، وبعد صد هنومة له ، وتصاعد مستمر لأزمات قناوى الجنسية والنفسية ، يقرر أن يقتل هنومة حتى لا يأخذها أحد منه ، وحين يخطفها ويهدد بذبحها على قضبان القطار ، ينقذها منه مدبولى صاحب الكشك الذي يهدى من حالته في حين تطبق عليه قوات الشرطة ورجال مستشفى الأمراض العقلية وقد جن تماماً .

في نفس العام ١٩٥٨ كتب عباس كامل وأخرج فيلم "رحمة من السماء" الذي يفقد فيه عماد زوجته على أثر رصاصة طائشة تطلقها طفلتهاما التي تصاب بعقدة نفسية تستمر معها ، ويعيش عماد على ذكرى زوجته في حين يعالج صديقه الدكتور ابنته ، ويصادف الصديقان مغنية راقصة تشبه زوجته تماماً ، بحيث يستفيد الدكتور من هذا الشبه في علاج الطفلة ، ويصادف أيضاً أن تفقد المغنية طفلتها المريضة ، فتحاول الانتحار ، وينقلها الدكتور لمستشفى وهناك تقابل مع ابنته صديقه ، فتظن أنها أمها !! وتعلق المغنية بها ، لكن الزوج يرفض الاقتران بها ، عندئذ يظهر له شيخ زوجته التي تشجعه على الزواج !! لكنه يقرر السفر مع ابنته إلى الخارج ، فيدبر صديقه طريقة للاقائه بالمغنية التي يجدها في انتظاره داخل الباحرة ، ويودعهم صديقه الدكتور متمنياً لهم السعادة !!

كما شهد عام ١٩٥٨ معالجة فكاهية ومرحة لموضوع الجنون في فيلم "إسماعيل يس في مستشفى المجانين" لعيسي كرامة ، وفيه تحب طعمة شاباً يعمل في محل حلوانى ، ثم يظهر عريس جديد تومرجى في مستشفى الأمراض العقلية ، فيتعهد بسداد المبالغ التي استولى أبوها عليها من العرسان الذين وعدهم كتاباً بالزواج من ابنته ، ويقرر الأب التخلص من حبيب طعمة حتى يتزوجها التومرجى ، وذلك بمؤامرة تدخله مستشفى الأمراض العقلية ، لكنه يهرب في ليلة فرح حبيبته ويكشف الحقيقة إذ أن التومرجى مجنون ويفوز أخيراً بحبيبته !

ثم يأتي عقد الستينيات فيشهد عام ١٩٦١ وحدة خمسة أفلام تدور حول العقد النفسية والذاكرة المفقودة التي لا يمل كتاب السينما ومخرجوها من تكرارها واجتارها ، ومع ذلك كان فيلم "رسالة إلى الله" لكمال عطية من أرق الأفلام وأكثرها عذوبة في هذا المجال ، بحيث أثبت أن العبرة ليست بنوعية المضمون أو الموضوع أو التيمة ، سواء أكانت هذه العناصر نمطية أم غير ذلك ، وإنما العبرة بالمعالجة والمنظور والزاوية التي يتم منها تجسيد الفكرة بحيث تبدو جديدة وغير تقليدية تماماً ، ولذلك يبدو فقد الذاكرة في هذا الفيلم عنصراً عضوياً وضرورياً في بناء الفيلم ككل ، وليس لمجرد الإثارة المصطنعة والمفاجأة المفتعلة ، ففي هذا الفيلم تصعد الطفلة عائشة إلى مئذنة الجامع لتطلب من الله أن يجعل عروستها تتكلم ، فتقع عروستها ، وعندما تحاول أن تستردها ، تسقط هي الأخرى وتفقد ذاكرتها من الصدمة ويعاني الأطباء في علاجها ، وينهار أبوها حسين الذي يعمل كمسارياً في السكك الحديدية ، وتمر السنوات ولا تصلح عائشة للزواج بسبب مرضها الذي ترك أيضاً شلالاً في شفتيها وإحدى عينيها ، في حين يصبح جارها ميدو صحيفياً ، ويتزوج منها وتتجرأ طفلة ، ويتم استبدالها بالعروسة التي كانت دائماً تحملها ، وبهذا تشفى من مرضها .

والفيلم الثاني عام ١٩٦١ كان " مخلب القط " لحسين حلمي المهندس ، والذى تحب فيه فتاة صاحب الفيلا التي تعيش فيها مع أمها ، وهو طبيب مصاب بعقدة تجعله لا يثق بالنساء ، ويحدث أن يصاحب الفتاة في نزهة بالهرم ، ويلتقىان بأسرة صديق ثرى وابنته وخطيبها ابن عمها ، ثم يقع حادث يفقد فيه الخطيب ذاكرته بحيث يتصور نفسه في شخصية صديقه الثرى ، ويرى الطبيب أن يصطحبه معه إلى الفيلا ليعيش بشخصيته الجديدة ، ويحاول التقرب من الفتاة ، فتشعر غيرة صاحب الفيلا الذي يبوح بحبه للفتاة ، ويسرع إلى إعادة تمثيل الحادث أمامه ، فتعود للخطيب ذاكرته ويعود إلى عمه وخطيبته ، وتتزوج الفتاة من صاحب الفيلا (ليعيشوا في تبات ونبات ويخلفو صبيان وبنات) !!

أما الفيلم الثالث في نفس العام فهو " امرأة وشيطان " لسيف الدين شوكت ، والذي يربط فيه الحب بين ممثل مسرحي وصاحبة الفرقة ، وهو يعاني من عقدة نفسية يصاب بها بعد أن تسبب في قتل إحدى زميلاته أثناء التمثيل أمامها ، وتحقد عليه الراقصة التي كان يحبها ثم هجرها ، وتستغل عقدة الذنب عنده فتدس بينه وبين صاحبة الفرقة لكن محاولاتها تفشل ، ويتزوج الممثل من صاحبة الفرقة .

وكان الفيلم الرابع هو " غداً يوم آخر " لأبíر نجيب ، والذى تقع فيه حرب السويس ، ويسافر أحمد للقيام بواجبه بعد أن يترك زوجته وطفليه وديعة في يد صديقه رافت ، وتتأتى أنباء تفيد بأن الزوج مفقود ، وتصاب الزوجة بصدمة عصبية ، وترفض محاولات رافت للازواج منها حتى يعوضها موت أحمد ، ثم يفاجأ الجميع بعوده أحمد بعد أن تعود إليه ذاكرته لتهنأ بحياتها مع زوجها وطفليهما .

أما الفيلم الخامس " حياة وأمل " لزهير بکير ، فتقع فيه الطائرة التي تحمل فريق كرة القدم في البحر ولا ينجو أحد من الركاب ، ويشتد الحزن بزوجة أحدهم لدرجة أنها تشرط على ابن عمها عندما يتزوجها أن يظل

الزواج بينهما صورياً ، ثم يتضح أن زوجها لم يمت في الحادث ، لكنه فقد الذاكرة ووصل سابحاً إلى شاطئ بيروت ! (كيف ؟ لا تسأل فهذه إرادة المخرج) !! وفي بيروت تتقذه فتاة وتتزوجه !! وتتأتى به إلى مصر في بعثة دراسية حيث تتعرف عليه زوجته الأولى ، وكالعادة تعود إليه ذاكرته بعد تعرضه لحادث سيارة ! (إذ أن حادث الطائرة لم يكن كافياً) !! وتجرى له عملية جراحية فيعود إلى زوجته الأولى بعد أن ينسحب ابن عمها من حياتها لتهنا مع من تحب !! (ولم يحدث في فيلم من الأفلام أن أصرت الذاكرة على عدم العودة !! فهي دائماً تعود بطريقه أو بأخرى وفي الوقت المناسب !! وهو ما يتوقعه المتفرج دون إشارة حقيقة) !!

وشهد عام ١٩٦٣ أربعة أفلام " الليلة الأخيرة " لكمال الشيخ ، و" الحقيقة العارية " لعاطف سالم ، و" سجين الليل " لمحمود فريد ، و" المجانين في نعيم " لحسن الصيفي ، في الفيلم الأول ، تدور الأحداث في دوامة من الغموض والتشويق إلى أن يدرك المشاهدون أن البطلة كانت قد أصبيت في إحدى غارات الحرب العالمية الثانية ، وفقدت ذاكرتها تماماً ، وهو ما استغله شاكر زوج اختها المتوفية في نفس الغارة حتى لا تفلت منه ثروة صهره ، فزور في الأوراق ل يجعل نادية هي زوجته فوزية ، ولكنه يكتشف عندما تعود إليها ذاكرتها ، ويلقى مصرعه في حادث ! أما في فيلم " الحقيقة العارية " فتختاف البطلة من الزواج بعد أن طافت أنها من أبيه وللمتاعب التي تواجهها اختها مع زوجها ، لكنها تجد في النهاية الحبيب الذي يحل عقدتها .

أما في فيلم " سجين الليل " فيطلب الطالب الجامعي من المجرم أن يعلمه كيف يقتل لأن للطالب عقدة نفسية سببها أن أمه تسيطر عليه سيطرة تامة !! وأخيراً نرى المجرم يطلب منه أن يقتله قبل أن يقبض عليه ، وتنتهي القصة التي كتبها يوسف إدريس بعنوان " الغريب " ، بأن تحل عقدة الطالب الجامعي بقتل المجرم ،

(وهي أفكار غريبة لا تخطر إلا ببال يوسف إدريس) وفي فيلم " المجانين في نعيم " يفرج عن البطل بعد أن يقضى عشر سنوات بمستشفى الأمراض العقلية ليواجه جحيم الحياة خارج المستشفى لدرجة أنه يعود مرة أخرى إلى المستشفى يرجوهم أن يسمحوا له بالدخول في دنيا النعيم !!!

في عام ١٩٦٤ أخرج أحمد ضياء الدين فيلمين " هل أنا مجنونة ؟ " ، و " لو كنت رجلاً " ، في الفيلم الأول تتعلق هدى الفتاة الحساسة المنطوية على نفسها بأبيها تعلقاً شديداً بعد موت أمها وزواجه من أخرى ، وهي مصابة بعقدة نفسية تجعلها تشعر بالذنب لاعتقادها بأنها تسببت في طفولتها في موت أمها ، وتجعلها عندما تثور تتقلب إلى العنف فتحطم كل شئ أمامها ، ويصور الفيلم الثاني فتاة تؤمن بأن الزواج يشكل أكبر عقبة في سبيل طموحها ، لكن الأحداث تغير نظرتها للزواج الذي تكتشف أنه ألمة وتساند وقوة دفع وليس عقبة .

وفي عام ١٩٦٥ أخرج جلال الشرقاوى فيلم " أرملة وثلاث بنات " الذي يستولى فيه دباب على نصيب أسرة شريكه محفوظ بعد وفاته ، في حين يعتدى جودت على زهرة ابنة محفوظ وهما لا يزالان في مرحلة الخطبة ، ثم يتخلى عنها فتصاب بحالة نفسية مما يضطر الأم إلى أن تستدين حتى توفر المال اللازم لعلاج زهرة ، وتلجا إلى دباب ليعيد إليهم نصيبهم ، فيشترط أن يتزوج من ابنتها هدى ، فتوافقان حتى تتقذرا زهرة ، ويخرجون من أزمتهم .

وفي فيلم " الليالي الطويلة " ١٩٦٧ لأحمد ضياء الدين تكرر عقدة الخوف من الموت أثناء الولادة ، بل وتنكك وكأنها حقيقة لا يمكن تجاهلها ، فالأرمل مختار يتزوج من نهاد التي تقوم برعاية طفليه علاء وعزبة ، وتنكمل سعادتها عندما تكتشف أنها حامل برغم معارضتها مختار لفكرة إنجابها خوفاً من تكرار مأساة زوجته الأولى التي ماتت وهي تلد ويشب ابنهما خالد لكن أشلاء لاهوه بالكرة أمام المنزل ، تصدمه إحدى السيارات ليموت ، لكن نهاد تجتاز أزمتها لتكرس عواطفها

لعلا وعزه ، فهما يعوضها عن خالد ، لكن تظل الفكرة توحى بأنه إذا لم تمت الأم ، فلا بد أن يموت ابن عوضاً عنها !!

فى فيلم "حواء والقرد" ١٩٦٨ لنيازى مصطفى تصل غيرة الزوجة على زوجها إلى عقدة نفسية مستحكمة فى فكرها وسلوكها ، خاصة عندما تكتشف أنه على علاقة براقصة ، وتدهىب إلى طبيب نفساني ، يشخص حالتها بأنها مصابة بازدواج فى الشخصية ، و تستغل هذا التحليل الطبى فتتقمص شخصية أخرى ، وتدعى أنها على علاقة بشخص آخر ، وبالفعل تتصل بخطيبها السابق وتقابله وتجاهله وتجاهل زوجها ، وفي النهاية تكتشف حقيقة تصرفاتها وتعاهد زوجها بالكف عن غيرتها ، لكن يظل الأساس العلمى والطبى لمضمون الفيلم خاطئاً لأن المصاب بازدواج الشخصية لا يعى انتقاله من شخصية إلى أخرى ، لكن وعي البطلة هنا يصل إلى درجة تقمص شخصية أخرى أى أنها واعية بذلك تماماً ، وبالتالي لا يمكن أن تكون مصابة بازدواج الشخصية !! .

فى عام ١٩٦٩ أخرج كمال الشيخ فيلم "بئر الحرمان" الذى تكرر فيه حالة ازدواج الشخصية ولكن على أساس علمى ، فالبطلة ناهد تصاب بمرض ازدواج الشخصية ، فهى فى النهار تعيش بشخصيتها العادية ، وفي الليل هي ميرفت الفتاة اللعوب ، ويعالجها طبيب نفساني ، ويكتشف أن مرضها نتيجة لعقدة نفسية منذ طفولتها ، إذ يكتشف الأب خيانة الأم فيعاملها بجفاء ولا يقربها لعيش فى حرمان عاطفى قاتل ، وترتسب هذه التجربة فى أعماق ناهد ، وفي النهاية تشفى وتتخلص من شخصية ميرفت .

وفى نفس العام ١٩٦٩ أخرج حسن الصيفى فيلم "سكرتير ماما" الذى تفاجأ فيه كاميليا بعودة زوجها زعتر الذى فقد الذاكرة طوال السنوات الماضية بلا أى مير درامى ، وخاصة أنه يقتل فى نهاية الفيلم بلا أى مبرر أيضاً ، سوى أن

المخرج أراد أن يتزوج كاميليا من سكريتيرها شلبي حتى ينتهي الفيلم بالأسلوب النمطي الذي أذمنته السينما المصرية .

في عام ١٩٧٠ أخرج أنور الشناوى فيلم "السراب" عن رواية نجيب محفوظ التي نشرت بنفس الاسم ، وهى أول رواية تعالج عقدة أوديب بأسلوب علمى ، فالشاب الثرى كامل يتزوج من رباب التى تكتشف عجزه الجنسي ، فيلجاً إلى الدكتور أمين لعلاجه ، ويتبين له أنه شاب خجول ، عاش طوال حياته منطويًا ، وكانت أمه هي كل حياته بعد أن انفصلت عن أبيه ، فالتصاق بها التصاقاً كاملاً بحيث ارتبط الجنس عنده بالمحرمات ، ويطلب الدكتور أمين مساعدة رباب في علاج زوجها ، لكن بمرور الوقت تتوطد علاقة الزوجة بالطبيب ويتورطان لدرجة أنها تحمل ويشفى كامل تماماً في نفس الوقت الذى تموت فيه الزوجة أثناء عملية إجهاضها .

وفي نفس العام ١٩٧٠ أخرج سيف الدين شوكت فيلم "زوجة لخمسة رجال" الذى يتكرر فيه عقد قران عفاف للمرة الرابعة ثم تهرب ، ويبلغ الأزواج الأربعة عن اختفائها ، فيتولى الضابط سيف القضية ويتمكن من العثور عليها ، وتقديم للمحاكمة بتهمة تعدد الأزواج ، ويعرضها سيف على طبيب نفسي يكشف له الحقيقة ، فهى تعانى من عقدة نفسية منذ طفولتها نتيجة معاملة زوج أمها القاسى لها ولأمهما مما يسبب كرهها للرجال ، وفي النهاية يفرج عنها بشهادة الطبيب ويتم شفاؤها وتتزوج من سيف .

في فيلم "الاختيار" ١٩٧١ جسد يوسف شاهين مع نجيب محفوظ حالة ازدواج الشخصية بأسلوب مأساوي يصل بصاحبها إلى درجة الجنون . فالبحار محمود يعيش حياة منطلقة ، وهو الشقيق التوأم للكاتب الكبير سيد الذى يتمتع بالمال والشهرة ، إلا أنه يعيش في عذاب نفسي عندما يدرك زيف حياته ، ويقوم سيد بقتل

محمود ويعيش الشخصيتين !! ثم يعثر رجال الشرطة على جثة محمود ، وتحوم الشبهات حول سيد ، ويكتشف رجل المباحث فرح أن سيد مريض نفسياً ، بل إنه يحاول الهرب وقد أصابه الجنون ، لكنهم يتمكنون منه ويدخلونه مستشفى الأمراض العقلية .

في نفس العام ١٩٧١ أخرج نيازى مصطفى فيلم " المتعة والعذاب " الذى قام فيه بتوزيع العقد النفسية على بطلاته الأربع ، فواحدة مريضة بالسرقة ، والأخرى تعانى من جنون الشهرة ، أما الآخريان فتشعران بكراهية نحو الرجال ، تكتشف إحدى العصابات أمر الفتاة اللصة ، فيحومون حولها هى وصديقاتها ، ويوقعهن فى حبائدهم ليشاركوهن فى جرائمهم ، وتصل تحريات الشرطة إليهم لقبض عليهم جمياً ، ومن خلال هذه التجربة القاسية التى مرت بها الفتيات ، تتحل عقدة كل واحدة منهن !!

في عام ١٩٧٢ أخرج منير التونى فيلم " عاشقة نفسها " الذى يصور حياة فتاة جميلة تدعى دلال ومصابة بعقدة النرجسية لدرجة أنها تصد أطماع الرجال فيها لأنها تريد لجمالها الخلود ، ولذلك فهى توافق على الزواج من الرجل الذى يكبرها بسنوات ، ويحاول الدكتور النفسي مختار علاجها من عقدتها فى حين يشعر الزوج بالغيرة الشديدة عليها ، ولا يستطيع السيطرة على مشاعره لدرجة أن يؤدى به الانفعال الشديد إلى أزمة قلبية تقضى عليه . وينجح مختار فى تغيير مفهومها للحياة وغرس الحب داخلها .

وفي نفس العام (١٩٧٢) أخرج تيسير عبود فيلم " جنون المراهقات " الذى يعالج حياة الأوهام والبعد عن الواقع بأسلوب مرح خفيف ، فرجل الأعمال الكبير يعاني من بناته الثلاث المراهقات اللاتى يرفضن الزواج إلا من فتى أحالمهم الذى ترسمه كل واحدة منهن في أوهامها ، فالأول تحلم بالزواج من كازانوفا ، والثانية من هولاكو ، والثالثة من جيمس بوند ، ويعرض الأب بناته على الطبيعة النفسية

من فتهتم وتشغل بهن عن زوجها الذى يتفق ذهنه عن حيلة للتخلص منهن بالعمل على تحطيم أوهامهن ، وذلك بأن يمثل أدوار فرسان أحالمهن ، وأن يشوه صورهم فى أذهانهن ، وبذلك ينجح فى إقناعهن بالعدول عن أفكارهن .

وشهد عام ١٩٧٣ ثلاثة أفلام : " ذات الوجهين " لحسام الدين مصطفى ، و" ثلاث فتيات مراهقات " لعبد الرحمن كخيا ، و" شئ من الحب " لأحمد فؤاد ، فى الفيلم الأول تصاب كريمة بانفصام فى الشخصية ، فهى زوجة المحامى الكبير قدرى وأم الهايم ، والشخصية الأخرى هى ليلي البدوية التى تحب وائل وتهرب يوم عقد قرانها متسبيبة فى عار لا يمحوه سوى الدم ، ويقرر موسى قتلها ، فى حين يكتشف وائل حقيقتها ، وتنتقمها الهايم حتى تصل إلى القبيلة ، وهناك يحاول موسى اغتصاب الهايم فتستجد بأمها التى تشفى من هول الصدمة ، وتصيب موسى بزجاجة لكنه يتحامل على نفسه ويطعنها فى ظهرها بسكين ويلقى الاثنان حتفهما .

أما فى الفيلم الثانى ، فتتعرض سامية فى طفولتها لمحاولة السباك الاعتداء عليها مما ولد لديها عقدة هذا الزواج ، ويتحول موقفها هذا دون زواج أختيها هالة وصفاء ، يعجب بها أحمد صديق ممدوح خطيب صفاء ، بل ويقرر المعلم رضا الزواج من أمهن ، ويتعاون الجميع فى تغيير موقف سامية وينجحون وتنتم خطبتها لأحمد ، وفي الفيلم الثالث يغادر بدرؤيش مستشفى الأمراض العقلية بعد علاجه ، ويذهب شريف للتقاهم معه على زواجه من إيناس ، فإذا بدرؤيش يطلب من شريف أن يتزوج من سلوى فى حين يتزوج صديقه عادل من إيناس لمدة أسبوع !! ويعده إذا لم ينسجم كل منهما مع زوجته ، فسيوافق على زواجه من إيناس بعد أن يطلقها عادل ، وبالفعل يتم ما تمناه شريف إذ لم توفق إيناس مع عادل !!

وشهد عام ١٩٧٤ ثلاثة أفلام : " أين عقلى " لعاطف سالم ، و" قاع المدينة " لحسام الدين مصطفى ، و" فى الصيف لازم نحب " لمحمد عبد العزيز ، فى الفيلم الأول تعانى عايدة من زوجها الذى يحاول إيهامها بأنها مجنونة ، وتتردد على

الطيب النفسي زهدى الذى يبوح له أنها قبل زواجه ، تورطت فى علاقتها بحبيها شريف الذى يموت فى حادث ، وتعترف له أن توفيق تتابه حالات شلل مؤقت عقب رحلات يقوم بها إلى الإسكندرية بصحبة سائقه ، ويتوصل زهدى لمشكلة توفيق وهى صراعه بين تقاليده المصرية والتقاليد الأوروبية أثناء دراسته هناك ، ويتم علاجه ويعود الوفاق بينه وبين زوجته .

والفيلم الثانى يدور أيضاً حول متعة ممارسة الجنس مع الطبقات الأدنى ، وإذا كان الفيلم الأول عن قصة لاحسان عبد القدوس ، فالثانى عن قصة ليوسف إدريس ، وفيه يصاب القاضى عبد الله بعقدة جنسية ، فيشير عليه صديقه أشرف أن يمارس الحب مع من هن دون طبقته ، ويجد ضالته فى خدمته شهرت التى تواافق حاجتها للمال للإنفاق على أطفالها ، ويعيش عبد الله فى صراع ولا يكف عن التساؤل ، هل تمارس معه الحب عن حب أم لاحتاجتها للمال ؟ (وهو سؤال ساذج لا يصدر عن قاض يعلم جيداً أنها سلمت نفسها له من أجل المال إذ لم تكن هناك أية بوادر حب من قبل) !! وينبع عنها المال فتوقف عن الحضور ، ويكتشف سرقتها لساعته فيطردها ، وتدفعها الحاجة للمال لأن تحرف ، فيجتاح عبد الله إحساس قاتل بالذنب لأنه تسبب فى ذلك ، فيستقيل من عمله لأنه لم يكن عادلاً فى قضية تخصه ، فكيف يكون عادلاً فى قضايا الناس ؟ ! (ومن أين أتى بهذه الفلسفة المثالية وهو المعقد نفسياً والعاجز عن ممارسة الجنس مع أنداده !!)

أما الفيلم الثالث " فى الصيف لازم نحب " فهو فيلم خفيف الظل ، يتذذ من الحالات النفسية مادة للمفارقات الكوميدية ، فيه يعالج أحمد وجندى ومدحت ويسرى فى مستشفى للأمراض النفسية والعصبية ، وينجح الدكتور نبيل فى إقناع مدير المستشفى بمحاصبة المرضى الأربع إلى الإسكندرية لاعتقاده أن علاجهم سينت بالاختلاطهم بالناس ، وهناك يتعرفون بعد الحفظ الأب المتحفظ الذى يشدد فى معاملته لبناته ، وسرعان ما يحدث استلطاف بين بناته وثلاثة من المرضى ، لكن

مدير الفندق يكتشف حقيقة المرض ، فيشيع الخبر ليعم الرعب على الشاطئ ، ويصل رجال الشرطة ، إلا أن الدكتور نبيل يعلن أمام الجميع عن شفائهم .

في فيلم " صائد النساء " ١٩٧٥ لعبد المنعم شكري ، تكرر لعبة الإصابة بالجنون ودخول مستشفى الأمراض العقلية بالبساطة المتناهية التي اعتادت عليها السينما المصرية ، ذلك أن شريف المطربي المعروف بعلاقاته النسائية ، يقع في حب زهرة ، ويحاول الإيقاع بها ، لكنه يفشل فيقرر أن يتزوجها ، ويسافران إلى الإسكندرية ، وعندما يستيقظ لا يجدها ، وينكر جميع العاملين بالفندق رؤيتها لها ، وعندما يسأل عنها في منزلها ، ينكرون معرفتهم بها ، ويصاب شريف بحالة من الجنون ، ويدخل مستشفى الأمراض العقلية ، وعندما تتأكد أميرة من حبه لها ، ويتبين أنها خططت لذلك كى تلقنه درساً ، يعقل ويعدها بالاستقامه .

وشهد عام ١٩٧٧ فيلمين " العذاب امرأة " لأحمد يحيى ، و " قطة على نار " لسمير سيف ، الأول مأخوذ عن مسرحية " الأب " للكاتب السويدى أو جست ستريندبرج ، والثانى مأخوذ عن مسرحية " قطة على سطح صفيح ساخن " للكاتب الأمريكى تيسى ويليامز ، والمحور الذى تدور حوله المسرحيتان ، محور نفسي جنسى .

وفي الفيلم الأول يعاني الدكتور جلال الطبيب المشهور من تسلط زوجته الدكتورة ايناس التى تغير عليه ، وتشك فى وجود علاقة بينه وبين زميلته الدكتورة ايناس التى تغير عليه ، وتشك فى وجود علاقة بينه وبين زميلته الدكتورة ليلي ، لذلك فهى تشکكه فى أبوته لابنه هشام ، فينهار جلال !! (هذا يمكن أن يحدث فى السويد ، أما فى مصر فمن المعتاد أن يطلق الرجل زوجته الخائنة وربما قتلها دون أن ينهار) ! المهم أن الطبيب المشهور الدكتور جلال يصاب بصدمة نفسية عنيفة ، ويفقد الذاكرة ، بل ويعمل فى أحد المطاعم باسم صادق ، وبعد بحث تكتشف ليلي مكانه ، وتبدأ فى علاجه ومحاولة إعادة الذاكرة إليه ، وتساعدها فى ذلك ايناس

التي تقدم ويحدث أن يمرض ابنهما هشام ، فيصبحون جلال لرؤيته ، ويكرر تردده على المنزل حتى تعود إليه الذاكرة بالتدرج .

في الفيلم الثاني تعانى جيجى من حياتها مع أمين وترتبط في علاقتها مع صديقه عزت ، حتى تكتشف شذوذ عزت الجنسي ، وتواجه أمين الذي ينهاى بعد انتحار عزت لافتضاح أمره ، وتزداد الفجوة بين الزوجين ، في حين يوبخ الأمين على معاملته السيئة لجييجى ، فيكشف له أمين عن مرضه الخطير ونفاق الجميع له فينهاى ، كما يعرب أمين عن ندمه لجييجى على سوء معاملته .

وشهد عام ١٩٧٨ فيلمين " وثالثهم الشيطان " لكمال الشيخ ، و" واحدة بعد واحدة ونص " لحسين عمارة ، في الفيلم الأول تعانى هشام إحباطاً شديداً بعد أن سحب منه مخرج مسرحية " هاملت " دور البطولة بعد أن كاد يخنق الممثلة نوال التي تلعب دور أمها لاندماجه في الدور ، ويعرض هشام نفسه على طبيب نفسانى ، فيتضح أنه يعاني من عقدة نفسية عندما اكتشف أن أمها تخون أباها مع عمه ، وينتفق الطبيب مع المخرج لإعادة الدور لهشام كنوع من العلاج الذي ينجح بالفعل .

أما في الفيلم الثاني فيدعى نظيم لضابط المباحث أن هدى مصابة بازدواج الشخصية لأنه يهدف إلى إثبات عدم صلاحيتها لإدارة ممتلكاتها ، (وكان رأيه هو القرار الفاصل في هذا الموضوع الطبي المتخصص) !! وتشك هدى في عمها ، وتنتفق مع ضابط المباحث على تقمص شخصية لولا الفتاة التي تشبه هدى إلى حد بعيد ، والتي استغلتها العم في سرقة محطات البنزين وإلصاق التهمة بهدى على أساس أن لها شخصيتين ، ويتوصل ضابط المباحث إلى لولا التي تعرف بتحركات نظيم الذي يقع في قبضته .

في عام ١٩٧٩ قدم هنرى بركات فيلم " ولا عزاء للسيدات " الذي يتم فيه الطلاق بين حمدى وميرفت ، فيحاول العودة إلى راوية ، لكنها ترفض ، فيصاب بحالة نفسية تجعله يهمل عمله ، بل ويحاول قتل راوية ، ويدعى في التحقيق أن

سبب جريمته يرجع إلى سوء سلوكها ، ويصدق الجميع أوهامه وأكاذيبه ، ويختلي عنها طارق ، لكن التقرير الطبي يثبت أن حمدي مريض نفسياً ، وتقرر راوية تكريس حياتها لابنتها ، فالمرأة القوية تستطيع أن تعيش بلا رجل .

ومع مطلع الثمانينيات تولت أفلام الصدمات النفسية ، فقدم أحمد السبعاوي فيلم "الأخرس" عام ١٩٨٠ الذي يتسبب فيه المهندس أحمد بدون قصد في وفاة زميله حسام فيصاب بصدمة عصبية تفقده النطق ، ويلتقى بعايدة التي يعجب بها وتبادل مشاعره ويترجونه برغم اعتراض أبيها ، ويترفع لتأليف الكتب والأبحاث والترجمة ، وفي أحد لقاءات الأب مع أحمد يهينه ، وتكون المفاجأة عندما يسترد أحمد نطقه من شدة الانفعال فيتغير موقف الأب .

وقد شهد عام ١٩٨١ عدة أفلام من هذه النوعية ، نختار منها "أنا المجنون" لنيازى مصطفى ، و "مسافر بلا طريق" لعلى عبد الخالق ، و "أنا فى عينيه" لسعد عرفة .

فى الفيلم الأول يدخل حسان مستشفى الأمراض العقلية بعد أن يقوم بسرقة محل للمجوهرات ! (وكانه لا توجد اختبارات طبية دقيقة ، لمعرفة المدعى من المجنون الفعلى) !! وطالما أن الفيلم كله ادعاء فى ادعاء فان نعيمة عشيقه حسان تتردد عليه ، وتدعى لآدم رئيس الممرضين أنها أخته ! (والرسوة هنا أكثر إقناعاً من الادعاء ، سواء بالنسبة لرئيس الممرضين أو المتفرجين) !! بل ويعرض آدم الزواج على نعيمة فتوافق !! وعندما تثبت التقارير الطبية أن حسان ليس مجنوناً ، يهرب بمساعدة نعيمة ، ويطلب شريكه حامد بنصيبيه من المسروقات ، إلا أن نعيمة تهرب بحقيقة المسروقات ، ويتم القبض على حسان ، وعندما يكتشف آدم حقيقة علاقة نعيمة بحسان ، يقتلها ويصاب بالجنون بدون أى مبرر !!!

فى فيلم "مسافر بلا طريق" ، يتعرض الفنان التشكيلي أسامة وهو فى الأقصر لهجوم مسلح من عصابة تتاجر فى الآثار وتهربها ، وتسعفه الغجرية

أسرار ويفقد الذاكرة !! وتوصل إلى مكانه خطيبته راندة وصديقه أشرف ، ويدخل المستشفى للعلاج ، وتحاول أسرار إعادته إلى الأقصر فهى تحبه ، تبدأ حالته فى التحسن لكنه يفاجأ بأشرف وهو يحاول إقناع راندة بالموافقة على زواجه ، وتشتب بينهما معركة ويصييئه أشرف إصابة خطيرة يموت على أثرها !! (ولا يمكن تبرير انقطاع العلاقات بين الفنان التشكيلي ، ومهرب الآثار ، والهجوم المسلح ، فقد الذاكرة ، ومصرع البطل فى النهاية على يد صديقه ، إلا بمدرسة " سمك لبن ، تمر هندى " التى لا تزال تحكم قبضتها الحديدية على التأليف أو بمعنى أصح على التأليف السينمائى) !!!

أما فيلم " أنا فى عينيه" فيدور حول نفس العقد النفسية النمطية التي لم تخرج الكتابة السينمائية عن إطارها ، فى حين أن علم النفس زاخر بالدهاليز المثيرة والكهوف الغامضة التى يمكن أن يتوغل فيها الكتاب دون الخوف من أن يكرروا أفكارهم ومواقفهم ، لكن يبدو أن الكسل أو الاستسهاى أو الاستكانة للمأثور والتقليدى والنمطى ، كانت وراء اقتصارهم على عقدة نفسية أو اثنتين أو ثلاثة على أكثر تقدير ، منها على سبيل الحصر وليس المثال عقدة بطل هذا الفيلم الذى يرفض إعادة تشغيل المصنع الذى ورثه عن أبيه ، فقد تسبب وهو طفل فى قتل أبيه دون أن يقصد عندما عبث بأزرار كانت سببا فى سقوط آلة ضخمة على رأس الأب بحيث أودت بحياته ، إلا أن زوجته تنجح فى حل عقدته بحيث يقرر تشغيل المصنع ! (مع إن أبسط احتياطات الأمن الصناعى تحتم أن تكون مثل هذه الأزرار أو المفاتيح بعيدة عن متناول غير الخبراء والمختصين ، ناهيك عن الأطفال) !!!

وشهد عام ١٩٨٢ خمسة أفلام عن الجنون وفقد الذاكرة والعقد النفسية المعتادة : " المعتوه " لكمال عطية ، و" ضاع حبى هناك " لعلى عبد الخالق " ، و" بريق عينيك " لمحمود عبد العزيز ، و " عروسة وجوز عرسان " ليحيى العلمى ، و " العسكري شبراؤى " لهنرى بركات .

في فيلم "المعتوه" يعجب أحمد بثناء التي ظلت تصده إلى أن وقع له حادث عندما كان يلاحقها بسيارته ، فانقلبت به وأصيب بالعجز الجنسي ، والفيلم يحكى قصة انتقامه منها لدرجة اتهامها بمحاولة قتله ، وفي فيلم "وضاع حبى هناك" يتغيب حسين بعد اشتراكه في حرب ١٩٦٧ وتظل زوجته تبحث عنه إلى ما بعد حرب ١٩٧٣ حتى تجده في القنطرة شرق وقد تزوج من امرأة أخرى بعد أن فقد ذاكرته ، لكنه في هذا الفيلم لا يستعيدها على غير عادة الأفلام المصرية ، وفي فيلم "بريق عينيك" تتوطد علاقة رجل الأعمال حازم بسلوى التي سقطت الطائرة بزوجها وليد ، وكانا ينتظران مرور السنوات الأربع القانونية لغياب الزوج حتى يتزوجا ، لكن وليد يعود بعد أن يسترد ذاكرته ويرفض أن يطلق سلوى ، وعندما يصرف حازم النظر عن الموضوع يطلقها وليد !! وفي فيلم "عروسة وجوز عرسان" تمر السنوات الأربع على غياب الزوج الذي غرقت الباخرة التي كان يستقلها ، فتتزوج ثريا من شاكر ، ثم يفاجآن بعودة عصام بعد أن يستعيد ذاكرته ، وتفعل ثريا في حيرة لأنها تحب الزوجين ، لكن شاكر يطلقها حتى تستأنف حياتها الزوجية الأولى ، وفي فيلم "العسكرى شبراوى" تبدو مستشفى الأمراض العقلية مكاناً لاستقبال أي إنسان يقول عنه الآخرون غير المختصين إنه مجنون ، بل ويمكن للعسكرى الذى يصطحبه أن لا يقوم بتسليميه للمستشفى إذا عرف منه فى الطريق إن جنونه مجرد إشاعة حتى يستولى الطامعون على أرضه !! (وذلك على الرغم من أن جوهر التأليف الدرامي يمكن فى إقامة العقبات المثيرة ، والصعوبات التى تبدو مستحيلة ، والوقوف عند حافة الهاوية أو فى مفترق الطرق المصيرية .. الخ ، لكن يبدو أن تسهيلات أو تساهيل السينما المصرية لا حدود لها ، وأن معضلات عويصة يمكن أن تنشأ بسهولة وتحل بسهولة أيضاً ، وبدلأ من أن تتوجل داخل المترجين وتأسر ألبابهم وتأخذ بشغاف قلوبهم ، حتى يتحولوا من مجرد متفرجين إلى مشاركين فى تخيل الأحداث واحتمالاتها الممكنة ، فإن الكتاب يجذبون إلى التبسيط المخل الذى يصل إلى درجة التفقيق المفتعل ، حتى لا يتجاوز

المتفرجون دورهم ك مجرد متابعين لما يجرى ، وليس عليهم سوى أن يمرروا عليه مرور الكرام) !!!

وشهد عام ١٩٨٤ خمسة أفلام من نفس النوعية : "آخر الرجال المحترمين" لسمير سيف ، و "الراقصة والطالب" لأشرف فهمي ، و "لك يوم يا بيه" لمحمد عبد العزيز ، و "قراء لا يدخلون الجنة" لمدحت السباعي ، و "الشيطان يغنى" لياسين إسماعيل ياسين .

في "آخر الرجال المحترمين" تحرك الأحداث كلها امرأة فقدت طفلتها بعد أن أجريت لها عملية جراحية حرمتها من الإنجاب مما سبب لها عقدة نفسية سقطت على كل أفكارها وتصرفاتها ، فتختطف الطفلة نسمة من مجموعة أطفال في رحلة إلى حديقة الحيوان ، وفي فيلم "الراقصة والطالب" تتخلى الراقصة عن الطبال وتهجره ، فيفشل في تقديم فاصل عزف بالطلبة بدونها ، فينهار ويدمن المخدرات ويصاب بالجنون في النهاية . وفي فيلم "لك يوم يا بيه" يصاب عبد الفتاح بالجنون !! بعد أن تهده زوجته بالفضيحة ، ويدخل مستشفى الأمراض العقلية ، كذلك ينتقل زوج ابنته ممدوح إلى نفس المستشفى بعد أن تدعى سكرتيرته نفيسة أنها حامل منه ، إلا أن الأم والزوجة يصفيان الموقف ويعود الوفاق بينهم بنفس البساطة التي دخلها بها مستشفى الأمراض العقلية ، وفي فيلم "قراء لا يدخلون الجنة" تتاب أحمد حالة نفسية منذ طفولته عندما يشاهد أبوه وهو يقتل أمه الخاتمة ، وتنتهي به أحداث الفيلم إلى الإصابة بالجنون ، وفي فيلم "الشيطان يغنى" تموت بعض الشخصيات بنفس السم ، وتعترف البطلة في النهاية بأنها تعاني من عقدة نفسية مستحكمة تجعلها تنتقم من كل من يأتي في طريقها ومن نفسها أيضا !!

وشهد عام ١٩٨٥ خمسة أفلام أيضاً : "المجنونة" لعمر عبد العزيز ، و "الحكم آخر الجلسة" و "خلال بالك من عقلك" لمحمد عبد العزيز ، و "أنا" لأحمد السباعي ، و "أولاد الأصول" لفائق إسماعيل .

في فيلم "المجنونة" تبدو سعاد فتاة غريبة الأطوار ، فهى تارة لصة تنتقل من محل لآخر تعمل فيه وتسرقه ، وتارة أخرى شغالة في منزل خطيبة الشاب الذي أحبته ، وفي النهاية يتضح أنها فتاة مجنونة ، وتعيش في الخيال ، ويتم إدخالها مستشفى الأمراض العقلية ، وفي فيلم "الحكم آخر الجلسة" يتفضى الخوف من الجنون الوراثي لدرجة أن طبيبة في علم الوراثة تزيد أن تجهض نفسها خوفاً من انتقال المرض إلى طفليها ، ويرفع الأمر إلى القضاء وينتهي الفيلم قبل صدور الحكم ، وفي فيلم "خلال بالك من عقلك" تعرف سلوى لوايل بسبب عقدتها التي ترسبت في أعماقها منذ أن حاول محمود الاعتداء عليها ، ولذلك فهى ترعب الرجال خوفاً من تكرار المأساة وفي فيلم "أنا" تقنع أمينة زوجها شريف بهدم المنزل والمدرسة التي يمتلكها مع أخيه لطفي لبناء عمارة ضخمة ، يرفض لطفي فيدخله شريف مستشفى الأمراض العقلية التي يرفض مغادرتها في النهاية لأنه يفضلها على قسوة الحياة خارجها !!! وفي فيلم "أولاد الأصول" يسترد عويس ذاكرته المفقودة ويعود ليستعيد أرضه من ابنه المغتصب .

وشهد عام ١٩٨٧ أربعة أفلام : "الهروب من الخانكة" لمحمد راضى ، و"لعدم كافية الأدلة" لأشرف فهمى ، و"العقرى والحب" لأحمد السبعاوى ، و"الأقزام قادمون" لشريف عرفة ، فى فيلم "الهروب من الخانكة" يلقى مصطفى مصرعه وتصمم نشوة على تبليغ الشرطة عن أخيها الذي يقرر مع صبرى التخلص منها بإدخالها مستشفى الأمراض العقلية حتى تسقط شهادتها ، لكنها تحصل في النهاية على الدليل الذي يدینه ، وفي فيلم "لعدم كافية الأدلة" ينكر إبراهيم معرفته بزوجته فوزية ، ويدعى لضابط المباحث أنها مجنونة لمجرد أنها لا تملك ما يثبت شخصيتها ، بل ويأتي بزوجين يدعيان أبوتهما لطفلتها ، فتهاجر ويدخلونها مستشفى الأمراض العقلية !! وفي فيلم "العقرى والحب" قصة وسياريو وحوار فيصل ندا ، تدور نفس أحداث وموافق فيلم "جنون المراهقات" ،

قصة وسيناريو وحوار فاروق صبرى ، والذى أخرجه تيسير عبود عام ١٩٧٢
وسبق أن تعرضا له فى هذا الفصل ، وهذا يدل على أن المصدر الأجنبى واحد
وain تم تجاهله تماماً ، ففى هذا الفيلم أيضاً تم خطبة الدكتور عمر وحنان الطبيعية
النفسية المشغولة عنه بعلاج ثلاثة مريضات مشكلاتهن عدم الثقة بالرجل ، فيستغل
موهبة فى التمثيل ويتقمص شخصية فتى أحلام كل منهن حتى يتماثلن للشفاء !!؟
أما فى فيلم " الأقزام قادمون " فيتمكن رضوان من إدخال شهاب مستشفى الأمراض
العقلية بموافقة زوجته بعد أن يهددها بقتله !!؟

وشهد عام ١٩٨٨ فيلمين : "الفلوس والوحوش" لأحمد السبعاوي ، و"رجل بسبع أرواح" لمدحت السباعي ، في الفيلم الأول تصيب حياة بالجنون عندما لا تجد النقود التي أخفتها عند جارتها عديلة دون علمها ، وعندما تعثر عديلة عليها تموت من شدة السعادة !! أما أم زوج حياة فيفقد عقله !!! وفي الفيلم الثاني تتعرض لها لعملية خطف من ثلاثة شبان ، فينقذها شاب فاقد الذاكرة !! وعندما يفشل علاج الشاب ويعجز عن معرفة شخصيته الحقيقية ، يقرر العيش بالشخصية التي يريدها !! (برغم أن فاقد الذاكرة لا يمكنه أبداً اتخاذ مثل هذا القرار) !!

وشهد عام ١٩٨٩ فيلمين "بستان الدم" لأشraf فهمي و "الدنيا على جناح يمامه" لعاطف الطيب ، في الفيلم الأول تتمثل نادية للشفاء من مرضها العصبي وتسافر إلى تونس حيث يعمل زوجها كمال هناك ، وحيث تفاجأ بوجود علاقة بين كمال وأمينة بل ويتعاونان على تحطيمها ، ويحاول كمال قتلها فينقتذها الجنائيني بركة ويقتل كمال ، وتنهار نادية فتقتل أمينة ، ويدفنهما بركة في بستانه ، وتعترف نادية لرجال الشرطة بالجريمة لكنهم لا يصدقونها لأنهم يعرفون مرضها العصبي !! (ومهما كانت ثقتم ضعيفة فيما تقوله ، فإن أضعف الإيمان يحتم عليهم الذهاب إلى البستان إيه بحثاً عن جسم الجريمة) !! أما في الفيلم الثاني فإن سائق التاكسي يساعد إيمان في العثور على حبيبها المهندس المعماري الموجود في

مستشفى الأمراض العقلية ، وينجح في تهريبه معها !!! (بنفس البساطة السينمائية المعهودة) !!

وشهد عام ١٩٩١ خمسة أفلام : " قانون إيكا " لأشرف فهمي ، و " يناس يا هو " لعاطف سالم ، و " يا مهليبة ... يا " لشريف عرفة ، و " أحذروا هذه المرأة " لسيد طنطاوى ، و " نص دستة مجانين " لحسن الصيفى .

فى فيلم " قانون إيكا " يصاب الدكتور حسين الأستاذ الجامعى بلوثة حين يعرف أن جثة زوجته قد سرقها لصوص المقابر الذين يتاجرون في الجثث ويتم القبض عليه بعد أن يأتي بتصرفات جنونية ، وفي فيلم " يناس يا هو " تؤدى الحالة النفسية السيئة التى تمر بها الشخصية إلى القتل ، وفي فيلم " يا مهليبة .. يا " تعترى عتاب الرقص وتؤسس حزباً ، ويستشهد أحمد مرة فى حرب ٥٦ ، ثم ٦٧ ، ويعود مرة أخرى عام ١٩٧٣ ، وينتهى الفيلم والمخرج والمؤلف يقضيان فتره النقاوه بإحدى المصحات النفسية ، وفي فيلم " أحذروا هذه المرأة " تعانى الدكتورة نادرة من مرض ازدواج الشخصية ، وتدخل مستشفى الأمراض العقلية ، لكن الأحداث تثبت أنها ليست مريضة ، وأن ما جرى لها كان مؤامرة نينية من عصابة الأطباء التي ت يريد تحطيمها !! وفي فيلم " نص دسته مجانين " يبدو الجنون بالجملة عندما يهرب مجانين أربعة من سيارة الترحيلات ، فيضطر التو مر جى والسايق للقبض على أربعة أشخاص بدلاً منهم لتسليمهم لإدارة المستشفى !! (هكذا بهذه البساطة !!!)

وشهد عام ١٩٩٢ فيلمين " ديك البرابر " لحسين كمال ، و " القاتلة " لإيناس الدغيدى ، في الفيلم الأول يعانى المليونير الدخانى من التخلف العقلى الذى ولد به ابنه خلف ، ومع ذلك يفكر فى تزويجه من عشرية على أن يطلقها بعد أن تتجبه ولى العهد ، ولكن خلف يتصدى لأبيه ويطلق النار عليه فيربىه قتيلًا ، ويرفض أن

يطلق زوجته التي أنجبت له ابنا هو في الحقيقة ابن سفاح من زوجها السابق ، وفي الفيلم الثاني يكتشف الضابط حسام أن جارته رجاء وراء كل أحداث القتل بداعع جنسى ، فقد اغتصبها رجل وهى طفلة ، فأصبحت تسعى لقتل الرجال الذين توقع بهم ، وفي النهاية تصل إلى حبل المشنقة برغم أن الضابط - وليس الطبيب ! - هو الذى شخص حالتها بأنها مصابة بانفصام نفسي !!

أما عام ١٩٩٣ فقد شهد فيلمين يعالجان الجنون بطريقة أقرب إلى العبث أو الفانتازيا أو الكوميديا السوداء : " مجانيون " لعصام الشمام ، و " ليه يا هرم " لعمر عبد العزيز ، في الفيلم الأول يرفض دكتور آدم ما يراه من حوله ، وتبعد تصرفاته أقرب إلى المجانين ، وحلمي التويشى الذى حول الجميع إلى مجانين عن طريق حبوب الهلوسة التي يضعها في الشاي لزبائنه ، ود. مرام المديرة المتسلطة التي تود أن تكون إمبراطورة لهذا العالم ، وبهجة الاشتراكي الذى تطارده فكرة المخابرات الأمريكية ، وجلال الحراس الوفى الذى يتحول إلى خاتم السيدة ، ورجل الأمن الذى يرى ما يحدث داخل المستشفى من وجهة نظرًا أمنية ضيقة ، يحيل التمرد إلى ثورة حقيقة لا يستطيع بعدها الخضوع لمطالباتها بعد فشل محاولاته لاختراق التمرد ، ثم تحدث المواجهة الحاسمة .

وفي فيلم " ليه يا هرم " تسيطر على البطل فكرة مجنونة تجعله يؤكد لأبناء وطنه أن الأهرامات ليست تراثاً أو حضارة ، وإنما هي أكواام من الحجارة ، وذلك لكي يخبيوا سائلاً غريباً كان يتفجر من باطن الأرض ، فالأهرامات مقامة على أكبر بحيرة بتروليه في العالم ، ولذلك فان كل أمل البطل وطموحه أن يهدم الأهرامات ليستخرج البترول وبذلك تصبح مصر دولة عظمى !!

ولعل الفيلمين الآخرين يكونان بمثابة فتح آفاق جديدة تتجاوز العناصر النمطية التي جعلت من نيمات العقد النفسية والجنون وفقد الذكرة ، نغمات متكررة إلى درجة الملل ، وخاصة أن الآفاق العلمية والطبية الجديدة في مجال علاج

الأعصاب والمخ والنفس ، قد تجاوزت هذه العناصر النمطية بعقود ليست قليلة ، كما أن مظاهر الجنون والأمراض النفسية والعصبية خارج أسوار مستشفيات الأمراض العقلية تزيد أضعافاً مضاعفة على الحالات الموجودة داخلها ، ويمكن أن يستغلها المؤلفون والمخرجون في الإيحاء بالأمراض الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية والحضارية والسلوكية التي يعاني منها المجتمع المعاصر بصفة عامة ، وليس إيداع المرضى في المستشفى لمجرد الاشتباه بالبساطة التي صورتها أفلام كثيرة ، أو لعبه إصرار المريض على عدم مغادرة المستشفى بعد شفائه بحجة أن الحياة داخل أسواره أرحم بكثير منها خارج أسواره ، في حين أن الجحيم المشتعل داخل هذه المستشفيات ليس خافياً على أحد ، ويشكل مجال العقد النفسية وقد فقد الذاكرة والجنون مجالاً خصباً لآفاق جديدة من التعبير الفكري والفنى ، قد لا يتاتى لمجالات فكرية أخرى ، وخاصة أن هذه الأمراض لم تعد قاصرة على الأفراد ، بل امتدت لتشمل عصوراً ومجتمعات بأسرها يمكن أن تفقد الذاكرة الجمعية تحت وطأة ظروف معينة ، بل هناك أحداث تمر بمجتمع ما وتحفر داخله عقداً نفسية قد يصعب التخلص منها ، وهناك أيضاً حكام مجانيين يتلاعبون بمصائر بلادهم كما يلهم الأطفال بالكرة ، وغير ذلك من آفاق التعبير التي تمكن السينما المصرية من معالجة قضايا العصر الملحة على المستوى الإنساني العالمي ، وليس على المستوى المحلي فحسب ، ولعل هذا يكون بمثابة ثغرة تنفذ منها السينما المصرية إلى المجال العالمي الربح .

* * * *



لا تسألني من أنا سنة ١٩٨٤



أين عمري



علي ورق سلوفان سنة ١٩٧٥



اسكندرية ليه إخراج / يوسف شاهين سنة ١٩٧٩



أحلام هند و كامليا إخراج / محمد خان سنة ١٩٨٨



المرأة المجهولة سنة ١٩٥٩

الفصل السابع

الخيانة الزوجية

كانت الخيانة الزوجية من العناصر النمطية المثيرة التي أقبل عليها المؤلفون والمخرجون بشهية مفتوحة دائمًا بحجة أن السينما تسعى دائمًا لفضح الحرام وتعريته ، أما الحال فأمره معروف وليس فيه ما يثير أو ما يجذب الجمهور للمشاهدة ، وخاصة أن هناك عوامل متعددة ومتعددة ومتباينة مع الخيانة الزوجية بحيث تحافظ على جذتها وقدرتها على الإثارة برغم نمطيتها في أحابيب كثيرة . فهي لا تقتصر على طبقه معينة ، أو مستوى اقتصادي معين ، أو مرحلة عمرية معينة ، وقد يكون الدافع إليها نفسياً أو عضوياً أو مرضياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً ... الخ . وهذا بالإضافة إلى عوامل الشك والتوجس والقلق والخوف وتوقع أسوأ ما يمكن أن يحدث ، وما يتبعها من متابعة ورصد وتجسس وتحطيط وسوء ظن وسوء فهم وغير ذلك من التوابيل التي تعد مادة خصبة للتوابيل السينمائية ، ولذلك كانت الخيانة الزوجية من العناصر النمطية التي فرضت نفسها على السينما المصرية منذ بداية مسيرتها حتى الآن .

في فيلم "أولاد الذوات" الذي أخرجه محمد كريم عام ١٩٣٢ ، يخون حمدي بك زوجته مع فتاة فرنسية وتكتشف الزوجة ذلك . بل ويسافر الزوج مع عشيقته إلى باريس ، وهناك تظهر حقيقتها إذ يفاجأ بعلاقتها مع شاب فرنسي يطلق

عليه الرصاص ويحكم عليه بالسجن اثنتي عشر عاما يعود بعدها إلى مصر ليجدهم يحتفلون بزواج ابنه ، وتخبره زوجته أنها قد تزوجت من ابن عمها بعد أن علمت بوفاته في السجن ، فيرحل يائسا ويلقى بنفسه تحت عجلات القطار . وكان الخيانة الزوجية خطأ مأسوي يؤدي إلى القتل ثم السجن ثم الانتحار .

في فيلم "أشودة الفؤاد" الذي أخرجه ماريو فولبي عام ١٩٣٢ أيضا ، يلتقي الثري أمين باشا براقصة أوروبية ، ويصافر بها إلى بلدته حيث تقيم معه في قصره ، وكان من جيرانه إبراهيم بك وشقيقه حسني المتزوج من نادرة . ويعجب حسني بك بالراقصة التي تبادله مشاعره ، ويهرج من أجلها زوجته التي تشكوه لإبراهيم الذي يحاول إقناع الراقصة بالابتعاد عن طريق حسني الذي يشتبك معه في معركة تؤدي إلى إصابة إبراهيم بالعمى ، وفي الوقت الذي تضع فيه نادرة مولودتها يتم القبض على حسني ، فلا تتحمل نادرة الصدمة . وقبل أن تموت توصي أمين باشا بتربيه طفلتها .

وفي عام ١٩٣٦ أخرج توليو كاريني فيلم "أشودة الراديو" الذي يقدم فيه عبده الموسيقى المغمور زوجته نادرة للإذاعة لاستغلال صوتها الجميل في حين يلاحق أحمد - تميذ عبده - نادرة بحبه ويصافر عبده لزيارة عمه المريض ، فيصل خطاب عن خيانة زوجته . يوهم الجميع أنه انتحر ويتذكر في هيئة شخص آخر وعندما يتقدم أحمد للزواج منها ترفض ، فيتأكد عبده من إخلاص زوجته ويقرر العودة إليها .

وفي عام ١٩٣٧ أخرج عبد الفتاح حسن فيلم "الحل الأخير" الذي يشغل فيه الرواية الكبير بفنه عن بيته وزوجته . لكن ابن خال الزوجة يصل من أوروبا فيملا فراغ حياتها وتقع في غرامه لدرجة أنها تتصدى لزوجها وترفض تغيير موقفها بحيث لم يكن هناك سوى الطلاق وعندما يطلب أهلها من ابن خالها أن

يتزوجها يرفض برغم أنه السبب في خراب بيتها فلا تجد الزوجة مناصا من ان تعود إلى زوجها نادمة على ما اقترفته في حقه !!

وفي عام ١٩٣٨ أخرج يوسف وهبي "ساعة التنفيذ" الذي تنتصر فيه الخيانة الزوجية على الزواج الشرعي ولا تنتهي بنتها الفيلم أى أنه فيلم غير نمطي لتأكيده على أن النفس البشرية لا تنتصر دائماً للخير والشرعية والحلال . ففي الفيلم يعود رؤوف من أوروبا ويفاجأ بأن خطيبته سامية قد تزوجت من الثرى فؤاد بك لكنها لا تزال تحبه فييادلها الحب وتنمو الصداقة بين رؤوف وفؤاد الذي يثق فيه فقد أجب منها طفلين وظل جاهلاً بخيانة زوجته له مع رؤوف حتى كشفت الخادمة السر له . عندئذ يستيقظ ضمير رؤوف ويقرر قطع علاقته بسامية لكنها تصر على الاتصال به وإذا به يضعف مرة أخرى ويعاودان علاقتهما .

ومع عقد الأربعينات تدفق سيل من أفلام الخيانة الزوجية . ففي عام ١٩٤١ أخرج توجو مزراحي فيلم "ليلي بنت مدارس" الذي تنتزوج فيه صديقة ليلى من ابن عمها برغم حب ليلى له بل إنها تخونه فتكتشف ليلى ذلك لكنها تطرد من المنزل بمكيدة من الزوجة الخائنة . ثم يفاجئها زوجها في منزل عشيقها فتلتقي بنفسها من النافذة وقبل أن تلفظ أنفاسها تعرف له ببراءة ليلى التي تعود إلى المنزل وتنتزوج ابن عمها الذي شعر أخيراً بحبها له .

وفي عام ١٩٤٢ أخرج حسين فوزي فيلم "ليلة الفرح" الذي تصل فيه سلمى إلى عزبة أبيها فؤاد الذي يطلق أمها ويتزوج من فتاة صغيرة السن ويصل في نفس القطار المؤلف المسرحي والمحامي حازم لزيارة صديقه رياض الممثل بالفرقة ويتبين لحازم أن رياض هو عشيق لأمينة زوجة فؤاد بك والتي تتفق مع جميل بك الثرى العجوز على أن تزوجه سلمى مقابل مبلغ من المال وتهرب سلمى لليلة الفرح لتعمل ممثلة وتتجو . وواضح من القصة - التي كتبها عزيزة أمير وقامت ببطولتها - أن الخيانة الزوجية كانت من التوابع التي أضافتها إلى المواقف

لمجرد الإثارة أو الجذب الجماهيري ، بل ويمكن حذفها دون أن تتأثر القصة في مجلها .

وفي عام ١٩٤٣ أخرج توجو مزراحي فيلم "الطريق المستقيم" الذي يقانى فيه الأب في حب زوجته ورعاية أسرته إلى أن تتعرض طريقة امرأة أوقفته في حبائلها فينشغل بها عن زوجته وأولاده وعمله إلى أن يسقط ويتحطم وعندما تتضح له خيانة تلك المرأة وخداعها يقتلها ويهرب .

وفي عام ١٩٤٤ أخرج إبراهيم لاما فيلم "يسقط الحب" الذي يعيش فيه الموسيقار عزت مع زوجته روحية في سعادة حتى يلتقي بفيفي الغانية وينمو الحب بينهما برغم علاقتها بفوزي بك عشيقها الثرى الذي يفاجأ عزت وهو مع فيفي فتقوم مشاجرة بينهما تطلق فيها فيفي الرصاص على فوزي فيلقى مصرعه ويقبض على عزت بتهمة القتل وتتف روحية إلى جانب زوجها حتى تظهر الحقيقة ويعود إلى منزله بعد أن تصفح عنه .

وشهد عام ١٩٤٥ خمسة أفلام منها ثلاثة لجمال مذكور وحده : "الحب الأول" ، و"قتلت ولدى" ، و"казينو اللطافة" ، ثم "قبلة في لبنان" لأحمد بدرخان ، و"رجاء" لعمر جمبي .

في فيلم "الحب الأول" تحب الراقصة إلهام الشاب نبيل الذي يتزوجها رغمها عن أمه . ويتشدد في معاملته الجافة لها فتخونه ويضيّطها مع عشيقها في غيابه فيطردها من البيت وتتتحر . وفي فيلم "قتلت ولدى" تقع للدكتور سامي حادثة يصاب على أثرها بالشلل وترفض زوجته سهام الطلاق رأفة به ، فيطلب من أخيه فؤاد أن يعتني بها لكن بمرور الأيام ينزلقان إلى الخيانة الزوجية وتحمل سهام وعندما يعلم سامي بهذا العار ينتحر .

وفي فيلم "казينو اللطافة" يصل لعلم عزيزة أن زوجها الباشا يخونها فتدبر مع صديقتها شريفة طريقة للتحقق من هذه الخيانة وذلك بأن تكتب صديقتها خطابا

للزوج لقائها بكارينو اللطافة . لكن الأمر لا يتعدي حدود سوء التفاهم ويعود الوئام إلى المنزلين .

فى فيلم " قبلة فى لبنان " تسافر فتحية إلى لبنان لتقضى فترة النقاوه من مرض ألم بها وتتعرف بشاب مصرى هناك فى حين يقع زوجها سامي فى حب فتاة لعوب وعندما تعلم الزوجة بخيانة زوجها لها تثور عليه وتعود للشاب الذى عرفته فى لبنان ويكتشف البasha والد سامي خيانة الزوجة فيعترف للشاب بحقيقة فتحية التى تخفي عنها زواجها . يهددها البasha بإظهار صورة لها مع الشاب لابنه وخوفا من انهيار منزلها تعود فتحية لسامى ويمزق أبوه الصورة .

وفى فيلم " رجاء " يتزوج عادل ابن البasha الممرضة رجاء فيوقع الأب بينهما إلى أن يطلق عادل زوجته ثم يسافر عادل إلى أوربا وعندما يعود يخطب أبوه له الفتاة المتحررة شوشو لكنها تخونه مع محسن وتحمل منه ويدهب أبوها إلى محسن ليستعطفه كى يتزوجها لكنه يرفض فيطلق الأب الرصاص علىه ثم ينتحر ويعود عادل إلى رجاء ليتزوجها مرة أخرى .

وشهد عام ١٩٤٦ أربعة أفلام : " عودة القافلة " لأحمد بدرخان ، و " غرام الشيوخ " ، و " الملك الأبيض " لإبراهيم عمارة ، و " أحمر شفاف " لولى الدين سامح .

فى الفيلم الأول يبدأ شاب فى إغراء زوجة كان يود الزواج منها فتهمل منزلها وتتركه فيطلقها زوجها وتذهب للشاب فيعرض عنها ويرى أن تعيش معه بدون زواج فترفض ثم يغفو عنها زوجها فى النهاية . وفي الفيلم الثانى تقف البطلة حائرة بين زوجها وربيب نعمتها وبين حبيبها فتصاب بحالة نفسية تدفعها إلى الانتحار لكنها تفشل ويصاب الكاتب بفقدان بصره ويدرك استحالة الحياة مع الفتاة فيطلقها حتى لا يدفعها إلى الخيانة الزوجية . وفي الفيلم الثالث يتزوج كاتب

المحامي من سيدة ثرية وبعد فترة يكتشف خيانتها فقتلها هي وعشيقها ويحكم عليه بالسجن .

أما في الفيلم الرابع " أحمر شفافيف " الذي ترجع شهرته لبطله نجيب الريحانى ففيه يرافق موظف طيب بحالة عاملة لعوب طردت من المصنع الذى يعمل به فأخذها إلى منزله لتعمل خادمة لكنها سرعان ما تشرع فى مغازلاته بخلاعة مما يثير شك الزوجة وتهمه بالخيانة ويقع الفراق بينهما لكنها فى النهاية تدرك خطأها وتعود إلى زوجها بعد أن كاد يتزوج من الخادمة .

وفي عام ١٩٤٧ أخرج محمود ذو الفقار فيلم " هدية " الذى تكتشف فيه الزوجة أن شقيقة زوجها تخون زوجها مع صديقه فتحاول التستر عليها ويعتقد الزوج بطريق الخطأ أن زوجته تخونه فيطلقها لكن الحقيقة تكتشف وتعود المياه إلى مجريها .

وشهد عام ١٩٤٨ فيلمين " العقاب " لهنرى بركات ، و " ورد شاه " لعبد الفتاح حسن . فى الفيلم الأول لم تصن الزوجة شرف زوجها واستغلت طبيبه لتشبع نزوات عشيقها وعندما يهم الزوج للانتقام لشرفه تنتهى المعركة بقتله تاركا ابنه الطفل وتلتصق تهمة القتل بالخادمة . ثم يتحايل العشيق على الزوجة الخائنة ويسلبها كل ما لها فى هذه الدنيا . أما فى الفيلم الثاني فيضطر الضابط إلى ترك عروسه للذهب إلى فلسطين للحرب . ويعهد إلى ابن عمها لحماية عروسه لكنه يحاول إغراء الزوجة التى تأبى فينتقم منها بسجنتها ثم يأمر بقتلها غير أن خادمتها يمهد لها سبيل الخروج وعندما يعود الزوج يبلغه ابن العم أن زوجته خائنة مع أحد الخدم وأعدمت . وفي يوم يخرج للصيد ويعثر على زوجته وطفلتها ويعود الصفاء لحياتها . (وكلها مبالغات ميلودرامية لا تمتلك أية مصداقية ، والشخصية الشريرة شخصية كاريكاتيرية تكاد تحدث أثرا عكس المطلوب !!) .

وشهد عام ١٩٥٠ فيلمين : " قسمة ونصيب " لـ محمود ذو الفقار ، و " بابا عريس " لـ حسين فوزي . في الفيلم الأول يهجر الزوج زوجته المخلصة ويتزوج من فتاة لعوب وثانية لكن حالته المالية تتدحرج كما يكتشف خيانة زوجته فيقتلها ويدخل السجن لكنه يعود إلى زوجته الأولى بعد انتهاء مدة عقوبته . وفي الفيلم الثاني يدفع الأب ثمن زواجه من غانية عندما يكتشف أنها تخونه مع آخر وتطمع في ثروته وهو نفس المضمون الذي عالجه أحمد كامل مرسى في فيلمه " البيت الكبير " الذي عرض في العام السابق (١٩٤٩) وفيه تتصبب إحدى الغانيات شباكها حول جراح كبير حتى يهجر زوجته وولديه ومرضاه ثم يتم الطلاق ويتزوج من الغانية ويعيش حياة عابثة حتى ينهاه تماما ، وتهجره الغانية فهي لا تستطيع أن تضحي بشبابها مع شيخ محطم ويعود إلى البيت الكبير بعد أن يطلقها نادما مستغفرا .

وشهد عام ١٩٥١ فيلمين " ضحيت غرامي " لإبراهيم عمار ، و " داعا يا غرامي " لـ عمر جماعي . يعتمد الفيلم الأول على نفس التوليفة النمطية التي تضم الزوجة الوفية والزوج الذي يخونها مع راقصة (كما لو كانت الخيانة الزوجية عند الراقصات هي الغاية في حين أن الرقص هو الوسيلة المؤدية لهذه الغاية) !! وعندما يندم الزوج ويقرر أن يخلص لزوجته تنس له الراقصة السم بحيث يفارق الحياة بمجرد أن يصل إلى بيته !! وتهشم الزوجة بقتله لكن الحقيقة تظهر في النهاية . أما الفيلم الثاني فيعتبر نسمة هواء وسط هذا الجو الخانق من الخيانات الزوجية نتيجة للهالة الرومانسية التي تجعل الحب قمة قاهرة وليس مجرد تخطيط دني لممارسة النزوات ، إذ يربط الحب بين فتى وفتاة ويتعاهدان على الزواج ويستدعي الفتى للخدمة العسكرية فيقطع علاقته بفتاته مضحيا بنفسه في سبيل مستقبلها ، وتتزوج الفتاة من ضابط يكبرها بسنوات وتشاء الصدفة أن يعمل الفتى كجندي مراسلة لزوج فتاته . وتبدا الفتاة في مقابلة حببها خلسة وعندما يعلم الزوج

يطلق الرصاص عليه لكن الفتاة تغىّبه وتصيبها الرصاص وتموت بين ذراعي زوجها .

وشهد عام ١٩٥٢ فيلمين : " ظلمت روحى " لإبراهيم عمارة ، و " غضب الوالدين " لحسن الإمام . في الفيلم الأول يتزوج ثرى من شابة تصغره بسنوات ثم يتضح أنها على علاقة بشاب أغراها بقبول الزواج لابتزاز أموال الثرى وبهددها دائمًا بإفشاء سر هذه العلاقة لزوجها . ويحدث أن تتسلل الزوجة الشابة إلى شقة عشيقها فتواجهه ومعه فتاة أخرى فتقتله وتعترف لزوجها بخيانتها . وفي الفيلم الثاني يكتشف الشاب خيانة زوجته فيقتلها ويحكم عليه بالسجن . ذلك أن القتل بطريقة أو بأخرى كان ملزماً للخيانة الزوجية في معظم حالاتها على الشاشة .

وشهد عام ١٩٥٣ ثلاثة أفلام : " الشك القاتل " لعز الدين ذو الفقار ، و " لحن حبى " لأحمد بدرخان ، و " المستهترة " لعبد الله بركات . في الفيلم الأول تتبادر الزوج عقدة نفسية مستحكمة تجعله يشك في وجود علاقة غير شرعية بين زوجته الشابة وصديقه المخلص فيثير مكيدة محكمة لتنفيذ جريمته لكن الله ينقذها منها بعد وقوعها إذ تشهد أمه على براءتها وتعترف بأن ابنتها قتلت نفسها . وفي الفيلم الثاني تضطر الفتاة إلى العمل عند عشيق أمها ، بل إنها تضحي بسمعتها لإنقاذ أمها ثم يكتشف الأب خيانة زوجته التي تلقى مصرعها ، وفي الفيلم الثالث تخون زوجة مستهترة زوجها الطبيب وتهمل طفلتها وتشغل عنها بعشيقها الذي تطالب به بالزواج بعد أن يطلقها زوجها فيسخر منها ويهرجها بل ويتزوج من صديقة لها .

وشهد عام ١٩٥٤ فيلم " كت أهدم بيتي " لأحمد كامل مرسى والذى أحال فيه الشك حياة الزوج إلى جحيم خاصة عندما تقع تحت يده مجموعة من الخطابات الغرامية التي تؤكد شكوكه فيتهم زوجته بالخيانة ويطلقها ، ثم يكتشف أن هذه الخطابات ليست لزوجته بل للمربيه التي طردتها فيهرع إلى زوجته نادماً وتعود السعادة إلى الأسرة !! (ألم يكن من الممكن أن يعرف أنها خطابات المربيه قبل أن

يطلق زوجته (١٩) ولذلك كان فيلم "الشك القاتل" لعز الدين ذو الفقار أكثر مصداقية وإقناعاً من هذا الفيلم كذلك كان فيلم "ما ليش حد" ١٩٥٣ أيضاً لإبراهيم عماره فيما غير نمطى برغم معالجته لعنصر الشك النمطى ، وتناوله بالتحليل فى فصل الأفلام غير النمطية .

وشهد عام ١٩٥٥ فيلمين : "ابن راحلة" لعز الدين ذو الفقار ، و"لحن الوفاء" لإبراهيم عماره . فى الفيلم الأول تصل الرومانسية قمتها عندما توحى الأحداث بأن الحب المخلص بين عاشقين أرقى وأسمى من الحياة الزوجية المزيفة أى أن الحب يكتسب شرعية خاصة به خارج الزواج . ومن السهل رصد أصياء رواية "انا كارنينا" للروائى الروسي تولستوى فى هذه الرواية بالإضافة طبعاً إلى العناصر النمطية المصرية التى تجبر عايدة على الزواج من غير حبيبها تغىضاً لإرادة أبيها فى حين يتزوج حبيبها الضابط من فتاة أخرى وتضبط عايدة زوجها مع عشيقته فى منزلها فى حين تتوفى زوجة حبيبها فيتعااهدان على أن يعيش كل منهما لصاحبه . لكن حبيبها يموت بالمصران الأعور فتشتعل النار فى نفسها وتترقد بجانب جنة حبيبها لكي تأكلهما النار معاً .

أما فى فيلم "لحن الوفاء" فيعانى الموسيقار المشهور من عقدة ترسب فى داخله عندما خانته المرأة التى أحبها وأصبح لا يثق فى النساء إلا أنه يشعر بالحب نحو الفنانة الشابة سهير ويحاول الفوز بها لكنه يدرك خطأه فى النهاية ويبارك زواجها من حبيبها جلال .

وفي عام ١٩٥٦ أخرج كمال عطية فيلم "قتلت زوجتى" الذى تمر فيه السنوات دون أن يرزق الزوجان بمولود وأخيراً تحمل الزوجة وتطلق الشائعات حولها وهى تبرر ذلك بعودة خطيبها السابق بعد غيبة طويلة ويقوم زوجها بقتلها دون أن يتزوى أو يتتأكد ، وتصل المأساة قمتها عندما يثبت للمحكمة أن الزوجة طاهرة .

وفي عام ١٩٥٧ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " لا أنام " الذي تعلم فيه نادية على الإيقاع بين زوجة أبيها صفية وبين أبيها وتتجزء في إقناعه أن هناك علاقة بين صفية وعمها عزيز فيطلقها . ثم تعلم على زواج أبيها من صديقتها ثم تكتشف - بعد أن أصبحت زوجة أبيها الجديدة - أن لها عشيقاً تغدق عليه من مال أبيها وتتحول الخيانات الزوجية في الفيلم إلى ما يشبه لعبة الكراسي الموسيقية .

وشهد عام ١٩٥٨ ثلاثة أفلام : " الزوجة العذراء " للسيد بدير ، و " مجرم في أجازة " لصلاح أبو سيف ، و " شارع الحب " لعز الدين ذو الفقار . في الفيلم الأول يضحى مجدى بحبه لفتاته ويبقى على صداقته معه فقط إذ أنه تعرض لحادث أصابه بعجز جنسي ويصارح صديقه الدكتور فؤاد أنها بذلك إلا أن جشعها يجعلها تمضي في الزواج ، ويفشل في حياته فشلاً ذريعاً وتقاسي الزوجة ويساوره الشك بوجود علاقة بين زوجته وفؤاد فيقرر تغيير وصيته لكنه يمرض فجأة ويموت على أثر جرعات زائدة من الدواء . وتعترف الأم لابنتها بقتلها بعد أن قرر تغيير وصيته . وفي الفيلم الثاني يستضيف المحامي مجرماً حصل له على البراءة برغم أنه هو الذي سرق منزله وذلك على سبيل إصلاح حاله . (وهو ما لا يحدث في أي بيت مصرى أو عربى على الإطلاق !!) بل إن زوجة المحامي التي تخونه وتنتقل بين موائد القمار تعجب بال مجرم لكنه يصدها !!! . وفي الفيلم الثالث تتجزء ميرفت في إقصاء المايسترو عن الحفل الموسيقى كى يفشل لكن ينقذ الموقف موسيقى مشهور قتل زوجته وعاش مع فرقة حسب الله تحت اسم مستعار ، وتكتشف ميرفت أمره فترشد الشرطة عنه إلا أن العقوبة كانت قد سقطت بمضي المدة .

أما عام ١٩٥٩ فقد شهد رقماً قياسياً في أفلام الخيانة الزوجية ، تسعه أفلام دفعه واحدة : " آخر من يعلم " لكمال عطية ، و " لرحم حبي " لهنرى بركات ، و " بفكرة في اللي ناسيني " لحسام الدين مصطفى ، و " السابحة في النار " لمحمد كامل حسن ،

و "عاشت للحب" للسيد بدير ، و "فضيحة في الزمالك" لنيازى مصطفى ، و "قلب من ذهب" لمحمد كريم ، و "قلب يحترق" و "من أجل امرأة" لكمال الشيخ .

في "آخر من يعلم" يشغل الدكتور عماد عن زوجته بعمله فتوطد علاقتها بصديقه عمر وتخونه معه ويموت العاشقان لكن بعد أن تترك الزوجة طفلة ثمرة علاقتها بعمر ويعاملها عماد بوحشية لكنه يتراجع عن هذا السلوك بعد أن يدرك أنه يظلم طفلة بريئة .

وفي "ارحم حبى" تضطر نوال للاستعانة بأختها نادية لتنستر عليها وتضحي بنفسها مدعية أنها هي التي على علاقة برشدى . وتسافر نوال للتلقى برشدى إلا أنها تلقى مصرعها فى حادث . ويكتشف رافت علاقة نوال برشدى وخيانتها له فيندم عن تخليه عن نادية التي ظلت تحبه ويتزوجان .

وفي "بفك فى اللي ناسينى" لا تقطع الزوجة بزوجها بل تتجه إلى مشاغلة صديق زوجها الذى ينساق ويستجيب لها ، ثم يكتشف أنها تخونه مع رجل آخر فتحرقه الغيرة ويظل يتحرى عن أمرها حتى يضبطها لكنها عاشت للحب "يعيش الطفل حسنى مع زوجة أبيه ويكتشف خيانتها مع ابن عمها فينسا وهو يعتقد أن جميع النساء خائنات مما يجعله يعاني فى علاقاته النسائية إلى أن يدرك خطأ اعتقاده .

وفي "فضيحة في الزمالك" يتزدد على منزل الشاب الفقير أحد أصدقائه الذى استهونه زوجة صديقه فيفرقها بالهدايا حتى تستسلم له . وفي إحدى زياراتها له يموت بين يديها وتهرب من المنزل وعندما يتأكد الزوج من خيانة زوجته تلقى نفسها من أعلى عمارة بالزمالك .

وفي "قلب من ذهب" يتضح أن الزوجة التي صدمتها سيارة وقضت عليها كانت قد أمضت ليلتها فى منزل صديق زوجها ، وفي طريقها لمنزلها فى الليلة

التالية تصدّمها سيارة ويفرّ قائدّها . ولهذا فإنّ نادية بريئة أبا الشخص الآخر الذي صدّمته فلم يمت . وتوافق على الزواج من عادل زوج الفتيلة الخائنة .

وفي "قلب يحترق" يطالب لطفي عشيقته زوزو بمبلغ كبير فتحرض زوجها فريد على أن يسرق مبلغ عشرة آلاف جنيه من الشركة التي يعمل بها وتأخذ ما تريده وتحفيه لدى صديقتها عايدة دون أن تصارحها وعندما يكتشف فريد أنه ضحية زوجته الخائنة يقتلها .

وفي "من أجل امرأة" يذهب مندوب التأمين ليعمل بوليصة لثري متزوج من شابة جميلة تغريه حتى يقع في شباكها وتتوطد علاقتها . تعرّض عليه التخلص من زوجها ثم الاستيلاء على قيمة البوليصة ، إلا أن الشركة تساورها الشكوك حول وفاة الزوج وتنقّم الأمور لدرجة أن تقتل عشيقها الذي يعترف بالحقيقة قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة .

وبحلول عقد السبعينيات استمر تدفق نيار أفلام الخيانة الزوجية فشهد عام ١٩٦٠ أربعة أفلام : "نهر الحب" لعز الدين ذو الفقار ، و"الرباط المقدس" لمحمود ذو الفقار ، و"لوعة الحب" لصلاح أبو سيف ، و"لقاء في الغروب" لسعد عرفة .

في فيلم "نهر الحب" المأخوذ عن رواية "أنا كارنينا" لتولستوي تسافر نوال مع حبيبها إلى لبنان وتلتقط لها صور تدينها بالخيانة الزوجية فيطلقها زوجها طاهر باشا ويحرّمها من طفليها ويموت حبيبها خالد في الحرب فتحاول العودة إلى بيتها لكن طاهر يوصده في وجهها فتتخر .

في فيلم "الرباط المقدس" المأخوذ عن رواية توفيق الحكيم ، يهمل الدكتور رأفت زوجته الشابة سميحة في حين يتّبع باهتمام مؤلفات الكاتب الروائي راهب الفكر (في حين أنه من المضحّك أن يشغل زوج بقراءة أعمال أديب معين عن الاهتمام بزوجته إلا إذا كان يقضي الليل والنهار في

مثل هذه القراءة الكاريكاتيرية) !!! المهم أن سميحة تقابل راهب الفكر لتعرف السر في استحواذه على كيان زوجها ، وتشرع في إغرائه إلا أنه لا يتجاوب معها . ويشك الدكتور رافت في إخلاص زوجته له فيقرر أن يطلقها لكنه يستشير راهب الفكر قبل الإقدام على هذه الخطوة فينصحه بالتأكد من براعتها أولا .

في فيلم " لوعة الحب " تتزوج أمال من سائق القطار محمود وتعانى من معاملته الجافة فتقع في غرام مساعدته وينتهز العاشقان فرصة غياب الزوج ويتورطان في علاقتها ويسقط ضمير مساعدته لتماديها في خيانة صديقه فيطلب نقله إلى الصعيد . وتعود الحياة الطبيعية إلى الزوجين خاصة بعد أن يتتأكد محمود أن زوجته حامل .

في فيلم " لقاء في الغروب " تلتقي الزوجة في الصيف بشريف الذي كانت على علاقة به فيلاحقها لكنها تصده إلا أنه لا يكف فتسسلم له إلى أن يكتشف ابنها علاقتها به . لكن شريف ينقذها من الغرق مما يجعله صديقاً للعائلة لكن الزوج يغرق في البحر فيظن الآباء أن شريف هو السبب في هربه لكن شريف يعيده لأمه بل ويتزوجها عندما تتأكد براعتها في نظر الطفل .

وفي عام ١٩٦١ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " ست البنات " الذي تلقن فيه الزوجة زوجها الخائن درساً لا ينساه فهو يستاجر عوامة ويجعل منها وكرا لمذاته فتسعين بوكيل مكتب زوجها المحامي ليمدها بالمعلومات الخاصة بزوجها الذي يكتشف أن علاقاته تسبب له مشاكل لا حدود لها فيستقيم ويخلص لها .

وشهد عام ١٩٦٢ فيلمين مأخوذين عن عملين أدبيين : الأول : " سلوى في مهب الريح " قصة محمود تيمور وإخراج السيد بدير ، والثاني : " غصن الزيتون " قصة محمد عبد الحليم وإخراج السيد بدير أيضا . في الفيلم الأول لا تجد سلوى مأوى سوى منزل والد صديقتها سنية التي يتقارب زوجها من سلوى التي تتجاوب

معه وعندما تكتشف سنية هذه العلاقة تطرد زوجها لكنه يعود إليها . وتبداً سلوى في نصب شباكها على رجل آخر هو رجائي لكنه عندما يكتشف خيانتها يهجرها . وفي الفيلم الثاني يشك المدرس عبده في زوجته عطيات لدرجة أنه يظن أنها حملت من زميله جمال لكن نار الشك تطفئ عندما يؤكد له جمال أنه عاجز جنسياً ولذلك فهو لا يتزوج .

وشهد عام ١٩٦٥ أربعة أفلام : " الخائنة " لكمال الشيخ ، و"سكون العاصفة" لأحمد ضياء الدين ، و"صبيان وبنات" لحسين حلمى المهندس ، و"المستحيل" لحسين كمال .

في فيلم " الخائنة " تعانى إلهام من انشغال زوجها المحامى أحمد بمكتبه وقضائياً . ويتمكن أحد أصدقائها بأن يوهمها بأن زوجها يخونها مع موكلته عايدة بحيث يدفعها إلى خيانة زوجها الذى يشك فيها ويسرع فى مراقبتها لكنه لا يتوصل لشخصية عشيقها . وتضيق إلهام بحياتها فتتحرّر وقبل أن تلفظ أنفاسها تعرف لزوجها بحبها له .

وفي فيلم " سكون العاصفة " يعاني عزت من ابنه شكري الشاب المستهتر الذى يحاول إفساد ابن عمته وحيد بالانسياق فى تياره لكن وحيد يحاول إصلاحه ويعجب شكري بزوجة والد وحيد وترتبط معه . ويكتشف وحيد خيانة زوجة أبيه فيقرر إبلاغه ليطلقها لكنه يموت ويعود شكري إلى رشده .

وفي فيلم " صبيان وبنات " يعجب الصحفى مجدى بزينب لكنها تشغل عنه بحبها لسعيد الذى يخدعها لأنه على علاقة بعواطف زوجة أبيها حامد . ويستدرج سعيد زينب إلى شقته ويحاول الاعتداء عليها لكنه يتصادف وصول أبيها فيتعاركان ويقتلته حامد .

وفي فيلم " المستحيل " يلتقي المهندس حلمى بنانى زوجة صديقه وجاره عزيز الذى تعيش حياة تعسة فيهرب إليها بهمومه من خلال علاقة روحية . ثم

يتعرف بجارته المطلقة فاطمة وهي محامية متقدمة ويتورط معها في علاقة لكنه في النهاية لا يجد مغراً من العودة إلى زوجته وابنه.

وشهد عام ١٩٦٦ فيلمين : "القاهرة ٣٠" لصلاح أبو سيف ، و"زوجة من باريس" لعاطف سالم . في الفيلم الأول يلتحق محبوب عبد الدايم بمكتب وكيل الوزارة قاسم وتدفعه انتهازيته للسماح لزوجته إحسان لأن تصبح عشيقة لقاسم خاصة عندما يصل إلى منصب وزير مقابل أن يصبح مدير المكتب لكن زوجة الوزير تفضح الجميع في النهاية . وفي الفيلم الثاني يعمل الدكتور ناجي في واحدة باريس ، أما صديقه المهندس وجيه فثار على المرأة بعد أن يصدم بخيانة زوجته لكن يتزوج من المشرفة الاجتماعية الجديدة التي تستطيع بشخصيتها أن تزيل الأثر السيئ الذي تركته خيانة زوجته له .

وفي عام ١٩٦٧ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم "كرامة زوجتى" الذي يقرر فيه محمود الزواج من نادية التي تشرط عليه أنه إذا خانها - نظراً للتاريخ العاشر قبل الزواج - فإنها ستخونه هي الأخرى !! ومع ذلك تكتشف أنه يخونها مع أخرى فتتصرف أمامه كأنها تتفذ الشرط المتفق عليه ويثير علية ويطلقها لكنه يكتشف الحقيقة ويعودان لاستئناف حياتهما بعد أن لفته هذا الدرس .

وفي عام ١٩٦٩ أخرج جلال الشرقاوى فيلم "الناس اللي جوه" الذي يخون فيه العربي زوجته ، وسائق الأتوبيس الذي يعيش مع أخيه اللعوب التي تغري الأزواج بالخيانة الزوجية ، وتاجر الانتيكات العجوز الذي يتشدد في معاملة زوجته الشابة والتي يحاول سائق الأتوبيس الاعتداء عليها . ولعل الشرخ الذي يهدد المنزل الذي يسكنه هؤلاء هو بمثابة المعادل الموضوعي للخيانات والسلوكيات العفنة التي تسيطر عليهم ، وهو شرخ يهدد البيت الكبير بالسقوط لو لا اتفاقهم في النهاية على إصلاحه من مالهم الخاص .

وبداً عقد السبعينات بفيلمين عام ١٩٧٠ : "غروب وشروع" لكمال الشيخ ، و "أشياء لا تشتري" لأحمد ضياء الدين . في الفيلم الأول تدب الخلافات بين مدحية وزوجها الطيار سمير ذو الشخصية الضعيفة مما يدفعها إلى خوض تجربة غرامية مع صديقه عصام وعندما يكتشف سمير خيانتها فإنه يطلقها . ويدبر الباشا لقتله ويرغم عصام على الزواج من مدحية تجنبًا للفضيحة . وفي الفيلم الثاني يتزوج العemma من شابة وتعيش في القاهرة مع ابنه سمير الطالبة بالجامعة . وتخونه الزوجة مع آخر وتبتز نقوده لإنفاقها على عشيقها الذي يستغلها وتكشف سميرة خيانة الزوجة وتبوح لابن خالها بذلك . يطمع العشيق في ثروة العemma فيتقىدم للزواج من ابنته فيوافق إلا أن سميرة ترفض وتكشف لأبيها عن حقيقة العاشق وخيانة زوجته له فيطلقها .

في عام ١٩٧١ أخرج سعيد مرزوق فيلم "زوجتى والكلب" الذي يعمل فيه مرسى بفنار الإسكندرية وهو شخص معروف بعلاقاته النسائية المتكررة ومنهن زوجات زملائه وأصدقائه . ويتزوج من سعاد التي تقيم في المدينة . وعندما يستعد زميله نور للتوجه إلى المدينة في أجازة يرسل معه مرسى خطاباً لزوجته لكن هواجس الشك سرعان ما تنتابه خشية أن يكرر نور مع زوجته ما فعله هو كثيراً وبرغم براءة نور وزوجته فإنه لا يستطيع التخلص من شكوكه وأوهامه .

وفي عام ١٩٧٣ أخرج على بدرخان فيلم "الحب الذي كان" الذي تعرف فيه مها لكمال زوجها بخيانتها له مع حبيبها السابق سامي فيثور عليها أهلها . وعندما تتفق مع سامي على الزواج ترفض أمه !!! ويعارض الجميع علاقتها فيعيش سامي في حالة نفسية سيئة تؤثر على عمله !!!

وشهد عام ١٩٧٤ سبعة أفلام دفعه واحدة : "الزواج السعيد" و" وكان الحب " لحلمى رفلة ، و" امرأة عاشقة " لأشرف فهمى ، و" رحلة العمر " لسعد عرفة ، و" الساعة تدق العاشرة " لهنرى بركات ، و" غابة من السيفان " لحسام الدين مصطفى ، و" لعنة امرأة " لنيلازى مصطفى .

فى فيلم " الزواج السعيد " يضيق الدكتور شريف من حياته المملة مع زوجته الأديبة نانى وتوطد علاقته بصديقتها ليلى ويسافران معا إلى بيروت وتكتشف نانى خيانة زوجها فتلحق بهما ويدعى شريف لمجدى أنها أخت زوجته ليلى فيقرر مجدى الزواج منها وتفاقم الأمور إلى أن يعرف الجميع الحقيقة ويأخذ شريف درسا لا ينساه !

أما فى فيلم " وكان الحب " فيكتشف عصام خيانة زوجته ليلى مع صديقه مجدى وعندما يواجهها تلخص التهمة بأختها سحر التى تقد الموقف بتصديقها على ادعاء أختها . فقد كانت سحر تحب عصام منذ البداية وعندما يضغط عصام على مجدى ليتزوجها تثور ليلى وتصمم على الطلاق من زوجها لتتزوج هى من مجدى . وفي النهاية تعرف ليلى له بالحقيقة وتلقى ليلى مصرعها بسيارتها ويتزوج عصام من سحر . (لاحظ التشابه فى المواقف والشخصيات ، بل وأسمائها فى فيلمين أخرجهما نفس المخرج : حلمى رفلة فى نفس العام : ١٩٧٤) !!!

وفى فيلم " امرأة عاشقة " تعجب ليلى بأحمد ابن زوجها إسماعيل ولكنه يصدرا وتمرر الوقت يتراوأ بـ أحمد مع ليلى ثم يخشى التمادى فى العلاقة فيخطب ميرفت لكنه لا ينسجم معها ويفسخ خطبته ويسافر إلى الإسكندرية وتتحقق به ليلى بناء على طلب زوجها لإقناعه بالعوده إلى ميرفت !! ويتورط العشيقان فى علاقتهما وتنهار ليلى وتتخر !!

وفى فيلم " رحلة العمر " تسافر الفتاة المتحررة سلوى إلى المصيف حيث تلتقي بمحمود الذى يعيش مع زوجته حياة رتيبة وتعجب به سلوى برغم أنه يكبرها سنا وتتجه فى ايقاعه فى غرامها ويستسلم لها . وتنتهى الإجازة ويعود محمود إلى القاهرة لكنه يفشل فى نسيان سلوى التى تصدأه لأنه كان مجرد نزوة عابرة لها . ويزداد انهياره عندما تترك الزوجة المنزل بعد أن تكتشف خيانته .

فى فيلم "الساعة تدق العاشرة" يعمل الطالب الجامعى محمد سائقا للثري عبد المجيد ويكتشف خيانة نورا زوجة عبد المجيد الشابة مع مراد وتطلب منه أن يتكم الأمر بل وتنجح فى ايقاعه فى شباكها لكن سرعان ما يهجرها فتلحقه وعندما يكتشف عبد المجيد خيانتها يدفعها من أعلى السلم لتلقى مصرعها .

وفى فيلم "غابة من السيقان" تعانى سمية من اشغال زوجها مصطفى عنها فتعجب بالمحامى الكبير حمدى وتوقعه فى غرامها ويستسلم لها إلا أنه يندم لكنها تلتحق فتهتز معايره وأخلاقياته ويهمل مكتبه وقضاياها بل ويشك فى زوجته ويراقبها ويسيء معاملتها حتى تصل حالته النفسية إلى الجنون !!!

وفى فيلم "لعنة امرأة" يقتل المهندس سالم زوجته التي خانته ولم يكن هناك شاهد على جريمته سوى الشغاله الصغيرة أمل ويوهم الجميع أنه انتحر ويهرب مع أمل إلى الإسكندرية ليتخفى هناك استعدادا للهرب خارج البلاد لكن أمره ينكشف ويتم القبض عليه .

وشهد عام ١٩٧٥ ثلاثة أفلام : " على ورق سلوفان " لحسين كمال ، و " شبان هذه الأيام " لعاطف سالم و " امرأتان " لحسن رمزى . فى الفيلم الأول تعانى قسمت من المشكلة الأبدية المزمنة وهى اشغال زوجها الدكتور محمد بعمله (وكأنه كتب على الزوج أن يعمل مربية لزوجته أو مضحكا للملك أو مهرجا فى البلاط حتى لا تخونه !!) ولم لا تكون هى مشغولة أخرى باهتمامات إيجابية مثمرة تحقق بها وجودها !!؟ لقد تكرر هذا العنصر النمطى إلى درجة الملل والاختناق !! .

المهم أن قسمت - كالعادة - تلتقي بهشام ويتكسر اللقاء وتخبره بظروفها وتنتقل به ويصبح مصدرا للإثارة بحيث يزيل عنها الملل الذى يعتري حياتها . (لكنه لا يزيل الملل عن الجمهور الذى سئم من تكرار هذه اللعبة السخيفة) !! وتخسى من التمادى فى علاقتها فتطلب منه الانسحاب من حياتها ثم تكتشف أنها لم تعرف

زوجها على حقيقته فهو موضع تقدير واحترام الجميع وأن هشام برغم صحبته الحلوة إلا أنه يتضاعل إلى جانبها .

أما في فيلم " شبان هذه الأيام " فيبدو التناقض واضحًا في شخصية حسني رئيس التحرير الذي ينادي في مقالاته بالتحرر والتطور ، لكنه متزمن وضيق الأفق في سلوكه الفعلي خاصة مع زوجته وأبنائه ، وفي الوقت نفسه مدمى للخيانة الزوجية التي لا تحتملها زوجته في النهاية فتثور وتترك البيت .

وفي فيلم " امرأتان " المأخوذ عن مسرحية " مروحة الليدى وندرمير " لأوسكار وايلد يكتشف أدهم خيانة زوجته سميرة فيطلقها ويحررها من ابنتها هدى . وتعمل سميرة في فرقة استعراضية وتم خطبتها للطيار مختار ثم تفاجأ بأن الدكتور كمال - صديق مختار - هو زوج ابنتها هدى التي تتوجس خيفة من سميرة فتذهب إلى منزل صديقهم رشدي وتتحقق بها سميرة لتخبرها بحقيقةها . يصل كمال ومختار فتهربها سميرة من السلم الخلفي وعندما يعثر كمال على مروحة زوجته تدعى سميرة أنها تخصها . لكن مختار يرتاب فيها وينفصل عنها إلا أن هدى تكشف لهم الحقيقة ويتزوجها مختار .

في عام ١٩٧٦ أخرج حسين كمال فيلم " بعيدا عن الأرض " الذي يكتشف فيه الدكتورة نوال خيانة زوجها لها فتطلب الطلاق ويستجيب لرغبتها وتسافر إلى أخيها في تونس وتلتقي على الباخرة بمحمود الذي يتجاوب معها ويعرض عليها الزواج ، لكنها ترفض عندما يخبرها أنه متزوج وليس على وفاق مع زوجته حتى لا تبني سعادتها على حطام امرأة أخرى .

وفي عام ١٩٧٧ أخرج نادر جلال فيلم " جنون الحب " الذي يعالج نفس الموضوع أو العنصر الممل المستهلك ، أي الزوجة التي تعيش في ملل وفراغ بسبب انشغال زوجها عنها بعمله ومسؤولياته . فتسافر مني مع ابنتها خالد إلى تونس (ويبدو أنه كان موسم سفر الزوجات الضجرات إلى تونس !!) . وهناك تتوطد

علاقتها بالطيار حسين لكنها حريصة في الوقت نفسه على زوجها وابنها . وتندم مني على تورطها مع حسين لدرجة أنها تطلب الطلاق من زوجها الذي يوافق بعد أن تصارحه بما حدث ، إلا أن خالد ينهي الخلاف بين أبويه وينسحب حسين من حياة مني وتستمر الحياة بين الزوجين !!

وشهد عام ١٩٧٨ ثلاثة أفلام : " المرأة الأخرى " لأشرف فهمي ، و" ليالي ياسمين " لهنري بركات ، و" القاضي والجلاد " لنادر جلال . في الفيلم الأول تكتشف هدى خيانة سعاد لزوجها مع عادل فتحاول أن تنتهي عبئا . وعندما يضغط زوجها على هدى فإنها تصارحه بخيانة زوجته له فيطلقها في هدوء كرجل أعمال لا يريد فضائح . وفي الفيلم الثاني تتعرف الممثلة ياسمين على مدير شركة كبيرة وتوطد علاقتها . وتكتشف زوجته خيانته فتتفق له تهمة عجز واحتلاس من الشركة التي تمتلكها والتى يديرها ، ثم تساومه على التنازل عن القضية مقابل حصولها على الطلاق وحرمانه من أولاده وأمواله فيوافق . وفي الفيلم الثالث يذهب رجل الأعمال كمال مع محمود خطيب ابنته ناهد إلى منزل صديقه شريف ليفاجأ بوجود زوجته عنده ، فينهار من هول الصدمة ويسرع بسيارته ويلقى مصرعه !

وشهد عام ١٩٧٩ فيلمين لأشرف فهمي : " كرامى " ، و" لا يزال التحقيق مستمرا " ، وفيما لهنري بركات : " الشك يا حبيبي " . في الفيلم الأول تكتشف أمل خيانة زوجها صلاح فتحاول الانتحار ولكن ينقذها طارق وعندما تلاحظ تعلقه بها ترحل إلى الإسكندرية وعندما يعلم أنها متزوجة ينسحب من حياتها خاصة بعد حادث سيارة وقع لها وأعاد الحياة بينها وبين زوجها . وفي الفيلم الثاني تثور زينب على عشيقها مدحت عندما يقرر الزواج من شقيقة زوجها حسين والاحتفاظ بعلاقتها . تعرف لزوجها بخيانتها وينتهي الصراع بين العاشقين بأن يقتل كل منهما الآخر . وفي الفيلم الثالث تكتشف رباب أنها حامل بعد سنوات طويلة من زواجهما ويساور الشك زوجها وتتقلب حياتهما إلى جحيم ويطلقها وتفقد الجنين .

لكن تيار الخيانة الزوجية انحصر إلى حد كبير في أفلام الثمانينيات والتسعينيات إذ يبدو أن الكتاب والمخرجين قد شعروا أنهم استهلكوه أكثر من اللازم ولم يعد يثير الجمهور بما فيه الكفاية لأن تكراره النمطي أدى إلى اعتياد الجمهور عليه فقد كثروا من عناصر الدهشة والإثارة والمفاجأة . ومع ذلك ظل موجودا حتى نهاية التسعينيات وربما استطاع أن يخرج من نمطيته بعد ذلك ، وإلا فإنه سيدخل في حفريات سينما القرن العشرين .

في عام ١٩٨٠ أخرج أشرف فهمي فيلم "الشريدة" الذي يتعرف فيه فتحى على فتاة الليل سون برغم حبه لزوجته ليلى التي تثور عليه عندما تعلم ويتم طلاقهما . كما تقوم ليلى بصفتها محامية بالدفاع عن موكلتها سهام التي تقتل زوجها بعد أن يكتشف خيانتها مع آخر . وتلم أزمة مرضية بفتحى فتهرع إليه ليلى لكنه يفارق الحياة .

وفي عام ١٩٨٢ أخرج عاطف الطيب فيلم "الغيرة القاتلة" الذي اقتبس عن مسرحية "عطيل" لشكسبير والذي يتزوج فيه عمر من دينا فيشعر مخلص صديق وشريك عمر في مزرعة دواجن ، بالغيرة منه ، فيحاول هدم المشروع وإيهام عمر بأن دينا على علاقة بسامي . ويتأكد عمر عندما يعثر على قلادتها في منزل سامي بعد أن دسها مخلص بنفسه هناك . وعندما يحاول عمر قتل دينا فإن سامي ينقذها .

وفي عام ١٩٨٣ أخرج نادر جلال فيلم "ولا من شاف ولا من درى" . يفاجأ مرسى بوجود زوجته في غرفة نومها مع عشيقها فيقتلها ويحكم عليه بالبراءة لدفاعه عن شرفه ، ثم يعود إلى زوجته باتعة .

وفي عام ١٩٨٤ أخرج حسين كمال فيلم "أرجوك اعطني هذا الدواء" الذي تعيش فيه ماجدة في خلافات مستمرة مع زوجها رفعت بسبب علاقاته النسائية وخيانته الزوجية المتكررة ، لدرجة أنها تتردد على عيادة الطبيب النفسي مصطفى بعد أن تتباهى حالة انهيار . وتحاول أن تستميل الطبيب نحوها لكنه

يصادها . ثم تصاب فى حادث بسيارتها فى هرع إليها رفعت معرجا عن ندمه وعهده على الاستقامة لكنها تموت .

وفى عام ١٩٨٦ أخرج أحمد فؤاد فيلم " القطار " الذى يقتل فيه سائق القطار إبراهيم زوجته جمالات بعد أن يكتشف خيانتها مع مساعدته صبحى ، ويسافر إلى أسيوط ليقتلها ويشتعل الصراع بينهما فى أثناء قيادة القطار ويسقطان من باب غرفة القيادة بحيث يسير القطار بدون قيادة ، لو لا قدرة أحد الركاب على إنقاذ القطار قبل وقوع كارثة .

وفى عام ١٩٨٧ أخرج خليل شوقي فيلم " الزوجة تعرف أكثر " وعبد الهادى طه فيلم " الطعنة " . فى الفيلم الأول يضيق عصام بحياته مع منى ويتردد على وفاء طالبا ودها لكنها تصده . يكيد محسن لوفاء ويقع زوجها بخيانتها مع عصام فيطلقها إلا أن ليلى زوجة محسن تتدم وتعترف لأبيها بإخلاص وفاء . وفى الفيلم الثانى تتزوج نانا من الثرى عبد الحميد وتحتفظ بعلاقتها بخالد ، لكن أخيه منير يطلب منها الابتعاد عنه . وبمرور الوقت يشعر منير بالحب نحوها !!! وتبادلها نفس مشاعره وينتفان على الزواج بعد حصولها على الطلاق من زوجها . لكنها تفاجأ بزيارة خالد لها فى لحظة وصول منير الذى يتهمها بالخيانة . ويشور خالد عليهما ويسرعان خلفه لكن سيارة تتصدم نانا فتلقى مصرعها .

وفى عام ١٩٩١ أخرجت نادية حمزة فيلم " نساء صعاليك " الذى يصور الخيانة الزوجية بالجملة . ففيه تكتشف سعاد خيانة عادل لسامية مع سكرتيرته مها التى يتزوجها ثم تكتشف سامية وصديقتها نوال خيانة مها لعادل فتدبران ليضبطها عادل متلبسة . وعندما يهم عادل بقتلها ، تمنعه نوال ، وتأمل سامية فى أن يستقيم عادل إلا أنها تفاجأ به يتزوج من نوال .

وفى عام ١٩٩٢ أخرج فاروق الرشيدى فيلم " الفضيحة " الذى ييلور - على غير العادة - الأسباب الاقتصادية والدافع السicolوجية التى تؤدى إلى الخيانة

الزوجية . فعلى الرغم من فقر الزوج كامل إلا أن أمينة تبدو سعيدة هائنة بحياتها البسيطة . وتتعرض أمينة لمغازلة جارها الشاب العاشر محسن الذى كون ثروة ضخمة من تجارة العملة ، ويدعوها لقضاء عدة أيام مع طفلها فى شقته الفاخرة بالإسكندرية وهناك تستسلم له . وعندما يكتشف أخوها علاقتها يبوح ل كامل ويطلب منه قتلها ، لكنه يكتفى بأن يطلقها . وعندما تذهب أمينة إلى عشيقها فإنه يتهرب منها ، فقرر الانتقام منه بعد أن يتزوج من أخرى . وتضع له فى مشروبها جرعة منوم قاتلة ، لكنها لا تفلت بجريمتها لأن أخيها يقتلها .

* * * *

ولعل الكتاب والمخرجين ينظرون إلى الخيانة الزوجية من زوايا جديدة تتميز بالتحليل العلمي الذى يبلور عناصر الفساد فى النفس البشرية وثغرات الضعف والانهيار التى يقف أمامها البعض عاجزا عن سدها . ذلك أن الخيانة الزوجية ليست مجرد عنصر نمطى أو قالب جاهز للاستخدام بل هي هاوية معتمة تحمل فى أعماقها عذابا نفسيا وفكريا متربصا بالعشاقين الباحثين عن المتعة واللذة والإشباع العاطفى ، لكنهم يكتشفون فى النهاية أنهم باحثون عن السراب . إن الخيانة الزوجية تيمة خطيرة وشائكة وتمس النفس البشرية فى صميم جوهرها ، وعلاجها الدرامى والفكري والسينمائى ، يجب أن يكون على هذا المستوى من الحساسية والعمق والتحليل العلمى .

* * * *



تاوية سنة ١٩٥٨ م



أبو أحمد سنة ١٩٦٠ م

الفصل الثامن

العصابات والمخدرات

لعبت العصابات وخاصة عصابات المخدرات دوراً متميزاً في السينما المصرية ، لدرجة أن المترجج الأجنبي الذي ليس على دراية بالمجتمع المصري يمكن أن يتصور أنها تلعب نفس الدور المتميز في هذا المجتمع . لكن نظراً للإشارة التي يمكن أن تنشأ عن مغامرات المهربيين ومؤامرات المجرمين وهي إثارة غالباً ما تمتزج بالعنف والقتل والدماء وغير ذلك من العناصر الميلودرامية ، فإنها تشكل بضاعة مغربية وعناصر نمطية جاهزة للاستخدام . وعادة ما تكون هناك امرأة جميلة ومغربية دخلت العصابة بطريقة أو بأخرى ، بحيث تتعرى من حين لآخر ، حتى تكتمل مظاهر الجذب الجماهيري .

وكان للمخدرات نصيب الأسد في أفلام العصابات لما تحتوى عليه كل خطواتها من إثارة وخوف وعنف ومطاردة من السلطات ، ودهاء في مواجهة دهاء ، وتخطيط في مواجهة تخطيط ، سواء في عمليات التهريب أو التوزيع أو الإدمان وما يتبعه من مآس وكوارث . ويبدو أن الكتاب والمخرجين اكتفوا بما ينطوي عليه هذا العنصر النمطي من إثارة فأحالوه إلى ما يشبه القالب الجاهز كي يصبوا فيه الشخصيات والمواقف والأحداث وحتى الكوارث التي تكاد تستخدم نفس التعبيرات والمفردات بحيث يكاد الجمهور يعرف سلفاً ما سوف يقوله زعيم

العصابة ، وكيف سيكون سلوكه تجاه الآخرين سواء أكان فى كهف الجبل أو فى قصر فى أرقى الأحياء !

وكان فكرى أباذهة أول من كتب قصة لفيلم يتخذ من عصابات تهريب المخدرات مضمونا له . وهذا الفيلم هو " الضحايا " الذى أخرجه إبراهيم لاما عام ١٩٣٢ . ويدور حول بررعى الذى يتزعم عصابة تهريب مخدرات يطاردها بوليس السواحل بأسلوب شبه أمريكي . ويتزوج بررعى من بھيجه دون أن تعلم شيئاً عن شخصيته الحقيقية أو عمليات التهريب التى يقوم بها . لكن بھيجه تحب جلال الضابط الذى يطارد العصابة ومتزوج من شقيقتها الكبرى نازك ، وفي النهاية يقع بررعى وعصابته فى قبضة البوليس .

ويبدو أن إبراهيم لاما الذى كان متاثراً إلى حد كبير بنمط العصابات فى الأفلام الأمريكية ، قد لاقى رواجاً شعبياً كبيراً من جراء هذه النوعية من الأفلام ، فآخر في عام ١٩٤٨ وحده فيلمين : الأول " سكة السلامه " عن عصابات تهريب المخدرات ، والثانى " الحلقة المفقودة " عن عصابات تهريب الماس . في الفيلم الأول يفقد صبي أمه فيتزوج أبوه من سيدة تسمى معاملته إلى درجة تدفعه إلى الهرب من المنزل فيصادف رجلاً يحنو عليه ويساعده وأخيراً يتضح أنه أحد أفراد عصابة لتهريب المخدرات ويقبض عليه البوليس لكن الصبي يفرج عنه لبراءته ، كما أنه يدلّى بمعلومات للبوليس ويتعاون معهم في الاتهاء إلى وكر العصابة والقبض عليهم .

أما فيلم " الحلقة المفقودة " فيدور حول محمد بك أحد تجار الماس والذى يذهب مع سكرتيره عادل لإحضار كمية كبيرة من الماس ، فيسافران إلى الصحراء والغابة ! (برغم أنه لا يوجد بمصر غابات بمعنى الكلمة !!) . ويتعرضان لعصابة لصوص تقوم بقتل محمد بك وسرقة ما معهما . وعندما يعود عادل إلى القاهرة يقبض عليه البوليس بتهمة القتل ويسجن لمدة سبع سنوات ، إلا أن براءته

تبثت حين تعرف زوجة القاتل الحقيقي بجريمته ويطلق سراحه ويتزوج من ابنة محمد بك والتي كانت تضرر له جداً كبيراً.

وتتابعت عصابات الاحتيال والسرقة والنهب وترواحت المعالجة السينمائية بين الميلودrama والمفارقات الفكاهية ، لدرجة أن عز الدين ذو الفقار مخرج الرومانسية الأشهر ، أخرج في عام ١٩٤٩ فيلم : "أجازة في جهنم" قصة وحوار يوسف جوهر ، وفيه يقدم عصابة للاحتيال بأسلوب كوميدي خفيف . فهى عصابة تتكون من صراف وساعى وجرسون ومونولوجست وراقصة : أى كل عناصر التسلية ، وينزلون في فندق بالأقصر ليكون مقرأً لنشاطهم . لكن الثرى أدهم يكتشف أمرهم ويختطف الفتاة و يجعلهم يعتقدون أنها قتلت ثم يقدمها إليهم على أنها روح !! ويدب الرعب في قلوبهم حتى تختلط عليهم الأمور ، خاصة عندما يجمعهم أدهم في مكان موحش يذوقون فيه ألواناً من الرعب والمهانة ثم يخرج إليهم ويلقى عليهم درساً في الأمانة ، وأن يقنعوا بحياة شريفة حتى لو كانت فقيرة . وعندما يقطع بأنهم تابوا وندموا يخبرهم بأنه ثمة فرصة أمامهم ، فهم لم ينتقلوا إلى الآخرة كما ظنوا بل لا يزالون في الدنيا .

في نفس العام (١٩٤٩) أخرج عباس كامل فيلم " حدوة الحصان " الذي تصل فيه عصابة الهمشري إلى القاهرة للبحث عن كنز السلطان قلاوون المدفون تحت دار المعلم عوف الفطاطري وتحاول العصابة أن تستحوذ على الكنز بمختلف الطرق فتلجأ إلى المال والحيلة والعنف ولكن عبأ ، فقد رفض أصحاب البيت بيعه لهم ، فيلجأ زعيم العصابة إلى الحب الذي يمثله على عزيزة ابنة صاحب المنزل ليخدعها ويتقرب منها ، إلا أنه يقع في حبها بالفعل ، وتحاول العصابة أن تعيده لصفوفهم أو تقتلها . يطلب من عزيزة أن تعطيهم الكنز فلم يعد يريد سوى جبها . وأخيراً لا تجد العصابة الكنز . ويتزوج الهمشري من عزيزة ابنة الفطاطري .

ومع بداية عقد الخمسينيات تدفق تيار أفلام العصابات . فقد شهد عام ١٩٥٠ فيلمين : " ست الحسن " لنبازي مصطفى ، و" طريق الشوك " لحسين صدقى . فى الفيلم الأول تدور الأحداث المقتبسة من " ألف ليلة وليلة " بين ولايتين كانت فى حروب دائمة إلى أن رأى أمير أحد الولايات أن يزوج ابنة أخيه الشابة من ابن أمير الولاية الأخرى لعل هذه المصاورة تعيد السلام إليهما . وفي الطريق يهرب ابن أخيه من مرافقه فى الوقت الذى تكون فيه ست الحسن قادمة من مصر فى طريقها إلى بلادها . تلتقي بهذا الشاب الذى ينقذها من عصابة تعرضت لها ، وينمو بينهما حب دون أن يعلم كلاهما شيئاً عن شخصية الآخر ويتم زفافهما السعيد .

وفى فيلم " طريق الشوك " يضل الضابط مجدى وصديقه خميس عن الحملة البوليسية التى يقودها الضابط لمحاربة عصابة لتهريب المخدرات فى الصحراء . يتم إنقاذهما على يد بدوية تصبحهما إلى قبيلتها حتى يعرفهما أهلها فهم زعماء العصابة وينتفعون على التخلص من الضابط وصديقه . وتكتشف البدوية حقيقتهما وما يدور حولهما فتسعى لإنقاذهما ، ويضطر مجدى إلى اصطحابها معه خوفاً من بطش أهلها . وينتهي الفيلم بالقبض على العصابة وزواج مجدى من البدوية .

فى عام ١٩٥١ أخرج محمد عبد الجواد فيلم " الخارج عن القانون " الذى يجبر فيه المجتمع صاحب السوابق على العودة إلى طريق الجريمة برغم نيته الصادقة فى الاستقامة . فينضم إلى عصابة ويتزعمها ويبيث الرعب فى قلوب الأمنيين وفي النهاية يلقى مصرعه على يد رجال الشرطة .

فى عام ١٩٥٢ أخرج السيد زيادة فيلم " الدم يحن " الذى تهرب فيه طفلة من قسوة زوجة أبيها لتقع فى قبضة عصابة نشل . وتمر السنوات لتقودها الصدفة لتعمل خادمة فى بيت أبيها دون أن يتعرف عليها وتنتهم بالسرقة ويطردتها أبوها لتقع مرة أخرى فى قبضة عصابة النشل التى يتضح أن زعيمها جلجل هو عشيق زوجة أبيها ، والذى يتفق معها على قتل زوجها فتهرب سلوفى من العصابة وتسرع

لإنقاذ أبيها وتتجه في ذلك . أما ججل فيصاب برصاصة قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يعترف لعبد الرحمن أن سلوى ابنته .

وشهد عام ١٩٤٥ فيلمين من أشهر أفلام العصابات والمجرمين : " الوحش " لصلاح أبو سيف ، و " جلوني مجرما " لعاطف سالم . في الفيلم الأول يثير المجرم الشهير بالوحش الرعب بين الفلاحين ، يساعده في ذلك رضوان باشا الذي يستر على جرائمه والذي يستغله في القضاء على خصومه ويصل ضابط المباحث إلى القرية وتستقبله عصابة الوحش بوابل من الرصاص وسرقة مجوهرات زوجته . وتدور معركة بين الضابط والوحش الذي يفر بعدها ليختفي في قصر الباشا فيذهب إليه فإذا بالوحش يقتل الباشا ويختطف ابن الضابط ويلجا إلى الجبل ، حيث تدور معركة تنتهي بأن يقبض الضابط على الوحش .

في فيلم " جلوني مجرما " يضيع فتى في الحياة فتلتقطه عصابة للنشل ثم يتم إيداعه في إصلاحية وبعد أن يخرج يفشل في أن يجد عملاً شريفاً ، فلا يجد مفراً من أن ينضم إلى عصابة . ثم يلتقي بمطربة في كباريه فيحبها فإذا بعمه الذي نهب ميراثه من قبل ثم أودعه الإصلاحية ، ينافسه في حبها ، ويطارده في كل مكان متهمًا إياه ظلماً في جريمة قتل ويقضى فترة العقوبة في حين تحاول المطربة أن تحصل على دليل براءته ، وحين تحصل على هذا الدليل ، يكون قد هرب من السجن ، ويذهب لمقابلة عمه ويقتله ليصبح مجرماً بالفعل .

وفي مجال الجريمة الضاحكة أخرج حمادة عبد الوهاب عام ١٩٥٥ فيلم " إسماعيل يس يقابل ريا وسكينة " الذي يقع فيه فتى وفتاة في وكر عصابة ريا وسكينة الشهيرة التي اعتادت اجتذاب النساء اللاتي يتزين بالمصارع ودفنن في جوف أرض الوكر . ويقاد الفتى والفتاة أن يلقيا حتفهما لكنهما يتصلان بالبولييس الذي يقبض على العصابة ويكشف جرائمها .

ثم شهد عام ١٩٥٦ خمسة أفلام دفعة واحدة : "رصيف نمرة ٥" لنيازى مصطفى ، و"سمارة" و"زنوبة" لحسن الصيفى ، و"إسماعيل يس فى البوليس" لفطين عبد الوهاب ، و"إسماعيل يس فى متحف الشمع" لعيسى كرامة .

فى فيلم "رصيف نمرة ٥" يتزعم مقاول الشحن فى الميناء عصابة خطيرة فى حين يتظاهر بالبراءة والطيبة . لكن الشاويش خميس يضبط بعض رجال العصابة فى أثناء عملية تهريب . ويبدأ صراع طويل بينه وبين العصابة التى تقتل زوجته بطريق الخطأ لأنه كان المقصود . ويدبرون له مكيدة يطرد على أثرها من الخدمة ويختطفون ابنه . وفي النهاية يتم القبض على العصابة كلها ويعود ابنه إليه كما يعود إلى عمله فى خفر السواحل .

فى فيلم "سمارة" يتزعم تاجر الفاكهة سلطان عصابة لتهريب المخدرات وي العمل فى الوقت نفسه لحساب رجل من أصحاب النفوذ . ويتزوج سلطان من سمارة ويضمها إلى عصابته . ويدرس عليه البوليس ضابط مباحث ينضم إلى العصابة لكشف أسرارها . فتحبه سمارة ويباينها عاطفتها . ويكشف سلطان الأمر ويطلق عليه النار فى الوقت الذى يصل فيه رجال البوليس ويقبضون عليه وعلى عصابته .

فى فيلم "زنوبة" يتزعم البلطجى عطية أبو حديد عصابة تسيطر على الحى كله . ويحب نعناعة المخطوبة لابن عمها العسكرى بالجيش . ويضع خطة ليوقع حسن شقيق نعناعة فى حب زنوبة التى يستغلها عطية فى مأربه الدينية ، ويتم زواج حسن من زنوبة التى تحبه حبا صادقا وتعمل على إنقاذه من براثن العصابة . ويثور عطية ويختطف زنوبة وتتفق جريمة قتل لحسن بحيث يعتقد أنه قاتل زوجته وابنه !!! ويجبره على كتابة اعتراف بذلك !!! ليتزوجه به حتى يتزوج من نعناعة التى تتوافق إنقاذا لأخيها !!!

في فيلم "إسماعيل يس في البوليس" يحب زكي عسكري البوليس جمالات لكنها تضيق ذرعاً بوظيفته ومتاعبها، وتفضل عليه مدرس الألعاب رياضية. ويتمكن زكي من القبض على مجرم يعلن عنه بالصحف نظير مكافأة كبيرة ثم يتضح أنه من رجال المباحث الذين يعمل زكي معهم. ثم تحدث حادثة سطو على محل جواهرجي ويتمكن زكي من القبض على زعيم العصابة وتصرف له مكافأة ويتزوج من جارته.

وفي فيلم "إسماعيل يس في متحف الشمع" يعمل فريد موظفاً بمتحف الشمع وهو خطيب سامية ابنة مدير المتحف. ويكتشف عصابة تستغل التمايل في تهريب المخدرات ويدور الصراع بين فريد ورئيس العصابة الذي يأمر بقتله، في جو يمزج الرعب بالفكاهة. ويختفي أحد الضباط في شخصية مصور ويتمكن من القضاء على العصابة في حين يتضح أن فريد لم يمت ويختفي في أحد التمايل ليراقب تحركات العصابة ويفاجأ بأن سامية خطيبته هي زعيمة العصابة !!!

وشهد عام ١٩٥٧ ثلاثة أفلام: "سجين أبو زعبel" لنيازى مصطفى، و"تجار الموت" لكمال الشيخ، و"ابن حميرو" لفطين عبد الوهاب.

في فيلم "سجين أبو زعبel" يلقى شاب في السجن وهو بري لحقد تاجر مخدرات أجنبي عليه لمجرد أن عشيقته تحبه. ويشترك في هذه المؤامرات مهرب مخدرات مصرى يحقد عليه بدوره لاعتدائه بالضرب عليه بعد أن ضبطه يغازل شقيقته. وفي غارة من غارات العدوان الثلاثى على مصر يهرب الشاب ومعه زميله من السجن وينضم الشاب للحرس الوطنى ويكتشف أن المهرب الأجنبى جاسوس يخفى في منزله جنود المعتدين، ويتعاون مع زملائه على قتله. ثم يعود الشاب ليقضى بقية مدة العقوبة في السجن.

في فيلم "تجار الموت" يخون الطبيب عباس مهنته وبعد بوليصة تأمين لكل ضحية ثم يتخلص منها ويشارك المستفيد في قيمتها. وعندما يحتاج صديقه مراد

لإنفاق على مرض أمه ، يتفق عباس معه على أن يتزوج ثم يتخلص من الزوجة ويتقاسم مبلغ التأمين . ويتزوج مراد من ليلى وفي موعد تنفيذ الإنفاق لا يقوى مراد على الوفاء به ، فيلجأ إلى البوليس لإنقاذ زوجته ويتم القبض على عباس .

في فيلم " ابن حميدو " يصل ابن حميدو مع زميله حسن في منطقة صالحة للصيد ولتهريب المخدرات بالقرب من السويس وعندما ينافس الباز حسن في جبه لعزيزه يدبر لهما جريمة للإيقاع بهما وفي مكتب المأمور يكشف حسن وابن حميدو عن شخصيتهم بأنهما من رجال المباحث ، جاءا متكررين للإيقاع والقبض على عصابة لتهريب المخدرات ترأسها لثانيا . وفي النهاية ينتصر الحق والحب .

وشهد عام ١٩٥٨ ستة أفلام دفعة واحدة ، ثلاثة منها لنبازى مصطفى وحده " سلطان " و" أبو حديد " و" سوق نص الليل " ، ثم " شاطئ الأسرار " لعاطف سالم ، و" حبىبي الأسىمر " لحسن الصيفى و " إسماعيل يس فى دمشق " لحلمى رفلة .

في فيلم " سلطان " يضطهد المجتمع سلطان سواء في صباح أو شبابه ويتهم ظلما ويدخل السجن وعندما يخرج منه يرفض الجميع مساعدته فيلجأ إلى عصابة في الجبل ثم يهاجمها البوليس فيهرب الجميع ماعدا سلطان الذي يبيد القوة فيصبح رئيسا للعصابة وتحول حياته إلى سلسلة من جرائم القتل والخطف ، وتنتهي بقتله على يد قوة ضخمة من البوليس .

في فيلم " أبو حديد " يحتكر المعلم الحنش صيد السمك ويفرض على الصيادين ما يشاء ويهرب المخدرات بمساعدة جابر الذي يقتل أبو حديد . ويطمع الحنش في الزواج من أمينة ابنة جابر فيساومه في مقابل التستر على جريمته . وترفض أمينة لحبها لحسن ابن أبو حديد وينتفقان على الزواج ويرفض جابر تزويج ابنته لحسن فتهرب معه ويتزوجان وتنقام الأمور ويطلق حسن أمينة ويقتل الحنش

جابر ، ويتم حسن الذى يهرب لكن الحق يظهر ويتم القبض على الحنش وتعود أمينة إلى حسن .

وفي فيلم " سوق نص الليل " تحب المعلمة الأوسطى حسن سائق إحدى عربات النقل لكن قلبه مشغول بحب خطيبته ، ويغار المعلم رئيس العصابة من الأوسطى حسن لأنه يحظى بحب المعلمة فيشتبك معه لكن الأوسطى حسن يهزمه ، وعندما يرفض حسن الاستجابة لرغبات المعلمة ، تحدث رئيس العصابة لسرقة عربة النقل وحملتها ويسجن حسن بتهمة التبديد . وتطور الأمور فقتل المعلمة رئيس العصابة ويتم القبض عليها ويعود حسن إلى خطيبته .

في فيلم " شاطئ الأسرار " تعود عليه إلى بور سعيد لأخيها لكنها تفاجأ باختفائه بعد أن لقى مصرعه على أيدي عصابة مهربى المخدرات التى ينتمى إليها سرا . ودون أن تعلم تلتقطى عليه بقائل أخيها وتحبه ويحبها ويعرض عليها الزواج وتقبل ، وفي النهاية تكتشف أن زوجها ضابط فى مخابرات السواحل ، تظاهر بقتل شقيقها حتى يتمكنا من القبض على عصابة تهريب المخدرات ويعود الأخ .

في فيلم " حبىبي الأسمير " تغرى راقصة شابا بالثراء إذا تعاون معها ، وتقديمه لصديقتها ليساعده فى تجارته ، ويكلفاه بالسفر إلى لبنان فى مهمة خاصة ويكتشف أن الصديق والزوج يكونان عصابة خطيرة لتهريب الأموال والمجوهرات . وفي النهاية تقتل الراقصة وصديقتها ويتم القبض على الرجل الثرى .

في فيلم " إسماعيل يس فى دمشق " (وهو فيلم أنتج فى فترة الوحدة بين مصر وسوريا !!) يساور الشك مدير شركة تأمين لاختفاء عدد من المؤمنين على حياتهم فى ظروف غامضة . ويكتشف أنهم يموتون بصورة مفاجئة بحيث يتم الحصول على أموال الشركة بطرق غير مشروعة ، لذلك يستدعي مفتشين من مفتشى الشركة ليعهد إليهما بالمحافظة على حياة أحد المؤمنين فى العثور عليه ،

فيكتشفان أنه رحل إلى دمشق ، ويتبعاه وهناك تبدأ قصة حب في حين يستمر الصراع بينهما وبين اليد الخفية التي تتأمر على قتلهما ، وأخيرا ينجحان في الكشف عن العصابة ويتزوج كل منهما فتاته ! (وكان هذا الفيلم هو انفعال السينما الوحيد بقيام الوحدة بين مصر وسوريا ، وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، مما يدل على أنها كانت في غيبة العناصر النمطية التي حرصت على اجتذارها بحيث استغرقتها تماما ، وعزلتها عن الأحداث الاجتماعية أو السياسية أو الوطنية أو القومية ، إلا في القليل النادر !!) .

وشهد عام ١٩٥٩ ثلاثة أفلام : " الرجل الثاني " لعز الدين ذو الفقار ، و " موعد مع المجهول " لعاطف سالم ، و " سجن العذاري " لإبراهيم عماره .

في فيلم " الرجل الثاني " يثير عصمت عمليات تهريب من خلال زعيم عصابة لا يعرفه ، ويتخذ أحد الكباريهات مركزا لنشاطه وإدارة العمليات ، وتشاركه عشيقته الراقصة سمر التي يتخلى عنها بعد أن تتجه طفلتها ويزوجها من أحد أتباعه . وتنتابع أحداث القتل الغامض ، وينجح ضابط مباحث في أن يدس نفسه في العصابة إلى أن يكتشف عمليات تهريب الأموال ، وكذلك شخصية الرجل الأول ويتم القبض عليه بعد مطاردة عنيفة بين الطرفين .

وفي فيلم " موعد مع المجهول " تقوم عصابة من موظفي المصنع بقتل المدير لتسهيل مهمة تهريب الأموال إلى الخارج عن طريق المصنع . ويكتشف ضابط المباحث الصلة بين عمليات التهريب ومقتل مدير المصنع ، ويستطيع أن يتوصل إلى القاتل الحقيقي وهو أحد عمال المصنع بإيعاز من المدير الجديد فيقبض عليهما .

وفي فيلم " سجن العذاري " تتراءم أم أوسة عصابة نشل وتدخل أوسة الإصلاحية ، وينصلح حالها ، فترفض البقاء مع أمها وتهرب إلى الدكتور الذي درس حالتها ، فيأخذها إلى كمال حيث تعيش في رعاية أمها . وتبث المعلمة عن

ابنتها أوسة وتجبرها على الزواج من أحد أفراد عصابتها ، لكنها تهرب يوم زفافها إلى منزل الدكتور وتتلقى من محاولة لاغتياله ، وتتزوج من حبيبها كمال .

في عام ١٩٦٠ أخرج حسن رضا فيلم " خلخال حبيبي " الذي يصور مقهى على الطريق يلتقي فيه سائقو السيارات ، وتديره حفيظة التي تترأس عصابة مع أدهم وسند وهنداوى . وترقص ابنتها بهية لرواد المقهى في حين يسعى أدهم للزواج منها ، لكنها تتصدى . ويهبط على المقهى الشاب الثرى أحمد الذي يقدم لها هدية خلخال وتحاول العصابة الاعتداء عليه ويلقونه في النيل . وتحزن بهية لاحساسها أنها السبب في غرقه . ثم يقبل على المقهى محسن الذي يهتم بهية ، والذي يكتشف أدهم أنه شقيق أحمد ، فيدبرون لقتله ، لكن بهية تسرع لتحذره ، إلا أن أفراد العصابة يصلون ويتم القبض عليهم لأن عطوة خادم المقهى ليس إلا مخبر سرى ، ويتزوج محسن من بهية .

في عام ١٩٦١ أخرج حسن الصيفي فيلم " سبع الليل " الذي تتعطل فيه سيارة سلوى في الطريق الزراعي ، وتشاء الصدف - كالعادة ! - أن يمر عليها حسن الميكانيكي الذي يتولى إصلاحها على أن يعيدها للمنزل . ويفاجأ حسن بوجود شحنة مخدرات مختبئه داخل السيارة فيخفىها في مكان ما بالطريق . و تقوم عصابة سبع الليل بخطف سلوى لتعيد إليهم المخدرات التي لا تعلم عنها شيئا . ويطارد رجال الأمن العصابة ويتعاون حسن مع رجال الأمن ويرشدهم إلى مكان المخدرات ، ويتمكنون من القبض على العصابة ويعيدون سلوى إلى منزلها .

وشهد عام ١٩٦٢ ثلاثة أفلام : " كلهم أولادى " لأحمد ضياء الدين ، و " الرجل الشعلب " لنجدى حافظ ، و " الحاقد " لريمون نصور . في الفيلم الأول يطارد ضابط المباحث سالم العصابة فيكتشف أن أخيه مدحت عضو فيها !! (وهو العنصر النمطي الذي تكرر مرارا بلا مبرر لأنه ليس من المعقول أن يظل ضابط مباحث جاهلا تماما بحقيقة أخيه أقرب الناس إليه !!) . وفي الفيلم الثاني ينضم

فريد إلى عصابة مخدرات ويطارده مكتب المخدرات ، فيهتدى لحيلة تجنبهم متابعته ، وهى أن يخطب شقيقة رئيس مكتب المخدرات الذى سرعان ما يكتشف أمره ويسعى لضبطه متلبسا . وعندما يكتشف أفراد العصابة تخلى فريد عنهم ، يبلغون عنه ، لكن البوليس لا يجد شيئاً فى بيته . عنده يبلغ هو مكتب المخدرات ويتم القبض على العصابة وتبنته لأنه أرشد عنهم . وفي الفيلم الثالث يترك الطفل المدرسة بعد وفاة أبيه فى السجن وي العمل فى ورشة . ثم تمر السنوات ويصبح شريكاً فى عصابة للصوص . وتحاول أمه إقناعه بالرجوع إلى الطريق المستقيم دون جدو ، إلا أنه يقابل فى أحد الأيام فتاة من عائلة متوسطة يحبها ، ويترك من أجلها العصابة ويعيش شريفاً .

وشهد عام ١٩٦٤ فيلمين : "الحقيقة السوداء" لحسن الصيفى ، و"الرسالة الأخيرة" لمحمد كامل حسن . فى الفيلم الأول يتزعم المعلم حنفى عصابة للسرقة والسطو لكن المعلم زرزور يقوم بسرقة الأموال من المعلم حنفى فى غفلة منه فيخطف المعلم حنفى ابنته ويتخذها رهينة لدبيه حتى يعيد إليه النقود ، فيرضخ وتشترك معه فى إتمام هذه المغامرة راقصة جميلة يتضح أنها من قوة المباحث التى تقبض على حنفى أثناء محاولته تهريب الأموال للخارج !!! . وفي الفيلم الثانى يقتل رئيس عصابة أحد أعوانه ، فتقسم ابنته على كشف أسرار العصابة خاصة أنها تجد ضمن أوراق أبيها ما يؤكد أن العصابة تعمل فى تهريب المخدرات . وتنشل العصابة فى الحصول على هذه الأوراق ويتم القبض عليها .

فى عام ١٩٦٧ أخرج نيازي مصطفى فيلم "أخطر رجل فى العالم" الذى مزج فيه مؤامرات العصابات الدولية والمعارقات الكوميدية ، وكان فيلماً ناجحاً لدرجة أنه فى عام ١٩٧٢ أخرج محمود فريد ما يشبه تكملة له بعنوان "عوده أخطر رجل فى العالم" ، ففى الفيلم يصل إلى القاهرة مستر إكس رئيس عصابة دولية للتهريب ومركز نشاطها شيكاغو وذلك لمزاولة نشاطها . ويعلم بأمره رجال

الشرطة المصرية ويراقبونه ، مستغلين الشبه بين مسخر إكس وموظ المطار زكي فيستغلونه في مهمتهم إذ يحل زكي محل إكس ويعلم بأسرار العصابة وخطفهم عملية جديدة وتجمع مهمة زكي ويتم القبض على مسخر إكس وعصابته .

في عام ١٩٦٨ أخرج أحمد بدرخان فيلم "أفراح" الذي يرث فيه توفيق أثاث منزل قريبة له ليسدد به ديونه لكنه يفاجأ بعد بيع الأثاث أن به جوهرة ثمينة مخبأة في إحدى قطعه ، لكن الأثاث أرسل إلى لبنان . وفي الوقت نفسه كانت هناك عصابة تبحث عن الجوهرة وتسافر إلى بيروت ، كما يسافر توفيق الذي يتعرف على المضيفة بثينة التي تشاركه البحث . وبعد مطاردات بين توفيق وأفراد العصابة يعثر على الجوهرة ويعود إلى القاهرة ويتفق مع بثينة على الزواج .

وشهد عام ١٩٦٩ ثلاثة أفلام تعتبر رائدة لما عرف بعد ذلك بأفلام المقاولات : "صراع المحترفين" لحسن الصيفي ، و"الرعب" لمحمود فريد ، و"الشيطان" لمحمد سلمان . وإن كان من الممكن تتبع هذه الأفلام منذ العهود الأولى للسينما المصرية ، خاصة الأفلام التي تعتمد على ميزانية ضئيلة ويتم تصويرها في وقت قياسي ولا تهتم بالجودة الفنية سواء فيما يتصل بالقصة والسيناريو والحوار أو التصوير أو الإخراج أو المنتاج أو حتى التمثيل ... الخ ، إذ أن هدفها الأساسي الحصول على أسرع عائد ممكن حتى لو كان ينطوي على أرباح متواضعة .

في فيلم "صراع المحترفين" يقوم الضابط وحيد بمراقبة تاجر المدرارات غرباوي للإيقاع به مع عصابته . ويمر بمحاجرات عديدة حتى يهاجم رجال الشرطة وكر العصابة في الوقت المناسب لأنهم كانوا يراقبون خطواتهم لحماية وحيد . وفي أثناء المطاردة يلقى غرباوي مصرعه وتقع العصابة في قبضة الشرطة . وفي فيلم "الرعب" تختفي شحنة راديوم واردة لأحد معامل البحوث العلمية وتشطط إدارات الأمن لخطورتها . وتكتشف سرقة عصابة لها . ويستطيع رجال الأمن القبض على العصابة التي تعرف بمكان الصندوق الخطير . وفي فيلم

"الشيطان" يخطط ماركو زعيم عصابة دولية لسرقة كنز أثري ويبحث مع أعوانه عن حمدان أبو شامة الذي لديه حل الشفرة التي ترشد عن الكنز وعندما يحل ماركو الشفرة يتخلص من حمدان ويذهب مع رجاله إلى مكان الكنز لاستخراجه حيث كان رجال الشرطة في انتظارهم.

في عام ١٩٧٠ أخرج نجدى حافظ فيلم "رضا بوند" كنوع من المحاكاة الساخرة لأفلام جيمس بوند التي اجتاحت العالم منذ منتصف السبعينيات من خلال المفارقة الكوميدية بين شون كونری أول واشهر من قام بهذا الدور وبين محمد رضا المعلم والنجم الشعبي في مصر. ففي الفيلم تبحث العصابة عن خريطة توضح مكان كنز نابليون الذي لا يعرف مكانه في البحر سوى المعلم رضا الذي أخفى الخريطة في قطعة أثاث. وتسوق عليه العصابة إحدى أفرادها وهي المرأة الجميلة هدى لكي توقعه في شباكها وتعرف منه مكان الكنز بمساعدة زميل لها، ويتعرفان بأسرته: زوجته وابنته لكنهما يفشلان في المهمة ويتمكن رجال الشرطة من القبض على أفراد العصابة.

كذلك في عام ١٩٧١ أخرج نجدى حافظ فيلم "الحسناه واللص" الذي ينفصل فيه اللص أحمد عن عصابة النمر لكي يعمل بمفرده، وتشاء الصدفة أن يصادم بسيارته الفتاة أمينة التي تتوى الانتحار !! ينقذها إلى منزله ويقوم بإسعافها ويعرض عليها البقاء مع أسرته فتوافق دون أن تعرف حقيقة عمله. يخطف النمر أمينة ليضغط عليه فيوافق، وتنجح في إقناعه بالتوبة، ويبلغ أحمد رجال الشرطة بموعد عملية السرقة الجديدة فيقبضون على أفراد العصابة ويتزوج من أمينة.

وبالإضافة إلى هذا الفيلم شهد عام ١٩٧١ أربعة أفلام أخرى: "حسناه المطار" السيد بدير، و"حياة خطرة" أحمد فؤاد، و"رجال في المصيدة" محمود فريد، و"عصابة الشيطان" حسام الدين مصطفى.

فى فيلم " حسناء المطار " تشتراك جيلا فى عصابة لتهريب الدولارات وعند عودتها من بيروت تضطر لترك الحقيقة فى المطار خوفا من رصد الشرطة لها . وتظن العصابة أنها استولت عليها فتذيقها ألوانا من العذاب لتعترف بمكان الحقيقة ، ثم يفرجون عنها ويرافقونها وعندما يفقدون الأمل يقتلونها !! إلا أنهم يقعون فى قبضة الشرطة .

وفي فيلم " حياة خطيرة " تصل لرجال الأمن تحريرات عن عصابة جواسيس تستعد لمؤامرة داخل البلد ويتعاون معهم شيخ قبيلة يعمل فى تهريب المدمرات . وينتقل ضابط شخصية مجرم يقيم فى نفس زنزانة أحد أقارب شيخ القبيلة الذى يمنع للضابط تفته ويحكى له عن أسرار العصابة ، بل ويصطحبه لمقابلة شيخ القبيلة . وبعد أن يعرف كل أسرارهم يستدعى رجال الأمن للقبض عليهم .

وفي فيلم " رجال في المصيدة " يصل رجال الشرطة إلى الملهى للبحث عن عصابة تهريب عملة . ويدس رئيس العصابة مبلغا كبيرا فى جيب المعلم درويش دون أن يشعر ، والذى يعطى معطفه بدوره لشخص آخر . وتفاجأ العصابة بما حدث للمعطف الذى يقع فى النهاية فى أيدى رجال الأمن ومعه العصابة !!

وفي فيلم " عصابة الشيطان " المأخوذ عن فيلم " اللغز " للمخرج الأمريكى ستانلى دونن ، يعمل عادل عضوا فى عصابة سرقة مجوهرات ، ويستولى على غنيمة إحدى العملات ، ويوهم زوجته سحر بأنه يعمل بالاستيراد والتصدير . ويلقى عادل مصرعه ويشرع زملاؤه وديع ومجاحد وحمدى وجابر فى مراقبة سحر التى تلجم الشرطة لحمايتها بعد أن تفاجأ بحقيقة زوجها . ويلقى الأربعة مصرعهم وتعثر سحر على المجوهرات مختبئا داخل تمثال فتسلمها للشرطة .

فى عام ١٩٧٢ أخرج نادر جلال فيلم " ولدى " الذى يدل على أن السينما المصرية لا تمل من تكرار نيمة الكونت دى مونت كريستو . ذلك أن جابر يقرر الإقلاع عن الإجرام بناء على إلحاح ابنه الصغير . وتحاول العصابة استعادته

للعمل معهم لكنه يهدّم بابلاغ الشرطة عنهم ، فيقررّون قتله إلا أن الرصاصة تصيب ابنه ليلقى مصرعه فينهاج جابر وينتقم من أفراد العصابة الخمسة ، فيقتلهم الواحد تلو الآخر ثم يتم القبض عليه .

وشهد عام ١٩٧٣ ثلاثة أفلام "أبناء للبيع" لنيازى مصطفى ، و "رجال لا يخافون الموت" لمحمود فريد ، و "الشياطين في أجازة" لحسام الدين مصطفى . في الفيلم الأول ينضم حسنى لعصابة لصوص وعندما يقرر التوبة يضغط زعيم العصابة عليه ليشتراك معهم في عملية سرقة جديدة . يوافق بعد أن يهدّه بإفشاء حقيقته لحمدى زوج ابنته مدحية التي تقرر الانسحاب من حياة زوجها لكنه يتمسك بها ويتم القبض على حسنى والعصابة . وفي الفيلم الثانى يهاجم قطاع الطرق عصابة شوقي للاستيلاء منها على مجوهرات مسروقة في أثناء مرور لجنة البحوث الجيولوجية في الصحراء بقيادة حمدى الذى يخلصهم منهم !!! . وفي الفيلم الثالث يسافر ثلاثة أصدقاء إلى أبي قير مستقلين عربة للموتى يتضح أنها ملك لعصابة عواد الذى يخفي الماس المسروق في كاميرا تخص حمادة أحد الثلاثة . تصطدم السيارة بسيارة أخرى . ويهرّب الأصدقاء الثلاثة من العصابة التي تتبعهم ، وتدور مطاردات تنتهي بفشل العصابة في استرجاع الماس والقبض عليهم .

في عام ١٩٧٦ أخرج نادر جلال فيلم "عادت الحياة" الذى يختفى فيه الطفل علاء من المدرسة لتقابله مع أطفال السوء الذين يقودونه إلى زعيمة عصابة للنشل وبعد تحرّيات الشرطة تصل إلى وكر المعلمة ويقبضون عليها ويعود علاء إلى أبيه .

في عام ١٩٧٧ أخرج حسن الإمام فيلم "دعاء المظلومين" الذى تدور أحداثه الرئيسية في وكر عصابة للنشالين تثيرها معلمة . وفي عام ١٩٧٨ أخرج زكي صالح فيلم "شقة وعروسة يارب" الذى تكتشف فيه كاميليا حقيقة خطيبها شوقي الذى يتاجر في المخدرات ويقوم بتخزين بضاعته في شقتها دون علمها

بحيث يتم القبض عليها لكن براعتها تثبت بعد ذلك ويتم القبض على شوقي . وفي عام ١٩٧٩ أخرج يحيى العلمي فيلم "رجال لا يعرفون الحب" الذي يعمل فيه الأخان حسن ومحمد في تجارة المخدرات ويتم القبض على حسن ويسلم محمود مبلغًا كبيرًا ليحتفظ به لحين الإفراج عنه . وتطارد العصابة محمود للحصول على النقود ، في حين تحاول فاطمة إقناعه بتسليم النقود للشرطة . ويهرب حسن مع زميله عتريس من السجن ويصاحبه على أساس وصول طائرة خاصة تقلهم بعيداً ويظل الثلاثة فريسة للجوع والخوف . كذلك أخرج يحيى العلمي في نفس العام (١٩٧٩) فيلم "الخدعة الخفية" الذي يختفي فيه الدكتور العالم رزوف وينشر خبر وفاته لكنه كان يختبئ في بيروت بسبب عصابة تطارده للحصول على مفكرة بها أسرار أبحاثه ونظرياته . بل إن العصابة تخطف ابنته شهيرة للضغط عليه لكن رجال الأمن يقبضون على أفرادها ويخلصون الرهينة من أيديهم .

وبحلول عقد الثمانينيات لم يتوقف تيار أفلام العصابات والمخدرات فآخر ج محمد عبد العزيز فيلم "شفاه لا تعرف الكتب" و"محمد خان" ضربة شمس" عام ١٩٨٠ . في الفيلم الأول يعمل حمدي بتهريب المخدرات مع عشيقته لوزة التي تتعرف على إيمان وتضمنها معهما وتدعى أنهما يعملان بالاستيراد وفي النهاية يتم القبض على حمدي ولوزة التي تعرف ببراءة إيمان فيفرج عنها . وفي الفيلم الثاني يدعى شمس المصور الصحفى لتصوير حفل زفاف ويلتقط صورة لكلمة في ورقة قبل حرقها وتقوده الكلمة إلى اكتشاف عصابة تتزعمها امرأة تقوم بتهريب قطع الآثار النازرة . وبعد مطاردات بين العصابة وشمس ، وعجز الشرطة عن الوصول إليه ، ينجح في إنقاذ نفسه وموت المرأة .

وشهد عام ١٩٨٢ ثلاثة أفلام : "العار" لعلى عبد الخالق ، و "عصابة حمادة وتتوتو" لمحمد عبد العزيز ، و "حسن بيه الغلبان" لهنرى بركات . في الفيلم الأول تنهار أسرة الحاج عبد التواب عندما يخبرها ابنه الأكبر كمال بحقيقة

أبيهم الراحل فهو مهرب مخدرات . وتصل شحنة مخدرات كانت آخر عمليات الأب إلى أعماق البحر ويطلب كمال من أخيه أن يتعاونا معه في انتشالها ويعيش الأخوان في صراع ينتهي بتخزين المخدرات في صفائح في الملاحمات بطريقة خطأ تتسبب في ضياعها فينتحر أحد الآخرين ويصاب الآخر بالجنون وينهار كمال . وفي الفيلم الثاني يعاني حمادة وزوجته تتو من مشكلة عدم توفر المال اللازم لسداد أقساط المنزل وأثنائه فيضطران للسرقة التي تدر عليهما ثروة كبيرة ، لكن يقبض عليهما في النهاية . وفي الفيلم الثالث يخطف النبراوى عائشة ابنة سالم ليضغط على رشاد وحسن لتسليم المستدات ، إلا أنها ينجحان في العثور عليها ، ويسلمان المستدات لرجال الشرطة الذين يقبضون على النبراوى وعصابته .

وشهد عام ١٩٨٣ ثلاثة أفلام أيضا : " وحش الميناء " لنبازى مصطفى ، و " إنهم يسرقون الأرانب " لنادر جلال ، و " نص أربن " لمحمد خان .

في الفيلم الأول يشترك العريف سلامة مع والده الصول خميس في مهمة القبض على إحدى عصابات تهريب المخدرات والتي تقوم بخطف سلامة للضغط على خميس لتسهيل عملية تهريب لكن سلامة يهرب ويتم القضاء على العصابة . وفي الفيلم الثاني يسرق صديقان من صديق لهما في السجن خريطة توضيحية للسطو على أحد البنوك . وعندما تنتهي مدة عقوبتهما يشرعان في تنفيذ عملية السرقة لكن أمرهما ينكشف ويتم القبض عليهما . وفي الفيلم الثالث يستولى سراج على قيمة شحنة مخدرات خاصة بالعصابة التي يعمل بها . ولا تكفي العصابة عن البحث عنه في حين يلتقي سراج بإحدى الفتيات التي تفاجئه بأنها رئيسة العصابة وتقتله وتهرب بالحقيقة لكنها تلقى مصرعها وهي مسرعة بسيارتها .

في عام ١٩٨٥ أخرج يحيى العلمي فيلم " جابرية الميناء " الذي تنتهي فيه مدة عقوبة جلال فيخطط مع حبيبته نادية للايقاع بعباس وعصابته ، لكن نادية تقنع

عباس بضم جلال لعصابته فى تهريب الماس . ويسجل جلال تحركاتهم ويبلغ الشرطة ويقبضون عليهم جميا .

فى عام ١٩٨٦ أخرج نادر جلال فيلم " رجل لهذا الزمن " الذى يتم فيه القبض على سيد أحد رجال عصابة تهريب مخدرات وتبدأ محاكمته . ويختطفون ابنته يسرية ليساوموه على براءة سيد الذى يهددهم بالاعتراف عليهم ويرفض كمال ويحكم عليه بالمؤبد ، لكن أفراد العصابة يتمكنون من تهريب سيد ثم يقتلونه . وعندما تهاصر الشرطة مقر العصابة يفاجأ الجميع بأن ناجي محامى سيد هو رئيس العصابة ويقبضون عليه بعد أن يعيد يسرية إلى المنزل لكنه يلقى مصرعه من طلقة نارية مصوبة إليه من المبنى المقابل .

وشهد عام ١٩٨٧ فيلمين من أفلام عصابات المخدرات : " العملية ٤٢ " لعادل الأعصر ، و" رجل فى فخ النساء " لأحمد صقر . فى الفيلم الأول تعمل زينات وزوجها كمال فى عصابة بيومى مهرب المخدرات ، ويتنكر العقيد سامي زوج ليلى شقيقة كمال فى شخصية مهرب مخدرات وينضم لعصابة بيومى وبعد سلسلة من المطاردات يكتشف بيومى حقيقة سامي فيخطف أعونه زوجته وابنته ليضغط عليه لتمرير إحدى عملياتهم من المطار لكن رجال الشرطة يقبضون على العصابة ويعيدون ليلى وابنتها . وفى الفيلم الثانى تعمل ثريا وسمحة ضمن عصابة مهرب المخدرات عمر ، وتنطمعان فى قيمة العملية الأخيرة . ويكتشف جابر الشاب الذى وعدته بالمساعدة حقيقتهما . ويهدهما بالقتل لكي يحصل على نصبيه . وفي الوقت نفسه تتوصل العصابة إليهم لكن الشرطة تستطيع أن تقبض على الجميع .

وفى عام ١٩٨٨ أخرج مدحت السباعى فيلم " نواعم " الذى يتذكر فيه ضابط المباحث جمال فى شخصية سيد المجرم الهاوب من السجن ويلجأ للمعلم هريدى رئيس عصابة مخدرات ليعمل معه فيوافق . وعندما يكتشف عزيز رئيس العصابة الأكبر حقيقة جمال وحب نواعم له يبلغ هريدى ويحاصر رجال الشرطة وكر

العصابة فيثور هريدى على العصابة ويحاول قتل جمال لكن الطلق تصيب نواعم لثقى مصرعها ويتم القبض على أفراد العصابة .

وفي عام ١٩٨٩ أخرج مدحت السباعي أيضاً فيلم " العميل ١٣ " كما أخرج نادر جلال فيلم " جحيم تحت الماء " . في الفيلم الأول يتعاون مأمور الجمرك شريف مع الشرطة للقبض على عصابة لتهريب المخدرات والتي تطمئن لشريف وتشرع في تنفيذ العملية الكبيرة ، في حين يراقبهم رجال الشرطة ويلقون القبض عليهم بناء على المعلومات التي كان شريف يسرّبها إليهم أولاً بأول . وفي الفيلم الثاني يستولى زكي على صندوق به ماس تقوم بتهريبه عصابة البرنس الذي يخفيه في أعماق البحر في الغرفة . ويتوصل البرنس لمكان زكي ويتلقى معه على تقسيم الماس . وتتوالى الصراعات والمؤامرات إلى أن يلقى زكي مصرعه من مكان عال .

ومع مطلع التسعينيات شهد عام ١٩٩٠ خمسة أفلام : " جزيرة الشيطان " لنادر جلال ، و" حالة مراهقة " لسيد طنطاوى ، و" حنفي الأبهة " لمحمد عبد العزيز ، و" الشيطانة التي أحببته " لسمير سيف ، و" اللعبة الأخيرة " ليوسف شرف الدين .

في " جزيرة الشيطان " يتوصّل الشواف وجارته فاطمة والغطاس جلال لمكان الجزيرة التي بها صناديق الذهب ويستخرج جلال بعض سبائك الذهب في حين تظهر عصابة الزغبي التي تراقبهم وتقرر قتل جلال وفاطمة ، لكنه يتمكن منهم حين يفجر لهم المركب ويخلص منه ومن عصابته .

وفي " حالة مراهقة " يستعد رجل الأعمال بهجورى لتهريب ماسة ثمينة إلى روما ويكلّف حسن الموظف بشركته بالسفر بها ، في حين يخطط جاك رئيس إحدى العصابات للاستيلاء على الماسة فيجند مني سكرتيرة بهجورى لهذه المهمة . وتتجه في إيقاع حسن . وبعد مطاردات يفاجأ الجميع بأن حسن يخدعهم منذ البداية

إذ أنه أعاد العاشرة لصاحبها ويحمل أخرى مزيفة !! (بمعنى أن الموضوع كله كان لعب عيال منذ البداية) !! .

وفي " حنفى الأبهة " يقوم حنفى بسرقة محل مجوهرات مع زملائه ويستحوذ على الحقيقة المسروقة التي يخفى لها أخيه أحمد قبل القبض عليهم . ويتمكن شركاؤه الثلاثة من الهرب وخطف دعاء زوجة أحمد كى يستعيدوا الحقيقة . وتوافق السلطات على الإفراج المؤقت لحنفى ليرشدهم عن مكان زملائه . ويسلم أحمد الحقيقة للصوص لكن زوجته تموت بعد اختصابهم لها . وعندما يثور عليهم يصيبه أحدهم ويصل حنفى إلى مكان المعركة ويستعيد الحقيقة بعد أن يقتل أحدهم ويقع الآخرون في قبضة الشرطة ويعود حنفى إلى السجن .

وفي " الشيطانة التي أحبتني " يتعرف ضابط المباحث صلاح على عواطف النشالة المحترفة التي يكون أبوها عصابة سرقة واحتياط كبيرة . وينضم صلاح للعصابة بعد أن يوهمهم أنه فضل من عمله وذلك للإيقاع بها وهى تخطط لسرقة بنك . وفي النهاية يتم القبض على العصابة .

وفي " اللعبة الأخيرة " يعمل شوقي في إحدى عصابات الهيروين ، ويستغل زوجته كوثر في عملياته دون علمها . وفي أثناء سفرها في الخارج يرسل معها عميل زوجها عروسة بداخلها هيروين . وفي القطار تعجب الطفلة مني بالعروسة فتهديها إليها كوثر بعد أن تعرف اسمها واسم مدرستها . ويثير شوقي على ضياع العروسة ويعرف لها بالحقيقة بل ويخطف ابن اختها حسام حتى تعيد إليه العروسة !! وبالفعل تتمكن من استعادتها إلا أن العصابة تقع في قبضة الشرطة ، ويلقي شوقي مصرعه ويعيدون حسام .

وشهد عام ١٩٩١ ثلاثة أفلام : " إذروا هذه المرأة " لسيد طنطاوى ، و " الجلاوى " لعادل الأعصر ، و " اللعب مع الشياطين " لأحمد فؤاد . في الفيلم الأول تظهر لأول مرة عصابة من الأطباء الذين يشخصون حالة الدكتورة نادرة

بازداج في الشخصية ، ويدخلونها مستشفى الأمراض العقلية وذلك لتخطيمها لأنها اتهمتهم بالنصب والاحتيال عندما أعلناوا اكتشافهم لمصل يعالج السرطان . وتنقل عصابة الأطباء كل من يحاول فضح أمرها لكن رئيس العصابة يقتل في النهاية !! (مثله في ذلك مثل أى سفاح أو مجرم !!) . وفي الفيلم الثاني يعمل الجبلاوى لدى تاجر المخدرات عباس ويستولى على قيمة عملية قيمتها مليون جنيه لكن ابنه يطمع في المبلغ ويهرب به في الوقت الذي تقتل فيه العصابة الجبلاوى كما يقتل ابنه على يد غريميه بعد ذلك . وفي الفيلم الثالث يسكن أربعة زملاء في الجامعة في شقة يتصادف أن يخفي فيها سكان الشقة السابقون كمية من الهيرويين . ويعملون على استعادتها !! (وهل يمكن نسيان أو إخفاء شئ كهذا في شقة تركها مستاجروها !!) وتدور مطاردة بين السكان الحالين والسكان السابقين الذين هم عصابة . ويتم القبض عليهم ويستذكر الطلبة في السجن وينجحون وتنتهي مدة العقوبة !! (وتوتهة فرغت الحوتهة !!) .

وشهد عام ١٩٩٣ ثلاثة أفلام : " اللعبة القذرة " لحسام الدين مصطفى ، و " الشعالي " لأحمد السباعوى ، و " اللعب مع الأشرار " لطارق النهرى . في الفيلم الأول يكتشف المحامي الكبير خالد أن زوجته مشتركة في عصابة تهريب يترعماها فاروق رجل الأعمال الكبير صاحب المشاريع الاستثمارية والمستشفى الذي تعمل فيه الدكتورة نوال ابنة خالد !! وتبادل العصابات عمليات القتل ويصم خالد على معرفة الحقيقة لكن العصابة تقوم بخطف نوال ويبلغ خالد رجال الشرطة عن فاروق الذي يحاول الهرب للخارج ولكن يتم القبض عليه مع أفراد عصابته وتعود نوال !! (وهل هناك تفقيق وافتعال واستهانة بالعقل أكثر من هذا ؟ إن أى شئ وكل شئ يمكن أن يقع على الشاشة المصرية !!) .

في فيلم " الشعالي " يحاول رجل أعمال ثرى أن يطمس ماضيه حين كان يعمل في مستهل حياته في مجال المخدرات وله ابن يعمل في نفس مجال أبيه ،

وطارده الشرطة فيلجاً إلى أبيه الذي يخشى أن يعرف ابنه الثاني الذي تخرج في كلية الطب فيضيع مستقبله . وتنتهي حياة الأسرة نهاية مأسوية عندما يقتل ابن الثاني زوجة أبيه ، فيفقد الأب ولديه !!

وفي فيلم "العب مع الأشرار" يعثر لص السيارات فرفور على حقيبة بها هيروين داخل إحدى السيارات ويتوجه إلى عنوان صاحب السيارة كروان ليساومه على إعادة الهيروين مقابل مبلغ من المال لكنه يختلف معه ومع عصابته التي تقوم بخطف حبيبه شوشو لكي يجبروه على إعادة الهيروين لكنه ينقذها بالتعاون مع صديقه فنديل . ويضع فرفور الحقيبة في سيارة كروان ويبلغ رجال الشرطة فيقبضون عليه متلبساً مع عصابته كما يتم القبض على فرفور وصديقه بتهمة السرقة .

* * * *

من هذا الرصد التحليلي يتضح أن العصابات عامة والمخدرات خاصة كعنصر نمطي سرى في أفلام مصرية كثيرة كانت أداة مفعولة للإثارة والتسويق وإن كانت عوامل التكرار والنمطية والقولبة أضعفـت هذه الأدوار إلى حد كبير بحكم أن المتفرج المواطن على مشاهدة الأفلام يعرف حيلها ومفاجآتها وصفتها وحلول مشاكلها مسبقاً ، كان يمكن أن تكون عناصر الإثارة والتسويق مقنعة وصادقة ومتقدمة إذا ما توغل الكتاب والمخرجون في الدوافع السينولوجية التي تجعل من الإنسان العادى مجرماً ، والأسباب الاجتماعية والاقتصادية ، التي تساعد على تشكيل التنظيمات العصابية ، وإن كنا لا ننكر أن بعض الأفلام توغلت في هذا المضمـار ، لكنها تشكل مجرد استثناء من قاعدة عامة . ولعل هذا يرجع إلى عدم اهتمام مؤلفين ومبرجين كثـيرـين بدراسة الخلفية العلمية والعملية

والبيئية والفكرية للشخصيات والأحداث والمواصفات التي يتناولونها في أفلامهم .

ونظرا لأن العصابات عامة والمخدرات خاصة كانت البوابة التي دخلت منها السموم البيضاء إلى المجتمع المصري في العقود الأخيرة وأدت إلى كل مأسى الإدمان ، فإنه من الضروري رصد كيفية معالجة الأفلام لهذه الظاهرة المرضية والمساوية ، وإلى أي مدى تغولت في أغوارها أم ظلت عند سطحها تتخذ منها مجرد مادة للإثارة والمواصفات الميلودرامية دون أي منهج علمي !؟ ومن هنا كان الفصل التالي من هذه الدراسة يدور حول هذا العنصر الذي أصبح هو أيضا نمطاً بحكم تكراره واستهلاكه في أفلام عديدة بنفس المنظور والزاوية .



موعد مع ابليس ١٩٥٥ سنة



المدمن ١٩٨٢ سنة



النمر ١٩٥٢



بنت الأكابر ١٩٥٣

الفصل التاسع

الإدمان والسموم البيضاء

في أعقاب الحرب العالمية الأولى راجت في مصر السموم البيضاء خاصة الكوكايين ، مع جنود الإمبراطورية البريطانية من أستراليين وهنود وبريطانيين أيضاً . انتشرت بين بعضهم في أثناء الحرب ثم انتقلت إلى المصريين الذين اختلطوا بهم في معسكراتهم ، واستقرت حتى مطلع الثلاثينيات . وكان الفنان الرائد سيد درويش قد عالجها في دوره الشهير " شم الكوكايين .. خلاني مسكين " . ولكن يبدو أن جسم المجتمع المصري في تلك الفترة كان من القوة والمناعة بحيث لفظ هذه الظاهرة المرضية ، وأصبحت مجرد ذكرى تتردد بها الأجيال التي عاشت منذ منتصف الثلاثينيات وحتى منتصف السبعينيات حين لم تعد نتيجة لحرب معينة ، وإنما كانت هي حرباً عالمية في حد ذاتها . ونظرأً لموقع مصر في قلب العالم بين تياراته المتضاربة ، فقد أصابها الوباء على شكل كوكايين وهيروين ومورفين ، بحيث أصبح تعاطي الحشيش والأفيون " موضة " قديمة .

ومع صعود طبقات جديدة في المجتمع ، تملك المال ولا تملك الوعي ، في أعقاب ما عرف بسياسة الانفتاح ، انتشرت السموم البيضاء في طبقات عديدة ، ولم تعد قاصرة على الطبقات الدنيا . وانتبهت السينما المصرية لهذا الوباء الجديد وشرعت في التعامل معه منذ أن أخرج عاطف سالم فيلمه " هكذا الأيام " عام ١٩٧٧ . أما قبل هذا التاريخ ، فلم تقدم السينما سوى أربعة أفلام سواء بالنسبة

لإدمان السموم البيضاء أو تعاطي المخدرات التقليدية . وكان أول هذه الأفلام هو فيلم " الكوكايين " الذى أخرجه توجو مزراحي عام ١٩٣١ . وهذا دليل على أن السموم البيضاء على مدى ما يزيد على أربعين عاماً لم تكن ظاهرة تستحق الالتفات أو لم تكن ظاهرة على الإطلاق .

فى فيلم " الكوكايين " لـ توجو مزراحي ، يحاول عامل استمالة زوجة صديقه فيفشل ، فيسعى إلى الوصول إليها عن طريق دفع هذا الصديق إلى إدمان الكوكايين ، فينحرف ويطرد من عمله . وتهار أسرته ، وتطور الأحداث حتى تصل إلى أن يقتل هذا المدمن ابنه ويحكم عليه بالإعدام . أما الصديق الشرير فيموت بعد سقوطه من فوق إحدى السقالات التى يعمل عليها فى إحدى العمارت .

فى عام ١٩٥٨ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " الأخ الكبير " الذى يحترف فيه شاب تجارة المخدرات طمعاً فى الربح السريع لأسرته . ويحرص على أن يتجنب شقيقه الأصغر هذا الطريق وهو طالب فى كلية الحقوق . ويماطل الأخ الكبير فى زواجه من عشيقته التى تنتقم منه بجذب شقيقه الصغير إليها ، ودفعه إلى إدمان الأفيون الذى حرصت على أن تضمه له فى فناجين القهوة . ويفاجأ الأخ الكبير بذلك فيعمل على إنقاذ أخيه من تلك الهاوية ، ولم يجد وسيلة سوى اعترافه بتجارة المخدرات وإرشاد الشرطة عن عصابته ، فيقبض عليهم جميعاً بما فيهم الرافضة وبذلك يضمن إبعادها عن طريق أخيه .

أما عام ١٩٦١ فقد شهد فيلمين عن الإدمان ، الأول " لا تذكرينى " لمحمد ذو الفقار ، والثانى " بلا عودة " لريمون نصور . فى الفيلم الأول تقل امرأة مسنة إلى المستشفى وهى فى غيبة . وتطلب طبيباً معيناً لعلاجها ، فهو زوجها السابق الذى خانته فطلقها . وتندمج فى حياة الثراء حتى تصبح ذات نفوذ ، لكن الصحافة كانت لها بالمرصاد لتهاجمها باستمرار وتندفع إلى الخمر والأفيون . وتتدحر

حالتها إلى أن ينتهي بها الأمر لبيع الحلوى . وتطلب من طليقها أن يأتي لها بابنتها لترأها وتموت دون أن تعرف الفتاة حقيقتها .

في الفيلم الثاني تذهب عاملة في محل أزياء بفستان جديد إلى العميلة لتسليم لها . وكانت العميلة تقطن في فيلا حفلت بأسباب اللهو ، وهي صديقة لرئيس عصابة لتهريب المخدرات . ويقع نظر رئيس العصابة على العاملة ، ويحاول التقرب منها ، ولكن بغير طائل . فيدس لها مخدر المورفين حتى تدمنه دون أن تشعر . ويكتشف البوليس أمر هذه العصابة . وبعد مطاردات عنيفة يتمكن ضابط البوليس من القبض على العصابة وإنقاذ الفتاة وعلاجها من المخدر الذي أدمنته .

والأفلام الثلاثة الأخيرة لا تعبر عن ظاهرة تجتاح المجتمع بقدر ما تعبر عن عنصر نمطي للإشارة الميلودرامية . ولذلك فإن فيلم " الكوكايين " الذي عالج توجو مزراحي انتشاره في مطلع الثلثينيات ، لم يجد له امتداداً فعلياً إلا في عام ١٩٧٧ حين أخرج عاطف سالم فيلمه " وهكذا الأيام " ، وعندما أطلت ظاهرة الإدمان بوجهها الكثيف مرة أخرى ، وفي مختلف الطبقات ، وعلى نطاق أوسع ، إذ يبدو أن جسم المجتمع المصري لم يعد يتمتع بنفس الحيوية والمناعة والحسانة التي كان يتمتع بها من قبل .

في فيلم " هكذا الأيام " تصادق تهانى سلوى وهي فتاة سيئة السمعة ، فيثور عليها أخوها الأصغر عادل ويحاول قتلها ، فتهرب وتتجأ إلى سلوى التي تقنعها بالزواج من الشرى الدرديري . ويستدل أخوها حسن على عوانها . ويعترف له البواب أن زواجهما من الدرديري مزيف فيقتله حسن ويدخل السجن . وتخفي تهانى وتقع ضحية الإدمان وتسوء صحتها . وعندما تنتهي مدة عقوبة حسن ، يصمم على قتل تهانى ، لكنه يجدها في حالة سيئة فيعطف عليها وقارق الحياة وهي بين ذراعيه .

فى عام ١٩٨٣ أخرج يوسف فرنسيس فيلم "المدمن" الذى ينهاه فيه خالد بعد أن تلقى زوجته وابنته مصرعهما . ويعالج بحقن المورفين لدرجة أن يدمنه . ويتولى الدكتور أحمد حليم وابنته الدكتورة ليلى علاجه حيث تربطهما صداقة قديمة . ويتم شفاؤه ، ويسافر إلى الإسكندرية وبصحبته ليلى حتى تتأكد من شفائه التام !! (أى أنها تركت عملها كطبيبة لكي تتفرغ تماماً لعلاجه حتى الشفاء !!) . ويكتشف أبوها اختفاء زجاجة مخدر من المستشفى ، فتهار ليلى لإحساسها بالفشل فى علاج خالد لشكها فى أنه استولى على المخدر وتشور عليه . وعندما يكتشف الدكتور أحمد براءة خالد ، يوضح لابنته الموقف ، وتعذر لخالد ، ويبارك الأب زواجهما !! (نفس النهاية السعيدة المملة !!)

فى عام ١٩٨٥ أخرج على عبد الخالق فيلم "الكيف" الذى يفشل فيه الدكتور الكيمياوى صلاح فى إبعاد أخيه جمال عن إدمان المخدرات . ويتمكن من تكوين تركيبة من مواد كيميائية بدلأ من الحشيش وتؤدى نفس وظيفته ولكن بدون أعراضه الأخرى . وتحوز التركيبة إعجاب مروجى المخدرات ، ويطلب المعلم البنط من جمال إمداده بطن مقابل مليون جنيه . وعندما تؤكّد الأبحاث أن مادة التركيبة تسبب الإصابة بالسرطان ، ينهاه صلاح ، فى حين يضطر جمال إلى أن يبوح بشخصية صاحب التركيبة بعد أن ينال ألواناً من العذاب الرهيب . ويهجم أعون البنط على صلاح ويحققوه بالمورفين ، ويرغمه البنط تحت تأثيرها على كتابة المكونات ، ويتم إنتاج الكمية المطلوبة .

فى عام ١٩٨٦ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم "السفاكينى" ، كما أخرج فيلم "سكة الندامة" فى العام التالى ١٩٨٧ . فى الفيلم الأول يعمل سمير الطالب الجامعى فى منزل شوشو ليوفر نفقات دراسته . ويلتقى عندها ببسوبسة مدمنة المخدرات فيصمم على علاجها !! ويقترض من جاره المعلم جميل مبلغاً ويسلمه

يصال أمانة به . ويؤجر لبسوبسة شقة وتماثل للشفاء !! (من أين له بكل هذه الأموال وهو الذي يعمل في بيت شوشو ليوفر دراسته ؟! أليست هناك نهاية لكل هذا التلفيق والافتعال ؟!) ثم ندخل في موال آخر ليست له علاقة بما سبق ، إذ يهاجم شخصان سيارة عزب شقيق سمير ويسرقان المرتبات . ويندم سمير الذي يعترف لعزب أنه الجاني بالاشتراك مع جميل !! (كل هذا من أجل عيون بسبوبسة !!) . ويدهبان ومعهما بسبوبسة إلى مخزن جميل لاسترداد المبلغ وإعادته للشركة . ويتمكن جميل من إصابة سمير الذي يعترف لرجال الشرطة قبل أن يلفظ أنفاسه بجريمه مع جميل .

في الفيلم الثاني " سكة الندامة " ترفض والدة مها إتمام زواجها على طارق المهندس المعماري الشريف لأنه يرفض تحسين حالته المادية عن طريق الرشوة . وننتقل كالعادة إلى أحداث ومواقف ليست لها علاقة بما سبق فإذا بطارق المحترم يستسلم لحقن المورفين !!! في حين تهرب فتاة الليل حميدة من القواد عزيز وتنوب وتلتقي بطارق ويتزوجان دون أن يعرف أحدهما حقيقة الآخر . ويتماثل طارق للشفاء ويفتح مكتباً هندسياً . ويحاول عزيز إعادة حميدة للعمل فترفض ، فيرسل طارق صوراً فاضحة تكشف عن حقيقتها . فيعود إلى المورفين وينقل إلى المستشفى في حالة خطيرة . وتبلغ حميدة شرطة الآداب عن وكر عزيز ، ويقبضون على الموجودين في حالة تلبس . وتحسن حالة طارق ويتسامح عن ماضي حميدة !!!

في عام ١٩٨٧ أيضاً أخرج على عبد الخالق فيلم " الوحل " الذي يطارد فيه رجال الشرطة إحدى عصابات التهريب ، ويتمكن العقيد خالد من قتل عصام ، فيصم أبوه رجل الأعمال ورئيس العصابة عصمت على الانتقام ، ويخطط مع أعزائه ميرفت ومراد على الإيقاع بزوجته في براثن الإدمان . ويمدها مراد بالمخدر مقابل إفشاء أسرار زوجها ومعلومات عن تحركاته بحيث تفشل خططه

تماماً للقبض على العصابة . وتعترف برلننتى لزوجها بما حدث فينهاز ولا يتخلى عنها . ويلقى عصمت مصرعه على أيدي أعوانه بعد أن يختلف معهم !! (فلا بد أن ينال المجرم جزاءه بأية طريقة !!) وتدخل برلننتى المستشفى للعلاج .

في عام ١٩٨٨ أخرج هنري بركات فيلم " حالة تلبس " ، وأخرجت إيناس الدغيدى فيلم " زمن الممنوع " . في الفيلم الأول تعلم غادة ضابطة شرطة في حين يقع أخوها فريسة لأصدقاء السوء ويموت نتيجة تناوله جرعة كبيرة من الهيروين . تتوصل غادة لعقدة أحد أصدقائه ، وتنقبض عليه وهو متلبس ومعه هيروين . ويتبين أنه ضمن عصابة تهريب مخدرات يتزعمها حازم وشريكه زوجته بثينة وأخوها معروف اللذان يقومان بخطف أم غادة ليضغطوا عليها لتغيير أقوالها ، فهما يخسيان من اعتراف عقدة . ويثور حازم عليها ويطلق زوجته ويصييه معروفاً بطلق ناري ، وتتمكن غادة من مراقبة بثينة وتتوصل لمكان أمها وتنفذها ، ويتم القبض على أفراد العصابة .

في الفيلم الثاني " زمن الممنوع " يرفض عاصم صاحب النفوذ زواج ابنته أميمة من زميلها هشام . وتهار أميمة عندما تكتشف أن أبيها يتاجر في المخدرات ، وتستسلم للهيروين ، ويفشل هشام في علاجها ، لكنه يتزوجها فيمنع أبوها عنها أي نقود كطريقة للعلاج . لكنها تغافله وتبيع أشياء وأجهزة كهربائية من المنزل لتعاطي الهيروين . ويتم اعتقال هشام بصفته من الطلبة الثوريين ، وأثناء ترحيله بسيارة الشرطة يلمح أميمة التي أصابتها لوثة وتقوم برعي الأغنام ولا تعرف عليه !!!

ثم شهد عام ١٩٩٠ ثلاثة أفلام " شبكة الموت " لنادر جلال ، و " تحت الصفر " لعادل عوض ، و " حلاوة الروح " لأحمد فؤاد درويش . في الفيلم الأول تخطط أجهزة الأمن المصرية للقبض على بسيونى الذي يستقر في اليونان ويترעם عصابة لتهريب الهيروين إلى مصر . ويتوصل رئيس المباحث ربيع بتحرياته إلى

أن بسيونى كان على علاقة بنور التى تعانى من إدمان ابنتها هالة للهيروين ، فيطلب منها التعاون معهم وتسافر إلى اليونان حيث تدعى لبيونى الذى يفاجأ بها أنها جاءت لعمل مشروع سياحى . ويتزوجان وتمكن من تصوير مستدات هامة . وعندما يصطحبها إلى مصر ، تبوح له أن هالة ابنته هى نتيجة لعلاقتها . وعند وصوله يلقى مصرعه على أيدي رجال مكافحة المخدرات .

فى لفيلم الثانى "تحت الصفر" يحقق سعد ثروة كبيرة من تجارة المخدرات ، فيصم على تحطيم صديقه مصطفى لزواجه من رجاء التى يعجب بها . ويسافر مصطفى للعلاج بالخارج وعند عودته يتم القبض عليه لوجود هيروين فى حقيبته . ويلقى سعد مصرعه ويشهد قبل أن يلفظ أنفاسه ببراءة مصطفى .

فى الفيلم الثالث "حلوة الروح" يلقى المسجونون السياسيون ألواناً من العذاب والهوان على يد الشاويش عباس ، وفي مقدمتهم الدكتور شوقي . ويبدا عباس فى إدمان المخدرات ، فيتم استبعاده من وظيفته فتتدهور حالته ، وتستجدى زوجته نور بالدكتور شوقي دون أن تعلم أنه ضحية من ضحاياه ، ويحاول الاعتداء عليها انتقاماً من زوجها !! إلا أن الجيران ينذونها !

ثم شهد عام ١٩٩١ تياراً متذبذباً من أفلام الإدمان التى بلغت ستة أفلام : "المساطيل" لحسين كمال ، و "المزاج" لعلى عبد الخالق و "الكبت كات" لداؤد عبد السيد ، و "مراهقون ومراهقات" لأحمد يحيى ، و "بنت مشاغبة جداً" لأحمد السبعاوي ، و "الصلعوك والهائم" لناصر حسين .

فى فيلم "المساطيل" يربط الحب بين نادية وسمير الذى يرفض الزواج منها لفقرها وتتزوج بمن تكبره سناً حتى توفر له الحياة السهلة . وتضطر نادية للانحراف بعد أن تخسر وظيفتها وتتعرف على رفاق السوء

وينضم سمير لسهراتهم محاولاً التوడ لناديـة لكنـها تـصـدهـ . يـرـغـمـوهـ عـلـىـ تـاـوـلـ جـرـعـةـ كـبـيرـةـ مـنـ الـهـيـرـوـينـ تـوـدـيـ بـحـيـاتـهـ . وـتـعـرـفـ نـادـيـةـ لـضـابـطـ المـبـاحـثـ أـنـهـ مـعـ رـفـاقـهـاـ قـدـ تـسـبـبـواـ فـيـ وـفـاتـهـ .

فـىـ فـيلـمـ "ـ المـزـاجـ "ـ تـصـدـمـ جـمـيلـةـ أـحـدـ المـارـاـةـ بـسـيـارـتـهـاـ وـيـمـوتـ وـيـحـكـمـ عـلـيـهـاـ بـالـسـجـنـ لـمـدـةـ عـامـ ؛ـ حـيـثـ تـسـيـطـرـ أـرـوـاحـ تـاجـرـةـ الـمـخـدـرـاتـ عـلـىـ الـمـسـجـونـاتـ .ـ وـتـقـوـمـ شـاءـ شـقـيقـةـ جـمـيلـةـ التـىـ تـعـمـلـ بـالـصـحـافـةـ بـفـضـحـ الـحـيـاةـ دـاـخـلـ السـجـنـ .ـ لـكـنـ أـرـوـاحـ تـمـكـنـ مـنـ جـذـبـ جـمـيلـةـ إـلـىـ طـرـيـقـ الـإـدـمـانـ .ـ وـعـنـدـمـاـ تـتـهـىـ مـدـةـ عـقـوبـتـهـاـ تـعـالـجـ فـىـ إـحـدـىـ الـمـصـحـاتـ .ـ وـتـجـمـحـ أـرـوـاحـ فـىـ الـهـرـبـ مـنـ السـجـنـ ،ـ فـقـرـرـ جـمـيلـةـ الـإـنـقـامـ مـنـهـاـ ،ـ وـتـذـهـبـ إـلـيـهـاـ وـتـجـبـرـهـاـ عـلـىـ اـبـلـاعـ كـمـيـةـ مـنـ الـمـخـدـرـاتـ ،ـ فـتـفـقـدـ وـعـيـهـاـ وـتـرـحـلـ جـمـيلـةـ فـىـ حـيـنـ تـحـتـدـمـ مـعـرـكـةـ بـيـنـ الـشـرـطـةـ وـبـيـنـ أـعـوـانـ أـرـوـاحـ حـتـىـ تـشـتـعـلـ النـارـ فـىـ الـعـوـامـةـ لـتـتـهـىـ قـصـةـ أـرـوـاحـ .

فـىـ فـيلـمـ "ـ الـكـيـتـ كـاتـ "ـ يـهـوـىـ الشـيـخـ حـسـنـ الـكـفـيفـ الـتـلـيـنـ وـالـطـرـبـ وـيـتـحدـىـ عـاـهـتـهـ بـأـحـلـامـهـ وـخـيـالـاتـهـ وـإـرـادـتـهـ الـقـوـيـةـ .ـ وـبـيـعـ مـنـزـلـهـ الـذـىـ وـرـثـهـ عـنـ أـبـيهـ لـلـمـعـلـمـ هـرـمـ تـاجـرـ الـمـخـدـرـاتـ مـقـابـلـ نـصـيـبـهـ الـيـوـمـيـ مـنـ الـحـشـيشـ .

فـىـ فـيلـمـ "ـ مـرـاهـقـونـ وـمـرـاهـقـاتـ "ـ تـتـزـوـجـ سـهـامـ مـنـ ثـرـىـ عـجـوزـ بـعـدـ أـنـ تـخـلـىـ عـنـهـاـ حـبـبـيـهـاـ وـائـلـ .ـ وـتـعـمـلـ نـوـالـ فـىـ بـوـتـيـكـ تـمـلـكـهـ رـيـهـامـ التـىـ تـعـمـلـ فـىـ تـرـوـيـجـ الـهـيـرـوـينـ .ـ أـمـاـ بـدـيـعـةـ صـدـيقـتـهـاـ فـهـىـ مـصـابـةـ بـالـشـلـلـ ،ـ وـيـسـتـغـلـهـاـ زـوـجـهـاـ الـمـدـمـنـ صـلـاحـ فـىـ الـاحـتـيـالـ عـلـىـ أـصـحـابـ الـسـيـارـاتـ وـسـرـقـتـهـمـ .ـ وـتـحـقـدـ سـهـامـ عـلـىـ زـمـيلـتـهـمـ مـاجـدـةـ الـفـتـاةـ الـثـرـيـةـ ،ـ وـتـدـبـرـ مـعـ نـوـالـ وـرـيـهـامـ لـلـايـقـاعـ بـهـاـ فـىـ مـصـيـدـةـ الـإـدـمـانـ وـيـنـجـحـونـ .ـ تـمـوتـ مـاجـدـةـ بـعـدـ تـاـوـلـهـاـ جـرـعـةـ كـبـيرـةـ مـنـ الـهـيـرـوـينـ ،ـ وـيـتـمـ الـقـبـضـ عـلـىـ سـهـامـ وـنـوـالـ وـبـدـيـعـةـ .

فى فيلم " بنت مشاغبة جداً " يدعى كمال لسحر التى يحبها أنه رجل أعمال لكنه يعمل مع عصابة أدهم لترويج الهيروين . ويخفى عمال مصنع الثلج بودرة الهيروين داخل ألواح الثلج الذى تمتلكه درية أم سحر . ويلفون لها تهمة فتسجن وتموت من أثر الصدمة ، وتصمم سحر وأخوها مصطفى على كشف الحقيقة .

فى فيلم " الصعلوك والهائم " يعمل سيد فى ترويج الهيروين مع زميله عبد المنعم وصديقه سوزى ثم يقوم سيد بتوزيعها على سيدات المنازل كنوع من الكولونيا . وتنور أمه عليه بعد أن شكت فى مصدر نقوده وتطرده من المنزل . وينفصل عن زميله عبد المنعم وي العمل بمفرده مع سوزى . وتزداد حالة إحدى ضحاياهما سوءاً ، فيطلقها زوجها ، ويحرمها من ابنتها ، فتتعقب سيد وسوزى وقتلها انتقاماً منهما !!

وشهد عام ١٩٩٢ فيلمين : " الحجر الداير " لمحمد راضى ، و " دماء على الأسفلت " لعاطف الطيب . فى الفيلم الأول يتزوج عادل من الثريا إجلال - برغم زواجه من عزيزة - وذلك لتحقيق حلمه ، وهى سيدة أعمال ومتاجر فى الهيروين . كما يتعرف عادل على شيرين الفتاة الثريا وابنة الحمزوى رجل الأعمال المعروف . وتسقط شيرين فى دوامة الإدمان ، ويستغل عادل حبها له فيتزوجها أيضاً ، لكنها تنهار عندما تعرف أنه متزوج من امرأتين ، وتقبل بجنون على الهيروين ، فيعطيها عادل حقنة لكنها تموت بين يديه !!

وفي الفيلم " دماء على الأسفلت " يتهم الأب بسرقة ملف إحدى القضايا المهمة ، وتندهور أحوال الأسرة ، فتحتول ابنته ولاء إلى فتاة هوى تتعاطى الهيروين . ولا تصلح أحوال الأسرة حتى بعد أن ثبتت براءة الأب .

وفي عام ١٩٩٣ أخرج علاء كريم فيلم " ٨٥ جنائيات " الذى يحتوى على نفس التوليفة النمطية التى تجمع بين السجن والمطاردة والرشوة وترويج الهيروين والكسب الحرام والإثراء الفاحش . مما يدل على أن معظم الأفلام التى عالجت

قضية الإدمان والسموم البيضاء والمخدرات بصفة عامة ، لم تهتم بإلقاء الأضواء الفاحصة على الأسباب والدوافع السيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بقدر اهتمامها بالنتائج والمظاهر التي تحمل في طياتها العناصر الميلودرامية النمطية . ويرغم أن عدد الأفلام التي تناولت هذه الظاهرة المرضية والنفسية لم يكن كبيراً ، إلا أنها وقعت أسيرة النمطية أيضاً ، لأن التوليفة التي قدمتها الأفلام المبكرة في هذا المجال غالباً ما تتحول إلى قوالب جاهزة لصب المضمونين التالية فيها ، مع تنويع بسيط في التفاصيل والتوازن . وهذا يدل على أن سلاح السينما المصرية الوحيد لتحطيم سطوة هذه العناصر النمطية ، يتمثل في الدراسة العلمية والتحليلية لأبعاد القضايا والتيمات التي تتناولها أولاً ، ثم يأتي بعد ذلك دور الصياغة الفنية والDRAMATIC بكل ما تتطوى عليه من عوامل الجذب الفكري والإثارة الوجدانية .

• • • •



الطوق والاسورة إخراج / خيرى بشاره سنة ١٩٨٦



السادة الرجال سنة ١٩٨٧



اغتيال مدرسة

اخراج / اشرف فهسي سنة ١٩٨٨



زمن حاتم زهران

سنة ١٩٨٧

الأحلام والرؤى والأشباح والشعودة

كانت لعبة الأحلام والكوابيس والرؤى والأشباح والأرواح والسحر والشعودة من اللعب المفضلة في السينما المصرية ، خاصة في أفلام الكوميديا أو أفلام الرعب أو الأفلام التي تمزج هذه العناصر لإحداث أكبر تأثير ممكن في الجمهور . وإن كانت أفلام الرعب لا تعد نمطية في السينما المصرية التي لا تتقنها وليس عندها شخصيات من أمثال دراكولا وفرانكنشيتن وذى اللحية الزرقاء أو القصور المهجورة أو الأماكن النائية التي تسكنها الأشباح والأرواح . فقد كان المزاج المصري يميل لاستخدام هذه العناصر في إحداث مفارقات كوميدية وفكاهية ومفاجآت غير متوقعة وأحياناً غير معقولة لكنها مقبولة من الجمهور ذى الشهية المفتوحة للضحك والمرح . ولذلك بدأت هذه العناصر التي أصبحت نمطية فيما بعد مع البدايات الأولى للسينما المصرية ، كنوع من الفانتازيا الخيالية التي تتطلق بالجمهور بعيداً عن قيود الواقع الروتيني المحدود ، وخاصة أن لدينا تراثاً عريقاً من الجن والعفاريت والأساطير وألف ليلة وليلة ، جعلنا نميل إلى الاستمتاع بهذا المجال بصرف النظر عن مصادفيته الواقعية . فالعبرة هنا بالمصداقية الفنية والخيالية التي جعلت السينما الأمريكية نفسها مقبلة ومستغلة لهذا المجال منذ نشأتها حتى الآن .

وكان أول فيلم يستغل هذا العنصر النمطي هو فيلم "الساحر الصغير" الذي ألفه وأخرجه وقام ببطولته عام ١٩٣١ مخرج لم نسمع عنه بعد ذلك واسمه محمد خليل راشد . وكان الفيلم من تصوير الرائد الكبير محمد بيومى ، والموسيقى من وضع الموسيقار محمد عبد الوهاب . فى الفيلم يقوم الدكتور راشد وابنه مصطفى برحلاة إلى الهند . وهناك تعرض ساحر هندي عجوز لمحاولة قتل ، وقام الدكتور وابنه بإنقاذه . ولكى يرد العجوز الجميل عرض عليه أن يعلم ابنه السحر بشرط إلا يستخدمه إلا فى مكافحة الشر . ويلتقى مصطفى ببهلوان ويصادقه ، لكن بهلوان يصادق راقصة ويشرب الخمر ويشم الكوكايين ، مما يؤدى به إلى مستشفى الأمراض العقلية . وبعد فترة يهرب بهلوان من المستشفى ، وتحث مطاردات بينه وبين الناس حتى يقع فى أيدى مطارديه ، لكن مصطفى بسحره الذى تعلم من الهندى ينقذه بشرط إلا يشرب الخمر ويشم الكوكايين . وينطلق الصديقان مرة أخرى معاً فى طريق الخير .

فى عام ١٩٣٧ أخرج توجو مزراحي فيلم "الساعة سبعة" الذى يعمل فيه عثمان محصلاً فى أحد البنوك . ويضطر لشرب الخمر هرباً من كابوس حماته التى تتغصن عليه حياته . وذات ليلة يفرط فى الشراب ، وينام ويحلم بعصابة تسطو عليه لسرقة ما فى عهده من نقود ، ويوجه إليه اتهام السرقة أو التبديد ، فيهرب من البوليس وهو فى زى امرأة . وينهال الناس عليه ضرباً . وفجأة يدق جرس المنبه حيث يستيقظ عثمان مذعوراً ليذهب إلى عمله فى البنك كعادته .

فى عام ١٩٣٨ أخرج أحمد بدر خان فيلم "شيء من لا شيء" الذى يريد فيه أحد السلاطين المماليك أن يزوج ابنة أخيه الأميرة نجمة من ولى عهده الأمير عنتر ، لكن الأميرة ترفض . ويثير السلطان ويحكم عليها أن تتزوج أسيراً شاباً هو هلال الذى يحبها برغم احتقارها له . وكانت هناك جماعة إرهابية تخطط للقضاء على الأمير عنتر فترسل أحد أعضائها لقتله ولكنه يفشل . وبمرور الوقت

تقع نجمة في حب هلال ، وتعين سلطانة على وطنها ، وينتهي حبها بالزواج .
وفي النهاية يتضح أن هذا لم يكن سوى حلم شاهده السلطان في منامه .

كما أخرج أحمد بدر خان أيضاً في عام ١٩٤١ فيلم " عاصفة على الريف " الذي يهاجم لأول مرة الدجل والشعودة من خلال شخصية الدكتور أشرف الذي يعمل مفتش صحة في الريف ، ويشكل خطراً يهدى مكاسب حلاق الصحة والعمدة والعطار ومن يمتلكون الدجل والشعودة في القرية . ولم يتراجع الدكتور أشرف بل استخدم كافة الوسائل ، وفي النهاية ينتصر عليهم ، خاصة بعد أن خلص القرية من وباء الطاعون . وهي نفس الفكرة التي أقام عليها توفيق صالح فيلم " صراع الأبطال " عام ١٩٦٢ .

في عام ١٩٤٤ أخرج يوسف وهبي فيلم " برلنلي " الذي يخبر فيه أحدهم المحامي سامي أنه سيموت في نفس الوقت الذي تموت فيه امرأة من نفس برجه العذراء ، فيفاجأ بأن صفات هذه المرأة تتطابق على نانا زوجة صديقه عادل ، لكن الشيء الطريف أن هذه النبوة ليس لها أي تأثير على مسار الأحداث بعد ذلك ، وإنما تمر الشخصيات بالصراع التقليدي الراهن بالمؤامرات والقتل .

وفي عام ١٩٤٤ أيضاً أخرج نيازي مصطفى فيلم " طاقية الإخفاء " الذي يعتقد فيه المعلم عباس السكري أن المال هو سر سعادة الإنسان . ويعثر على طاقية الإخفاء ، وينال المعلم كل ما يتمنى بها . لكنه يعرف الخيانة والغدر فيما يحيطون به عندما يغتلى ، ولم يجد من يحبه بعد الطاقية وكانوا كثيرين قبلها ، فيمزق الطاقية ويعود إلى منزله وهو يحمد الله على سلامته .

في عام ١٩٤٥ أخرج يوسف وهبي فيلم " سفير جهنم " المستوحى من رواية " فاوست " للأديب الألماني جيته ، وفيه يعمل رجل تعيس ، يسمى رمضان ، مدرساً ، ويصادف شحاذًا فيصرفه بالحسنى . فيبلغ الشحاذ مولاه سفير جهنم بعثوره على رمضان الذي يصلح صديقاً للشيطان ، إذ أنه تعيس وتشكو زوجته من

الأمراض ، وابنته ناقمة ، وابنه مدمن وصديق راقصة . وينصحه الشيخ جاد المولى بالصبر ، لكن الشيطان يسيطر على بيت رمضان ، ويظهر في شكل كونت أنثى ، ويعرض مليون جنيه إغراء للزوجة ، والابن يحكم عليه بالإعدام ، والابنة تتزوج من رجل عجوز ثرى ثم تدخل مستشفى الأمراض العقلية ، ويخسر الأب أمواله . وتنفيذ الأسرة كلها من كابوس واحد !!!

في عام ١٩٤٦ أخرج محمد عبد الجواد فيلم "عودة طافية الإخاء" الذي ترتبط فيه الزوجة بصديق شرير يجمع ماله عن طريق الحرام ، ويحاول أن يفرض سلطته على ابنتها ، ويخطط لزيوجها من شاب مجرم . ويقف في طريقه زوجها ، فيدبر له مكيدة إجرامية ليخذل به في السجن . وعن طريق طافية الإخاء ينتصر المظلوم ويحل البرىء محل المجرم في السيطرة على الأمور

وشهد عام ١٩٤٧ ثلاثة أفلام : "كنز السعادة" لإبراهيم لاما ، و "الستات عفاريت" لحسن الإمام ، و "عروسة البحر" لعباس كامل . في الفيلم الأول يوجد رجلان : الأول نجد له زوجة وولدان ، والثاني صاحب قهوة له زوجة وابنة تحب ابن المنجد ويحبها ويستخدم ابن المنجد عصا سحرية يسخر بها جنية لكي تتحقق له كل مطالبه . وفي النهاية يتضح أنه كان حلمًا رأه الشاب في منامه . وفي الفيلم الثاني يعيش زوجان حياة غير مستقرة لكثرة النزاع بينهما . وتموت الزوجة فيتزوج الرجل من صديقة لها ، فيلاحقها شبح الزوجة ويسبب لها القلق . وأخيراً تتركهما يعيشان في أمان بعد أن تتأكد من حب وحنان الزوجة الأخرى على ابنتها . وفي الفيلم الثالث يتمنى صياد أن يصبح غنياً فيعلم أنه اصطاد عروسة البحر التي بدموعها يمكن أن تحيل المعدن إلى ذهب ، ولكنه يشقى في حياته الجديدة إذ يضطر أن يقتل ويسجن وأخيراً ينتفي من نومه ويرضى ب حياته كصياد !! (ونذلك طبقاً للمقوله التي اعتقدها السينما المصرية طويلاً وهي أن التعاسة في الغنى والسعادة في الفقر) !!

وفي عام ١٩٤٨ أخرج حسين صدقى فيلم " القاتل " الذى يعترف فيه القتيل قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة أنه انتحر ، فيطلق عادل وكيل النيابة سراح الراقصة المتهمة بقتله . ثم يغفو عادل قليلاً فويرى أنه قتل عشيق الراقصة فى منزلها ، ويحاول إخفاء جريمته ، ويتمس العدالة لكن أحد المجرميين يفضح أمره ويهدده فينتحر . وعند احتضاره يصله خبر موت هذا المجرم . ويستيقظ من حلمه على صوت الضابط طالباً تصريحأً بدفع جثة القتيل !!!

وشهد عام ١٩٤٩ فيلمين : " سر الأميرة " لنيازى مصطفى ، و " عفريتة هانم " لهنرى بركات . فى الفيلم الأول تهرب فتاة من الأقصر لتقع فى براثن منوم مغناطيسى ، يستغلها ليجمع ثروة عن طريق إيهام الناس بأنه يحضر روح أميرة فرعونية . ويطاردتها ابن عمها الذى حاول قتلها من قبل ، فتقتله . وتحب شاباً يكشف سرها ف تعمل على نجاتها ويتزوجها ويتصدى للمنوم ويعمله من استغلالها . وفي الفيلم الثانى تتجوّل الراقصة عليه فى إيقاع ميمى فى حباتها . وبرغم أنها تحب المطرب عصفور ، فإنها تخطب لميمى بك ويتقابل عصفور مع رجل عجوز يدله على مصباح علاء الدين الذى يمنحه كل شيء من خلال عفريتة اسمها كهرمانة . لكن عصفور يفقد المصباح ، ويعود لسيرته الأولى ، ويبتسم له الحظ هذه المرة و تستجيب له عليه .

وفي عام ١٩٥٠ أخرج يوسف شاهين أول أفلامه " بابا أمين " الذى يحلم فيه رب الأسرة بأنه مات فجأة ونزلت بأسرته النكبات والديون ، واضطررت زوجته لبيع أثاث المنزل . وتعمل ابنته راقصة فى ملهى . ويسعى خطيبها لإنقاذهما من هذا المصير . ويفيق من حلمه ويسرع لصديقه الذى أخذ منه كل ما يملك لاستغلال ثروته فى مشروع خيالى ، ويسترد منه ما أخذه منه .

وفي عام ١٩٥١ أخرج أحمد خورشيد فيلم " السبع أفندي " الذى يضيق فيه السبع أفندي الموظف البسيط بإهانات رئيسه فى العمل وخاصة أنه قريب أيضاً

لشربات الفتاة التي يحبها . وعندما يتقىم لخطبتها ، يقف في طريق زواجهما . ويغفو السبع أفندي ليرى في حلمه تحقيقاً لكل أمنيه ، فينتصر على رئيسه ويغلب على عدوه . وفي النهاية يص هو ويتزوج بالفعل من شربات !!!

في عام ١٩٥٣ أخرج عيسى كرامة فيلم " حرام عليك " الذي يعمل فيه إسماعيل وعده في محل لبيع الآثار ، ويحضران صندوقاً به مومياء . ويراقبهما رجل يدعى أنه عالم آثار قادر على إحياء المومياء ، وأنه قرر أن يضع إسماعيل تحت سيطرته ليستخرج منه ليضعه في المومياء . ولا يتصدى له سوى خطيب ابنته الطبيب فيحدث صراع بينه وبين العالم المدعى فيسقط العالم والمومياء من على شاهق يموت على أثره .

في عام ١٩٥٤ أخرج حسن الصيفي فيلم " غرفية إسماعيل يس " الذي يعمل فيه مغني وراقصة في كباريه ، ويتفق صاحبه مع مجرم على قتل الراقصة ليقبض قيمة التأمين على حياتها . ومن خلال أحداث هزلية تظهر روح الراقصة للمغني تطالبه بالكشف عن شخصية القاتل الذي يتم القبض عليه ، ولذا ترك روح الراقصة المغني ويتزوج من الفتاة التي يحبها .

وشهد عام ١٩٥٥ ثلاثة أفلام : " موعد مع إيليس " لـ كامل التمسانى ، " عروسة المولد " و " تار بait " لعباس كامل . في الفيلم الأول تكرر تيمة فاوست الذي باع نفسه للشيطان في شخصية طبيب نائم على فقره ، فيظهر له الشيطان ويعقد معه اتفاق يمكنه من التعرف على حالة المرضى حسب شحوب وجوههم وينفذهم في اللحظة الأخيرة . ويشتهر وينثرى ثراء فاحشاً لكنه يلاحظ شحوب وجهه وحيده الطفل وينقله إلى المستشفى لإجراء عملية له . لكنه ييأس فيهرع إلى إيليس يستجد به لكنه يتذكر له . ويصاب الطبيب بالعمى في حين يشفى ابنه في اللحظة التي يختره فيها إيليس بوفاته . عندئذ يتذكر الله فيختفى إيليس من حياته .

أما فيلم "عروسة المولد" فقد صنع منه عباس كامل فيلماً استعراضياً جميلاً وغير نمطي من خلال مجموعة من حلأة المولد على أشكال عرائس وفرسان ، وتنمى احدهما أن تدب فيها الحياة لترقص وتغنى وتستمع بمباحث الحياة . وتذهب عندما يتحقق حلمها ، لكنها تذهب أكثر عندما تتبع ما يجرى أمامها من مأسٍ زاخرة بصور النفاق والرياء والخيانة والغدر والحدق والاستغلال . وعندما لا تجد نفسها قادرة على أن تكيف نفسها مع هذه الحياة تلقى بنفسها في صهريج الطوى لتصير من جديد .

في فيلم "تار بait" يعود عباس كامل إلى لعبة الحلم لكي يبرر في نهاية الفيلم الأحداث غير المنطقية التي وردت فيه ، من صراع على قطعة أرض ، ومنع زوجة ، وإصاق تهمة القتل بأخر ، وقيام كبير الرحمة بقتل من اتهم بالقتل ، ويندم على فعلته ثم يفيق من حلمه لتسوية الخلاف مع شقيقه ويتم زواج الخطيبين .

وقد شهد عام ١٩٥٦ فيلمين لعاطف سالم : "معجزة السماء" و "صوت من الماضي" . في الفيلم الأول يطمع موظف أن يقوم ببطولة استعراض غنائي . ويلتقى بفتاة يحبها ويتزوجها وينجب منها ويواصل حياته البسيطة لفشلها في تحقيق الشهرة والثروة ويصاب في حادث ، وفي حالة الإغماء يحلم بذهابه إلى الإسكندرية ووقوعه في غرام فتاة لكنه يقتلها ليله زفافها . ويفيق لنفسه منزعجاً ، ويعود لسابق حياته مع زوجته وأولاده . وفي الفيلم الثاني رأى صبي أمه الحبيبة إلى قلبه والمتوفاة في حلم ، تخبره فيه بأنه سيقع له حادث تصادم لقطار يركبه لكنه سينجو منه ، وأن أخته ستموت في ليلة زفافها إلى أحد الضابط ، كما أنه سيموت في منتصف ليلة عيد ميلاده الخامس والعشرين !! ويكبر الفتى ويدخل كلية الطب . ويقع له الحادث الأول ، ثم يعلم أن أخته ستتزوج ضابطاً يحاول منعها لكن السيارة تقلب بأخته وزوجها وتموت . ويحب زميلته في الكلية ويتفقان على الزواج لكن الحلم لا يزال يطارده ، فيحاول أن ينهى حياته بيده لكن خطيبته تتقذ حياته في

اللحظة الأخيرة في ليلة عيد ميلاده ، ويعود إليه الأمل في الحياة . وهي نفس التيمة التي عالجها محمد حسيب في فيلم " الكف " عام ١٩٨٥ .

في عام ١٩٥٨ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " ساحر النساء " الذي يخرج فيه سجين من سجنه ليستغل مقدراته على النصب والاحتيال على سيدات الطبقة الراقية بادعائه تحضير الأرواح ، واستغلاله لسيدة جاءت إليه طالبة من الأرواح شفاء زوجها من الشلل ، فيأخذ مالها ويسلبها شرفها وينتهي به الأمر بعودته إلى السجن مرة أخرى .

أما عام ١٩٥٩ فقد شهد أربعة أفلام : " سر طاقية الإخفاء " لنيازى مصطفى ، و " أم رتيبة " للسيد بدبير وفيلمين لحسن رضا : " عفريت سمارة " و " المبروك " .

في " سر طاقية الإخفاء " يدور الصراع النمطى على ملكية طاقية الإخفاء ، بين من يحاول أن يستخدمها في الخير ومن يسرقها لأهداف شريرة ، لكنها تعود في النهاية إلى أصحابها الخيريين . وفي " أم رتيبة " يتورم شاب بأنه مريض بالقلب ، ويتحقق بقعة شقيقه على استحضار الأرواح لشفائه ، لكن حبيبته ترزع عن تفته بالأرواح وتتفق مع فتوة الحى ليشتبك معه في معركة تؤكّد له سلامته قلبه . وفي " عفريت سمارة " تظهر روح سمارة متجسدة أمام حبيبها ضابط البوليس الذى يعيش حزيناً عليها ، وترفض أن يتزوج من قريبة لأمه ، لأنها على علاقة بقضية المخدرات التي عهد بها إليه ، وللتى ثبت له بعد ذلك صحة كلام روح سمارة عنها . وفي " المبروك " تعيش الأرملة بهيجه هائم وحدها ، وتسلم قيادها للدجالين . وعند أحد الأضرحة تقابل المحتال المبروك الذى يوهمها أن لها أعداء يكيدون لها . ويسيطر المبروك بعد ذلك على تفكيرها ، ويعتدى على ابنتها زينب ويحاول أن يلصق التهمة بابن عمها وحبيبها صابر . لكن أهل القرية يطاردون المبروك ويقبضون عليه البوليس ويعرف بجريمته مع زينب .

وافتتح فطين عبد الوهاب عقد السينينات بفيلم "الفانوس السحري" عام ١٩٦٠ الذي يأمل فيه فراش فقير طيب القلب في أن يصبح ثرياً، ليتزوج من فتاة أحالمه ويخلص من إيذاء مديره. ويعثر على الفانوس السحري، فيطلب من عفريت الفانوس مبلغ عشرة آلاف جنيه فيشرط عليه أن ينفق هذا المبلغ في يومين. كما يطلب منه أن يحل محل المدير الذي يصبح بدوره فراشاً. لكن المدير يتمكن من سرقة الفانوس ويستخدمه في إدلاله وإيذائه، لكن الفراش يستطيع استعادته ويدور الصراع بينهما. أما الحل العقلاني فيفترض نفسه عندما يتقدم لمجلس إدارة الشركة بمشروع يحقق أمله في الزواج من فتاة أحالمه.

وفي نفس العام (١٩٦٠) أخرج حسن الصيفي فيلم "إسماعيل يس في السجن" الذي تتشل فيه محفظة حاجب محكمة في أول الشهر فيجاهه موقفاً حرجاً مع صاحب المنزل الذي يهدده بالطرد. ويغفو ويحلم أنه يرغب في سداد ديونه، فيأخذ أسرة زوجته ليرهنها لدى صاحب المنزل المرابي لكنه يموت فجأة بين يديه، فيحمله إلى منزله، كما تسرق خزانة صاحب المنزل ويقدم الحاجب للمحكمة. وتضطر زوجته إلى العمل كمطربة. ويحكم عليه بالإعدام. ويصحو من حلمه على صاحب المنزل يطالبه بالأجرة !! (ففي الحلم متسع لكل الأحداث المعقولة وغير المعقولة وربما تلك التي لا لزوم لها) !!

وشهد عام ١٩٦٢ ثلاثة أفلام: "جمعية قتل الزوجات" لحسن الصيفي، و"القصر الملعون" لحسن رضا، و"انسى الدنيا" لالهامي حسن. في الفيلم الأول تغير أم عبده على زوجها نوح غيره عمباء. وهي تؤمن بالسحر فتلجاً للشيخ عجائب لكي يسحر لزوجها ولا يجعله ينظر إلى غيرها، وتجعله يقيم في غرفة بينهما. ويزداد تبرم نوح بأحوال زوجته فيولف جمعية من الأزواج لتخلص أعضائها من زوجاتهن. تبلغ زوجته البوليس الذي يداهم المكان فيجد أنها جمعية وهمية. وفي الفيلم الثاني تنتقم نجية شخصية يسرية وتحاول قتل أبيها، كما أن

شقيق فهمي التوأم يخرج من السجن فيحل محل شقيقه بعد أن يسجنه في قاعة سرية بأسفل القصر ليقتله في الوقت المناسب في جو كابوسى . وفي الفيلم الثالث يلتقي شاب فقير بساحر يخبره أن فى إمكانه أن يمنه كنزاً فيفرح الشاب لأن كل أمله كان فى الفوز بفتاة أحالمه التي ينافسه فى جبها فكهانى الحى الذى يغرق الأسرة بهدايا كثيرة ، لكن لم يكن الشاب يتصور أن الكنز هو تسخير الجن للذين يلتكون بالفكهانى ويضربونه ويعذبونه حتى يتخلى عن الفتاة ، وهكذا يفوز الشاب بخطيبته ويزف إليها ، لكن ما يليث أن يصحو من حلمه ١

فى عام ١٩٦٣ أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " عروس النيل " الذى يباشر فيه المهندس سامي عملية تقبيل عن البترول ، وعند الحفر تظهر له آخر عرائس النيل ، وتشرع الفتاة فى معاكسته وتوقعه فى ورطة شديدة لكنه يرتبط بها علاقة حب . وفي نهاية الفيلم تدخل صحفيه تشبه عروس النيل تماماً لتجرى تحقيقاً صحيفياً مع المهندس سامي الذى يذهل عندما يراها .

كما أخرج فطين عبد الوهاب فى عام ١٩٦٤ فيلم " اعترافات زوج " الذى يدور حول حلم غرامى يمر به الزوج فتتصور الزوجة أنه حقيقة . وتتولد المواقف الحرجة الراخراة بالشك وسوء التفاهم ، لكن الأمور تعود إلى طبيعتها فى النهاية .

فى عام ١٩٦٥ أخرج محمود فريد فيلم " العقلاء الثلاثة " الذى يعاني فيه أمين صاحب محلات تجارية من أحالم مزعجة يرى فيها جمعياً نفس الشاب ويفاجأ أمين بصلاح الشاب الذى يشبه الشاب الذى يظهر له فى الحلم ، يطلب منه عملاً ، فيوافق تحت إلحاح ابنته سامية التى وقعت فى حبه ويتلقان على الزواج ، لكن أباها يرفض ويطرده . ثم تعود الأحلام للأب فيرى صلاح وهو يخطف منه زوجته . ويتردد الأب على الطبيب النفسي الذى لا يرى أى علاج له سوى فى موافقته على زواج ابنته من صلاح .

فى عام ١٩٦٩ أخرج إبراهيم عمارة فيلم "من أجل حفنة أولاد" الذى يتزوج فيه المدرس مرة ثانية لعله يستطيع أن ينجذب ، فيفاجأ بأن زوجته الأولى حامل وكذلك الثانية . ونظراً لظروفه المادية الصعبة ، توافق الزوجتان على الإقامة فى منزل واحد ، وتند كل زوجة عدداً من الأطفال لتقلب حياة حسن إلى جحيم . ويكتشف حسن أن كل هذا ليس سوء كابوس رأه فى منامه !!

فى عام ١٩٧١ أخرج كمال عطية فيلم " البعض يعيش مرتين " ولم يتذرع فيه بالحلم أو السحر أو الشعوذة ، وإنما يلعب لعبة الفنتازيا بصرامة ووضوح على أساس أن الفن ليس صورة مطابقة للحياة ، ولا يقول ما تقوله الحياة ، وإنما يضيف إليها رؤية جديدة ، ويعيد صياغتها نحو الأفضل فمثلاً يموت الأب من الصدمة لتفكك أسرته وانهيارها ، لكنهم يفاجأون باختفاء جثته ، ثم يكتشفون أن روحه تتجسد في الجuran الملكي الذي اكتشفه بحكم عمله كعالم آثار . وينجح طوال أربعين يوماً في تقويم أولاده ، ثم تفارق روحه إلى الأبد .

فى عام ١٩٧٢ أخرج محمود ذو الفقار "برج العذراء" الذى تعانى فيه إلهام من إيمان زوجها فهمى بالمنجمين ، فتخطط مع نانا على إبعاده عن طريقهم ، وتدعى له أن منجماً تتبأ لناانا أنها سوف تموت وهى حامل ، وأنه سوف يموت وتتزوج إلهام من بعده . وتدعى نانا كذباً أنها حامل ويعيش فهمى فى حالة نفسية سيئة ، فيكشفان له الحقيقة ، وأخيراً يكف عن التردد عليهم .

فى عام ١٩٧٣ أخرج يحيى العلمى فيلم " المرأة التى غلبت الشيطان " الذى يعبر تنويعه أخرى على تيمة فاوست من خلال شخصية شفيفة التى تعانى من سخرية الناس وقسوتهم عليها لدمامتها . ثم يظهر لها أدهم حفيد إيليس ويعقد معها صفة إذ يلبى كل مطالبها مقابل أن تسلمه روحها بعد عشر سنوات . وبالفعل تحول إلى مليونيرة ، وتبدا سلسلة انتقامها من كل من أساء إليها ، إلا أنها تنهار وتسلم روحها وهى بين يدى الله أثناء الحج .

فى عام ١٩٧٦ أخرج حسن الصيفى فيلم " ممنوع فى ليلة الدخلة " الذى ت تعرض فيه ظريفة على زواج ابنتها منى من تحسين ، فهى تريد لها زوجاً ثرياً لكن أباها يبارك الزوجة . وتموت ظريفة ويتلقى عاشر مع زوجة التى يحبها على موعد لزواجهما . وتنظر روح ظريفة للأربعة وتهدهم بعدم إتمام الزواج . يختارون فيذهبون إلى أحد محضرى الأرواح الذى ينصحهم بظهور شخصية أخرى كانت تخشى منها ظريفة . ويقع اختيار عاشر على أمه حفيظة ، وبالفعل تسلمها حفيظة إلى بوليس الآخرة ويتزوج .

فى عام ١٩٧٨ أخرج أنور الشناوى فيلم " الاعتراف الأخير " الذى تموت فيه درية فى حادث سيارة فيظل زوجها وفياً لذكرها . ثم يلتقي بسميرة زميلته فى الجامعة وتعترف له أنها أحبته فى صمت ، وتخبره أن درية كانت زوجة خائنة وتقديم له الدليل على أنه لا جدوى من حزنه . وتنتركه سميارة فيفاجأ أن مكان لقاءه بها ليس سوى المقابر ، وان التى قابلها ليست سوى شبح سميارة التى ماتت ، ويقرأ اسمها وتاريخ وفاتها على أحد المقابر .

فى عام ١٩٧٩ أخرج يحيى العلمى فيلم " خطيئة ملاك " الذى ينزل فيه الملاك طومار ليعيش بين البشر ، ويلتقى بالساحر سليمان الذى يكتشف أن طومار عيناً سحرية فيقنعه بالعمل معه . ويطمع سليمان فى ياسمين شقيقة زوجته ويغتصبها . ويستغل سليمان أصابع طومار التى بلا بصمات فى سرقة خزينة الفندق الذى يعمل به ، لكنه يفشل لمراقبة رجال الشرطة له . تقوم ياسمين بقتل سليمان بعد أن تضيق به ويتم القبض عليها . ويعود طومار إلى عالم الملائكة !!

فى عام ١٩٨٤ أخرج نيازى مصطفى فيلم " فتوة الناس الغلابة " الذى يمتلك فيه كامل مكتبة لبيع الكتب القديمة حيث يعثر على قلادة داخل كتاب ، وتجعله يختفى عن الأنظار عندما يرتديها ، بل وتحقق مطالب حاملها ، لكن مفعولها يبطل إذا أخبر مكتشفها أحد بذلك . ويتحقق كامل بعض متطلبات أسرته . لكن ابنه الفاسد

سمير يكتشف سر القلادة ويسرق بها أحد البنوك ، فيعترف كامل بسر القلادة للشرطة ويتم القبض على سمير .

في عام ١٩٨٥ ظهرت أربعة أفلام من هذه النوعية : اثنان منها لمحمد حبيب : " الكف " و " استغاثة من العالم الآخر " ، و واحد لمحمد راضى " الإنس والجن " ، والرابع ليس إسماعيل يس " بصمات فوق الماء " .

في فيلم " الكف " يتبعاً الزغبي العراف البارع من قراءة كف المستشار مختار أنه سيرزق بثلاثة أبناء وسيمدون ليلة زواجهم . وبالفعل يلقى ابنه حسام مصرعه برصاصه طائفة ليلة زفافه ، والثانية شهاب يلقى مصرعه مع عروسه عد الزفاف بسيارتهما . ويصل عمر الابن الثالث من هولندا ليتزوج من إيناس ، وترضخ العائلتان أمام إصرارهما ، ويتم الزواج ويسافران إلى هولندا ، لكن الطائرة تحترق على أرض المطار ، لكنهما لا يموتان ويعالجان من إصابتهما .

في فيلم " استغاثة من العالم الآخر " تتمتع تهانى بقدرة على الاتصال بأشخاص من العالم الآخر ، وتحلم بالدكتور النفسي الراحل على الذى يخبرها بوجود مفتاح آخر لخزانة منزله ، لكن أرملته سوسن تأخذ المفتاح . ويتضح أنها قتلت على بمعاونة شريكها أبو العلا . وتقاوماً أن عدى أوصى بثروته كلها لطفاته هبة فى حين يتمكن المحامى صفت خطيب تهانى من العثور على مستند مهم يدين سوسن التى تخطف تهانى وتهده بقتلها ليعيده إليها ، إلا أنها وشريكها يقعان فى قبضة العدالة .

في فيلم " الإنس والجن " تعود فاطمة من أمريكا بعد أن تحصل على الدكتوراة ، وتنقابل في الطائرة مع جلال الذى يخبرها أنه خبير سياحي . ثم تقابلا بجلال في غرفتها يحذرها من الزواج من الدكتور أسامة ، لأنه ينوى الزواج بها برغم أنه من الجن ، بل ويهددها بقتل أسامة . وتنهار فاطمة وتحاول الانتحار ، لكن أسامة ينقذها بتلاوة بعض الآيات القرآنية فيخفى جلال نهائياً من حياتها وتتزوج أسامة .

فى فيلم " بصمات فوق الماء " يستولى رمزى على ميراث أخته التى حرمتها منه أبوها لزواجها من الكلاف سو ilem ، فتتحر حرقاً . ويظهر خيال لشخص بمنزل رمزى يثير رعبهم . وتصل الأحداث إلى ذروتها عندما تظهر بسيمة وتهم بقتل رمزى لكنها تقع من النافذة ، وتعترف له قبل أن تلفظ أنفاسها أنها سرقت الجثة ثم أخذت تبث الرعب فىهم .

فى عام ١٩٨٦ أخرج أحمد ياسين فيلم " دقة زار " الذى يقرر فيه أبو الريش الزواج من معزوزة التى أكدت لها الدجالية توحيدة أنها محرم عليها الزواج من عالم الإنس ، أما أبو الريش فهو الجن سلطان . وينجح مسعود حبيب معزوزة فى إقناعها بخرافات توحيدة ، وينشقان على الزواج ، إلا أنه يلقى مصرعه بأمر من توحيدة . ويعترف القاتل بجريمته وتقع توحيدة فى شر أعمالها .

وشهد عام ١٩٨٧ ثلاثة أفلام " الأونطجية " لسيد طنطاوى ، و " البيت الملعون " لأحمد الخطيب ، و " التعوذة " لمحمد شبل .

فى " الأونطجية " ترفض عايدة زواج ابنها هشام من زوجة لفارق الاجتماعي بينهما ، ولكن يرتبط بابنة خالته ثناء . وتتجأ للمشعوذ حنجل وشريكه بسيمة لعمل سحر للتفریق بين الحبيبين . لكن يتعاطف حنجل وبسيمة معهما ويرسمان خطة لهشام ليكشف حقيقة أمه التى تدعى الجنون لتضغط عليه . ويأتى بالماذون ليعقد قرانه على زوجة فتثور عايدة ويتأكد هشام من ادعائهما وترضخ لرغبة ابنها وتبارك زواجه من زوجة .

فى فيلم " البيت الملعون " تعانى مديحة من ظهور أشياء غريبة تطاردها ، فتصارحها بأن أمه ماتت مقتولة (وكأنه يفترض فى ابنتها ألا تعرف !!) . ويتم الأب بقتلها وعندما يفشل فى إثبات براءته يصاب بالجنون وينتحر . ويقوم الطبيب النفسي صلاح بعلاجها ، إلا أن الزوجين يشكان فى تصرفاته . ويتبين أن صلاح هو قاتل سعاد الذى كان يحبها ، ثم يقوم بمطاردة مديحة للنيل منها لكن شريف يصل ويقتلها بالرصاص !!!

فى فيلم " التعوذة " يفشل سالم صاحب المنزل فى إقناع محمود وأسرته بترك الشقة . فيلجاً لأعمال السحر والشعوذة ليخيفهم . وتنهار أخته بعد أن يسلط سالم أعماله السحرية عليها . ويفشل محمود مع مفتش المباحث عاطف خطيب نادية فى تفسير هذه الظواهر . لكن تردد الأم آيات قرآنية بالمنزل وتنجح فى طرد الأرواح الشريرة نهائياً .

فى عام ١٩٨٨ أخرج أحمد ياسين فيلم " أصدقاء الشيطان " كما أخرج يس إسماعيل يس فيلم " عاد لينتقم " . فى الفيلم الأول يخشى جلال من الموت ، ويلجا للعرف الساحر شاور يطالبه بالخلود ، فيطلب منه أن يختفى فى مكان منعزل لمدة شهور ويبيع روحه للجن !! ويعود جلال بشخصية مختلفة ويفرق فى الخطيئة ، ويقرر الزواج من ابنة المأمور طمعاً فى مزيد من السلطة . ويقرر الجميع التخلص منه مستغلين زينات التى تحرقها الغيرة لزواجه من أخرى ، وتضع له السم فى مشروب ليموت وتنهار .

وفى الفيلم الثانى " عاد لينتقم " يؤجر الدكتور هاشم قصراً من نجلاء صديقة أخته . وتتراءى له أشياء مخيفة بالقصر ، ويتوصل مع نجلاء إلى مقتل الطفل جمال ابن أسرة كانت ساكنة للقصر ، على يد زوج أمه ودفنه فى الحديقة . ويستعينون بأحد العلماء الروحانيين لتحضير روح الطفل ويكتشفون انتقال جمال شوكت لاسم الطفل مستغلًا قرابته به وعدم معرفة أحد بمصرعه . ويتمكن من الاستيلاء على ثروة ومتلكات الطفل . ويواجهه هاشم بحقيقة وجريمته فينهاز ويموت من الصدمة .

فى عام ١٩٨٩ أخرج محمد شبل فيلم " الكابوس " الذى تعانى فيه ميرفت من كابوس يومى يخطفها فيه بعض الأشخاص ويقيدونها فى مخزن قصر مهجور . وتلمح فى الكابوس عمها صفت . وعندما تهتدى ميرفت مع خطيبها يحيى إلى مكان القصر ، تفاجأ أنه قصر عمها المتوفى . وتذهب معه وكذلك أخوها حمدى

ليفتحا لها باب القصر حتى تهرب منه في الكابوس . وبالفعل تهرب بعد أن تقتل شخصاً ما في الحلم . وعندما تعتقد ميرفت أنها قد تخلصت من الكابوس ، تقاجأ بعدها صفات الذى يتعقبها في الواقع فتحاول الهرب منه .

في عام ١٩٩٠ أخرج على عبد الخالق فيلم "البيضة والحجر" الذي يؤجر فيه مستطاع مدرس الفلسفة حجرة في أحد المنازل ، فيعتقد السكان أنه على صلة بعالم الجن مثل ساكنها القديم . وينجح ببلاقته في التوفيق بين زوجين تكرر خلافتها . ويتبارك به أهل الحي ، فيستغل ذلك في أمور الشعودة التي يتعلماها ويتقنها . وتنسخ دائرة تعامله ويشرى ثراءً كبيراً . لكنه يضيق بتصرفاته فيسلم نفسه لرجال الشرطة ويطلب بمحاكمته !! فيفرون عنهم لكتهم يضعونه تحت المراقبة .

وفي عام ١٩٩٣ أخرج محمد خان فيلم "الغرقانة" الذي تدور أحداثه في قرية الغرقانة حيث يضفي حباب خادم الضريح على أهل القرية الكرامات . ويتزوج من وردة بعد أن يقنع أمها بأن الجن يلبسها ، ولا حل لها إلا بالزواج منها طبقاً لأمر سيده صاحب الضريح . وتلد وردة طفلها مبروك الذي لا يتكلم ولا ينمو . ويصل إلى القرية سعد الذي يلتقي بوردة و يجعل منها راقصة ، ويتوافق الزوج عندما يغرقهما سعد في المال ، لكن مبروك يغرق ، ويلتف أهل القرية ليغرقوا وردة في البحر .

وهكذا كانت الخرافات عنصراً نمطياً رئيسياً في مضمون أفلام عديدة ، لكن قليلاً من الكتاب والمخرجين هم الذين أدركوا أن المنبع الرئيسي لهذه الخرافات يكمن في التراث الشعبي والفولكلوري المتناقل عبر الأجيال ، ولذلك توغلوا فيه واستخرجوا منه دلالات ثقافية وفكرية وسلوكية متعددة تفرض نفسها على الواقع المعاشر بالفعل . أما فيما عدا هؤلاء فقد استخدمت الخرافات كنوع من المفارقة الكوميدية أو الإثارة الميلودرامية ، وبرغم نمطيتها إلى حد كبير فإنها كانت من التوابع السينمائية التي لم تفقد جذبها وجاذبيتها للجمهور .



السقا مات ١٩٧٧ سنة



الجوازة دي مش لازم تسم ١٩٨٨ سنة



فقص الحريم سنة ١٩٨٦



أرض الأحلام إخراج / داود عبد السيد سنة ١٩٩٣

الفصل الحادى عشر

الصدف والمفاجآت والوصايا

نظراً لأن الهدف الاستراتيجي لأفلام مصرية كثيرة كان التسلية ، أكثر من الاهتمام بالقضايا الفكرية والاجتماعية والثقافية التي قد يصعب على المتفرج العادي أن يستوعبها ، فإن اللجوء إلى افتعال الصدف والمفاجآت غير المبررة والوصايا والبيانصيب والثروة المفاجئة التي تهبط على رأس الشخصيات من حيث لا تعلم ، كان من العناصر النمطية المفضلة عند الكتاب والمخرجين وأصبحت مفضلة بدورها عند الجمهور بحكم تعوده عليها ، وبحكم المفاجآت المثيرة وغير المتوقعة التي تتطوى عليها ، وبحكم تحولها إلى ما يشبه حلم اليقظة الذي يتمنى الجمهور - ولو على مستوى اللاشعور - أن يشارك الأبطال فيها . فهي صورة شبه واقعية للتحولات الأسطورية والفولكلورية التي تبلورت في أفلام أخرى أو أحلام أخرى في مصباح علاء الدين وخاتم سليمان وطاقيه الإخفاء وكل ما من شأنه الإثبات بالخوارق والعجائب التي تضيف التوابل الحريفة إلى المذاق الرتيب للحياة العادية والذي كثيراً ما يصبح بلا طعم على الإطلاق ، خاصة عندما يشعر الإنسان بعجزه عن تحقيق ما يتمناه وما يحلم به . فإذا كانت ظروف الحياة عاجزة أو معوقة لتحقيقه فليتحقق على الشاشة . ففي الحلم والخيال بل والرؤيا العينية للفيلم تعويض عن هذا العجز بطريقة أو بأخرى ، وفيه متسع للجميع .

فى عام ١٩٣٠ أخرج محمد صبرى فيلم " جنائية نص الليل " الذى تلعب فيه الوصية دوراً جوهرياً من خلال شخصية أمينة التى تحب فخرى فى حين يطمع أحمد الذى تكرهه فى ثروتها ، لكن أمها تتفق مع أحمد على أن تتضمن وصيتها أن ترث ابنتها كل ممتلكاتها إذا قبلت الزواج من أحمد الذى يقتل الأم معتقداً أن جريمته لن تكتشف ، ويطلب أمينة بتنفيذ الوصية إذا كانت ترید أن ترث أمها . لكن البوليس يتوصل إلى الحقيقة ويقبض على أحمد وتتزوج أمينة من حبيبها فخرى . ومن الواضح أن هذه التوليفة تحولت إلى عنصر نمطى استمر فى الأفلام حتى الآن .

وفي عام ١٩٣٥ اشتراك كل من شكري ماضى وفوزى الجزايرلى فى إخراج وتأليف فيلم " المعلم بجبح " الذى يدور حول بائع لين هو المعلم بجبح الذى يتراك هذا العمل ليعمل كمسارياً ، وينقذ أحد الركاب فيعطيه ورقة يا نصيب مكافأة له يخفىها فى برواز صورة مطرب . وعندما تربح الورقة ، يبحث عنها فلا يجدها لأنه نسى أين خبأها !! يفصل من عمله ، وي العمل فى مقهى لكنه يطرد منه . ثم يعمل فى ستديو سينمائى وفيه يعثر على الصورة التى أخفى فيها ورقة اليانصيب . ويترعرع بجزء من الجائزة لعمل خيرى وبجزء آخر لإنشاء مصنع للألبان . وبرغم سذاجة القصة وأحداثها الملفقة ، إلا أن هذا الفيلم يعد أول فيلم حدد العناصر النمطية للعبة ورقة اليانصيب التى تقلب حياة الشخصيات من حال إلى حال عبر مفاجآت مثيرة وغير متوقعة . وهى اللعبة التى مازال جمهور السينما يقبل عليها حتى الآن .

فى عام ١٩٣٦ أخرج ماريو فولبى فيلم " ملكة المسارح " الذى قامت ببطولته بديعة مصابنى . ففى الفيلم بعد ثلث سنوات على غياب الزوج ، يتقدم شخص إلى بديعة يدعى عشم ، ومعه وصية من الزوج يوصى فيها بمبلغ كبير ، نصفها لعشم والنصف الآخر لبديعة ، بشرط أن يتزوج عشم منها ، وإذا خان أحد

الزوجين الآخر ، يسقط حقه في الوصية . ويغري المال بدبيعة فتتزوج عشم ، ويغري المال عشم فيحاول أن يوقع بدبيعة في الخيانة ليصبح المال له كله ، إلا أن بدبيعة تنتصر عليه في النهاية ، كما انتصرت من قبل في عالم المسرح فأصبحت ملكة المسارح .

وفي نفس العام (١٩٣٦) ألف توجو مزراحي وأخرج فيلم " ١٠٠ ألف جنيه " الذي يموت فيه ثرى يوصى بان توزع ثروته الكبيرة إما بين سورى أو عم عثمان بشرط أن الأعزب منهما يتزوج فتاة جميلة صغيرة في مدة خمسة عشر يوماً من وفاة المورث !! (برغم أن الوصايا لا يمكن أن تحتوى على هذا الهزل أو التهريج أبداً ، لكن من أجل المفارقات الهزلية كل شى يهون) المهم أن السورى متزوج من امرأة جميلة ، لكن عثمان غير متزوج .. فيدعى السورى أنه أعزب ، ويتنازع الصراع بينهما حتى ينكشف الأمر ويرث عم عثمان الثروة كلها ، ويتزوج من فتاة يحبها !!

وفي عام ١٩٣٧ أخرج توجو مزراحي أيضاً فيلم " العز بهلة " الذي تربط فيه الصداقة بين شالوم بائع البانسيب وعبده صبى الجزار . و يتمكن شالوم من شراء بعض الأسهم التي يرتفع ثمنها فيصبح مليونيراً ويشاركه في أعماله صديقه عبده ، إلا أنهما يتعرضان لأحداث يفقدان خلالها الثروة ويعودان لحياتهما السابقة . وعنوان الفيلم يحمل في طياته عنصراً نمطياً أصبح مزمناً بمرور الأيام ، وهو أن الثروة هم وغم وضيق وتعاسة ، أما الفقر فهو راحة البال والسعادة والانشراح بلا حدود . ولذلك فإن الثراء عندما يحل بالإنسان فكانه دخل به إلى الجحيم ، وعندما تزول الثروة فإنه يعود مرة أخرى إلى جنة الفقر ، فيرقص ويفنى ويشاركه الآخرون نشوته !! وهو ما تكرر في أفلام كثيرة بعد ذلك .

في عام ١٩٤٢ أخرج هنرى بركات فيلم " لو كنت غنى " الذي يؤكد فيه نفس تيمة الفيلم السابق ، جنة الفقر وجحيم الثروة . فالأوسطى محروس حلاق

بسط يحلم بالثراء ، وفجأة يتحقق أمله ، فيفقد توازنه تماماً هو وعائلته ، وينتقل بأسرته إلى فيلاً فاخرة ، وتجذبه أصوات الكباريئات ، ويبيد ماله ويهمل بيته ، ويسرق صهره أمواله ، وتهجره زوجته ، وينحرف ابنه . وعندما يفقد ثروته ويقرر أن يعود حلفاً كما كان ، تعود إليه زوجته لتقف بجانبه !!!

وشهد عام ١٩٤٤ فيلمين : "من الجانى ؟" لأحمد بدر خان ، و "ابننى" لنizarى مصطفى . فى الفيلم الأول يوصى الثرى منصور باشا بأملأكه لولديه : عمر الذى يخلفه فى تجارة العطارة ، وعثمان أحد قضاة المحاكم ، على أن تؤول الثروة من بعدهما إلى ورثتهما من الذكور دون الإناث . وتعلن وصيته بعد وفاته وتتسبب الثروة فى إصابة الأسرة بالشرور التى تكاد تقضى عليها لو لا أنها أدركت بشاعة مصيرها واستعادت توازنها . والسؤال الذى ينطوى عليه عنوان الفيلم ليس فى حاجة إلى إجابة : فالجانى هو الثروة ، وليس غباء وتفاهة وجهل الذين استخدموها !!! وكذلك فى الفيلم资料 "ابننى" يبدد الزوج ثروته على عشيقته ، بل يضبط وهو يقوم بالسرقة ويتم القبض عليه لأنه ضحية الثروة !!!

فى عام ١٩٤٥ أخرج فؤاد الجزايرلى فيلم "الحظ السعيد" وبطله يسمى سعيد برغم أنه عاطل وسيئ الحظ . يلتقي بالفتاة سمية التى يتمنى أن يتزوجها ، لكن أباها يرفض الفكرة . ولا تحل مشكلة سعيد إلا بموت عمه الذى يترك له ثروة طائلة ، لكن يتضح أنه ليس الوارث الوحيد ، بل هناك زوجة وطفلة ، لكن سمية لا يهمها المال وتصر على زواجهما من سعيد بعد أن انتقت حجة أبيها .

أما عام ١٩٤٦ فقد شهد ثلاثة أفلام : "رجل المستقبل" لأحمد سالم ، و "الخير والشر" لحسن حلمى ، و "تgef" لكامل حفناوى . فى الفيلم الأول الذى ألفه أحمد سالم أيضاً ، يرث الشاب كامل ثروة كبيرة تقله من حياة الفقر إلى حياة الغنى والترف . وتجد الصحفية سهير فى هذا التحول المصيرى مادة خصبة للتهكم والسخرية من هذا المليونير العبيط الذى لا يعرف ماذا يفعل بثروته ! ويستغل

قريب له هذه المقالات ويطالب بالحجر عليه . لكن سهير تسانده بحيث تحكم المحكمة بأنه في حالة عقلية سليمة . ثم تقع في حبه وتسقى من عملها ويتزوجان ويستعد كامل لتنفيذ خطته لتحسين حال العمال وإسعادهم .

في الفيلم الثاني " الخير والشر " يوصى الوالد بكل ثروته لابنه الكبير ويحرم منها الأخ الأصغر بسبب عشقه للموسيقى والغناء ، والذى يهجر المنزل ويسعى لتكوين مستقبله في حين ينفق الأخ الأكبر ميراثه في الحفلات والسكر والعربدة . ويصاب في حادث فيزوره شقيقه الأصغر ، مما يجعله يعود إلى صوابه . وفي الفيلم الثالث " نجف " يربح حامد ورقة يانصيب بمبلغ كبير ، فتظهر في حياته ناهد التي تطمع في ثروته فتوقعه في حبائلها ، لدرجة أنه يطلق نجف ويتزوج ناهد . وترتبك أحوال حامد ويقتل كاهله بالديون ، فتختلي عنه ناهد ، ويقتلها مع عشيقها . ويدخل السجن في حين تعلم نجف في حياكة الملابس ثم مرضة . وعندما يخرج حامد من سجنه ، يستعطف نجف التي تقبله من أجل مستقبل الأبناء .

كما شهد عام ١٩٤٧ ثلاثة أفلام : " البريمو " لـ كامل التلمساني ، و " صباح الخير " لحسين فوزى ، و " عدو المجتمع " لإبراهيم عماره . في الفيلم الأول يقع ثرى في ضائقة مالية ، في حين يكسب خادمه البريمو في ورقة اليانصيب ، فيخفى المبلغ في مكان ما وهو مخمور بحيث ينسى أين وضعه عندما يفيق . وتقع مطربة في حبه على أنه الثرى لا الخادم ، في حين تتدهر أحوال الثرى ويحجز الدائنين عليه . وفي هذه اللحظة يعثر الخادم على المال ويقبل أن يسدد ديون سيده .

وفي الفيلم الثاني " صباح الخير " تلعب الصدفة دوراً أساسياً من خلال سوء التفاهم التي يترتب على انتقال الزوج لشخصية مطرب لبناني يحضر هو شخصياً بالفعل إلى مصر ، وتعقد الأمور لكن سرعان ما تحل النهاية السعيدة لكل الأطراف المعنية . وفي الفيلم الثالث " عدو المجتمع " يرتكب عامل فقير جريمة قتل لحاجته إلى المال ، فيسجن لكنه يهرب من السجن ، ويرتكب عدة جرائم

أخرى . ويبحث عن زوجته وابنته فلا يجدهما !! ويشارك مع عصابة لتزيف النقود ويحقق ثراء فاحشاً !! ثم تجمعه الصدفة بمعنوية جميلة يشعر نحوها بعاطفة الأبوة ، ويعمل على إسعادها ويزوجها بمن تحب !!

وشهد عام ١٩٤٨ ثلاثة أفلام : "أحب الرقص" لحسن حلمي ، و "الصيت ولا الغنى" لحسن الإمام ، و "المليونيرة الصغيرة" لكمال بركات .

في الفيلم الأول يحارب رجل متزمن ومتطرف الرذيلة التي يعتبرها جزءاً من الفن والمدنية الحديثة . وتتراكم عليه الديون من جراء كتبه التي يؤلفها ولا يشتريها أحد . وفجأة يموت أحد أقاربه ويترك له ثروة كبيرة تتمثل في صالة للرقص . وينص في وصيته أن يدير الصالة . يثور الرجل المتزمن ويرفض الميراث حتى لا يخالف مبادئه . وتتراكم عليه الديون بمرور الوقت ، فيغير من أفكاره ، خاصة عندما يقع تحت تأثير غانية تجعله يحب الرقص ، ويقبل على إدارة الصالة بعد أن يغير نظرته إلى الحياة .

في فيلم "الصيت ولا الغنى" يجمع الحب بين شابين وفتاتين فقراء وعندما يشرعون في الزواج ، تهبط على الشابين ثروة طائلة ، فتقلب أحوالهما وتتغير طباعهما ، ويحاولان أن ينكصا بعهودهما مع الفتاتين ، إلا أنهما يفقدان الثروة ويعودان لحالتهما الأولى ، بعد أن تلقا درساً مفيداً هو أن "الفقر حشمة و العز بهدلة" !! وسرعان ما جمع الفقر بين المحبين مرة أخرى . وفي فيلم "المليونيرة الصغيرة" تحب فتاة جميلة ضابطاً طياراً وتمنى الزواج منه لولا جدتها التي توصى في وصيتها بعدم إتمام هذا الزواج ، لكنها ترجع إلى الحق وتعدل في وصيتها وتموت لتصبح الفتاة ثرية ، فإذا بخطيبها يتراجع عن خطبتها حتى لا تظن أنه يطمع في مالها ، لكنها تقمعه بخطأ تفكيره وتتزوجه لأنها تثق في صدق عواطفه .

ومع الأيام أصرت السينما على تعميق الفكرة الرومانسية الساذجة وهي أن الثروة كارثة تلم ب أصحابها . وهي فكرة استراحة لها الطبقة الإقطاعية الأرستقراطية ، واقتصرت بها الطبقة الفقيرة الأخيرة إيماناً بمبدأ أن القناعة كنز لا يفني ، وبيان التعasse من نصيب الآثرياء . ففي فيلم "المصري أفندي" الذي أخرجه حسين صدقى عام ١٩٤٩ يتزوج محمد المصرى المهندس المعمارى من سامية التى تشاركه نفس ظروف الفقر وينجذب عدداً من الأبناء . لكن صديقه إسماعيل يشاركه في مشروع إسكان ، وتبداً رحلة الثراء والتعasse !! يخرج ابنه حسن ولا يعود ، وينمو له طفل آخر في حادث سيارة ، وتصاب ابنته عائشة بالشلل . ويضطر إلى أن يبدأ حياته من جديد وقد فقد كل شيء . والظاهرة الغريبة أن هذا الفيلم الكئيب يحمل اسم "المصري أفندي" ، أى أن بطله ليس حالة خاصة وإنما هو بطل نمطي يرمز إلى المصرى أينما كان ، وهو ما كان يحرص عليه حسين صدقى في معظم أفلامه التي حاول أن يبدو فيها مصلحاً اجتماعياً وأخلاقياً مع كثير من التجهم والكآبة .

وفي عام ١٩٥٠ أخرج عباس كامل المعروف بأفلامه الخفيفة ، فيلم "أسمر وجميل" الذي يحب فيه بائع روبا بكيا فتاة تبيع له ملابس جدتها . وعندما يفتح الحقيبة في منزله يعثر في بطانتها على ثروة طائلة مخبأة داخلها تزيد على المائة ألف جنيه . يصعد البائع حين يرى هذه الثروة ، ويختار بين أن يسلم الحقيبة لأصحابها أو يحتفظ بها لنفسه . ثم تأخذه سنة من النوم ، لكن حلم اليقظة يطارده في منامه ، فيرى أن المال الذي هبط عليه من السماء قد جر عليه الكثير من المصائب فيستيقظ من حلمه سعيداً بأن الأمر كله كان مجرد كابوس .

وشهد عام ١٩٥١ فيلمين : "بيت الأشباح" لفطين عبد الوهاب ، و "نهاية قصة" لطمى رفلة . في الفيلم الأول يتوفى ثرى تاركاً ثروة كبيرة ، واشترط في وصيته أن يبقى أقاربه شهراً في قصره ، لكن وكيل الدائرة يدعى أن القصر به

أشباح . وكانت مدة الشهر كافية لتنفيذ خطته والتخلص منهم حتى يستولى على الثروة ! (واضح أن شرط المتوفى في وصيته شرط مفتعل وسخيف ، وكأنه ذكره خصيصاً لزوم هذه الحبكة !!) . بالإضافة إلى وجود خاتم آخرس بالمنزل يتمكن من كشف أبعاد الخطة ، وهو في حقيقة الأمر من رجال المباحث . وينال كل منهم حقه في الميراث .

وفي الفيلم الثاني " نهاية قصة " شاب غنى يهوى تأليف القصص ، ويؤلف قصته حول فتاة تحب ابن عمها لكن أبيها يرى أنه يطمع في ثروته . ويوصي قبل موته بأن تتزوج ابنته من رجل آخر تختبر خلاله ابن عمها . أى نفس المخططات أو المناورات النمطية التي تسعى لكشف المشاعر الحقيقية تجاه الإنسان أو تجاه الثروة .

وشهد عام ١٩٥٢ فيلمين : " قدم الخير " لحلمى رفلة ، و " حلال عليك " لعيسى كرامة . في الفيلم الأول يوصى الثرى إبراهيم أن تؤول ثروته بعد وفاته لابنته الوحيدة مبروكة ، ويحرم منها أخاه الشرير مسعود الذى يثير لقتل مبروكة حتى يفوز بالثروة لكن كل محاولاته تبوء الفشل . ويعترف لها في النهاية بنوایاه الإجرامية فتسامحه .

وفي الفيلم الثاني يتوفى ثرى تاركاً لأسرته وصيته يعلن فيها أن ثروته تؤول لمن يجدها منهم ، وهى مخبأة فى مكان مجهول فى قصره . ويشتعل الصراع بين أفراد الأسرة فى بحثهم عن الثروة ، خاصة الشرير فىهم الذين يريد الثروة لنفسه ولعشيقته ، لكنه يفشل بعد أن يعثر عليها ابن شقيق المتوفى . وتنقسم بينهم جميعاً حسب الشرع والقانون .

وشهد عام ١٩٥٣ ثلاثة أفلام : " مليون جنيه " لحسين فوزى ، و " الدنيا لما تضحك " لمحمد عبد الجواد ، و " نشالة هانم " لحسن الصيفى . في الفيلم الأول أربع قصص يرويها أبطالها ، والرابط بينهما الثروة التي تقلب حياتهم رأساً على

عقب . فالأول يحطم منافسيه فى البورصة ، والثانى يتذكر لزوجته ويعربد فيدخل السجن ، والثالثة تحاول مضاعفة أرباحها فى سباق الخيول فتصاب بالجنون ، والرابعة تتذكر لكل من عرفته ، ثم تظهر شخصية خامسة مناقضة تماماً ، وهى المنفذة للوصية وتخشى على نفسها من الثروة ، فتهب نصيتها للجمعيات الخيرية .

فى الفيلم الثانى " الدنيا لما تضحك " يدور رهان بين مليونير شاب وملحظ عمال يتحتم عليه صرف مبلغ ستة آلاف جنيه شهرياً . وينتهي الموقف بأن يخسر الملحظ الرهان ، وتعرف شقيقة الملحظ حقيقة الشاب الذى أحبته دون أن تعرف أنه المليونير الذى أمد أخاهما بالمال لعله يكسب الرهان . ولذلك فهى تتزوجه لشخصه وليس لماله .

فى الفيلم الثالث " نشالة هائم " تتشاء فتاة فى وسط فاسد يبعد المال ويحاول الحصول عليه بأى أسلوب . فتبرع الفتاة فى النشل وتستغلها العصابة إلا أنها نضيق بحياتها ، فيهدىها رئيس العصابة ويكلفها بسرقة جوهرة ثمينة اشتراها أحد الأغنياء ، لكنها تحب ابن شقيق الرجل الثرى وتشاء الصدفة - كالعادة - أن تكون النشالة ابنة لهذا الرجل الذى كلفت بسرقة جوهرته .

فى عام ١٩٥٥ أخرج توفيق صالح " درب المهاييل " الذى يشتري فيه عامل ورقة يا نصيب لعله يفوز بالجائزة الأولى حتى يتمكن من إتمام زواجه . ويقدمها لحبيبه لتحفظ بها لكن أباها الرجل المتدين يرميها لأن هذا مخالف للدين . ويلقطها مجنوب الحرارة ، ويشاء الحظ أن تكون هى الورقة الرابحة لجائزة الأولى . وينقلب هدوء الحرارة إلى ضجيج ، فيطارد كل فرد فيها المجنوب الذى يخبيء المال فى بطن المعزة التى تهرب مع قطيع من الماعز . وفى الخلاء يقوم الماعز بقطيع أوراق البنكنوت المخبأة فى بطن ماعز المجنوب !

وشهد عام ١٩٥٦ فيلمين : " النمرود " لعاطف سالم ، و " حب وإنسانية " لحسين فوزى . فى الفيلم الأول تهبط ثروة على شاب فقير فى أحد الأحياء

الشعبية ، فينقلب إلى إنسان آخر ، متقلب على ملذات الحياة إلى أقصى حد ، ويتمرد على ماضيه ، وينقم لمن كان له صلة بهذا الماضي ، وتفشل حبيبه في إنقاذه ، وأخيراً يتضح أن الثروة ما هي إلا أموال مسروقة من أحد البنوك ، ويقبض عليه مع أفراد العصابة التي سرقت المبلغ ويحكم عليه بالسجن . وفي الفيلم الثاني يتقابل هايص الموسيقار الفقير العاطل مع ممثلة يعجب بها . وفجأة يتوفى عمه الثري في أمريكا ويوصي بثروته لبنياته الثلاث على أن يقوم هايص بتوزيعها عليهم ، لكنه يطمع في الدفعة الأولى منها ، ويقرر صرفها على الممثلة التي تمثل عليه الحب ، وتبتز المبلغ ، فتثور بنات عمه عليه . وفي النهاية يدرك خطأه الجسيم في التصرف في ثروة عمه ويتزوج من ابنة عمه الكبرى .

في عام ١٩٥٧ أخرج السيد بدير فيلم "ليلة رهيبة" الذي يفاجأ فيه الدكتور مجدى بالشك في نسبه . فقد صرخ عمه بأن مجدى ليس ابن أخيه ، وأن هناك اختأ غائبة هي صاحبة الميراث والعم شريكها فيه . ويعرف عبد الستار لمجدى بأنه والده ، وأن السيدة التي يقيم معها ليست أمه ، لكنها اضطرت لاستبداله وهو رضيع بابنتها الوليدة سميحة لتحتفظ بميراث زوجها من أن يغتصبه شقيقه . ويعود مجدى إلى المنزل ليجد العم يحاول قتل زوجة أخيه ، فينفذها ويلتقى بابنتها الحقيقية سميحة ويتزوجها .

في عام ١٩٥٨ أخرج نيازى مصطفى فيلم "إسماعيل يس طرازان" الذي يتوفى فيه رجل ثرى تاركا وراءه ثروة ضخمة لعدد كبير من الورثة ، ويشرط في وصيته ألا يستلم أحد نصيبيه من الميراث إلا بعد أن يعثروا على ابن له فده في الغابة منذ ٢٥ عاماً . ويتطور اثنان من الورثة للبحث عن الابن المفقود حرضاً على نصيبيهما ، وعندما ينجحان في إحضاره ، يقع في حب إحدى الوارثات التي تحبه بدورها ويهرب بها عائداً إلى الغابة .

فى عام ١٩٦٠ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " داعاً يا حب " الذى يعثر فيه الملحن شريف على عقد ثمين ، ويقابل صاحبته وتدعوه لحفلة عيد ميلادها . وتعرض عليه وظيفة ناظر عزبتها فيوافق ، وتنمو بينهما علاقة حب ، فى حين يطمع رمزى فى الزواج من أمانى لثروتها . وعندما يموت أبو أمانى ، تسرق رجاء عشيقه رمزى وصية الأب التى تثبت أن أمانى ابنة غير شرعية !!! (شيء لزوم الشيء على رأى نجيب الريحانى !!) وينجح شريف فى مشواره الفنى ، ويعود للقرية لتسليمها وصيته أبىها ! لكن رمزى يعترض شريف ليمنعه من الوصول لأمانى ، ويقتله ، فيسارع رجال العزبة بإطلاق النار على رمزى !!!

فى عام ١٩٦٢ أخرج نيازى مصطفى فيلم " آخر فرصة " الذى يلزمه فيه سوء الحظ شاباً يمر بكارثة فى كل مكان يعمل فيه ، فتحترق الشركة التى يعمل بها ، ويموت صاحب المحل الذى انتقل إليه . وعندما التحق كمندوب لشركة تأمين ، يؤمن على حياة طفل وحيد لأسرة ثرية ، ويموت الأب ليirth الطفل كل ثروته . ويحاول الأهل التخلص من الطفل للاستيلاء على الميراث وعندما يعلم مندوب التأمين بذلك ، ينقذه منهم .

فى عام ١٩٦٤ أخرج أحمد ضياء الدين فيلم " دعنى والدموع " الذى يتزوج فيه رجل متوسط الحال من حبيبته بشرط عدم إنجاب أطفال لفترة من الزمن تسمح لهم بادخار المال اللازم لمصاريف الأطفال . ويرث ثروة كبيرة عن عمه فيقرر الإنجاب لكنه يفاجأ بأن زوجته عاشر . فيلجأ إلى الزواج من أخرى ، إلا أن الزوجة الجديدة تستزف أمواله ، وتنجب له طفلاً سرعان ما يموت ، فيرجع إلى زوجته مستغراً وآملاً في علاجها .

فى عام ١٩٦٦ يعود عيسى كرامة إلى الوصايا التى تنص على شرط سخيف لا معنى له سوى التسلية وإحداث المفارقات الهزلية ، وذلك فى فيلم " مطلوب أرملة " الذى يربط فيه الحب بين سعاد وأحمد . وقبل أن

يتم زواجهما ، يبلغه المحامي أن أحد أقاربه المقيمين بالخارج ، أوصى له بثروة كبيرة بشرط أن يتزوج من أرملة !! ويقع أحمد في صراع بين حبه لسعاد ورغبة في الثروة . ولكن يفوز بالاثنين ، يقنعوا بالزواج من الفنان البائس منير الذي ينوى الانتحار ، وبذلك تصبح أرملة . ويعدل منير عن الانتحار خاصة أن سعاد أحبته وقررت أن تتزوجه ، في حين يضطر أحمد للزواج من جارته منى التي يتضح أنها أرملة بالفعل !!

في عام ١٩٦٨ أخرج حسن الصيفي فيلم "المليونير المزيف" الذي يختفي فيه حمدي ويعلن عن موته بعد عجزه عن الإنفاق على اختراعاته !! ويطلع المحامي زوجته ناهد على وصية شقيقة الذي توفي في المكسيك بأن تؤول ثروته لأخيه سعيد في حالة وفاة حمدي الذي يفاجأ الجميع بعودته منتحلاً شخصية سعيد ليirth الثروة ، لكنه يفاجأ بوصول سعيد من المكسيك . وينتهي الفيلم بعودة حمدي لحياته العملية واختراعاته العلمية .

وفي عام ١٩٧٤ يعود حسن الصيفي إلى لعبة الوصية في فيلم "رحلة العجائب" الذي يتقى فيه العامل عباس خطاباً من محامي عمه المقيم في أمريكا يبلغه فيه بموت العم ، ويطلب منه الحضور للإطلاع على الوصية التي تذهله لأن عمه أوصى بكل ثروته لابنته سيمون ولعباس بشرط أن يتزوجا . يرفض عباس احتراماً لزوجته أرواح إلا أن المحامي ينجح في إقناعه بالزواج دون علم أرواح حتى يحصل على الميراث ثم يطلقها . ويهرب عباس ليلة زفافه وتلحق به سيمون وتشتبك مع أرواح . لكن الوفاق يسود ، ويعود عباس وزوجته إلى القاهرة كما تعددت سيمون بزياراتهما !!

في عام ١٩٨٣ أخرج أحمد فؤاد فيلم "العرجى" الذي يرجع فيه إلى نيمة "الفقر حشمة والعز بهدلة" في شخصية العرجى سيد الذي يكسب في يانصيب ، إلا أن المال يجلب له المشاكل فيتخلص منه باللقاء في النيل !!! (فلم يكن هناك

أمامه أى حل آخر ، حتى لو صرفه فى وجوه الخير !!) واستمرار للتلفيق فإن جنس صديقة يلقط النقود ويستثمرها مع رجل أعمال فى الأمان الغذائى . ويبيع جنس كمية من لحم البولوبيف الفاسد ، ويقبض عليه . لكن الحل السحرى السعيد يأتي على يد العربجى سيد الذى يوضح لضابط المباحث أن البيانات المكتوبة على إيصال الاستلام مكتوبة باللغة الإنجليزية التى يجهلها جنس فيفرج عنه ! (وهى حقيقة يدركها العربجى ولا يعيها الضابط !!) وتصل السذاجة إلى قمتها عندما يتمكن الضابط بمساعدة سيد وجنس من القبض على رجل الأعمال وأعوانه .

وفى عام ١٩٨٩ أخرج عبد اللطيف زكى فيلم " صراع الأحفاد " الذى يموت فيه الجد تاركاً وصيته لزوجته زهيرة على أن تؤول ثروته لأفضل حفيد متزوج !! ويتناهى الأحفاد الثلاثة لكسب الثروة ، فيعمى الجشع الكلاف حجازى لدرجة النصب والاحتيال ، وينهزم الملاكم مجدى على يد أحد منافسيه . أما الكاتب المسرحى برهان فيصاب بالجنون بعد أن يغير المخرج أفكار مسرحيته من أجل النجاح الجماهيرى (لو كانت الحال هكذا لأصيب معظم الكتاب المسرحيين بالجنون !!) وتطالب زوجته المحامى بمنحه الثروة لأنه الحفيد الأفضل بعد نجاح مسرحيته ، لكنه يفاجئها بأنه لا يستحقها فهو مجنون !!

* * * *

هذا عن الوصايا واليا نصيب والمفاجآت غير المبررة والثروات التى تهبط من بين طيات الغيب ، أما الصدف فحدث عنها ولا حرج . فهى الوعاء الذى يحتوى معظم هذه العناصر النمطية ، وهى الحل السحرى الذى يلجأ إليه معظم المؤلفين والمخرجين لحل المشاكل التى يواجهونها أو المآزق التى يقعون فيها ، لكنها للأسف - حلول مفتعلة ومصطنعة خصيصاً لتحويل مجرى الأحداث طبقاً لمزاج المؤلف أو المخرج أو الجمهور . ولذلك لا تدخل الأحداث فى الأفلام

المصرية في طرق مسدودة أبداً ، لأن الصدفة كفيلة بفتح ثغرة واسعة في جدران هذه الطرق بحيث تمر منها الشخصيات بمنتهى الارتياح والسعادة ، في حين أن هذه الطرق المسدودة هي قمة الاحتكاك الدرامي الذي يستغلها المؤلفون والمخرجون المبدعون في توليد نتائج جديدة ومشوقة من أسباب سابقة وقد تكون نمطية . ذلك أن جوهر الصراع الدرامي يكمن في توليد الأحداث وتطويرها من داخله ، وليس فرضها عليه من خارجه . والصدفة هي عنصر دخيل يفرضه الكاتب أو المخرج على سياق الأحداث من عنده كي يضمن له الاستمرار لأنها عاجز عن منحه قوة الدفع النابعة منه . ونظراً لأنها عنصر سهل وجاهز للاستعمال دائماً ، فقد كانت في حسبان معظم المؤلفين والمخرجين ، يستخدمونها بوعى أو بلا وعى ، تجنبأ لاعمال الفكر وقدح زناده ، والإصرار على المصداقية الدرامية والفنية التي تحترم عقل المتلقي مهما كان نصبيه من الثقافة أو العلم متواضعاً . ولا شك أن تجنب الصدف والمفاجآت المفتعلة والتحولات غير المنطقية ، يشكل تحدياً للمؤلفين والمخرجين لابد أن يواجهونه وإلا سيواصلون الدوران في الدائرة الضيقة والخانقة لهذه العناصر النمطية .

• • • •



سی عمر سنة ١٩٤١



سی عمر سنة ١٩٤١



الحرام سنة ١٩٦٥ م



البوسطجي سنة ١٩٦٨ م

الفصل الثاني عشر

ألاعيب الشخصية الشريرة

تتراوح ألاعيب الشخصية الشريرة بين القتل والاحتيال والسرقة والتزييف والتأمر والخطف والابتزاز والتهديد والشائعات والاغتصاب وتلفيق التهم وغير ذلك من العناصر النمطية التي حفلت بها الأفلام المصرية ، وكانت بمثابة التوابيل التي منحتها طعمًا حريقاً ، وجاذبية جماهيرية برغم نمطيتها ، فهي جاذبية ترجع لنجوم شعبيين من أمثال فريد شوقي في مراحله الأولى ، وكذلك محمود المليجي وتوفيق الدقن وأحياناً استيفان روستى وغيرهم .

والشخصية الشريرة في السينما المصرية ، شخصية واضحة بل وصريحة إلى حد كبير . فهي تحكي عن خططها ومؤامراتها بلا حرج أو حساسية ، خاصة مع القريبين منها . بل وتقاد تشرح للجمهور تفاصيل هذه الخطط والمؤامرات مباشرة ، بحيث لا تحتاج لحل الغازها وكشف أعماقها . فالقتل - بطريقة أو بأخرى - هو الحل الحاسم للتخلص من الخصم ، حتى يتفرغ الشرير لخطوته التالية وهكذا . والحدود بين الشر والخير واضحة ومحددة مثل الحدود بين الأبيض والأسود بلا ألوان أخرى فيما بينهما ، ولا درجات بينهما أيضاً ، وذلك على الرغم من أن النفس البشرية زاخرة بالتناقض الذي قد يمزج بين الخير والشر في لحظة واحدة داخل الشخص نفسه . فالنفس البشرية أكثر تعقيداً وغموضاً من هذه البساطة

المخلة بوعينا العميق بها ! وخاصة أن الجمهور يعلم مقدماً أن الشرير مهما بغي وتجبر فإن هزيمته في نهاية الفيلم أمام الشخصيات الخيرة مهما كانت هزيلة ومتهافة ، هزيمة مؤكدة ، حتى لو كانت هذه الهزيمة مضادة لقانون السبب والنتيجة بكل حتميته التي لا يستطيع الإنسان أن يهرب منها . وإذا تحولت الشخصية الشريرة - ولا نقول تطورت - من الشر إلى الخير نتيجة درس قاس تلقته ، فإن التحول يتم بسرعة عجيبة كأنها شخصية آلية ، تم الضغط على زر داخلها فتحولت من الشر إلى الخير . فهو تحول وليس تطوراً ينطوي على صراع نفسي بين شد وجذب .

والمصراع في معظم الأفلام ليس صراعاً بين قوى متضادة تجسداً لسنة الحياة الإنسانية وجوهر النفس البشرية ، وليس بالضرورة بين خير وشر . إنه صراع انحصر في الدائرة الضيقة المحدودة للصراع المباشر بين الخير والشر ولم يخرج عن نطاقه في أحابين كثيرة ، في حين أن تفاعلات الصراع الدرامي والفكري أكثر وأعمق من ذلك بمراحل ، من خلال الجدليات التي لا تتوقف بين المتناقضات على اختلاف أنواعها ، بل إن هذه المتناقضات تجري في داخل الإنسان الفرد الواحد ، وليس بالضرورة بينه وبين الآخرين ، وهو الصراع النفسي الذي لم ترتكز عليه السينما المصرية إلا في حالات قليلة . ونظراً لأن الصراع الدرامي كان صراعاً في الأساس بين الشخصيات الشريرة والشخصيات الخيرة ، فقد واكبت الشخصية الشريرة السينما المصرية منذ بدايتها الأولى ولا تزال مستمرة بأسلوبها النمطي حتى الآن .

في عام ١٩٢٨ أخرج إبراهيم لاما فيلم " قبلة في الصحراء " ، كما أخرج جاك شوتز فيلم " سعاد الغجرية " . في الفيلم الأول يتحول شفيق إلى شرير برغم أنفه بعد أن اتهموه ظلماً يقتل عمه ، فينضم إلى عصابة من قطاع الطرق بعد أن يهرب إلى الصحراء ، حيث تتعارض العصابة إحدى القوافل ويلتقى فيها بحبيبه

الأمريكية هيلدا ، فيطلب من رجاله ألا يتعرضوا لها ، وتنتأكد من براءته خاصة بعد أن ينقذها من براثن الرجال الثلاثة الذين اختطفوها . وفي الفيلم الثاني يظهر لأول مرة الشرير الذي ينتمي إلى قبائل الغجر ويرتكب الجرائم التي التصقت بهم مثل السرقة والخطف .

في عام ١٩٢٩ أخرج وداد عرفى فيلم " غادة الصحراء " الذى تتم فيه خطبة سلمى لابن عمها فى حين يطمع فيها شيخ قبيلة أخرى فيخطفها إلى منطقته ويتزوجها بالإكراه وتتجوب ابنة له . ويسهل لها الخادم سليمان الهرب بهدف الانفراد بها والاعتداء عليها ، لكنها تقاومه وتنقذه . وعندما تصل قبيلتها ، يهرب زوجها مع مجموعة من رجاله لمنازلته ابن عمها ورجاله ، وتتم هزيمة الزوج الذى يطلب العفو والمغفرة .

في عام ١٩٣٦ أخرج أحمد جلال فيلم " البنكنوت " الذى تتحذ فيه امرأة مستهترة كل يوم عشيقاً لها ، وتندمج فى المجتمعات الراقية لتنصب شباكها حول طلاب المتعة . ومع تطور الأحداث تتأى عن طريق الغواية وتصبح زوجة وفيه لزوجها وابنها . لكن لابد من استمرار عنصر الشر ، فتتهم فى جريمة قتل زوجها . وتظهر الحقيقة ، فهناك محتال وامرأة يدبران المكائد والدسائس لها ، وتنتج في كشف أمرهما .

في عام ١٩٤٢ أخرج هنرى بركات فيلم " المتهمة " الذى يتمكن فيه ضابط الشرطة كامل من القبض على برعى تاجر المخدرات وسجنه . فتقرر زوجته إفساد حياة كامل ، فتبليغه أن زوجته سميحة تخونه ، ويطردها من المنزل . ويصبح ابن كامل من المحاميين النابغين فى حين يخرج برعى من السجن ويقابل سميحة محاولاً ابتزازها لكنها تقتله ، ويقوم ابنها بالدفاع عنها ، ويحكم لها بالبراءة ، ويلتئم شمل الأسرة مرة أخرى .

في عام ١٩٤٤ ييلور كمال سليم في فيلم "حنان" الفكرة التي تؤكد أن الشر يقضي على نفسه إذا لم يجد من يقضي عليه ، وذلك من خلال تلاعب مراد وأعوانه في مواد البناء بالإضافة إلى موبقات أخرى قاموا بارتكابها . وتهار المدرسة التي أشرفت الشركة على بنائها ، ويقع مراد وأعوانه في يد العدالة .

في عام ١٩٤٥ أخرج ستيفان روستى فيلم "جمال ودلال" الذي يربط فيه الحب بين جمال ودلال . ثم يقابل جمال راقصة شريرة تحاول ابتزاز أمواله لكنه لا يستجيب لها ، فتورطه في جريمة قتل . وتصبح الألة كلها ضده، فتحثه على الهرب معها إلى تونس حيث تستنزف كل ما لديه من مال . ويلتقى بصديقه الموسيقى الذي يبدأ معه رحلة الغناء في الكباريهات . وعندما يعود إلى مصر ، يقبض عليه ، وتبث الأيام براءته ويتزوج من دلال .

في عام ١٩٤٦ أخرج عبد الفتاح حسن فيلم "أرض النيل" الذي قدم فيه لأول مرة شخصية المرابي على الشاشة . وهي شخصية غير نمطية وغير متكررة كثيراً إلا أنها تتضمن تحت بند الشخصية الشريرة . فالمرابي يمتص دماء أهل القرية بمن فيهم الرجل الثرى رجب باشا ، لكن ابنه فؤاد لا يرضي عن هذا الاستسلام ويبحث الأهالى على التعاون معه لمقاومته . وتحج أولى محاولاته ويقبل الفلاحون على المساعدة في مشروعه ، وتحسن حال القرية مما يثير استياء المرابي فيعمل على تدبير المؤامرات ضد فؤاد ، وحرق المخازن لكن براءته تثبت . ويقرر البوليس القبض على المرابي الذي يسرع إلى الفرار وهو يحاول إغراق القرية ، إلا أن فؤاد يتمكن من القبض عليه وتسليمه للبوليس ، ويستأنف فؤاد مساندته لأهل القرية من جديد .

وشهد عام ١٩٤٧ ثلاثة أفلام : "قلبي دليلي" لأنور وجدى ، و "سلطانة الصحراء" لنيازى مصطفى ، و "زهرة" لحسين فوزى . في الفيلم الأول يظهر نموذج العصابة بأعضائها الذين يتراوحون بين الخبر والانتهازية والخوف من

الزعيم والتأمر والخطف ، وينتهي الأمر بمعركة مع البوليس الذى يقبض عليهم ، وإنقاذ المخطوفة . وفي الفيلم الثانى يرتكب إعرا比 جريمة تؤدى به إلى السجن سنوات طويلة بسبب أحد جيرانه الذى أثبت عليه التهمة . فيصمم المجرم على أن ينتقم منه ، فما يكاد يخرج من سجنه حتى يختطف ابنته سلطانة ويهرب بها إلى الصحراء . لكن شمل الأسرة يلتقط في نهاية الفيلم كالعادة . وفي الفيلم الثالث يتقدم خورشيد بطلب يد بهيجه ابنة عرفى باشا ، فيرفضه أبوها لمستواه المتواضع . فيتحول خورشيد إلى شرير ينجح في القضاء على الباشا مالياً فيصاب بأزمة قلبية ويموت . لكن خورشيد يقتل في ظروف غامضة وتهتم بهيجه بقتله لكن براءتها تثبت . (وثبتت البراءة في السينما المصرية شيء مفروغ منه مهما كان الشرير داهية من دواهى الدهر !!) . **مندى سور الأزبكية**

WWW.BOOKS4ALL.NET

ويؤمن الكتاب والمخرجون بأن عدالة السماء لا تغفل ولا تتمام في مواجهة الشر ، قد تمهل لكنها لا تهمل . وبهذا المفهوم أخرج أحمد كامل مرسى فيلم " عدل السماء " عام ١٩٤٨ ، والذى لا يجد فيه المظلوم ملجاً يلوذ به سوى العدالة الإلهية . فالشبهات تحوم حول موظف في جريمة قتل مدير الشركة التي يعمل بها فيسجن ظلماً . وعندما تخرج زوجته للحياة لتعول ولديها ، تقع في براثن مجرم خطير يدير نادياً ليلياً ، ويستغلها في الإيقاع بالرجال والاستحواذ على مالهم . وعندما يخرج الزوج من السجن يشرع في قتل صاحب الكباريه ، لكن شخصاً آخر يسبقه في الانتقام له ، ويعرف أنه القاتل الحقيقي لمدير الشركة ، ويطلب منه الصفح عن احتماله عذاب السجن لجريمة لم يقترفها . (لكن من الواضح أن ضمير المجرم يستيقظ في الوقت الذي يحدده المؤلف أو المخرج ، وليس طبقاً للتفاعلات والصراعات النفسية التي يمر بها وتورقه !!)

وكان نصيب الراقصة من النمط الشرير ملحوظاً في أفلام كثيرة ! (إذ يبدو أن ميلها للشر أعمق وأرسخ من ميلها للخير برغم أنه ليست هناك علاقة بين

الرقص والشر !!) ففى فيلم " كلام الناس " الذى أخرجه حسن حلمى عام ١٩٤٩ ، تحب راقصة مطرباً وتقرر الزواج منه ، لكنه يحب غيرها ويستعد للزواج منها . وفي الحال تتقم منه الراقصة بخطف حبيبته وإخفائها . لكن النهاية المضمونة فى معظم الأفلام تكمل ببحث المطرب عن حبيبته بالنجاح ويتزوجان .

وشهد عام ١٩٥١ فيلمين " حكم القوى " لحسن الإمام ، و " اشكى لمين " لإبراهيم عماره . فى الفيلم الأول يتبلور الخير والشر فى شريكين يملكان مصنعاً : مدحت الذى يقدر كلمة الشرف ، وقاسم الذى لا يقيم وزناً لأية قيمة أخلاقية ؛ ويفقد ماله فى القمار ، فيلجأ إلى رجل ثرى يوهeme بمشروع سيدر عليه مالاً وفيراً ، لكنه يكتشف أنه نصاب وتحدى مشادة بينهما تنتهى بأن يقتله قاسم . وبخطوة محكمة يلصق قاسم التهمة بمدحت الذى يحكم عليه بالإعدام ، لكن قبل التنفيذ بلحظات تكشف الحقيقة ، ويقبض على القاتل ، وينال عقابه !!

أما فى الفيلم الثانى " اشكى لمين " فيظهر نمط الشرير الذى يمارس لعبة الابتزاز على البطلة المسكينة ، والذى تكرر فى أفلام كثيرة . ففيه تضطر فتاة فقيرة إلى العمل فى كباريه يرى صاحبه أنها تصلح أن تكون راقصة ، ويلقط لها بعض الصور ويهددها بها ، إلا أن المحكمة تتصفها ويحكم عليه بالسجن . ويلتقى بها أحد الشباب فى حين يخرج صاحب الكباريه من السجن ليعمل مديرأً لأعمال هذا الشاب ! (وغالباً ما تأتى الحبكة بهذا الافتعال !!) . فقد تزوج من الفتاة ، فيرى الشرير أنها فرصة مناسبة لابتزازها وإلا صارحه بماضيها . تحاول أن تشتري سكوته بالمال ، بل وتحاول الاعتداء عليها لكن عمها الفقير المكافح يقتله ليعش الحبيبان حياة زوجية سعيدة !

وشهد عام ١٩٥٣ فيلمين : " حكم الزمان " لهنرى بركات ، و " كلمة حق " لفطين عبد الوهاب . فى الفيلم الأول يعلن عادل خطبته على حبيبته وداد ، فلا ترضى الغانية عن ذلك لأنه سيفلت بثروته من شباكها ، وتنتفق مع أنيس الذى كان

يطبع في وداد أن يوهمها بأن الغانية أمها . ويعرف عادل وصديقه منير الحقيقة ويسرعان لإنقاذ وداد التي تخطفها الغانية وأنيس ، وينتصر الخير على الشر في النهاية . وفي الفيلم الثاني يقوم صاحب شركة يدعى أمين بطرح أسهم شركة وهمية في السوق كي يسلب بها أموال الناس ليصرفها على راقصة تستغله لعلمها بحقيقة احتياله ونصبه . وفي النهاية يعرف الجميع حقيقته .

وشهد عام ١٩٥٤ أكثر من فيلم عن الاحتيال والنصب : " المحتال " لحلمى رفلة ، و " حدى ذات ليلة " لهنرى بركات ، و " أمريكيانى من طنطا " لأحمد كامل مرسى ، وأيضاً عن الابتزاز : " عزيزة " لحسين فوزى ، و " الخطف " المجرم " لكمال عطية .

في فيلم " المحتال " يدعى برعى لمدير الكباريه أثناء خروجه منه أن سيارة صدمته ، ويطلب منه أن يوصله للطبيب . ثم يواصل ابتزازه خاصة عندما يعلم خيانته لزوجته فيهدده بإفشاءها لها . ويدعى برعى الثراء ويلتقى بفتاة تدعى الثراء أيضاً ، ويتلقان على الزواج طمعاً في مال الآخر . وأخيراً تتضح الحقيقة بعد أن يتمكن الحب منهما ويتزوجان وتنقى حالهما .

في فيلم " حدى ذات ليلة " تفاجأ زوجة بشاب يزعم لها أن زوجها أصيب في حادث فتذهب معه لطمئن عليه ، لكن يتضح لها أنه محتال ، مما يحدث شرخاً في حياة الزوج ، ويطلق زوجته ويسافر إلى أوروبا لكي ينسى . وبعد فترة تتقابل صدفة مع الشاب ، فتتولى إليه حتى تنتقم منه وتنتهي بالقتل بالفعل . تهم بالانتحار لكن توأم هذا الشاب !!! ينقذها ويتولى الدفاع عنها . ويحكم عليها بالسجن ويعاوهها المحامي على انتظارها ليتزوجا !!

في فيلم " أمريكيانى من طنطا " يقرأ موظف فقير خبراً في صحيفة عن مليونير مصرى مهاجر إلى الخارج ، قرر أن يعود إلى مصر ليبحث عن أقربائه . فيرسل الموظف إليه برقية على أنه أحد أقربائه ، ويستأجر لذلك شقة فاخرة

لاستقبال المليونير الذى يصل ويطلب الموظف بأموال للصرف منها حتى يصل المال من الخارج لدرجة أن الموظف يفلس . وفي النهاية يتضح أن المليونير ما هو إلا شخص فشل في تحقيق الثروة ولا يملك شيئاً ويعود الموظف لحياته السابقة ، في حين يعمل المليونير جرسوناً .

في فيلم " عزيزة " تضطر عزيزة إلى الغناء والرقص لتعول شقيقتها الصغرى التي أدخلتها مدرسة داخلية . ويقع في غرامها رجل بوليس في حين يهددها أحد المجرمين ويتوعدها الانتقام إن لم تخضع لرغباته . وبمساعدة حبيبها تستطيع أن تمنعه من إفشاء حقيقة عملها لنظرية المدرسة التي خطبت شقيقة عزيزة لابنها . ويلقى المجرم جزاءه (كالعادة) ، ويتم زواج شقيقتها دون أن تعلم حقيقة عزيزة !!

في فيلم " المجرم " يخطف أحد المجرمين طفلة من عائلة ثرية ، ويعهد مختطفها لأسرة فقيرة لتربيتها مع ابن لها . وتكشف سيدة ثرية في ابن الأسرة الفقيرة شيئاً كبيراً في ابنها الذي فقدته . ويطلب زوج السيدة الثرية أن يقوم بتربيته هذا الابن . وفي النهاية يتعرف الشاب على الفتاة فيتزوجها وينال مختطفها جزاءه .

في عام ١٩٥٦ أخرج حسن الصيفي فيلم " صاحبة العمارة " الذي تتزوج فيه الأرملة الثرية منيرة من الفنان غزال . ويتفقان على تبني طفل ، يحرص غزال على أن يكون ابنه من زوجته الأولى التي يستدعيها لتعمل مربية له . وعندما تكتشف منيرة حقيقتهما ، تتخلص من الطفل بدس السم له في طعامه ، وتلصق التهمة بالمربيه . لكن الشبهات تحوم حول منيرة التي تثبت عليها الجريمة وتحكم عليها بالسجن .

في عام ١٩٥٨ أخرج حسن رضا فيلم " المعلمة " المأخوذ عن مسرحية شكسبير " عطيل " التي أصبحت فيها شخصية إياجو من أشهر الشخصيات الشريرة

فى الأدب العالمى . وفى الفيلم يبدأ الصديق خطوة جديدة للنفريق بين الزوجين بإثارة الشك فى نفس الزوج بوجود علاقة بينها وبين كاتب محل ، ويستخدم فى ذلك أحد عماله الذى يدمن الأفيون الذى يمدء به . وعندما يضيق العامل به يقتله ويعترف للزوج ببراءة زوجته وغدر صديقه . ويعود الزوجان ليعيشا فى أمان . أى أن النهاية السعيدة التى أدمنتها السينما المصرية تنتصر على النهاية المأسوية التى خنق فيها عطيل نيزيدمنة ثم قتل نفسه .

فى عام ١٩٥٩ قدم محمود ذو الفقار فى فيلم "المرأة المجهولة" النمط النموذجى لشخصية البلطجى الذى لا يعاني من أى وخذ للضمير ولا أى نوع من الصراع资料ى ، وكأنه الشيطان نفسه . ففى الفيلم المأخوذ عن رواية "مدام إكس" ، تضطر فاطمة إلى العمل مغنية ، فيطلب منها البلطجى عباس إتاحة من أجل حمايتها . وعندما ترفض فاطمة ، يحاول قتلها إلا أن صديقتها سعاد تقتديها وتموت . ويحكم على عباس بالأشغال المؤبدة . وتمر الأعوام ويصبح ابنها سمير محاميا مشهوراً في حين يخرج عباس من السجن ويستأنف ابتزاز أسرتها فتقتله ، ويتولى ابنها الدفاع عنها .

فى نفس العام (١٩٥٩) أخرج فطين عبد الوهاب فيلم " العتبة الخضراء " الذى يصل فيه الشاب الصعيدى الساذج إلى القاهرة حيث يلتقي بمحثال كبير ، لكنه يثق فيه لدهائه الذى أوهمه بأن فى استطاعته أن يبيع له ميدان العتبة الخضراء . ويرى الصعيدى فى هذا العرض فرصة لا تتعوض فيدفع كل ما يملكه له . ثم يوقع المحثال ممثلة سينمائية ناشئة فى شباكه إلا أنها سرعان ما تفتق من غلاتها ، وتكشف خداع المحثال لها ، تكشف حيلته مع الصعيدى ويتم القبض عليه .

شهد عام ١٩٦٠ فيلمين : " ملاك وشيطان " لكمال الشيخ ، و " نهاية الطريق " لكمال عطية . فى الفيلم الأول تسطو عصابة شحاته على فيلا الثرى شوكت وتضطرها الظروف إلى خطف ابنته ، ويطلب رئيس العصابة شوكت

بغدية مقابل عودتها . وتعيش الطفلة مع مجرم آخر يدعى عزت بالإسماعيلية ومع عشيقته خيرية . وتمكن الطفلة من تغيير سلوكياتهما . وعندما يطلب شحاته من عزت قتل الطفلة ، فإنه يقرر إعادتها لأسرتها ، فتشب مشاجرة بين عزت وأبو شفة تنتهي بقتله وإصابة عزت الذي يعود بالطفلة والمسروقات إلى أهلها ويلفظ أنفاسه الأخيرة متأثراً بإصابته .

فى فيلم "نهاية الطريق" يقوم الابن بقتل أبيه ويدخل السجن ، وتحصل شربات زوجة أبيه على الميراث والثراء الذى كانت تسعى إليه . لكن يدخل حياتها نصاب يسلبها ثروتها باسم الحب . فتقرر العودة إلى حبيبها السابق فتجده قد أصبح محامياً مشهوراً ومتزوجاً وسعيداً في حياته الجديدة فتبعد عن حياته .

وشهد عام ١٩٦١ فيلمين "النصاب" لنيازى مصطفى ، و "نصف عذراء" للسيد بدير . فى الفيلم الأول يريد الشرير أن يتخلص من أخيه التوأم الطيب فيزوج به فى مستشفى الأمراض العقلية ، لكن لا يلبث أن يلجا لإعادته !! (فليس هناك أسهل وأبسط من دخول مستشفى الأمراض العقلية والخروج منها !!) فقد قرر أن يعتمد على شدة الشبه بينه وبين شقيقه التوأم ليواجه أعداءه !! وفي الفيلم الثانى يتم القبض على الدكتور أنور مدعى الطب النفسي الذى استخدم التويم المغناطيسى للسيطرة على المريضة زينب ثم اغتصابها !!

فى عام ١٩٦٢ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم "الأشقياء الثلاثة" الذى يقضى فيه الأصدقاء الثلاثة أوقاتهم فى اللهو . وفي ليلة وهم سكارى يصدمر مزى بسيارته عاملأ ويهرعون . ويستغل أحمد هذه الحادثة فى ابتزاز رمزى بحجية ضمان سكوت العامل ، حتى يستطيع أحمد الإنفاق على عشيقته . وأخيراً يكتشف رمزى الحقيقة إذ أن العامل سليم . وفي النهاية يلقى أحمد مصرعه فى مطاردة مع البوليس .

فى عام ١٩٦٣ أخرج السيد زيادة فيلم "شباب طاش" الذى عالج فيه عنصراً نمطياً تكرر كثيراً فى الأفلام المصرية ، وهو أن التدليل لابد أن يؤدى إلى الفساد والشر . فالأرمل يتزوج من أخرى، وينجبان ابناً ينشأ مدللاً ومغروراً فى حين تستبد زوجته بولديه ولا يقوى على الاعتراض . وينجح الابن الأكبر فى دراسته ويتخرج ويعتمد على نفسه فى حين يفشل الآخر ويندفع فى طريق الفساد والجريمة ، بل ويحاول التكيل بأخيه فيلتف لـ تهمة جريمة قتل لكن أخيه وخطيبها ينجحان فى إنقاذه منهما ..

وشهد عام ١٩٦٥ فيلمين "هارب من الأيام" لحسام الدين مصطفى ، و "المشاغبون" لمحمود فريد . فى الفيلم الأول يدعى كمال الطبال البلاهة فى حين أنه داهية يقف وراء جرائم السرقة والرعب فى القرية . فهو زعيم عصابة الدفراوى التى يحرك أفرادها دون أن يكشف عن شخصيته . وفي النهاية ينكشف أمر كمال ويفاجأ أهل القرية بحقيقةه ويلقى مصرعه . وفي الفيلم الثانى تنتهى مدة عقوبة أمين فيذهب إلى رئيس العصابة يوسف ليأخذ نصيبه من عملية التهريب الأخيرة ، فيدعى له أن شريكهم الراقصه نادية استحوذت على قيمة الصفقة بعد أن أصابته برصاصة . لكن نادية تكتبه ، فيخطفه أعون يوسف ويعذبونه لكن نادية تنتذه ، ويتم القبض على العصابة ، ويتزوج أمين من نادية .

وشهد عام ١٩٦٩ فيلمين "أبواب الليل" لحسن رضا ، و "الحرامى" لنجدى حافظ . فى الفيلم الأول يقع سلامة فى براثن مجرم يقوم بتزييف الأوراق المالية ، ويكون منها ثروة كبيرة . ونظراً لأن ضميره لم يمت تماماً كما يحدث للشخصية الشريرة النمطية ، فإنه ينسحب من حياة ابنة عمه التى تحبه لأنه لا يستطيع مواجهتها ، فهى تمثل له ماضيه الشريف الذى لا يزال يحن إليه والذى أيقظ ضميره فى النهاية وعاد إلى الطريق القويم . وفي الفيلم الثانى يقدم العريس لفاطمة شبكة عbara عن جوهرة ثمينة ، ثم تفقد منها . ويتضح أن سارقها هو

صديق أخت العريس ، بل ويتبين أنها جوهرة مزيفة وأن العريس الثرى وأخته صديقها يكونون عصابة .

فى عام ١٩٧٣ أخرج حلمى رفلة فيلم "شلة المحتالين" الذى يحترف فيه بسيونى والأرناؤطى النصب والاحتيال ، ويلتقطيان بنوال وسعاد وهما أيضاً يحترفان النصب . ويدعى كل منهما كذباً أنه مليونير ، لكن الراقصة إلهام تكشف حقيقة الجميع . ومع الأيام يقررون التوبة .

وشهد عام ١٩٧٥ فيلمين "شهيرة" لعدلى خليل ، و "حب أحلى من الحب" لحلمى رفلة . فى الفيلم الأول تعجب الممثلة المسرحية الشهيرة فى الثلاثينيات شهيرة بالمؤلف الجديد كمال ، مما يثير غضب فخرى باشا الذى يلفق تهمة سياسية لكمال يدخل بسبيها السجن لكن شهيرة تتمكن بنفوذها من إخراجه . وفى الفيلم الثانى تبوج الابنة الكبرى للمربيبة ليلى عن علاقتها بشاب يخدعها بعواطفه ويهددها بخطباتها إليه . تقابلها ليلى لتسيردها منه مقابل مبلغ من المال . وعندما يراها رفعت أبو الأولاد والذى كان قد عرض عليها الزواج ، مع هذا الشاب ، يظن بها السوء ويطردها ، لكنها تعرف لها بالحقيقة فتصبح زوجته وأما حانى على أولاده .

وشهد عام ١٩٧٦ ثلاثة أفلام " لا يا من كنت حبيبي " لحلمى رفلة ، و " الدموع الساخنة " ليحىى العظمى ، و " ليتى ما عرفت الحب " لأنور الشناوى . فى الفيلم الأول يلفق شوكت بك مدير إحدى شركات المقاولات للمهندس عادل تهمة قتل المقاول حمودة ، فتتلا جأ خطيبته نجوى إلى المحامى مدحت ليدافع عنه فيساومها على تبرئة عادل مقابل أن تهبه نفسها . وفي الفيلم الثانى تهرب حنان من خالها القواد وزوجة أبيها التى تزيرد أن تجعل منها راقصة . وفي الفيلم الثالث تعيش سلوى فى عذاب نتيجة لمطاردة فريد لها والذى يطالعها بمبلغ من المال مقابل التستر على جريمة قتلها لزوجها .

وشهد عام ١٩٧٨ فيلمين "المجرم" لصلاح أبو سيف ، و "ليلة لا تنسى" لحسن يوسف . في الفيلم الأول تتزوج إنصاف من ابن عمها الأبله زغلول الذي يطمع صديقه منير في ثروتها ، فيصاحب الزوجين لنزهة ، ويتمكن من إغراق زغلول في النيل ويدعى للجميع أنه لم يسعفه لجهله بالعلوم . ويتزوج من إنصاف ويشرع في ابتزازها . لكنها مع الأيام تدرك أنه قاتل زغلول ، ثم تضبطه العمة وإنصاف وهو يسرق المصااغ فيحاول قتلهما ، لكن الأهالى يطاردونه ويلقى مصرعه . وفي الفيلم الثانى تشاهد ليلي من نافذة حجرتها جريمة قتل وتبلغ رجال الشرطة ، فتدبر العصابة التى وراء الجريمة مؤامرة وتخطفها بالفعل ، لكن رجال الشرطة ينقذونها بعد القبض على العصابة .

وشهد عام ١٩٧٩ فيلمين "خائفة من شيء ما" لبحيرى العلمى ، و "خدعنتى امرأة" لسيد طنطاوى ، وهما يؤكدان أنه لا يفل الحديد إلا الحديد بمعنى أنه لا يفل الشر إلا الشر لأن كليهما يملكان نفس الجبروت والعنف والقسوة والخبث والدهاء .. الخ . في الفيلم الأول يقوم راشد بخطف عصمت إلى منزله ، ويتفق مع صديقه حافظ ليلحق به ، لكنه يفاجأ قبل أن يعتدى عليها باللص رؤوف الذى ينقذها ويقتله ويهرب بها . وفي الفيلم الثانى تتورط عواطف فى علاقة مع المحامى أحمد ، وتفاتحه فى الزواج فيماطلها . وعندما تعلم بخطبته لهناء ، تدبر له اختلاس كمبيالات من أحد موكليه .

فى عام ١٩٨١ أخرج محمد راضى فيلم "أمهات فى المنفى" الذى يرفض فيه حسونة موظف الجمرك المستقيم ، رشوة رجل الأعمال الكبير شاهين لتسهيل أموره . لكن عشيقه شاهين مaise تتجه فى الإيقاع بحسونة فى حبائلاها وتسجل له ما يحدث بينهما ، فى حين يدعى له شاهين أنها زوجته ، ويهدده بالشريط حتى يضغط عليه لتغيير موقفه ، وخاصة أن شاهين استطاع رشوة زملائه الذين يبلغ حسونة عنهم فى النهاية .

فى عام ١٩٨٢ أخرج خيرى بشارة فيلم " العوامة ٧٠ " الذى أكد فيه فكرة غير نمطية على الإطلاق ، وهى أن هزيمة الشر ليست ضرورة فكرية أو درامية تحتمها نهاية الأحداث فى الفيلم . ذلك أن كتلة الشر المتمثلة فى الاختلاسات والسرقات وعمليات القتل وتوريد المخدرات أكبر من كتلة الخير التى يمثلها بطل الفيلم ، وبالتالي فإنه من الطبيعي أن ينتهى الفيلم والبطل غارق فى شعوره بالإحباط والفشل .

فى عام ١٩٨٣ أخرج سعد عرفة فيلم " مرزوقه " الذى تبدو فيه الشخصية الشريرة شخصية زئبقيه وقدرة على خداع كل من تقابلهم ، والتلاعب بكل من تعامل معهم ، بما فى ذلك سلطات القضاء التى تعتمد المستندات المزيفة التى تقدمها ، لكنها فى نسوة انتصارها ، تقتلها الفتاة مرزوقه التى كانت ضحية شرها برغم ما قدمته لها من حب ومساعدة .

فى عام ١٩٨٤ تألفت الشخصية الشريرة فى أربعة أفلام : " الأرملة والشيطان " لهنرى بركات ، و " الخادمة " لأشرف فهمى ، و " والنصابين " لأحمد يحيى ، و " اثنان على الطريق " لحسن يوسف . فى الفيلم الأول تتردد الأرملة الثرية حنان على محل الحياكة الذى تعمل فيه لبني التى تخطط مع عشيقها عاطف لابتزاز حنان التى تقاد له وتقع فى حبه . وتفتعل لبني الثورة عليه ، فيدعى بدوره أنها قتلتها وأخفى جثتها فى مكان مهجور مع حنان التى تهددها سيدة مجهولة تليفونياً بتلبيغ الشرطة عن الجريمة لابتزازها . وتكشف حنان الحقيقة وأن لبني لم تمت ، وتنجح فى الإيقاع بين لبني وعاطف بايهاهه بأنها تخونه . فيقتلها ثم يقع فى قبضة رجال الشرطة .

فى الفيلم资料 " الخادمة " يتفق أبو سريع مع عشيقته فردوس على إيقاع علاء ابن مخدومتها الثرية حكمت فى جبهها حتى يبتزها ثروته . وتصاب حكمت بالشلل عندما يتزوج ابنها من فردوس التى تدير شركة حكمة مع الموظف الكبير

فتحى الذى يشاركها عمليات الاختلاس وتتخلص فردوس من أبو سريع بأن تسهل له عملية سرقة مجوهرات حكمت ، ثم تبلغ الشرطة فيقبضون عليه متلبساً . وعندما يكتشف علاء علاقة فردوس بفتحى يطلقها . وعندما تعود فردوس إلى منزلها ، تقاجأ بأبو سريع الذى تنتهى مدة عقوبته ويقتلها .

فى الفيلم الثالث " النصابين " تتمنى السيدة الثرية فوقية أن تتزوج من أمير !! وبرغم غرابة هذه الأمنية فى مثل هذا العصر ، فإن النصاب حمدى يدعى لها بأنه أمير إمارة مرزانا التى طرده أهلها منها بعد ثورتهم عليه ، وأنه يحتاج إلى مبلغ من المال ليسترد الحكم . وتنتم خطبتهما ، وتعطيه فوقية ما يحتاجه من مال !!! ويتقابل حمدى مع زميله عmad ، ويتفقان على ابتسا فوقية . يختفى حمدى فتبلغ فوقية رجال الشرطة ، وتتهم الأعداء بخطفه . ويعرض عليها بعض صور النصابين ، فتتعرف على حمدى وعماد ويقبض عليهما !!! (وإدعاء حمدى بأنه أمير لا يصدقه طفل فى هذه الأيام ، وليس امرأة ناضجة مثل فوقية !!) وكان من الممكن أن تكون أكثر إقناعاً لو أنها كانت متخلفة عقلياً ، أو كان الفيلم فانتازيا كوميدية مثل تلك التى برع فيها نجيب الريحانى) !!

فى الفيلم الرابع " اثنان على الطريق " يطمع عزت فى حنان التى تصدأ فىستولى بنفوذه على مصنع والدها ، ويتمكن أيضاً من وضع ممتلكاته تحت الحراسة . ويصاب الأب بالشلل ، فتضطر حنان للاستسلام له ليعيد لوالدها ممتلكاته . وتتعرف حنان على ممدوح وتحبه وتتوح له عن ظروفها . وعندما يعلم عزت بعلاقتها ، فيلقي لممدوح تهمة يلقى بسببها ألواناً من العذاب ، لكن يتم الإفراج عنه ويلقى عزت مصرعه .

فى عام ١٩٨٥ أخرج عادل الأعصر فيلم " صفقة مع امرأة " الذى يرسم فيه عصام خطة لقتل ابن عمه رجل الأعمال الثرى عبد العظيم بمشاركة زوجته نجوى التى تهدف لوراثته ، وبمساعدة صديقه الطبيب النفسي المزيف شريف الذى عليه

أن يخفي الجثة ، والذى يثور على نجوى بعد أن أوهنته بحبها له . ويصل عصام إلى فيلا نجوى ويسترق السمع لحوارهما ، فيفتح أنبوبة البوتاجاز ليتسرب الغاز ثم يطلق الرصاص فتشتعل الفيلا .

فى عام ١٩٨٦ أخرج محمد خان فيلم " مشوار عمر " الذى عالج فيه مأساة حلم الثراء السريع الذى يجتاح شباب هذا الجيل ، ويدفعه لانتهاج أى سبيل - مهما كان غير شرعى - لتحقيقه . فالفيلم عبارة عن رحلة الضياع والتى تؤكد أن طريق السرقة والخمر والجنس والفساد لا يمكن أن يؤدي إلا لنتائج من نوعه ، فلا يمكن فصل السبب عن النتيجة ، والوسيلة عن الغاية .

وشهد عام ١٩٨٧ فيلمين " مهمة صعبة جدا " لحسين عماره ، و " الملعوب " لعثمان شكرى . الفيلم الأول مأخوذ عن فيلم " غريبان فى قطار " لآلفرد هيتشكوك . الذى يتفق فيه أحمد على مع وحيد على أن يقتل له زوج أمه ، مقابل أن يقتل أحمد سلوى زوجة وحيد لكي يستحوذ على بوليسية تأمين تخصها . وينفذ وحيد الاتفاق ، أما أحمد فيتعرف بسلوى ويعترف لها بالخطة ، ولأن الشر لا يلد إلا الشر فإن الأمور تتفاقم إلى أن يلقى وحيد مصرعه برصاص الشرطة . وفي الفيلم الثاني يصاب عاطف فى حادث وينقل إلى المستشفى ، ويتفق مع أخوه حسين موظف التأمين على الادعاء بإصابته بالشلل حتى يحصل على قيمة التأمين ، وهى حيلة تكررت فى أفلام كثيرة وإن كانت بأساليب مختلفة .

وشهد عام ١٩٨٨ فيلمين : " كل هذا الحب " لحسين كمال ، و " رجل ضد القانون " لحاتم راضى . الفيلم الأول لا يحمل من عنوانه أية دلالة . فهو زاخر بالانتقام ، وتفريق التهمة الاختلاس ، والحكم بالسجن سبع سنوات ، وخطف طفل ، وينتهى الفيلم النهاية النمطية التى اشتهر بها حسن الإمام فى أفلامه الميلودرامية ، عندما يستدل البطل بمشاعر الأبوة على مكان ابنه فى أحد الملاجئ بعد بحثه الطويل عنه ، فain هو كل هذا الحب !! وفى الفيلم الثانى يلعب البطل الشرير

الدور النمطي المستهلك عندما يخطف جارته كى يتزوج منها بالإكراه ، لكن زوجته تثور ضده وتنقذه !!

وشهد عام ١٩٨٩ فيلمين "اغتصاب" لعلى عبد الخالق ، و "يا عزيزى كلنا لصوص" لأحمد يحيى . فى الفيلم الأول تتعرض الممرضة عفاف لعملية خطف من ثلاثة شبان فى منطقة نائية ، ومع ذلك تتمكن من الهرب منهم والاحتماء بأصحاب المكان . وعندما يتم استئناف المطاردة يستيقظ ضمير أحدهم ويساعده على الهرب مرة أخرى !! وفي الفيلم الثاني يشارك اللص محسوس مع زميليه فى سرقانهم ، على أن يخطط لهما العمليات ويقومان بالتنفيذ . وعندما يبدأ بخزانة عبد الله ، يعثر على أوراق تدين صاحبها مع مسئولين ، ويشروع فى ابتزازه . لكن صاحب الخزانة ينجح فى استعادة الأوراق من محسوس ، إلا أنه يملك صورا أخرى من المستدات .

وشهد عام ١٩٩٠ أربعة أفلام زاخرة بالنصب والاحتيال والقتل : "ليس لعصابتنا فرع آخر" لكمال عطية ، و "إعدام قاض" لأشرف فهمى ، و "السقوط" لعادل الأعصر ، و "المطب" لحسن الصيفى .

فى "ليس لعصابتنا فرع آخر" يخترع النصاب عباس عسلية يشيع أنها تقوى الجسم وتشفى من الأمراض ويتهافت عليها الناس . ويتزوج عباس من نظيمة مما يثير غضب رئيسة الحكمة بأحد المستشفيات لأنها تحبه لكنه يصدها ، فتبلغ الشرطة بوجود حالات تسمم ووفاة نتيجة تناول العسلية . ويتم القبض على عباس ، وتندم رئيسة التى ثبتت براءته وتعود إليه زوجته ، ويقتطع عباس أن الوهم الذى أسعد الناس كاد أن يقضى على سعادته .

فى "إعدام قاض" يفشل رفيق الحناوى مدير المباحث فى إقناع القاضى النزىء رفعت بتزويج إحدى القضایا ، فيأمر أعوانه بقتله . ويقوم وكيل النيابة عادل باستبدال محضر التحقيق بأخر يثبت فيه انتحار رفعت . تمر السنوات ويفاجأ عادل

الذى أصبح محامياً بعلا ابنة رفعت ، تطلب منه أن يخطط لها جريمة قتل لرفيق . وتهده بالمحضر الأصلى الذى وجدته بالصدفة . ويدعى لرفيق أن علا تطالبهما بمبلغ كبير مقابل التكتم ، إلا أنه يكتشف خديعة عادل . ويحاول أعون رفيق قتل علا فيدافع عنها عادل الذى يصيبه رفيق بطلق نارى ، وقبل أن يلفظ أنفاسه يتمكن من قتل رفيق !! (وهذا يطفح الفيلم بعوامل الشر والفساد لدرجة أن رجال المباحث والنيابة والقضاء والمحاماة يتحولون إلى مجموعة من السفاحين والقتلة وال مجرمين !!)

فى " السقوط " يعمل حسن وتوحيدة فى مصلحة التليفونات ، ومن خلال تتصتھما على المكالمات يكتشفان العديد من الأسرار والجرائم التي يسجلانها ويهددان بها أصحابها ويتزونهم ، ثم يبلغون عنهم رجال الشرطة . ويكونان ثروة كبيرة ويتزوجان . ويجرف الجشع حسن فيطلب إحدى ضحاياه بـ مليون جنيه . وبعد أن يصرف حسن المبلغ ، إذ بيد خفية تطعن توحيدة ، وهى تنتظره داخل البنك للتلقى مصرعها وينهار حسن .

فى " المطب " يعيش الزوجان فرج وفكرة حياتهما بالنصب . فهى تتصيد الرجال وتدعوه لتناول العشاء . ويشترى الضحية كل ما يلزم من طعام ، وعندما يصل إلى الشقة يفاجأ بفرج الذى يدعى أنه أخوها فيهرب . أما فرج فهو يلقى بنفسه أمام السيارات مدعياً الإصابة ليتذمّر أموال صاحب السيارة بدلاً من تدخل الشرطة . وتتأتى فكرة برجل مسن ، وعندما يظهر فرج يفقد الرجل وعيه ، فيستدعي فرج الدكتور تمبـل وقد كان أحد ضحاياه فيوهمه أنه مات حتى يلقنه مع زوجته درساً يجعلهما يتوبان .

هكذا فرضت الشخصية الشريرة نفسها على السينما المصرية منذ بداية مسيرتها حتى الآن . وهذه ظاهرة طبيعية في أية سينما أخرى في العالم ، إذ أن الشر عنصر جوهرى ، وسيظل مواكباً للحياة التي لا يمكن تصورها بدونه . لكن

الظاهره غير الطبيعية أن تتحول الشخصية الشريرة إلى كيان نمطي مسطح لا يحتوى على أية جوانب أو أعمق أو أبعاد أخرى ، برغم اختلاف أنواع الشر والاجرام والفساد والانحراف ، وبرغم اختلاف الشخصيات الشريرة طبعاً لاختلاف بيئتها وظروفها وتقديرها وسلوكها . لذلك آن للسينما المصرية وهي تدخل القرن الحادى والعشرين أن تتفض يديها من الشرير النمطي الذى لا يعاني من أى وخذ للضمير ، ولا أى صراع نفسي ، ويختلط لارتكاب الشر كأنه الشيطان نفسه .

إن الغوص فى أعماق الشخصية الشريرة يستدعي الدراسة الوعيية بعلوم النفس والاجتماع بل والاقتصاد والسياسة أيضاً . فهذه الشخصية لا تأتى من فراغ ، ولا تولد شريرة ، بل غالباً ما تدفعها ضغوط المجتمع إلى الانحراف إلى طريق الشر ، عندما تجد طريق الخير مسدوداً فى وجهها . وفي هذا المجال متسع لجميع المؤلفين والمخرجين بحيث يصلون ويجلون فيه دون خوف من الوقوع فى براثن العناصر النمطية الخانقة والتى حفظها الجمهور عن ظهر قلب .

• • • •



سونيا والمجنون سنة ١٩٧٦



شى من الخوف سنة ١٩٦٩



نَسَاءُ اللَّيْلِ ١٩٧٣



الْمَذْبُونَ ١٩٧٥



شئ من العذاب سنة ١٩٨٩

مأسى بنات الليل

كانت السينما المصرية بصفة عامة ، متعاطفة مع بنات الليل وحانية عليهن بصفتهن ضحائماً للمجتمع . فهن مجرد نتائج لأسباب لا قبل لهن بها ، ولا يعتبرن أسباباً ومنابع للغواية والإغراء والفساد . والظاهرة الجديرة بالرصد والتحليل أن السينما المصرية لم تركز الأضواء على قضايا بنات الليل بصفة منتظمة إلا مع مطلع الخمسينيات ، إذ يبدو أنها لم تكن تشكل قضية أو مأساة قبل ذلك ، إذ أن الدعاارة كان مسموحاً بها رسمياً حتى الأربعينيات ، وتحت إشراف طبى منظم ، وبالتالي كانت حرفة مقبولة من المجتمع الذى اعتادها ، فرآها تحمل فى طياتها المواقف والخصائص العادلة للحرف ، وإن كانت تتضوى فى الواقع على بعض التوابيل التى تجب التوابيل التى يمكن أن تزايد بها السينما على هذا الواقع الذى كان أكثر إشارة من أى فيلم يدور حوله .

ومع المنع الرسمى للدعاارة ، وانتقالها من تحت الضوء إلى حياة الظلام ، فإنها اكتسبت إثارة وغموضاً بل وعناصر درامية وميلودرامية ، يسيل لها لعاب السينما . فتحولت الحرفة إلى مأساة بمعنى الكلمة ، وأثيرت قضية الكيان المنتهك للمرأة ، والظلم الذى يمارسه عليها المجتمع ، ويدفعها بلا رحمة إلى السير على

الأشواك ، لأن لم تجد ما تتعامل به مع المجتمع سوى جسدها وشرفها وكرامتها . وهي قضايا لم تكن مطروحة بهذه المسؤولية حتى الأربعينيات .

وكان المخرج الرائد كمال سليم أول من ألمح إلى هذا العنصر - الذي أصبح شبه نمطي بعد ذلك - عندما قدم معالجة مصرية لرواية فيكتور هوجو الشهيرة "البؤساء" عام ١٩٤٣ ، في فيلم بنفس الاسم ، إذ يخرج الشرقاوى من السجن لسرقه خبزاً يسد به رمقه . وعندما يأويه الشيخ عبد الله ، يسرق أدواته الفضية ، ويبداً في تكوين ثروة من خلال مصنع للنسيج ويتسمى باسم شريف . ثم يقوم بإنشاء ملاجئ ومدارس ، وينفق الكثير في سبيل الخير . وفي مصنعه تعمل درية التي لها ابنة غير شرعية ، تقوم المديرة بطرد ابنتها فتحترف الدعارة ، فيهين لها شريف منزلأً لها وابنتها . وعندما تموت الأم ، يتبنى الابنة التي تحب فتحى ، كما يتمكن شريف من تخلص الضابط الذي يراقبه من أيدي عصابة لصوص ، وفي النهاية تتزوج الابنة من فتحى وبحضور شريف باشا !

وكان حسن الإمام من أكثر المخرجين عطفاً على هذه الفتنة البائسة من خلال أفلامه التي تجاوزت في عددها أفلام أي مخرج آخر . فهو يرى أن سوء الحظ ولوم الآخرين وضغوط المجتمع من العوامل المأساوية التي ألت بهن في طريق الأشواك والصخور ، وليس بسبب فجورهن وعهرهن وطبيعتهن التي فطرت على الفساد وصديق الرجال . ففي فيلم "ساعة لقلبك" الذي أخرجه حسن الإمام عام ١٩٥٠ ، يتزوج الثرى تيسير بك بعد وفاة زوجته الأولى من امرأة لعوب تخطط لتزويج ابنه أحمد من ابنتها ، برغم أنه تعاهد مع نعمت العاملة في مصنع أبيه على الزواج . تتفق زوجة الأب مع عشيقها الملاكم على استدراج نعمت إلى بيت يدار للدعارة ، وهناك يقبض عليها البوليس وتودع السجن . يصمم حال نعمت وهو ملاكم أيضاً على أن ينتقم لها بمساعدة تيسير بك الذي لم يشك لحظة في شرف الفتاة . ويتقابل الملاكمان في حلبة الملاكمه ويغلب عليه ويعرف له بالحقيقة .

وفي عام ١٩٥٥ أخرج حسن الإمام فيلم "بنات الليل" الذي يدور حول فتاة اضطرتها الظروف لكسب قوتها فتعمل راقصة . (ولم تكن الحدود واضحة ومتبلورة بين الراقصة وفتاة الليل في أفلام حسن الإمام ، بل كثيراً ما كانى الراقصة وهي تتعى حظها البائس الذي أجبرها على امتحان الرقص !! والطريف أن هذا الدور كانت تقوم به راقصة وممثلة دوت شهرتها في الأفاق !!!) . المهم أن الراقصة تصطحب بحاراً في إحدى ليالي الغارات ثم يختفي من حياتها . وتكتشف أنها حامل . وترسل إليها العناية الإلهية حسين العامل البسيط الذي يحبها ويصمم على إنقاذهما من هذا الوسط الموبوء والزواج منها ، لكن عائلته ترفض ، فتتسحب من حياته حفاظاً على مستقبله . وتبيع طفلتها لسيدة لا تجب !! وتمر السنوات وتحاول استرجاع طفلتها لكنها تطمئن عليها عندما تعرف أنها تعيش مع أبيها الحقيقي ، وتموت في النهاية .

وفي نفس العام (١٩٥٥) أخرج أحمد بدر خان فيلم "عهد الهرم" المقتبس عن رواية "غادة الكاميليا" وفيه يقع مطرب في غرام عاهرة تتظاهر بحبه فتتوب ، ويحاول أبوه إبعاده عنها دون جدوى فيذهب الأب إليها ويطلب منها أن تهجر ابنه صوناً لمستقبله وليثم زواج شقيقته . تلبي الرجاء وتهجر حبيبها ، وتسافر إلى الإسكندرية حيث تعيش بين المرض والوحدة . وبعد أن تتزوج شقيقته يشتد عليها المرض ، فتتصل بالأب تستعطفه لرؤيه ابنه . ويسرع إليها الابن ليعلم مدى تضحيتها وتودعه وتنعم .

(وهي الفكرة الرومانسية والميلودرامية التي عشقتها السينما المصرية ، والتي تؤكد أن جسدها الذي تلوث بالرجال ، لم يؤثر على نقاء سريرتها وقلبه) !!

وشهد عام ١٩٥٧ فيلمين : "حياة غانية" لحسام الدين المصطفى ، و"طريق الأمل" لعز الدين ذو الفقار . في الفيلم الأول تترك حورية منزل أسرتها

بعد أن تموت أمها ويتزوج أبوها من أخرى تسومها العذاب . وينقذها الشاب صلاح من محاولتها الانتحار ويأخذها إلى مسكنه ويعتدى عليها . ويتبين أنه من تجار الدقيق الأبيض ، ويورد للكباريهات كل صيد يقع في يده . وبالفعل تتألق كراقصة في عالم الليل ، ثم تقابل مع الكاتب حازم الذي يعجب بها ، فتقرر هجر حياة الليل ، في حين يحاول صلاح أن يعيدها إلى عالمها ، لكنها في نوبة غضب تطعن بسكين ، فيخرج مسدسه ويطلق الرصاص عليها في نفس اللحظة التي يصل فيها حازم فتلتقط أنفاسها بين يديه .

وفي فيلم " طريق الأمل " تشتغل سنية مع أمها بحياكة الملابس . وفي إحدى الليالي تذهب لتوسيط فستان لمدام سطوحى التي تجعل من بيتها وكرأ للدعارة ، فيراها عباس ويفتن بها . وفي الوقت نفسه يتزدّد على البيت الطيار حسين الذي يعجب بسنية ويتزور إليها ، وعندما يقبض عليها يدفع حسين الغرامه ويقنعها بالسفر معه إلى الإسكندرية لكي تبدأ حياة جديدة . وتعيش سنية في الشقة التي يشتراك فيها حسين مع صديقه رفعت وخطيب شقيقته ليلي . وعندما يعرض حسين عليها الزواج ، ترفض أمها وتطردتها من البيت . وتتبح ليلي لسنية أنها تحب شخصاً ، تقاجأ سنية أنه عباس ، فتواجهه وهو يحاول الاعتداء على ليلي ، فتطلق عليه الرصاص وتحث ليلي على الهرب .

في نفس العام أيضاً (١٩٥٧) أخرج حسن الإمام فيلم " وكر المذميات " الذي يعتبر نموذجاً أو نمطاً فرض نفسه - إلى حد كبير - على معظم الأفلام التي تناولت الحياة في البيوت السرية ، والصراعات المأساوية التي تمر بها بنات الليل تحت وطأة ضغوط المجتمع الذي لا يرحمهن . وإن كان التركيز على الأحداث الميلودرامية الحادة أكثر من الاهتمام بالعالم الداخلي لكل ضحية من هذه الضحايا ، والخلفية الاجتماعية التي أدت إلى مثل هذه المأسى . فالفيلم يبدأ بنعيمة الفتاة التي لا مأوى لها ، والتي تلجم إلى منزل الهائم وهي امرأة قوية يهابها الجميع ، هرباً من

البوليس بعد معركة بينها وبين رجل حاول اغتصابها . ولا تثبت نعيمة أن تصبح من البنات اللاتى يعملن لحساب الهاشم ويصبح اسمها دلال . وتعترف لحسين ابن الهاشم والذى يربط الحب بينهما بقصتها ، فيزداد تمسكاً بها ويقرر الزواج منها ، إلا أن أمه تسعى للتفريق بينهما . ويكتشف حسين حقيقة أمه والأوكار التى تديرها !! (وكأنه بعد كل هذا العمر لم يكن يدرى حقيقة عمل أمه !!) . ونظراً لأن الفساد لابد أن يعاقب ، بصرف النظر عن قانون السبب والنتيجة ، والذى يحتم إلا تكون النتيجة مفتعلة ودخيلة على سياق الأحداث ، بل محصلة طبيعية للأسباب التى سبقتها ، فإن حريقاً يشب بالمنزل ويقاد يقضى عليه ، وتقدى الأم ابنتها ويتزوج الحبيبان .

فى عام ١٩٦١ ألف حسين حلمى المهندس وأخرج فيلم " تحت سماء المدينة " الذى ينسج فيه ثلاثة قصص لثلاث فتیات : الأولى سعاد التى تتزوج من محام شاب صاحب ضمير حى أما هى فيغريها بريق الحياة فتطمئن فى الترف ، ولو على حساب الأسرة . والثانية منى فتاة فقيرة لفظها البيت الذى عاشت فيه فتهيم على وجهها حتى تقع فى يد عصابة من المتاجرين فى الأعراض وتجعل منها امرأة ساقطة . والثالثة بسمة التى يخدعها رجل ثرى وباسم الزواج يغتصبها ثم يلقطها لتقع فى يد عصابة .

فى عام ١٩٦٢ أخرج إبراهيم عمارة فيلم " خذنى بعاري " الذى تعمل فيه ليلى فى مصنع تريكو ، وتقاد للقود شرف ، فى حين تقدم كل ما تجمعه إلى أبيها السكير وأمهما . وتلتقي بحسن الذى يصر على أن يتزوجها ، لكنها تطلب منه أن يراجع نفسه حتى يعلم عنها كل شيء وعندما يعود أصدقاء السوء إلى ملازمته للترفيه عنه بالنساء الساقطات ، يجد نفسه أمام ليلى التى يغفر لها خطيبتها ، لكنها تموت فى حادث قبل إتمام زواجهما .

فى عام ١٩٦٣ أخرج حسن الإمام فيلم "زقاق المدق" كما أخرج نجدى حافظ فيلم "حياة عازب". في الفيلم الأول يظهر في حياة حميدة فرج القواد الذي يدير حانة كبيرة ، ويسلب لب حميدة بل ويسلب شرفها أيضاً فتصبح راقصة يقدمها للضابط والإنجليز . ويعود عباس الحلو حبيب حميدة في إجازة من أحد معسكرات الجيش البريطاني ، وتحمله المصافحة إلى البار . فيرى حميدة ويفهم كل شيء ، ثم تدور معركة رهيبة يقتل فيها فرج القواد كما تسقط حميدة مضرجة بدمائها ، فيحملها عباس إلى الزقاق حيث تلفظ أنفاسها الأخيرة .

وفي الفيلم الثاني "حياة عازب" يحلم عمر الموظف بشركة التأمين بالزواج من جارته هدى لكن أباها يرفضه لضائقة مرتبه . ويقضى مع أصدقائه ليلة حمراء مع فتاة من فتيات الليل . وتصاب الفتاة بإغماء ، فيظن أنها ماتت ، ويقرر الأصدقاء التخلص من الجثة ، فيفكر أحدهما في إذابتها بالأحماض . وفجأة تفيق من إغمائها بعد أن يظن الجيران أن هناك حريقاً في شقة عمر . ويرى والد هدى أنه السبب في انحراف عمر فيغير رأيه ويوافق على زواجها منه . وهذا الفيلم من الأفلام القليلة التي عالجت موضوع فتيات الليل بهذه الروح المرحة الخفيفة .

فى عام ١٩٦٤ أخرج أحمد ضياء الدين فيلم "فتاة شاذة" المأخوذ عن قضية كريستين كيلر ، فتاة الليل الشهيرة التي وقعت في غرامها جون بروفينو وزير الدفاع البريطاني عام ١٩٦٢ ، والذى اضطر إلى الاستقالة لأنها كانت على علاقة بالملحق العسكري السوفيتى فى لندن فى الوقت نفسه . فى الفيلم تحيا فتاة مستهترة حياة الفساد والمجون بصاحبة رجال من الموسرين ، منهم الوزير والدبلوماسى ، ويعاونها طبيب يعمل قواداً . ويحاكم الطبيب فى حين تحاول الفتاة الدفاع عن نفسها واتهام المجتمع بالحالة المزرية التى بلغتها .

فى عام ١٩٦٦ أخرج صلاح أبو سيف فيلم "القاهرة ٣٠" الذى يقبل فيه محجوب عبد الدايم أن يعمل قواداً لزوجته إحسان التى ترضخ لرغبات الوزير قاسم ، مقابل أن يصبح زوجها مديرأً لمكتبه .

وقد شهد عام ١٩٦٧ فيلمين : "السمان والخريف" لحسام الدين مصطفى ، و "نورا" لمحمود ذو الفقار . فى الفيلم الأول يلتقي عيسى الدباغ السياسي الذى قضت عليه ثورة يوليو بفتاة الليل ريرى التى تتعلق به وتخلى عنه . وعندما يكتشف أنها حامل بطردها ، ويعيش متخبطاً . وتمر سنوات ويفاجأ بريرى التى تتزوج من صاحب محل عجوز ، وترفض أن تعود إليه . وفى الفيلم الثانى تضطر نوراً لامتهان الرقص فى أحد الملاهى لتفق على اختها المريضة . ثم تحتاج الأخت إلى إجراء عملية جراحية تتكلف كثيراً ، فيدفع زوجها نوراً إلى بيع جسدها حتى توفر المال اللازم للعملية .

وشهد عام ١٩٧٠ ثلاثة أفلام : "دلال المصرية" لحسن الإمام ، و "ونحن لا نزرع الشوك" لحسين كمال ، و "حب المراهقات" لمحمود ذو الفقار . فى الفيلم الأول تتورط عطيات مع فؤاد ابن مخدومتها الذى يتخلى عنها ، وتطردها سيدتها دون أن تعرف لها عن الجانى . وتعمل عطيات فى مصنع وتطور علاقتها بزميلها محمد ، وتصطحبها زميلتها إلى القرادة فاطمة لتضمهما للعمل عندها وتغير اسمها إلى دلال ، وتهتم ظلماً فى جريمة قتل . وتشاء الصدفة أن يكون فؤاد أحد القضاة ، ويحكم عليها بالسجن خمسة عشر عاماً . ويستيقظ ضمير فؤاد ، فيستقيل من عمله ليصبح محامياً ، ويدافع عنها حتى يظفر لها بالبراءة . وعندما يطلب منها الزواج ، ترفض !!! وتتزوج محمد الذى لا يزال على حبه لها وغفرانه لماضيها .

فى فيلم "نحن لا نزرع الشوك" تقع الفتاة الفقيرة اليتيمة سيدة فى شباك بائعات الهوى وتصبح واحدة منهن ، وتكون ثروة كبيرة من ممارسة الدعارة .

وتلتقي بصديق طفولتها عباس الذي يطمع في ثروتها ، فيتزوجها ويبدأ في ابتزاز نقودها . وتضع طفلها ، وتضيق بالحياة مع عباس فتلجأ إلى أسرة حمدي الذي أحبته في صمت عندما عملت خادمة لديهم في مطلع حياتها . لكن المأساة لابد أن تواكب حياة العاهرة ، فيموت ابنها في حادث سيارة وتندهر صحتها لموت بين يدي حمدي .

في فيلم " حب المراهقات " يصل الدكتور لزيارة ابنته في بيت الطالبات ، لكنه يخطئ العنوان ويقصد بيته للدعارة !! ويتناصف وجود أحد مصورى الصحف فيلقط له صورة تفضحه ظلماً !!! ويستبعده أعضاء جمعية أنصار الفضيلة برغم أنه رئيسها !!! (إلى هذا الحد لا يستطيع الدكتور حمدي التفرقة بين بيت الدعارة وبيت الطالبات ، بمجرد أنه يعيش في المنصورة !! وهي نكتة أشد وطأة من نكتة الصعيدي الذي اشتري الترام !!!)

في عام ١٩٧٢ أخرج حسين كمال فيلم " أنف وثلاث عيون " الذي تحول فيه البطلة إلى فتاة ليل بدون أي مبرر درامي . فالقصة عبارة عن لعبة الكراسي الموسيقية التي تمارسها الشخصيات بحيث وجدت أمينة نفسها ملقة خارج اللعبة في ظلمات الليل . فقد التقىت أمينة بالدكتور المعروف هاشم وتعلقت به ، إلا أنه ينصحها بالزواج من خطيبها لكنه لا ينكر في الزواج . وتدب الخلافات بينها وبين زوجها فيطلقها . وترتدد مريضة القلب نجوى على عيادة هاشم ، فيعجب بها ويعرض عليها الزواج ، لكنها تفاجئه بزواجهما . يلتقي بالفتاة المتحررة رحاب التي تتشل في جذبه إلى عالمها ، ثم يفاجأ هاشم في أحد البارات بأمينة التي أصبحت فتاة ليل !!!

وشهد عام ١٩٧٣ ثلاثة أفلام : " امرأة سينما السمعة " لهنري بركات ، و " دمى ودموعي وابتسامتي " لحسين كمال ، و " حمام الملاطيلي " لصلاح أبو سيف . في الفيلمين الأولين تكتشف هناء أن زوجها كمال شاب وصولي يدفعها للخطيئة ،

فتسسلم لرئيس الشركة سعفان الذى يكافئه بتعيينه مديرًا للمبيعات . تلتقي هناء بأحمد جارها القديم ، وتخفى عنه سلوکها ، ويتفقان على أن تطلب الطلاق ليتزوجها . وتضيق هناء بحياتها وبعلاقتها بسعفان ، فتعترف لكمال بعلاقتها بأحمد ، وتطلب الطلاق ، فيهدها بحراها من طفلها لتفاجأ بأحمد الذى يكشف علاقتها بسعفان ، ويرفض الارتباط بها فتعود للضياع .

فى فيلم " نمى ودموعى وابتسامتى " تلجم ناهد لمدوح حبيبها فيعقد صفقة مع زوجها سعيد يكون شرطها أن يمنح ناهد الطلاق وعندما تتزوج ناهد من مدوح ، تكتشف أنه وصولى ويجرها على الاستسلام لمديره عباس مقابل أن يتولى إدارة مكتب الشركة بالمغرب .

أما فى فيلم " حمام الملاطىلى " فيقيم أحمد فى حمام الملاطىلى حيث المبيت به أرخص ، وحيث يتقابل مع الفتاة نعيمة الهاربة من أهلها ، والذى تعيش ببيع جسدها ، ويستسلم لها تماماً . وفي الوقت نفسه تعجب به زوجة المعلم أمين صاحب الحمام فتشاغله وتوقعه فى شباكها فينصرف عن نعيمة . ويفاجأ بأهل نعيمة الذين توصلوا إلى مكانها ، ويقتلونها ليمحوا عارهم .

فى عام ١٩٧٤ أخرج محمد راضى فيلم " الأبراء " الذى تعود فيه المومس الفاضلة للظهور بنفس تقاليد إنكار الذات والتى وضعها الكسندر ديماس من قبل فى رواية " غادة الكاميليا " وذلك من خلال شخصية الأرملة فردوس التى تقع فى يد القواد شوقي لكنها تهرب منه ، وتعمل ممرضة فى مستشفى . وعندما يحتاج الدكتور مدوح لنقل كلية ، تبرع له بكليتها ، لكنها تخفى عنه تبرعها ، وينمو الحب بينهما . لكن شوقي يتمكن من التوصل إليها ويوشى لمدوح بأنها مومس . وفي مصارحة بينهما توضح له فردوس ظروف سقوطها ، وتعترف له بتبرعها بكليتها . عندها يلحق بهما شوقي وهما فى قارب ، فيتعارك مع مدوح ، فيلقى مصرعه ، وتموت فردوس غرقاً .

وشهد عام ١٩٧٥ ثلاثة أفلام بها ثلاثة بيوت تدار للدعارة : " الأنثى والذئب " لنيازى مصطفى ، و " سؤال في الحب " لهنرى بركات ، و " الحب تحت المطر " لحسين كمال .

في " الأنثى والذئب " تعيش سلمى حياة ضائعة بعد انفصال أبوها وزواج كل منها بأخر . تستسلم لشقيق الذى يغمرها بحب كاذب ووعود زائفة بالزواج بعد أن يغتصبها . وينكشف لها خداعه وحقيقة كفواه يدير منزله للدعارة . وتهرب منه ويتحقق بها أرعانه فى محاولة لقتلها . وينفذها أدهم الذى يصم على تلبية الشرطة بعد أن أخبرته بحقيقة شقيق ، إلا أن أرعان شقيق يتوصلون إليها ويقتلونها . ولدى تأخذ العدالة مجريها النمطى فإن حنان شقيقة سلمى تتعاون مع أدهم ورجال الشرطة فى القبض على شقيق وعصابته .

في " سؤال في الحب " يستمر ممدوح فى علاقاته النسائية بعد زواجه ، أما أخوه فتحى فيعانى من انشغال زوجته منى الدائم بعملها . يصطحبه ممدوح معه لمنزل إقبال الذى تديره للدعارة ليشغل فراغه !! تتطلع أختها محسن لحياة أفضل ولذلك فهى دائمًا الخلاف مع زوجها . وتكتشف منى خيانة زوجها ، فتترك له المنزل . كما تضيق زوجة ممدوح بتصرفاته فتترك أيضًا المنزل . ويفاجآن كذلك فى منزل العائلة بمحاسن إلا أنهم يندمون على أخطائهم ويعود كل إلى منزله .

في " الحب تحت المطر " يتعرف المخرج السينمائى محمد رشوان على مرزوق ويعرض عليه دوراً فى فيلمه أمام الممثلة المشهورة فتة التى تعجب به وتتجه فى إيقاعه فى حبها ، فينشغل بها عن خطيبته عنيات . ويعجب المخرج عادل بفتة ، لكنها تتزوج من مرزوق فينتقم منها بتشويه وجهها بماء نار . وتعود عنيات لسيرتها وتتردد على منزل الدعارة . وتتآزم علاقة مرزوق بفتة ، فيطلقها ليعود إلى عنيات ويفغر لها سقوطها .

وشهد عام ١٩٧٦ ستة أفلام دفعة واحدة : " وبالوالدين إحساناً " لحسن الإمام ، و " سيقان في الوحل " لعاطف سالم ، و " رحلة الأيام " لهنري بركات ، و " أنا لا عاقلة ولا مجنونة " لحسام الدين مصطفى ، و " أمواج بلا شاطئ " لأشرف فهمي ، و " لا وقت للدموع " لنادر جلال .

في فيلم " وبالوالدين إحساناً " يختلس محمود من الشركة التي يعمل فيها مع أبيه الساعي الذي يدبر المبلغ ويسدده . وينقله المدير إلى فرع الشركة بالأقاليم ، في حين تسافر زوجته لولا لعلاج طفلتها بالقاهرة . يلحق بها محمود في منزل اختها التي تديره للدعارة ، ليفاجأ بأكرم يحاول الاعتداء عليها . يتعاركان ويطعن لولا بطريق الخطأ لموت . ويزوره والده في السجن فيطلب منهما الصفح .

في فيلم " سيقان في الوحل " تقضي فردوس مدة عقوبتها في السجن بسبب سرقتها ساعة . وتلزمه في نفس الزنزانة سامية التي تعمل في إحدى الفرق الاستعراضية . ويتم القبض عليها ظلماً في منزل للدعارة - ! ويندم خطيبها على تخلية عنها ، وتعود إلى الفرقة بعد أن يتأكد الجميع من براءتها .

في فيلم " رحلة الأيام " تقفجأ ياسمين بمكالمة هاتفية ، يخبرها فيها مجهول بأن أمها على قيد الحياة ، وترقد مريضة في إحدى الشقق وتسرع إليها في نفس اللحظة التي يداهم فيها رجال الشرطة الشقة التي تدار للدعارة ، ويتم القبض على الجميع . ويطلق مجدى زوجته ، وتمر السنوات ليتقابل مع الطفل سامح ، وتنشأ بينهما صدقة ، ثم يفاجأ بأنه ابنه عندما يلتقي بياسمين ويعود بينهما الوفاق .

في فيلم " أنا لا عاقلة ولا مجنونة " تعيش نادية حياة قلقة بين والديها المطلقين . ويربط الحب بينها وبين المحامي حازم ويتزوجان إلا أنها تطلب منه الطلاق بعد أن يضيق بسيطرة أمه . وتعيش مع أمها وزوجها . لكنها تضبط في قضية دعارة بتزدهرها على منزل ميمى الذي تديره لهذا الغرض دون أن تعلم نادية ، ويقوم حازم بالدفاع عنها ! (هل يمكن لفتاة مثلها تزوجت وطلقت

واختبرت الحياة ، أن تكون من السذاجة أو الغباء بحيث لا تدرك أن مثل هذا المنزل يدار للدعارة ؟ !!)

فى فيلم " أمواج بلا شاطئ " يكشف حسام لنادر عن علاقة صالح بأمه نازك فينهاز عندما يتأكد من ذلك . ويسافر إلى الإسكندرية ويتزوج فتاة الليل ميمي لينتقم من أمه !! وتسوء علاقته بصالح ، وتكثر الديون على المصنع الذي ورثه عن أبيه ، لكن صالح يستطيع أن يصلح ما أفسده حسام . وترحل ميمي بعد أن تفشل في إصلاح نادر ! (بصفتها مومس فاضلة !!) وينتم على موقفه من أمه وصالح ويعود بينهم الوفاق . ويحاول إعادة ميمي فترفض وتعود لسيرتها الأولى كفتاة ليل !!!

فى فيلم " لا وقت للدموع " تكتشف عزة أن صفاء تعلم فى ملهى ليلي لتتوفر المال اللازم لعلاج عزة نفسها . وعندما يقبض على صفاء فى قضية دعارة ، تجأ عزة إلى خليل صاحب الملهى لكي يقرضها مبلغاً لتوكل محامياً ، فيشترط عليها أن تعمل فى الكباريه . ويحكم على صفاء بالسجن وتفاجأ عزة بعودة خطيبها عمرو الذى ظنت أنه مات فى مهمته العسكرية ، وتعترف له بما حدث ، ويتمسك بها ويحدد موعد زواجهما لكنها تتحرر !!

وشهد عام ١٩٧٧ أربعة أفلام : " سونيا والمجنون " لحسام الدين مصطفى ، و " عندما يسقط الجسد " لنادر جلال ، و " همسات الليل " لحسين حلمي المهندس ، و " آه يا ليل يا زمن " لعلى رضا . فى الفيلم الأول يلتقي الطالب مختار بسونيا التى تدفعها ظروف حياتها لاحتراف الدعارة ، فيطلب منها أن تتوقف عن العمل مقابل أن يمددها بالمال لأنه يحبها . وفي الفيلم الثانى ينصح محمود مدحية بعدم التردد على منزل طلعت الذى يديره للدعارة ، فتعترف له باضطرارها للاحتراف نتيجة لحياتها المضطربة . ومع ذلك يقرر الزواج منها ، لكنها تواصل انحرافها وتحاول الانتحار بعد القبض عليها عند مداهمة الشرطة لمنزل طلعت . فيقرر

محمود العودة إلى بلدته ويتزوج من هناك ، وفى الفيلم الثالث يفشل طارق فى معاشرة زوجته مديحة ، ولا يجد علاجاً لحالته إلا عند فتيات الليل . فتشير أمه على مديحة بتمثيل وتقمص فتاة ليل بعد أن تغير مظهرها . لكن طارق لا يشفى من عقده إلا بعد موت أمه بسقوطها من مكان عال . وفى الفيلم الرابع يساوم إلياس فاتن كى تقضى يوماً مع أحد الأمراء العرب ، فيتعارك حبيبها محمود معه بحيث يلقى إلياس مصرعه ، ويصاب محمود فى ساقه . ويعود بفاتن إلى مصر لكنها تسحب من حياته لأنه متزوج !!

وشهد عام ١٩٧٨ فيلمين : " سوزى بائعة الحب " لسيمون صالح ، و " شفيقة ومتولى " لعلى بدر خان ، فى الفيلم الأول يلتقي فتاة الليل سوزى ، ويأتى بها إلى الشقة التى يشاركه فيها سعيد وأحمد المعيد بالجامعة الذى يستعد لنيل الدكتوراه ، والذى يطلب من سوزى أن تكف عن عملها مقابل مبلغ يدفعه لها بعد أن علم الظروف الصعبة التى دفعتها للانحراف . وفى الفيلم الثانى يذهب متولى مع آلاف المصريين للمشاركة فى حفر قناة السويس . و تستجيب أخيه شفيقة للشاب الفاسد دياب الذى لا يكف عن ملاحقتها . وعندما يكتشف أهل القرية علاقتها بالآثمة يضطران للرحيل مع القوادة هنادى إلى أسيوط . ويعود متولى فيفاجأ بسقوط أخيه ، وعندما يهم بقتلها بالخنجر ، تصاب بطلقات رصاص أفندينا خوفاً من أن تنشى سره كتاجر للعبيد .

وشهد عام ١٩٨١ فيلمين مقتبسين : الأول " المشبوه " لسمير سيف عن فيلم " لص لمرة واحدة " لأنان ديلون ، والثانى " سأعود بلا دموع " لتيشير عبود عن مسرحية " زيارة السيدة العجوز " لدورنیمات . فى الفيلم الأول يتعرف اللص ماهر على فتاة الليل بطة فى أثناء قيامه بسرقة أحد المنازل . ويشتبك ماهر مع ضابط المباحث طارق ويصبه وينزع مسدسه . ويهرب ببطة ويتزوجان ويقرران التوبة . وفى الفيلم الثانى ترحل هند عن بلدتها هرباً من اضطهاد الأهالى لها ،

وتتعرف على القواد سالم وتكون ثروة كبيرة من احترافها الدعارة ، وتتزوج من المليونير الهلباوى الذى يكتب كل ثروته باسمها . ثم تعود إلى البلدة وتمارس انتقامها من كل الذين اضطهدوها وتصاب بالجنون .

فى عام ١٩٨٢ أخرج أحمد ياسين فيلم " أشياء ضد القانون " الذى يتخلى فيه رءوف عن أزهار ويتزوج من سهام ابنة راشد . وتتزوج أزهار من القواد زغلول الذى يرغمها على العمل معه . ويفاجأ رءوف بأزهار متهمة فى قضية دعارة . ويندم ل موقفه منها ويقف بجانبها . ويضغط على زغلول حتى يطلقها بالفعل ، وعندما يقرر الزواج يتفق الدكتور راشد أبو سهام ، مع زغلول على الانتقام منها بتلفيق تهمة دعارة لها ويحكم عليها بالسجن ثلاث سنوات .

وشهد عام ١٩٨٣ فيلمين غاصا فى أغوار حياة بنات الليل وبيوت الدعارة : " درب الهوى " لحسام الدين مصطفى ، و " خمسة باب " لنادر جلال . فى الفيلم الأول تدير حسنیة فندقها للدعارة بمساعدة صالح . ويتردد على الفندق مراد وصديقه عبد العزيز الأستاذ الجامعى الذى يقع فى حب أوهام ويقرر الزواج منها !! (وما أسهل اتخاذ قرار الزواج فى السينما المصرية حتى لو كان بين أستاذ جامعى ومومس !! ذلك أن الذكر على الشاشة سرعان ما يسيل لعابه لأية أنثى يقابلها بصرف النظر عن أي اعتبار اجتماعى أو تقافى !!!) . أما مراد فيتعدد لسمىحة ، ويوجهها بحبه ويتفقان على سرقة مصوغات حسنیة بمساعدة صالح بعد أن توهنه بحبها . وتكشف سميحة خديعة مراد ونيته للاستحواذ على المصوغات فقتله . ثم ينهار عبد العزيز عندما يفاجأ بمقتل أوهام على يد أخيها الذى يخرج من السجن ويعلم بانحرافها .

فى فيلم " خمسة باب " يلتقى القواد عباس وتراضى تهمة حيازة مخدر لكونستابل منصور مما يؤدى إلى فصله من عمله . ولكن بمرور الوقت تتوطد علاقته بتراضى التى تضطرها ظروف مرض ابنها لاحتراف الدعارة بعد وفاة

زوجها . ويذكر منصور فى شخصية كرياكو الذى يستحوذ على تراضى ، فيخطف عباس ابنها ليضغط عليها لتعود للعمل . وعندما تفشل محاولته يتفق معها على استدراج كرياكو إلى مكان مهجور ليستولى على نقوده مقابل أن يعيد إليها ابنها ، فتوافق . وعندما يهم عباس بقتل كرياكو ، يكشف له عن حقيقته ويشتبك معه ، ويتم القبض على عباس وأعوانه ، وتعود تراضى بابنها إلى المستشفى .

وشهد عام ١٩٨٤ ثلاثة أفلام : " شوارع من نار " لسمير سيف ، و " بحر الأوهام " لنادية حمزة ، و " شقة الأستاذ حسن " لحسين الوكيل . فى الفيلم الأول يعتدى الشاويش إمام على أحد الجنود الإنجليز فيفصل من الخدمة . ويشتبك مع القواد جلال وينتصر عليه ويحل مطه ، ويتزوج من العاهرة نفيسة ويعنها من العمل . ويحول المنزل إلى كباريه عندما تلغى الحكومة الدعارة ، وتحاول نفيسة إقناعه بالعمل الشريف لكنه يرفض . وفي الفيلم الثانى تقع سامية فى يد نواعم التى تدير منزلاً للدعارة وتجارة المخدرات . وينمو الحب بينها وبين القواد ماهر ويقرران الهرب ، لكن الظروف تحول دون تمكن ماهر من اللحاق بها ، وبعد حين يلتقيان ويقرران التوبة والزواج ، ويتعاونان مع الشرطة فى الإيقاع بنواعم . وفي الفيلم الثالث يترك حسن الموظف البسيط شقته لرئيسه كى يستغلوها لمقابلة النساء فيها مقابل ترقية ، وهو مأخوذ عن فيلم " الشقة " لبيلي وايلدر .

وشهد عام ١٩٨٥ فيلمين : " انحراف " لتسير عبود ، و " الحلال والحرام " لسيد سيف . الأول مأخوذ عن مسرحية " عربة اسمها الرغبة " لتسى ويليامز ، وفيه تتزوج هدى ابنة الثرى أبو ماضى من سائقهم حسن ويرحلان إلى القاهرة ، أما أختها سمحة فهى تستسلم للقواد كرم وينتحر زوجها علاء الذى تسعى لتسديد ديونه ، فتدخل السجن فى قضية آداب ، بعد الإفراج عنها تبحث عن عنوان هدى

وتتوصل إليها . ويتعلق كمال صديق حسن بسمينة ، ويتفانى على الزواج برغم تحذير حسن له . ويلتقط كرم بحسن ويبيوح له بحقيقة سميحة فيواجهها ، فلا تذكر وتهار وتصاب بالجنون .

في الفيلم الثاني " الحلال والحرام " تعمل موهاب وسهام في بيت يدار للدعارة . وتتجه سهام في إيقاع صفات في شباكها وتحفى عنه ماضيها وتستقيم ، في حين يحكم على موهاب بالسجن في قضية آداب ، وتنخل عنها سهام برفضها توكيلاً محاماً لها . ويجدد خليل حبه لسهام . وتنتقم موهاب بعد الإفراج عنها من سهام بأن تبوح لصفات عن حقيقتها وعلاقتها بخليل . (وهكذا لا يفل الفساد إلا الفساد نفسه !!)

وشهد عام ١٩٨٦ أربعة أفلام : " ملف في الآداب " لعاطف الطيب ، و " لا تدمرني معك " لمحمد عبد العزيز ، و " وصمة عار " لأشرف فهمي ، و " الزيارة الأخيرة " لشريف حمودة .

في " ملف في الآداب " يطلب سعيد ضابط مباحث الآداب من القواد سيد أن يرشده عن يشتبه فيه من رواد مطعمه ، فيبلغه عن الصديقات الثلاث مديحة وعايدة ورجاء اللاتي يقضين فترة الظهيرة بالمطعم . وتوافق مديحة على الزواج من زميلها كمال ، فيطلب منه رئيسهما رشاد أن يدعوه مع مديحة وصديقتها لمنزله ، وينضم إليهم صديقه شريف ويراقبهم سعيد ، ويداهمنون الشقة ويقبضون عليهم بتهمة الدعارة !!

في " لا تدمرني معك " تدahم شرطة الآداب شقة الخياطة لولا ، ويتم القبض على الجميع ، وتفاجأ هدى - إحدى المقبوض عليهم - بأن لولا تدبر شقتها للدعارة . وعندما تفشل في إثبات براءتها أمام وكيل النيابة فارس ، يطلقها زوجها ويطردها أبوها بعد الإفراج عنها فتتصم على الانتقام من فارس !! (وما ذنبه ؟ !) لقد كان يؤدي واجبه كوكيل نيابة ، ولم يكن ليؤديها لو أنها أثبتت براءتها

أمامه !!!) . المهم أنها تحصل على شقة مجاورة لشقته ، وتنعرف عليه لكنه لا يتذكرها !! وتكون ثروة كبيرة من ممارسة الدعاارة ، وتصبح على علاقة بشخصيات كبيرة ومسئولة . وتقنع فارس بالاستقالة وتذير له عملاً بمرتب كبير في شركة صديقها توفيق ، ثم تلقي له تهمة تهريب ماس ، ثم تشجع صديقها هشام للتودد إلى ابنة فارس ثم يغتصبها وتحمل . وعندما تكشف عن شخصيتها لفارس يقتلها في النهاية !!

فى " وصمة عار " يعيد اشرف فهمي إخراج رواية " الطريق " لنجيب محفوظ ، والذى قدمها حسام الدين مصطفى من قبل عام ١٩٦٤ بنفس اسمها الأصلى . وكل الأحداث والمواقف تتبع من شخصية القوادة عزيزة التى تطلب من ابنها قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة أن يبحث عن أبيه الثرى ، وتنتهى رحلة البحث بالحكم عليه بالإعدام .

فى " الزيارة الأخيرة " يقع شاب فى حب الفتاة سعاد إلا أنه ينهار عندما يكتشف أنها منحرفة . وينصحه جاره الأزهري بأن يتزوجها لينقذها من مصيرها ، لكن أمه تحاول جاهدة منع زواجها فهم مفلسون ، وعندما يشتد المرض بوالد سعاد ، تلجم إلى الاستدانة من فريد ، فيحاول الاعتداء عليها وهو مخمور فتقاومه ، وتحاول طعنه بسكينة إلا أنه يصيبيها وتموت !!

فى عام ١٩٩٢ اخرج شريف يحيى فيلم " شفاه غليظة " الذى يلتقي فيه المحامى علاء بالنشالة ماجدة التى تضطرها ظروف مرض أمها لذلك ، فيتعاطف معها ويربط الحب بينهما ، إلا أن شقيقه رئيس المباحث يقف فى طريقهما بمنتهى الصلابة ، خاصة عندما يكتشف أن ماجدة متهمة فى قضية آداب . لكن عندما يتحرى علاء عن ذلك ، يتأكد من براءتها إذ أن مدير الشركة هو الذى استدرجها للشقة دون أن تعلم حقيقتها لأنها صدته برغم إعجابه بها . وأخيراً يتم الإفراج عنها ويبارك الأخ جبهما وزواجهما !!

وفي عام ١٩٩٣ أخرج طارق العريان فيلم "الباشا" الذي يتم فيه نقل ضابط المباحث حسام من إدارة مكافحة المخدرات إلى الأداب حيث يكشف شبكة للدعارة يديرها جو من ديسكو ، والذي يحكم عليه بالبراءة برغم كل الأشرطة المسجلة التي تدينها ، بل يستطيع أيضاً بنفوذه أن ينقل حسام فيقدم استقالته . ويحاول حسام أن يخترق هذا المكان المحسن بعلاقات صاحبه مع أصحاب النفوذ ، لكنه يفشل . ويكتشف أن المطربة سارة لا تعرف ما يدور حولها في المكان ، وينجح حسام في إنقاذهما من الانحراف مما يعيده إليه توازنه ونقاءه بنفسه .

* * * *

ويرغم كل هذا الاهتمام الذي أبدته السينما المصرية بقضية بنات الليل وبنيا الدعارة وتجارة الرقيق الأبيض ، فإنها ستظل قضية هامشية للغاية في المجتمع المصري ، لإيمان الناس بأن الجنس خارج إطار الشرعية حرام ومحظوظ ، لارتباطه في الأذهان بالقيم الدينية التي تحض على الحلال وتنهى عن الحرام . وذلك على النقيض من الحضارة الغربية المعاصرة التي ترى في الممارسة الجنسية إشباعاً حسياً لابد أن يتحقق ، مثله في ذلك مثل أي إشباع آخر يطلب الجسد . لكن تركيز السينما المصرية على حياة بنات الليل وتجارة الرقيق الأبيض ، وجعلهما عنصراً نمطياً إلى حد كبير ، كان من قبيل محاكاة السينما الغربية بصفة عامة والسينما الأمريكية بصفة خاصة ، واستغلال للتوايل التي ينطوي عليها هذا العنصر النمطى .

والظاهرة الجديرة بالرصد والتحليل أن معظم العناصر النمطية في السينما المصرية ، كانت بمثابة قضايا هامشية للغاية بحيث لا تمس صميم المجتمع المصري وجوهره . وبالتالي فإن ما ينطبق على موضوع الاغتصاب والتورط والحمل سفاحاً ، والانتقام والقتل والعنف ، وقد

الذاكرة والجنون ، والعصابات والمخدرات ، والسحر والشعوذة ، واليائسيب والثروات المفاجئة والوصايا ، والنصب والاحتيال والستزيف والتأمر وتلقيق التهم ، والخطف والابتزاز والتهديد ، والإدمان والسموم البيضاء ، والانتحار وغير ذلك من العناصر النمطية التي أدمنتها السينما المصرية ، وفي الوقت نفسه أعادتها عن القاع البحري والمثير مع جوهر المجتمع المصرى الذى لم تبلوره سوى الأفلام غير النمطية التى أفرزنا لها الفصل الأخير من هذه الدراسة ، والتى أثبتت أن السينما المصرية تملك من قوى الدفع والتطوير ما يمكن أن تتطرق بها إلى آفاق لم تبلغها من قبل ، لو حرصنا على تدعيم هذه القوى الإيجابية وتحويلها إلى طاقات خلاقة ومتعددة دائمًا .

• • • •



سنة ١٩٧٤ م

الظلال على الجانب الآخر



سنة ١٩٧٤ م

الشوارع الخلفية

الفصل الرابع عشر

الانتحار والتضحية لوجه الله

يعتبر الانتحار في المجتمع قضية هامشية لأن الدين يحرمه ويرى فيه قتلاً للنفس . فمهما ضاقت السبل في وجه الإنسان ، فإن إيمانه نادراً ما يتزعزع بأن الله عز وجل سوف يفرجها في وجهه في الوقت المناسب . وأمثالنا الشعبية عن الإيمان والصبر أكثر من أن تحصى ، وحتى أسمائنا مثل فرج ، وفرج الله ، وصابر ، وصبرى ، وصابرين ، وعبد الصبور ، وإيمان ... الخ تدل على هذه القيمة الدينية المترسخة في وجданنا .

ولذلك فإن الشعب المصري من آخر شعوب الدنيا لجوءاً إلى الانتحار ، لأن المنتحر مصيره النار . فقد منح الله الروح للإنسان وهو وحده فقط الذي يأخذها منه ، فلا تجرؤ الإرادة الإنسانية أن تتدخل في الإرادة الإلهية .

وبرغم هذه القيم الدينية المترسخة في وجدان الشعب المصري ، فإن الانتحار يشكل عنصراً نمطياً في السينما المصرية لا يمكن تجاهله . ولعل هذا يرجع إلى تأثير السينما المصرية بالسينما في الغرب حيث يعتبر الكثيرون الانتحار قراراً من حق الإنسان أن يتتخذه . أما من الناحية الدرامية والفنية ، فإن الانتحار يشكل نزوة مأسوية بل وميلودرامية مثيرة لابد أن يتبعها المترفج وهو مستسلم لشئ الانفعالات المتضاربة والمشاعر المتناقضة التي تجتاهه ، وخصوصاً في

مجتمع تدر فيه ظاهرة الانتحار ، ولا تعد خبراً من الأخبار العادبة التي يتلقاها الإنسان في حياته اليومية .

وظاهرة الانتحار في الأفلام المصرية ترجع إلى عدة أسباب ، يأتى في مقدمتها اليأس المطبق ، أو الهرب من رعب لا قبل للإنسان به ، أو التضحية بالنفس حتى لا يصبح الإنسان عقبة في طريق من يحبهم ويختلف عليهم . لكن التضحية تتخذ عادة صوراً متطرفة وغير مقنعة ، وكان حياة الإنسان لعبة بين يديه . بل يبدو السبب في بعض الأحيان غير مقنع لكي يرتكب الإنسان مثل هذه التضحية المثلالية .

وفي بعض الأفلام يبدو المؤلف وكأنه عاجز عن إنتهاء الفيلم - خاصة في عقدى الثلاثينيات والأربعينيات - فيلجاً إلى الانتحار أو التضحية الفادحة ، ليوضع حداً لحياة البطل أو البطلة . وهي نهاية غير شديدة الوطأة على مشاعر جمهور هذين العقدين ، إذ لم تكن الحياة ضاغطة عليه بتعقيدها وإيقاعها اللاث المثير للكآبة والضياع كما يحدث الآن ، ولذلك كان يستمتع بالدموع اللامعة في عيونه الحمراء وهو خارج من دار السينما بعد انتهاء الفيلم . فقد كان الشجن في ذلك الزمان رفاهية وجданية يمارسها الإنسان كدليل على رقة مشاعره ورهافتها . لكن يظل مفهوم الانتحار في السينما المصرية مفهوماً غريباً مادياً ، وعلى النقيض من مفاهيم الشرق الروحاني والأديان السماوية .

في عام ١٩٢٩ أخرجت عزيزة أمير فيلم " بنت النيل " عن مسرحية محمد عبد القدوس " إحسان بك " ، وفيه تتدخل أمينة هانم في مصير ابنتها مفيدة فتختار لها محمود بك خطيباً برغم أنفها . فهى تحب على بك عالم الآثار وترسل إليه خطاباً ، لكنه يصله متأخراً . وفي أثناء ذهابه إليها في ليلة زفافها إلى محمود ، تصادمه سيارة وينقل إلى المستشفى . وتعيش مفيدة حياة قاسية مع محمود الذي يبده ثروتها . ويصلها خطاب من على يعلمها بما حدث ويذهب لمقابلتها . وعندما

يعلم الزواج بهذا اللقاء ، يطلقها ويحررها من ابنتها . وتصاب مفيدة بالجنون . وبعد أربع سنوات تعود لابنتها التي لا تحتملها فتتتحر .

فى عام ١٩٣١ أخرج إبراهيم لاما فيلم " وخذ الضمير " الذى يتزوج فيه أمين بك من الفتاة الأجنبية مارجريت التى تهيم حباً بابن أخي زوجها فؤاد . ويستكر فؤاد حبها المحرم ويصدحها ويسعى لإتمام زواجه من ابنة عمه سهام . وتشتعل الغيرة فى قلب مارجريت وتکيد لفؤاد الذى يشتبك فى عراك مع أحد الشبان ، فتطلق مارجريت الرصاص على الشاب فقتله . ويقبض على فؤاد لكن ضمير مارجريت يستيقظ ، وتكتب رسالة تبرئ فيها فؤاد ثم تتحر !!

فى عام ١٩٣٣ أخرجت عزيزة أمير " كفرى عن خطيبتك " الذى تتعرض فيه حياة ابنة أمير هندى فى الطريق للخطر ، فينقذها شاب مصرى ، ينال إعجابها ثم حبها . ويعلم شقيقها وخطيبها بهذه العلاقة ، فيقومان بحجزها إلا أنها تتمكن من الهرب وتلتجأ إلى الشاب ليعيشوا معاً . ويتمكن أخوها من التوصل إلى منزلها ويجرها على العودة إلى البيت . ويموت أبوها فى فترة هروبها ، وهو الذى جاء من الهند للاستشفاء فى مصر . ولا تحتمل الفتاة بعدها عن حبيبها فتقرر الانتحار وتتناول السم وتموت .

فى عام ١٩٣٥ أخرج محمد كريم فيلم " دموع الحب " الذى يعيش فيه الشاب محمد فى غرفة بمنزل أحد الأثرياء . وينمو الحب بينه وبين نوال ابنة هذا الثرى ، ويتفقان على الزواج ، إلا أنه يفاجأ بها تخطب لصديقه الثرى . ويقترح عليها صديقه عليف السفر إلى الشام للعمل على مسارحها . ويعود بعد فترة فيجد أن زوج نوال قد بدد ثروته على القمار وانتحر . ثم يتوفى والد نوال ، وتطلب منه أن يسامحها فيتردد ، فتتتحر بإلقاء نفسها فى البحر ، ليعيش هو على ذكرها !! (وكان من الممكن أن تتزوج من حبيبها الأول بعد وفاة زوجها ، لتعود المياه إلى مجاريها الطبيعية ، ويعيشا فى نبات ونبات ويختلفا صبيان وبنات ، لكن

يبدو أن هذه المجرى الطبيعية لم تكن مشبعة عاطفياً وانفعالياً في ذلك الزمان ، ولذلك حلت محلها الأحداث الميلودرامية العنيفة وفي مقدمتها الانتحار . فمن الأفضل أن يعيش البطل على ذكري حبيبته الراحلة من أن يلتم شملهما !!! .

في عام ١٩٣٩ أخرج أحمد سالم فيلم "أجنحة الصحراء" الذي كان أول فيلم يضع تقاليد التضحية بالحب في سبيل الواجب ، وهي عنصر نمطي سرى بعد ذلك في أفلام كثيرة عندما يقف البطل بين شقى الرحم : العاطفة أم الواجب ؟ وعليه أن يختار بينهما في لحظة مصيرية ! وغالباً ما كان اختياره للواجب مضحياً بمشاعره وعواطفه بل وحياته في بعض الأحيان . فالبطلة في الفيلم تقبل أن تحطم قلبها لتسعد من تحب ، وتعيش حياتها وفيه ومخلصة لحبها الذي زال . فقد كان الحب في تلك الأيام البعيدة قدرأ لا يملك الإنسان سوى الرضوخ له !

في عام ١٩٤٠ أخرج إبراهيم لاما فيلم "صرخة في الليل" الذي يتزوج فيه رجل ثرى من امرأة ساقطة ، فلا تخلص له بل تدعوه عشيقها إلى العزبة . وكان ناظر العزبة أقرب الشخصيات لزوجها لكنها تفرق بينهما . وتحدث مشاجرة بين العشيق وناظر العزبة . ويراقبها الزوج ويعلم بالحقيقة . ويعد وصيته ويرسلها لناظر العزبة بالبريد وينتحر . وتهتم الزوجة الناظر بقتله فيقبض عليه ولكن وصول الوصية يجلب الحقيقة !

(وهذا الانتحار لا معنى له ولا ضرورة ، كما أن حياة الزوج كلها لا لزوم لها ، فكل ما فعله أنه يتزوج من ساقطة ثم تركها تمارس حياتها الفاجرة كما تشاء ، وبدلاً من أن يدافع عن كرامته ويمسك بزمام الأمور ، انتحر كأنه لم يكن !!!) .

في عام ١٩٤٤ أخرج توجو مزراحي فيلم "نور الدين والبحارة الثلاثة" الذي يعيش فيه الفطاطري عثمان عبد الباسط سعيداً مع زوجته إلى أن تزوره حماته التي توقع بينه وبين زوجته إلى درجة أصبح لا يطيق فيها مواصلة الحياة . ويصمم على الانتحار هو ومساعده اللذان يعملان معه في الدكان . (والسؤال

الطريف الذى يطرح نفسه هنا : ولماذا ينتحر مساعداه معه ؟ !) المهم أن الثلاثة يذهبون لتنفيذ الفكرة ، لكنهم يجدون من يعرض عليهم العمل كبحارة فى مركب شراعى يملكه الأمير نور الدين . وتنصل المركب إلى إحدى الجزر ، ويقع الأمير فى حب ابنة أمير الجزيرة ويتزوجها !!

فى عام ١٩٤٥ أخرج أحمد كامل مرسى فيلم " الجنس اللطيف " الذى يلتف فيه حول المطرب أمين بعض المعجبات حتى بعد زواجه . وتحاول زوجة راشد بك أن تغريه فتوصى زوجها أن يعيشه فى شركته . ويعلم راشد بحب زوجته لأمين فينتحر بعد أن يعترف بذلك فى خطاب لكن زوجته تخبيه . وتحوم الشبهات حول أمين ، وتسرق إحدى المعجبات الخطاب ، وتحاول أن تغريه إلا أنها تفشل ، وبالفعل يأخذ الخطاب الذى يثبت براءته ويعود لزوجته . (وما ضرورة الانتحار هنا ؟ وخاصة أن أمين كان مخلصاً لزوجته ولم يخنها مع زوجة راشد بك ؟ ! أم يكن الطلاق كافياً للتخلص منها ؟ ! أم أنه ميل طبيعى للانتحار وفي انتظار أى دافع ، مهما كان تافها ، ليورد صاحبه موارد التهلكة ؟ !)

فى عام ١٩٤٥ أيضاً أخرج عمر جمیعی فيلم " الأم " الذى رسخ فيه مفهوم التضحية التى تصل إلى ما يشبه الانتحار من خلال عائلة متوسطة الحال ، مكونة من زوج وزوجة وثلاثة أبناء . وفي مواجهة النفقات الباهظة يجد الأب نفسه مرغماً على سلوك طريق الحرام . وعندما يقبض عليه ، يلصق الابن الأكبر التهمة بنفسه . لكن الأب يموت ، ويتزوج باقى الأبناء ، وتبقى الأم وحيدة صابرة وراضية على قدرها إلى أن يفرج عن ابنها الذى حالفه الحظ عقب خروجه من السجن واستطاع أن يحقق لأمه السعادة التى افتقدتها فترة طويلة .

فى عام ١٩٤٦ أخرج فؤاد الجزائرى فيلم " اليتيمة " الذى تبدأ فيه الأحداث بانتحار الفتاة التى خدعها حبيبها ، وترك طفلتها تحت رحمة المجتمع والقدر . وتمر السنوات وتصبح الفتاة ممرضة فى مستشفى عبد الستار بك ، وهو رئيس

عصابة لتهريب الذهب !!! وعندما يعلم أن ابنه قد وقع في غرامها ، يكاد يفصلها من عملها لو لا تمسك ابنه بها والذى يتزوجها بعد أن يكشف أبوه الذى ينال جزاءه .

وشهد عام ١٩٤٧ فيلمين من أفلام التضحية التي أدمنتها السينما المصرية في عقودها الأولى : "القناع الأحمر" ليوسف وهبى ، و "البيتيمة" لمحمد عبد الجواد . في الفيلم الأول تجبر الظروف فتاة على أن تعمل مغنية في كباريه ، وتجمعها الصدفة بطبيب شاب ، لكن عندما يعلم بمهنتها يهجرها ، ويسافر إلى الخارج لاستكمال دراسته . لكن عندما تتدحر حاله والده المالية ، تقوم حبيبته بإمداده بالمال لاستكمال دراسته . وعندما يعود لبلاده ، يجري عملية جراحية لهذه الفتاة ، وتعود العلاقة بينهما . ويحاول أبوه أن يبعدها عنه ، لكن عندما يعلم بالضحية النبيلة التي قامت بها في أثناء دراسته بالخارج ، يبارك زواجهما من ابنه .

فى الفيلم الثاني "التضحيه الكبرى" تلتحق مربية بخدمة عائلة ، وتخلص لها لدرجة أن تضحي بنفسها فى سبيل الاحتفاظ بكيان الأسرة وسعادتها ، إذ تهم بأنها على علاقة بابن الأسرة الذى فاجأه أبوه فى موقف غرامى مع زوجة أخيه . فتتفى التهمة عن الزوجة وتجعل من نفسها ضحية ويتم طردها من المنزل . لكن الحقيقة تظهر فى النهاية كما يحدث فى جميع الأفلام المصرية التى تحب وضع النقط على الحروف !

وشهد عام ١٩٥٣ فيلمين : " حظك هذا الأسبوع " لحمى رفلة ، و " شريك حياتى " لالهامى حسن . فى الفيلم الأول يلاحق سوء الحظ شاباً فلا يرى مناصاً من الانتحار . ويلتقى بفتاة تسعى هى الأخرى للانتحار ، لكنه يقنعها بجمال الحياة ، ويعاونان معاً فى قهر سوء الحظ وتحقيق أمالها فى حياة سعيدة . وفي الفيلم الثانى تحاول الأم الانتحار لزواج ابنها وتصاب إصابة خطيرة لأنها لا تحتمل أن تشاركها

امرأة أخرى في ابنها ، ولا تخرج من أزمنتها إلا عندما يدرك زوجها أنه سبب ما أصابها بسبب انشغاله بعمله وإهماله لها ، وفي النهاية تسعى للتعجيل بزفاف ابنها إلى عروسه .

وشهد عام ١٩٥٤ فيلمين : "جنون الحب" لمحمد كريم ، و "أسعد الأيام" لحسن رضا . في الفيلم الأول يستطيع محمد أن ينقذ نادية التي كانت تعتمد الانتحار ، فيعلم أن وراء انتحارها شقيقها التوأم سهير لأنها توهما أنها سببت في موت والديها . وبعد محاولات محمد وصديقه الدكتور حسين يكتشفان أن الوالدين كانوا يفضلان نادية على سهير التي كرهت أختها لهذا السبب . وفي الفيلم الثاني تجبر الظروف رب أسرة على التأمين على حياته ليضمن لأسرته حياة كريمة بعد وفاته ويقيم لابنته عرساً فخماً ، ويصمم ليلة زفافها على الانتحار ليستفيد ورثته من مبلغ التأمين . وتتدخل الصدفة العجيبة - كعادتها - فيلقى أبوه العجوز مصرعه في حادث ، ويترك له بوليصة تأمين خاصة به ، ولذلك يستبعد الأب فكرة الانتحار ويعيش مع أسرته في أمان .

وفي فيلم "عصافير الجنة" لسيف الدين شوكت عام ١٩٥٥ ، تتجه كذبة الانتحار في عودة الأب لبنيته الثالث ، والثبات شمل الأسرة مرة أخرى بسبب هذه الخدعة . وفي فيلم "إسماعيل يس للبيع" لحسام الدين مصطفى عام ١٩٥٨ ، تشرع فتاة في الانتحار تخلصاً من الحياة ، وينقذها رجل عاطل يائس . وتروي له قصتها مع أهلها الذين يعذبونها ويقتلونها قتلاً بطيئاً ، فيحاول الإصلاح بينهما ويتزوجها .

وقد شهد عام ١٩٥٩ فيلمين : "لن أعود" لحسن رضا ، "وهدى" لرمسيس نجيب . في الفيلم الأول تلقى الزوجة بنفسها من أعلى الجبل وتموت ، ولا يعرف سر انتحار زوجته . وهذه ظاهرة نادرة في الأفلام المصرية التي تحرص على تفسير كل الظواهر في النهاية . وفي الفيلم الثاني تحب هدى الدكتور كمال وبيادلها

المشاعر ، لكن عندما تكتشف حالتها الصحية الميئوس منها ، تضحي بحبها لكمال ، وتوهمه أنها تخدعه حتى لا تظلمه . وقبل أن تموت يصله خطاباً منها تعرف فيه بإخلاصها وحبها الصادق له . أى نفس تضحي غادة الكاميليا وان اختلف السبب المؤدى إليها .

وشهد عام ١٩٦٤ فيلمين : "لعبة الحب والجواز" لنيازى مصطفى ، و "هارب من الحياة" لعاطف سالم . فى الفيلم الأول يتحول الانتحار إلى لعبة مسلية ومثيرة نتيجة للمعالجة الهرزلية لموضوع الفيلم الذى تقرر فيه أميرة الانتحار بيلقاء نفسها فى النيل بعد أن سُنت من العودة إلى مطلقها لأنها لا تستطيع مقاومة إغرائه . وينقذها عباس سائق التاكسي فى آخر لحظة . وعندما تقرر الانتحار للمرة الثانية ، تقابل مع عباس الذى يصارحها بحبه . وفي الفيلم الثاني يقرر الزوج محمود الانتحار ويوصى كمال بزوجته ومولودته المنتظرة . وبعد فترة يتزوج كمال منها ويعينها على تربية ابنتها . ويتبين أن محمود لم ينتحر بل اثرى ثراء فاحشاً من تجارة المخدرات ، ويطلب كمال بزوجته وابنته ، وعندما ترفض يخطفها هي وابنتها ، غير أنه يتركهما يهربان فى آخر لحظة !!

فى عام ١٩٦٨ أخرج حسين حلمى المهندس فيلم "حواء على الطريق" وفيه تترعمنى جمعية للمطالبة بمساواة المرأة مع الرجل ، ويتظاهر زوجها خالد باليمانه بمعادتها . لكنه بمرور الوقت يتراجع مما يثير غضبها ، وتطالب بالطلاق بعد كثرة الخلافات ، لكنه يرفض خاصة بعد أن رزقا بطفل . فتحاول منى الانتحار لكنها تفشل ، فيستجيب خالد لمطالبتها ! (وكأن الانتحار هو الحل !!!)

فى عام ١٩٧١ أخرج حلمى رفلة فيلم "لمسة حنان" الذى يكتشف فيه أحمد أن أم نادية تعمل فى ملهى ليلي بلبنان . يتخلى عنها وتهار نادية ، وتحاول الانتحار ، لكن راهبتين تقدانها وتقومان برعايتها . وتعترف لهما بمشكلتها وتنجحان فى إقناع أحمد بأن نادية لا ذنب لها .

في عام ١٩٧٢ أخرج محمود نوالفقار فيلم "رجال بلا ملامح" الذي يتبلور فيه السبب المأسوي المؤدي إلى الانتحار . فالأب الشرير ينبع في الإيقاع بين ابنه وليلى مدعياً أنه على علاقة بها ، في حين تفشل في إقناعه ببراءتها . فيهجرها وينهار مما يثير قلق أبيه ، فيعرف له بما دبره ، فيسرع ليعيد ليلى لكنها تتحرر بعد أن أصبحت حياتها معه جحيناً من الشك .

وشهد عام ١٩٧٤ فيلمين : "الهارب" كمال الشيخ ، و "الأحضان الدافئة" لنجدى حافظ . في الفيلم الأول يتمكن السجين فتحى من الهرب ويدخل إحدى الشقق عن طريق الشرفة ، ليواجه برووف كامل رئيس تحرير إحدى الجرائد وفي أحضانه امرأة ، يهددهما بالقتل إذا لم يخفياه ، فيغافلهما رموف وينتحر خوفاً من انتقام زوجته والضحية . وفي الفيلم الثاني يربط الحب بين مديحة وحسن الذي يرفض والده زواجه منها لأنها مطلقة وتعمل مضيفة . ويتردد حسن في تمسكه بالزواج منها بعد أن تورط معه في علاقتها فتشور عليه ، إلا أنه يعاود إقناع والديه ، فيوافقان ، ولكن بعد فوات الأوان إذ أنها تتحرر يأساً !! (في حين أن شاباً مثل حسن مجرد ذيل لأبويه لا يستحق أن تتحرر من أجله أبداً !!) .

في عام ١٩٧٧ أخرج عاطف سالم فيلم "حافية على جسر الذهب" الذي تهوى فيه كاميليا التمثيل ، وتلتقى بالمخرج المنتج أحمد سامح الذي يتفق معها على بطولة فيلمه الجديد . ويتقرب منها عزيز صاحب النفوذ لكنها تصده وعندما تتفق مع أحمد على الزواج ، يهددها عزيز بقتله . فتقرر التضحية بحبها ، فتعامل أحمد بجفاء وتصده ! (لعبة غادة الكاميليا !!) ويعتدى أعون عزيز على أحمد ويصاب ، في حين تساوم كاميليا عزيز بأن يسمح لأحمد بالسفر للخارج مقابل أن تهبه نفسها ، فيوافق . وفي الطائرة يتسلم أحمد خطاباً من كاميليا لتعترف له بالحقيقة . ثم تذهب إلى منزل عزيز لقتله ثم تتحرر .

فى عام ١٩٧٩ أخرج نادر جلال فيلم "الوهم" المأخوذ عن فيلم "الدوامة" لهيشكوك ، وفيه يتعرف على سعاد بعد أن ينقذها من محاولتها الانتحار . ويعرف له زوجها بأنه تعانى من حالة نفسية . وتتوارد علاقة مجدى بسعاد التي تضيق بحياتها مع زوجها وعندما يطلب مجدى منه أن يطلقها ، يرفض لأنه يطمع فى ثروتها . وتتتحر سعاد من الفنار ، ولا يستطيع مجدى إنقاذهما لعقدته من الأماكن العالية التي تصيبه بدور عنيد .

فى عام ١٩٨٠ أخرج محمد خان فيلم "الرغبة" الذى يصاب فيه جابر فى حرب ١٩٦٧ ويطول غيابه ، ولذلك تتزوج خطيبته هالة من رجل الأعمال حسين . لكنه يعود بعد سنوات ويشتري قصراً !! بجانب منزل الزوجين ويسعى ليصادق حسين . وعندما يحاول جابر تجديد حبه ، تصدى هالة برغم أنها تعانى من انشغال زوجها وعلاقاته النسائية ، لكنها تتحمل من أجل ابنها . وتعترف هالة لزوجها عن علاقتها القديمة بجابر الذى يحاول تحطيمه وإيهامه بأن هالة لا تزال تحبه ، لكنه يتحداه بدليل أنها اختارته هو . وينهار جابر لأنه لا يستطيع التخلص من ذكريات الماضي فينتحر .

فى عام ١٩٨٠ أخرج خليل شوقي فيلم "جنون الشباب" الذى تتضم فيه سلوى إلى شلة أصدقاء منهم عصمت وعلاء ، بحثاً عما يعوضها عن حنان والديها . وتمرور الوقت تكتشف سلوى أن مجموعة أصدقائها يرددون شعارات لا يؤمنون بها . وتتتحر عصمت لأنها فتاة معقدة وشاذة . ويهرب الجميع تاركين جثة عصمت قبل أن يصل رجال الشرطة . وتشور عليهم سلوى لموقفهم السلبي وعدم تحملهم المسئولية .

فى عام ١٩٨٩ أخرج عمر عبد العزيز فيلم "كراكيب" الذى كان اسماً على مسمى . ففيه يقرر سيد عمل بوليصة تأمين ، فيبيع سيارته ، ويدفع أول قسط من البوليصة على أن ينتحر و تستفيد زوجته وابنه من مبلغ التأمين الكبير !! (وهى

الفكرة التي استهلكت حتى الملل !!!) وتفشل محاولته في الانتحار ، ويقترب الشهر من نهايته لدفع القسط الثاني الكبير ، فيصاب بالجنون ، وخاصة أن عبد العال صاحب البيت القديم الذي يقطنه سيد ، يحصل بالرثوة على إذن بازالة العقار .

في عام ١٩٩١ أخرج محمد عبد العزيز فيلم " الشيطان يقدم حلاً " الذي يعاني فيه سامح من عجز جنسي ، ومع ذلك يتزوج من هالة ويسافر إلى الخارج للعلاج الذي لا ينجح . ويلجأ إلى التلقيح الصناعي لكن المحاولة تفشل . ويرى الدكتور داود الحل في اللجوء إلى بنك الحيوانات المنوية لتحمل هالة التي تلد بالفعل طفلاً أسود اللون . ويشك أبو سامح في إخلاص هالة لزوجها لكن الأمر ينتهي ببراءتها . وينتحر سامح فينهاز الأب وهالة !!

• • • •

•

ومهما ركزت الأفلام المصرية على الانتحار كعنصر نمطي متكرر فيها ، فإنه يظل من ابتكارها وليس من إنتاج المجتمع . ونحن لسنا ضد استخدام الانتحار كعنصر درامي أو حتى ميلودرامي له دلالات إنسانية و MAVOSAIE عديدة ، لكننا ضد إيحامه كأدلة مفتعلة لإثارة الانفعالات ، أو وضع حد لحياة الشخصيات ، أو التعامل مع المواقف بمبالفة لا تحتملها ، فلابد أن يأتي الانتحار نتيجة طبيعية وحتمية لأسباب منطقية ومقنعة ، وليس لأسباب واهية مثل تلك التي وردت في أفلام كثيرة .

• • • •

الفصل الخامس عشر

الفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقي

الفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقي من العناصر النمطية التي عالجتها السينما في شتى أنحاء العالم وفي مختلف الأجيال ، خاصة في المجتمعات الإقطاعية والرأسمالية التي تجعل من الانتماء الطبقي قدرًا يصعب على الشخصيات أن تتحداه أو تتجاوزه . وكان الصراع بين القسر الطبقي والطموح الفردي مغريًا لسينمائيين كثيرين ، وخاصة أنه كان امتداداً لأعمال أدبية وروائية عديدة عبر قرون متتابعة ومنذ عصور السادة والعبيد . ولم تفقد شخصية الفرد الطموح اجتماعياً واقتصادياً بل وسياسياً جاذبيتها بالنسبة للجمهور الذي يمكن أن يتعاطف بل ويتوحد معه ، عندما يجد نفسه عاجزاً عن التسلق الطبقي الذي يجده هذا الفرد الطموح والذكي الذي يعوضه عن مثل هذا العجز الذي يجبره على عدم تجاوز حدود طبقته .

ونظراً لأن السينما المصرية نشأت في عصر الإلطاع والباشوات ، فقد كان من الطبيعي أن تتعرض لطابور من الباشوات أو كبار المسؤولين في مواجهة طابور من الطموحين والمتسلقين على السلم الاجتماعي . وبرغم قيام ثورة يوليو التي تبنت المبادئ الاشتراكية ، والمساواة الاجتماعية ، بل والتلويح للطبقي ، وظللت تهاجم من أسمائهم بالمعاطلين بالوراثة ، فإن الفوارق الاجتماعية والتسلق

الطبقى ظلت من العناصر المفضلة عند السينمائيين المصريين ، ولم تتعارض الرقابة على هذه المعالجات ، إذ أن كثيرين من رجال الثورة اتخذوا من الثورة نفسها سلماً للتساقط الطبقى حتى قمة المجتمع .

وفي عهد ما قبل الثورة ، كانت السينما المصرية من الذكاء بحيث لم تركز على شخصية الباشا المثالى فحسب ، بل قدمت أيضاً "الهلاس" و "الفلاتى" والمتعرجى حتى تمتثل احتمالات تجمع أبخرة الغضب ضد هذه الطبقة . كما أكدت مراراً أن الفقراء هم السعداء لأن ليس لديهم ما يحملون همه ، أما الأغنياء فهم يحملون لهم بالليل والنهار ، وبصابون بأمراض السكر والضغط والقلب ، أما إصابة الفقراء والفلاحين بالبلهارسيا والإنكلوستوما والجرب لعدم الاستحمام فهى من قبيل الفولكلور الطريف ! ولم يعترض الباشوات على إظهار بعضهم على الشاشة فى صورة "الفلاتى" أو "الهلاس" إذ أنهم وجدوا فى هذه الصورة نوعاً من الطرافة أو الفحولة الجنسية ، لأن الرجل لا يعييه إلا جيده .

وهناك أفلام تتغزل فى الفقر وتتغنى به كأنه حلم صعب المنال . وهبوط الثروة على فقير سواء عن طريق اليانصيب أو الميراث المفاجئ - كما عالجناه فى فصل سابق من هذه الدراسة - يشبه تماماً هبوط الكارثة عليه . وكأن المال مرادف للهم والغم والزنق والطيش والفساد والانحراف ، ونادرأ ما نجد فيلماً يقول إن العيب ليس فى المال ، إذ أنه قوة محابية ، ولكن العيب فى عقل من يستخدمه . فالمال لا يفسد إلا من هو قابل للفساد والانحراف ، أما الحكيم فيمكن أن يحوله إلى قوة للخير سواء فى حياته أو حياة الآخرين . لكن الزواج بصفته التيمة الأساسية والمفضلة فى السينما المصرية - كان له دور أكبر بكثير من اليانصيب والميراث فى ممارسة التسلق الطبقى وتجاوز الفوارق الطبقية لأنه وسيلة يمكن التخطيط لها واستغلالها على أفضل وجه ممكن ، أما مسائل اليانصيب والميراث المفاجئ فلا يد للإنسان فيها . ولذلك كان من أهم وظائف الزواج فى السينما المصرية

- وأيضاً في المجتمع - القيام بدور السلم الاجتماعي الذي يمكن تسلقه من طبقة إلى طبقة أعلى وهذا .

في عام ١٩٣٤ أخرج روزيه لنجيب الريhani فيلم "ياقوت أندى" الذي رسخ في السينما منذ مرحلة مبكرة تقليداً أو نمطاً سرى في أفلام كثيرة بعد ذلك وهو أنه إذا كان الأغنياء يملكون القيمة المادية فان الفقراء يملكون القيمة الأدبية ، وذلك من خلال شخصية ياقوت المحصل بإحدى الدوائر ، والذى يتوجه إلى مسكن المستأجرة الثرية رودى ، فلا يجدها ، فينتظرها مدة طويلة حتى تحضر ، لكن تأخيره هذا يتسبب في فصله من عمله . وتحاول رودى تعويض ياقوت بمبلغ من المال لكنه يرفض ! (لأن كرامته كفيف تابى عليه أن يقبل العرض !!!) وتكون النتيجة أن تقع في حبه ويتزوجان ويسافران إلى باريس ، إلا أن الحياة هناك بمعاها وبما ذلها لا تزوق لياقوت ، فيقرر العودة إلى وطنه وفراق رودى برغم أنه لم يجد معها سوى كل حب ورفاهية . ولکى تتألق القيم الأدبية والأخلاقية التي يتمتع بها ياقوت فإن والد رودى ينتحر !!! فيشعر ياقوت بالواجب الذي يلزمها الوقوف بجانبها وليس لأنه يحبها ولم ير على يديها غير كل خير .

في عام ١٩٣٨ أخرج الفيزي أورفانيللي فيلم "خدماتي" الذي يقع فيه المحامي شكري في حب خادمته فلة ، وتبادل مشاعره ، في حين ترشح له أسرته فتاة تليق بأن تكون زوجته ، إلا أنه يختفى تارة ويهرب تارة أخرى من أسرته . لكن الخادمة لم تستسلم لهذه الضغوط ، بل كانت يقظة لكل هذه المواقف ، واستطاعت أن تشكل حلفاً مع شكري في مواجهة الأسرة التي لم تجد بدأً في النهاية من الموافقة على زواجهما .

في عام ١٩٣٩ قدم حسين فوزى أول معالجة مصرية لمسرحية "بيجماليون" لبرنارد شو في فيلم "بياعة التفاح" ، وهى المسرحية التي تحولت في السينما إلى مسرحية موسيقية شهيرة باسم "سيدة الجميلة" بطولة جولى اندرؤز وريكس

هاريسون ، ثم تحولت إلى فيلم موسيقى بطولة أودري هيبورن وريكس هاريسون أيضاً . وكانت المسرحية قد قدمت في الثلاثينيات في فيلم درامي بطوله ليزل هوارد . في فيلم حسين فوزى ، يستعين شاب من الطبقة الأرستقراطية ببائعة تفاح ساذجة وجاهلة وفقيرة في عقد رهان مع صديقه بأن يجعل منها سيدة أرستقراطية بمعنى الكلمة ، مقابل مبلغ كبير ، على أن يترك الحكم عليها للأوساط الأرستقراطية التي سيقدمها إليها . ويهيم الصديق جباراً لها مع اقتراب موعد استلام الرهان . وفي إحدى الحلقات تعلن حقيقتها ، فييدي الشاب الأرستقراطى الذي اكتشفها جبهة ورغبتها في الزواج منها .

في نفس العام (١٩٣٩) أخرج نيازى مصطفى فيلم " الدكتور " الذي يقرر فيه الدكتور حامد الزواج من إحسان برغم العقبات التي وضعت في طريقه . ذلك أن أمها تضيق بأهل حامد ، وتعارض زواج إحسان من حامد لأنهم دون مستوىهم . وتقرر إحسان الهرب والزواج منه ، لكنه يرفض هذا الأسلوب . ثم يلتتم الشمل مرة أخرى عندما تحتاج أمه المريضة لعملية نقل دم من نفس فصيلة إحسان التي ترحب بها ، ويتم إنقاذهما ، وينتهي الفيلم بزواجهما .

في عام ١٩٤٠ أخرج توجو مزراحي فيلم " قلب امرأة " الذي تضيع فيه ثروة فتاة مخطوبة لابن عمها ، فيفسخ الخطبة ويخطب ابنة جزار ثرى ، أما هي فتقبل الزواج من رجل مكافع جمع ثروته بعمله وكفاحه . لكن أسرتها لم تكن راضية عن هذا الزواج لفارق الاجتماعي بينهما . ويقع ما يعكر حياة الزوجين ويفرق بينهما ، لكن الكل يتبعه لأبعد المحن ، وتعود الزوجة إلى زوجها بعد أن عفا عنها .

في عام ١٩٤١ أخرج أحمد بدرخان فيلم " انتصار الشباب " الذي يكافح فيه موسيقى شاب وأخته المطربة في سبيل الرزق والمجد الغنى . ويعثران على عمل بأحد الملاهي ، لكن صاحبه يطردهما لأن المطربة امتنعت عن مجالسة الزبائن ،

ويعانيان من التشريد والعداب ، ثم تقع المطربة في حب شاب ثري ، ويطلبها للزواج لكن أمه تقف ضد هذا الزواج . أما المطرب فيحب فتاة ثرية . ويتزوج الشاب الثري من المطربة غير عابئ بأمه في حين ينجح المطرب في تقديم الأوبريت التي يحلم بإخراجها .

في عام ١٩٤٢ أخرج يوسف وهبي فيلم " بنت ذوات " الذي يحصل فيه إبراهيم ابن الخلوي على دبلوم الهندسة ، ويقدم لخطبة سامية ابنة الباشا صاحب العزبة ، لكنها ترفض لفارق الاجتماعي بينهما . ويعمل في مجال العمل الحر ، ويحقق إنجازات رائعة ، في حين يبدي الباشا ثروته ، فيوافق على زواج إبراهيم من سامية ، لكن سامية تظن أن هذا الزواج هو نوع من الانتقام ، وهو سوء ظن لم يكن في محله عندما اكتشفت فيه نبأاً من الحب والإخلاص .

في عام ١٩٤٤ أخرج إبراهيم لاما فيلم " عريس هنا " الذي يصل فيه حامد أحد أثرياء الصعيد إلى القاهرة للزواج من وديعة التي توافق عندما تعلم أن حبيبها عبد السلام كان يخدعها ولا يريد الزواج منها ، كما أن أمها تعاني من ديون باهظة عليها . ويتم الزواج لكن بعد فترة ترسل الخطابية إلى حامد خطاباً تخبره أن وديعة تزوجته لماله فقط . فيقرر حامد أن يختبرها فيأخذها إلى عزبته ، ويهملها تماماً لكنها واصلت العمل بمنتهى الإخلاص كما لو كانت خادمة ، بحيث يتضح له جبها العميق لشخصه وليس لماله .

وفي نفس العام (١٩٤٤) أخرج يوسف وهبي فيلم " ابن الحداد " الذي يعمل فيه طه في ورشة أبيه الحداد برغم دراسته في أوروبا . ويتزوج طه من زينات ابنة أحد الباشوات والتي تقيم في منزلها الحفلات الكثيرة التي تصاير زوجها ، خاصة عندما أهملت رعاية ابنها في مرضه . وفجأة يدعى طه أنه خسر كل أمواله في البورصة ، فإذا بالباشا الأب يسعى إلى تطليقها من طه وتزويجها من أحد البكرات ، إلا أنها ترفض وتمسك بزوجها ، بل وتصبح زوجة صالحة ،

وتعيش حياة بسيطة مع زوجها مع رعاية كاملة لابنها . وفي النهاية يكشف طه أنه لم يخسر شيئاً ، وإنما فعل ذلك ليختبر إخلاصها ، وهو اختبار نجحت فيه بجدارة .

وفي عام ١٩٤٥ آخر ج حسين فوزي فيلم "أحب البلدى" الذي يسافر فيه عادل الشمرى باشا للخارج لاتمام دراسته ، تاركاً شربات ابنة الأوسطى إبراهيم والتي تعاهد على الزواج منها قبل سفره . وعندما يعود من غيبته الطويلة ، تحاول أسرته أن تمنع زواجه منها ، ويعلنون خطبته على نازك ابنه مجدى باشا لكنه يرفض . وتحاول نازك إقناع شربات أن زواجهها من عادل سيقضى على مستقبله ، لكن الحب ينتصر في النهاية ، ويتزوج عادل من شربات .

وفي نفس العام (١٩٤٥) آخر ج أنور وجدى فيلم "ليلى بنت الفقراء" الذي تلتقي فيه الفتاة الفقيرة ليلى بوحيد ابن مختار باشا ، ويعتقد وحيد أنها ابنة درويش باشا ، فيقرر الزواج منها ، إلا أنها ترفضه في البداية لفارق الاجتماعي بينهما لكنها لا تفصح عن شخصيتها الحقيقية . ويدهب أبو وحيد ليخطبها من درويش باشا ، فتكتشف الحقيقة ، ويظن وحيد أنها خدعته طمعاً في ثروته ، لكن براءتها تظهر ويتزوجان .

في عام ١٩٤٦ آخر ج حسين فوزي فيلم "إكسبريس الحب" الذي يقرر فيه المجلس الأسرى لأسرة تركية محافظة زواج إحدى فتيات الأسرة بوحد من ثلاثة رجال أثرياء تقدموا لها . وترفض الفتاة هذا القرار ، وتحاول الهرب إلى عم لها يقيم بالقاهرة . وهناك تلتقي بأسرة فقيرة ، وتقع في حب ابنها العامل الميكانيكي الذي يعرض عليها الزواج فترفض لفارق الاجتماعي الذي سيحول دون موافقة أسرتها . لكن العم يعطف عليه ، ويدبر معه طريقة ليخدعا بها مجلس الأسرة الذي يقرر حرمانها من الميراث ، لكن الحب ينتصر في النهاية ويجبرهم على تغيير موقفهم ويتزوجان .

فى عام ١٩٤٧ أخرج هنرى بركات فيلم "الهانم" الذى تجبر فيه الظروف امرأة على ترك الشام والمجرى إلى مصر حيث تلقى برئيس عصابة لتهريب المخدرات . وعندما تفاجأ بقرب حضور ابنتها للاحتفال بخطبتها لابن أحد الأعيان ، تلجم لحافظ رئيس العصابة ليظهرها فى مكانة عالية بعد أن أوهمت ابنتها بثرانها ، فيستأجر لها فيلا ويحيطها بجو أرستقراطى ، فى حين كان رجال البوليس يرافقون حافظ ، ويقررون مهاجمة الفيلا ليلة عقد القرآن . وإذا بحافظ يضحي بنفسه فى سبيل إسعاد الأسرة ، ويطلب من البوليس عدم مهاجمة الفيلا مقابل إرشادهم عن مكان المخدرات ، ويتم هذا فعلاً ويفى بوعده .

فى نفس العام (١٩٤٧) أخرج عبد الفتاح حسن فيلم "بياعة البانصيب" الذى يلتقي فيها الموسيقار الثرى ببائعة يانصيب تعيد إليه مبلغاً كبيراً كان قد فقده فى الطريق . ويعجب بآمانتها ويعرض عليها أن تعمل كخادمة فى بيته . وتحبها عائلة الشاب فيما عدا ابنة خالته التى ترى منه ميلاً للخادمة وهى تريده زوجها لها . وتثير مؤامرة مع عشيقها لإبعاد الخادمة عن سيدها ، خاصة بعد أناكتشف جمال صوتها ، فيسند إليها الدور الأول فى أوبريت من تأليفه ويستعد لإنزالها . وتجعل المؤامرة لكن الأمور تتضح وتعود للموسيقار ويستعدان للزواج .

فى عام ١٩٥١ كتب حسين فوزى وأخرج فيلم "فتاة السيرك" الذى يغرس فيه شاب أرستقراطى بفتاة تعمل فى السيرك ، ويقرر الزواج منها ، فيرفض أبوه الثرى ويهدده بحرمانه من الميراث إذا تم هذا الزواج الذى يسىء لمركز العائلة . وبعد سلسلة من الأحداث يتضح أن والد الفتاة ما هو إلا ابن أحد الباشوات ، وقد طرده أبوه لأنه يتزوج بفتاة فقيرة لا تليق به . وتحل النهاية السعيدة التى تؤكى استحالة التنبؤ الطبقى ، فالأرستقراطى لابد أن يتزوج من ابنة طبقته ، كما يحدث فى السينما الأمريكية التى تحتم زواج الأبيض من البيضاء والأسود من السوداء .

فى عام ١٩٥٣ أخرج عز الدين ذو الفقار فيلم " ابن الحارة " الذى يغرس فيه المهندس الناجح جلال بجارته ليلى حفيدة أحد الباشوات ، لكنه يخفى حبه خوفاً من الفوارق الاجتماعية ، فى حين يشرف عمها المقامر على أموالها ، ويطمع ابنه الشاب المستهتر فى الزواج منها لىستولى على ثروتها خاصة بعد أن عرف بالصدفة حب جلال لها . فيوهمها بأن جلال خائن ، وتتزوج ليلى من ابن عمها الذى يستغلها ويسومها العذاب . ويترفع جلال لتنفيذ مشروع المساكن الشعبية لأهل الحى ، فى حين يسرق زوجها أموال المشروع ليقضى على مستقبل جلال ، ويتعاون أهل الحى فى القبض على ابن العم ، كما تتزوج ليلى من جلال . ومن الواضح رصد تأثير ثورة ١٩٥٢ على مضمون الفيلم الذى يحترم قيم الطبقات الكادحة و ينصرها على طبقات العاطلين بالوراثة .

لكن تأثير ثورة يوليو ١٩٥٢ كان تأثيراً سطحياً إلى حد كبير على السينما المصرية التى ظلت حريصة على عناصرها النمطية الأثيرة . هذا التأثير السطحى تجلى فى مواقف ملقة وأحداث مفتعلة لمجرد مجاراة الحدث التاريخى . ففى نفس العام (١٩٥٣) أخرج حلمى رفلة فيلم "الحموات الفاتنات" وهو فيلم هزلى يصور الصراع المشتعل بين حمأتين أقامتا فى شقة واحدة ، وعندما ينتهى الصراع بذهاب كل حماة إلى منزلها ، ينتهى الفيلم والجميع يغدون نشيد الثورة فى ذلك الوقت : " على الإله القوى الاعتماد ... بالنظام والعمل والاتحاد " .

وفى فيلم " دستة مناديل " الذى أخرجه عباس كامل عام ١٩٥٤ ، يحاول عشاق الراقصة ، و منهم باشا ثرى ، إبعاد المكوجى الذى تحبه عنها فيفشلون ، لأن الطبقات الكادحة أشرف من الطبقات الموسرة والأستقراطية . ومع ذلك كانت هناك أفلام على مستوى رفيع من الفكر والفن ، مثل " رد قلبى " لعز الدين ذو الفقار ١٩٥٧ ، و " القاهرة ٣٠ " لصلاح أبو سيف .

فى عام ١٩٥٤ أخرج هنرى بركات فيلم "رسالة غرام" الذى يطلب فيه فنان شاب الزواج من فتاة أرستقراطية ، لكن أباهما يرفض لأنه دون مستواهم الاجتماعى . ويكافح الفنان فى مجال الموسيقى والغناء من أجل أن يحقق ثروة لعله يفوز بها . وتتزوج من آخر لكنه يقضى أوقاته بين موائد القمار ، ثم يموت فى حادث ومعه الزوجة التى توصى الفنان خيراً بطفلتها ، فيعيش من أجل إسعادها .

فى عام ١٩٥٥ أخرج سيف الدين شوكت فيلم "أمانى العمر" الذى يطلب فيه شريف جارته ليلى للزواج ، لكن أباهما يرفض لفارق الاجتماعى ، ويوافق على خطبتها للثرى فؤاد . لكن كالعادة يتضح فساد الخطيب الثرى الذى يتلاعب بأموال شركة والد خطيبته والذى يطرده من العمل وتفسخ ليلى خطبها له . ثم تحاول التقرب من شريف لتجديده حبها ، لكنه يصدها ، ويلحق بالفنانة التشكيلية التى أحبها ، وذلك قبل سفرها إلى الخارج ، ويتزوجان .

فى عام ١٩٥٦ أخرج حلمى حليم فيلم "القلب له أحكام" الذى تحب فيه فتاة فقيرة وطالبة فى كلية الطب ، زميلاً غنياً ، لكنه لا يشعر بها لأنهما كه فى العبث . وتلجمأ إلى صديقة لها فترسم لها خطة ناجحة تثير اهتمامه ، ويعرض عليها الزواج مدعياً لأبيه أنها ابنة مقاول كبير . ويحاول بعض العاقدين إفساد الزواج إلا أن أصدقاء الفتاة من أهل الحى يتتصدون لهم . ويوافق الأب على إتمام الزواج بعد أن تصارحه الفتاة بحقيقة وضعها الاجتماعى .

فى عام ١٩٥٧ أخرج عز الدين ذو الفقار فيلم "رد قبلى" الذى يعمل فيه رب الأسرة بستانيًا فى قصر أحد أمراء الأسرة المالكة حيث يربط الحب بين ابنه على وإنجى ابنة الباشا . ويصبح على ضابطاً ، ويكتشف علاء شقيق وإنجى العلاقة بين أخيه وعلى ، فيقرر أبوه طرد أخيه من عمله . وتنتظره وإنجى بقبول خطبة أحد النساء لها لتحمى حبيبها مما جعل على يعتقد أنها غدرت به ، لكنه يكتشف بعد ذلك صدق حبها له . وتقوم ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ويرأس على لجنة مصادر أملك

الأمير ، وتلقاء إنجي التي تظن أنه جاء شامتاً ، لكنها تكتشف صدق عاطفته .
ويطلق أخوها الرصاص عليه فيصييه ، لكنه يفوز بحبيبه في النهاية .

في عام ١٩٦٠ أخرج يوسف شاهين فيلم "بين إيديك" الذي يعد من الأفلام الكاريكاتيرية القليلة في السينما المصرية ، والتي تصور الشخصيات النمطية بهدف السخرية من نمطيتها ، من خلال أسرة متوسطة الحال ، تعيش في أحلام الماضي بنفس العقلية القديمة التي لا تتنمسي مع روح العصر ، وذلك بعد أن مات عمدها البasha تاركاً وراءه زوجته المتعرجة التي تثير شتون العائلة بتكبر وتجبر ، برغم أن عم الأسرة يقوم بالإنفاق عليها من ماله الخاص . ومع ذلك تسخر منه لأنه في نظرها أقل مستوى منها . ويتوجل العم زواج الابنة حتى توفر في التكاليف التي ينفقها عليهم ، فتضطر الفتاة إلى الزواج من نجار . ومن خلال المفارقات الكاريكاتيرية بين الأسرة المتغطرسة والزوج الفقير ، تجد فيه الفتاة فتى أحلامها الحقيقي ، تجسيداً لشعارات ثورة ١٩٥٢ التي رفعت من شأن الطبقات الكادحة .

في نفس العام (١٩٦٠) أخرج سيف الدين شوكت فيلم "حب في حب" الذي يعد المعالجة الثانية لمسرحية برنارد شو "بيجماليون" بعد فيلم حسين فوزي "بياعة التفاح" عام ١٩٣٩ ، ولكن يمزجها بتجيئات ثورة ١٩٥٢ على أساس أن الطبقات الكادحة أشرف من الطبقات الأرستقراطية ! يدور الفيلم حول شيرين الصحفية التي تكتب بباب المجتمع الراقي ، وتنافس مجدى الصحفى الذى يكتب بباب بنت البلد ، ويؤمن بأن بنت البلد أشرف من الفتاة الراقصة .

ويثبت نظريته بالتقاط نوسة التي تدور بالبيانولا في الشوارع ويعمل على الارقاء بها وتطويرها ، فيلقنها العلم واللغات ، ويعلمنها أصول الاتيكيت ، وبالفعل يجعل منها فتاة أرستقراطية ، وتبثت جدارتها لدرجة أنها تفوز بلقب ملكة الأنقة .

في عام ١٩٦١ أخرج حسن الإمام فيلم "الللميذة" الذي تعلم فيه الأم خادمة لتفق على ابنتها نعمات ، وتعطف عليها ناظرة المدرسة فتضمنها هي وابنتها

لمنزلها ، وتتربي نعمات مع مني ابنة الناظرة ، وتحب حسن الشاب الغنى ، لكن أسرته لا توافق على زواجهما فتهرب من المنزل . وتعمل في شركة ، ثم خادمة في مستشفى ، ثم مطربة !! ثم يحاول ابن خالة حسن أن يظهرها في صورة المرأة الساقطة فيدعوها لشقتها ، لكنها ترفض ، فيعترف لحسن أنه خدعه بعد أن فعل هذا بالاتفاق مع أمه ، وفي النهاية يتزوجان .

وفي عام ١٩٦٣ أخرج حسن الإمام فيلم "بياعة الجرائد" الذي تقوم فيه فتاة فقيرة ببيع الصحف . وتحب جارها بائع الصحف ويتزوجان ثم يتضح أنها ابنة باشا ترك لها كل ثروته بعد وفاته . وتنصر أسرة الباشا على أن تستأثر نفسها بالميراث في حين تنتقل إلى قصر أبيها الباشا ومعها زوجها . وتغير الثروة حال الفتاة كما يحاولون إدماجها في الجو الأرستقراطي ، لكن زوجها الفقير يضيق بسلوكها الجديد ويهاجرها . وعندما تكتشف مكائد أقاربها ، تقرر العودة إلى زوجها البسيط . فقد أصبحت الثروة مرادفاً للسفالة في أفلام كثيرة .

في عام ١٩٦٦ ظهرت ثلاثة أفلام : "القاهرة ٣٠" لصلاح أبو سيف ، و "كنوز" لنيازى مصطفى ، و "شقاوة رجاله" لحسام الدين مصطفى . في الفيلم الأول يرتضى محجوب عبد الدايم لزوجته أن تكون عشيقة لوزير قاسم مقابل أن يصبح مديرًا لمكتبه ، إذ أنه لم يجد وسيلة أخرى تمكنه من تسلق السلم الاجتماعي . وفي الفيلم الثاني يحول الفارق الاجتماعي دون زواج كنوز ابنة الشيخ فواز الثرى ، من هارون الذي تعيش قبيلته في قفر ، وتدور صراعات ميلودرامية تنتهي بمصرع كنوز بطلقة نارية . وفي الفيلم الثالث يقع أحمد الشاب الثرى في حب زميلته بالجامعة فريدة التي تكافح أمها في سبيل تربيتها ، وتدعى لها أنها من عائلة ثرية . وعندما يفاتها في الزواج ، تبتعد عنه خشية أن ينكشف أمرها لكنه يتزوجها في النهاية لأخلاقها وشخصيتها القوية .

فى عام ١٩٧١ أخرج حلمى حليم فيلم "عشاق الحياة" الذى يربط فيه الحب بين منى و أحمد الذى يحقق نجاحاً كبيراً فى عالم الموسيقى والغناء لكن أباها إسماعيل يرفض زواجهما لفارق الاجتماعى بينهما ، ويضغط على منى لليزوج من عصمت ابن صديقه سيف الذى يطمع بدوره فى ثروة إسماعيل . ويحدث أن تصاب منى فى ليلة زفافها بالشلل بعد تعرضها لحادث بسيارة . وتنقل محاولة سيف وابنه قتل إسماعيل الذى يصاب حين يصل أحمد إلى مكان الجريمة . وينقل إسماعيل إلى المستشفى ويتزوج أحمد من منى .

فى عام ١٩٧٥ أخرج حسن رمزى فيلم "الرداء الأبيض" الذى تبارك فيه الأم زواج ابنها كمال من دلال برغم الفارق الاجتماعى بينهما ، لكنهم يخونون الأمر عن أبيه عمر . ويرزقان بابنتهما صفاء ، ثم يلقى كمال مصرعه فى حادث سيارة ، ويكتشف عمر زواجه فيثور ويطرد دلال ويحرمنا من صفاء ليقوم هو بتربيةها . وتمر السنين ودلال تتبع أخبار صفاء من بعيد ، إلى أن تعلم بمعياد زفافها . فتضطر إلى السرقة لتشترى فستانها لانقا لحضور الفرح ، ويقبضن عليها لكن صفاء تعرف حقيقتها ، ويندم عمر على ما فعله .

فى عام ١٩٧٦ أخرج يحيى العلمى فيلم "شلة الأنس" الذى يضيق فيه طالب الطب سعد من حياته فى الحارة ، ومن عمل أخيه العالمة بسيمة ، فى حين يربط الحب بينه وبين زميلته نجوى ابنة الدكتور محمود ، دون أن يصارحها بحقيقة أهله . كما يتخلى عن جارته فاطمة التى تحبه بعد أن تورطت معه . ويخرج سعد ويتزوج من نجوى لكنه يفاجأ بأنها ليست عذراء . وتواجهه بأنها لم تخف عنه شيئاً ، لكنه هو الذى خدعها ، فهى تعلم حقيقة أهله . وترفضه فاطمة عندما يعود إلى الحارة ويتزوج إليها ، فيضطر إلى العودة إلى نجوى .

فى عام ١٩٧٧ أخرج هنرى بركات فيلم "أفواه وأرانب" الذى يفاجئ فيه محمود الثرى الأرستقراطى مدبرة منزله نعمت برغبته فى الزواج منها برغم

الفارق الاجتماعي بينهما . وبرغم التعقيدات والعقبات التي تقف في طريقهما فانهما يتزوجان في النهاية .

فى عام ١٩٨١ أخرج حسن يوسف فيلم " القحط السمان " الذى يقرر فيه نبيل الزواج من سوسن ابنة حسين قدرى رجل المخابرات لكنه نظراً للفارق الاجتماعي بينهما ، بل يلتفق تهمة سرقة لأحلام ، تدخل بسببها السجن . ويتزوج نبيل من سوسن ابنة حسين قدرى رجل المخابرات لكنه يضيق بحياته معها . ويكتشف ما ببره أبوه لأحلام فيشور عليه . ويعثر نبيل على مستدات خطيرة تدين حسين قدرى ، فتتحرر سوسن من الصدمة . وتنتهي مدة عقوبة أحلام ، وتحترف الدعاارة ، لكن نبيل يبتعد بها عن طريق الخطىء برغم تهديد أبيه . وتقوم ثورة التصحيح لتنقضى على نفوذ الهمبواى !! (هكذا كانت السينما ترکب الموجات السائدة في حينها ، مثل تعبير " القحط السمان " الذى أثير في مجلس الشعب عن الشخصيات التي أثرت بأسلوب غير شرعى ، وثورة التصحيح التي لم تكن سوى معركة شخصية تخلص فيها السادات من خصومه !! هذا على سطح الفيلم ، أما في أعماقه فكانت العناصر النمطية المضمنة هي الهيكل العام للأحداث كالعادة : الفارق الاجتماعي ، وتلقيق التهم ، ودخول السجن ، واكتشاف المستدات الخطيرة ، والانتحار ، واحتراف الدعاارة ، والتوبة) !

فى عام ١٩٨٧ أخرج حسن إبراهيم فيلم " البيه الباب " الذى يرحل فيه عبد السميع عن بلته ويصل بباباً بالقاهرة . وبمرور الوقت يصبح سمساراً لتأجير الشقق المفروشة ، ثم يتسع نشاطه ويدخل في عمليات نصب واحتيال ، ويكون ثروة كبيرة . ثم يتزوج من إلهام ويستقيم ، لكنها تسرق خزانة عبد السميع وتهرب . وينجح مع زملائه البابيين في إعادتها والقبض عليها ، ويقرر عبد السميع الاستقامة ويعود إلى بلته حيث زوجته وأولاده .

فى عام ١٩٨٩ أخرج عاطف الطيب فيلم "قلب الليل" الذى يتزوج فيه جعفر من راعية الغنم مروانة مما يثير غضب جده الثرى سيد الراوى ويطرده من القصر !! وعندما يكون صديقه شكرؤن فرقة غنائية صغيرة ، يشارك فيها جعفر بالغناء !! ويطلق مروانة تحت ضغط أهلها ثم يتزوج من سيدة المجتمع الثرية هدى ويصبح محاميا !! ثم يؤلف كتاباً يطرح فيه نظرية جديدة ، لكن الأديب سعد يعرى جعفر الذى اختطف شذرات من مختلف النظريات والكتب ، فيثور عليه جعفر ويقتله !! وبعد الإفراج عنه يصاب بالجنون ويسير فى الشوارع بهذه شعارات !! (والسؤال الآن : هل تحتمل رواية نجيب محفوظ كل هذا التفيق والافتعال بحيث أعادت فى أواخر القرن العشرين نظرية "سمك . لبن . تمر هندي" التى سادت السينما المصرية لعدة عقود ؟ !!).

وهي النظرية أو المدرسة التى تجلت فى العام资料 (١٩٩٠) فى فيلم "كابوريا" لخیری بشاره الذى يتصادف فيه مرور حسن هدهد الملاكم الفقير وصديقه محمود و مصطفى أمام عوامة راسية يمتلكها المليونير الشاب سليمان و تدعوهم زوجته حورية لتسلى أصدقائها بهم ، فيقيمون فى العوامة لتقديم مباريات الملاكمة !! ويبتكر حسن بعض الألعاب الأخرى التى تبهر السادة الذين يتسلون بالفرجة ويدفعون المقابل . فى النهاية يشعر هدهد بأنه سيفقد نفسه باستغراقه فى عالمهم ، ويرحل عائداً إلى بيته الشعيبة !!

فى عام ١٩٩٣ أخرج عبد اللطيف زكي فيلم "طعمة بالشطة" الذى يدل على أن الفكر السينمائى لم يتطور منذ الثلاثينيات أو الأربعينيات . ففى هذا الفيلم تلتقي غادة بالمهندس الزراعى عصام الذى يستصلاح قطعة أرض ، فيعجب بها وتقع فى حبه ، لكن أباها يعارض علاقتها للفارق الاجتماعى بينهما . وتنمسك به

غادة ويتزوجان دون موافقة الأب الذى يشرع فى محاربة عصام فى رزقه ليرغم ابنته على تركه لكن بلا جدوى . وعندما تضع غادة طفلها تتغير مشاعر أبيها ويبارك زواجها !! (نفس الحدوة المملاة التى استمرت تفرض نفسها على السينما المصرية زهاء سبعين عاماً !! ألم يحن الوقت كى يدرك بعض السينمائيين أن هناك فضيلة اسمها المل !!!)

• • • •

إن مجال الفوارق الاجتماعية والتسلق الطبقي مجال واسع ، ومتعدد الأفاق ، وثرى في مضمونه وأفكاره . وقد آن الأوان لاستكشاف هذه الأفاق ، وتجسيده هذه المضامين والأفكار ، إذ إن مجرد تغير الإطار الزمني يمكن أن يضيف أبعاداً وأعماقاً جديدة إليها بحيث تبدو جديدة تماماً. أما اجتذار القديم أو حتى مجرد تكراره ، فمن شأنه أن يدخل بالسينما المصرية في طرق مسدودة ، ومتاهات جانبية ، ودوائر مفرغة ستظل رهينتها ، في وقت تخترق فيه السينما العالمية كل الأفاق التي لم تخطر ببال أحد من قبل ، سواء على مستوى الفكر أو الفن أو التكنولوجيا .

• • • •



المهاجر إخراج / يوسف شاهين سنة ١٩٩٤



لا تسألني من أنا سنة ١٩٨٤

الفصل السادس عشر

الزواج العرفي والمحل

كان الزواج العرفي والمحل من العناصر النمطية التي أقبلت عليها السينما المصرية في نهم ، لأنها في البداية كانت تشكل نوعاً من التوابل الحرفة التي تشير شهية الجمهور . فهي وإن كانت مرتبطة بالزواج كتنظيم ديني واجتماعي وإنساني ينطوى على كثير من الاحترام والتجليل الذي يصل إلى حد التقديس ، فإنها ترتبط بصفة أكثر حميمية بالجنس كغريزة جامحة تتطوى على كثير من الغموض والإثارة والمآذق . ولذلك فإن معظم الأفلام التي دارت حول الزواج العرفي والمحل نهضت أساساً على العلاقة الجنسية وليس على العلاقة الزوجية الأشمل والأبقى . لكن بمرور الوقت وبفعل التكرار ، فقدت هذه التوابل طعمها الحرير الفاتح لشهية الجمهور الذي حفظ التوليفة التقليدية والنمطية عن ظهر قلب . فالزواج العرفي هو في حقيقته زواج سري ، وتهض قواعد اللعبة على الاحتفاظ بهذه السرية أطول مدة ممكنة أو إلى ماشاء الله . في حين أن الطرف الآخر عندما يبدأ في الشك أو تبلغه أنباء أو حتى شائعات عن هذا الزواج ، فإنه يشرع كل أسلحته لتمزيق ستار السرية وفضح المتزوجين في الخفاء . وفي الشد والجذب بين الطرفين تتولد الإثارة التي يمكن أن تكون مأساوية أو كوميدية .

أما لعبة المحلل فقواعدها معروفة لدى الجميع . ذلك أن الزوج الأرعن يحب زوجته ويغير عليها أكثر من اللازم لدرجة أنه يطلقها ثلاث مرات ، ثم يقعد ملوماً محسوراً لأنه يتحتم عليه أن يحل محله كزوج رجل آخر ، حتى يمكن أن يستعيدها مرة أخرى . لكن الأمور لا يمكن أن تسير كما يشتهى ، لأن من يقبل أن يقوم بدور المحلل غالباً ما يكون من السوق أو المرتزقة . وعندما يلمس جنون الزوج الأرعن وانتظاره المحرق لعودته زوجته إليه ، فإنه سرعان ما يفرض شروطه لأنه يملك عنصر المبادرة ، وتنعد الأمور وتتولد المفارقات . وأحياناً يشتعل الغرام بين المحلل والزوجة ، خاصة عندما تشعر بمدى الإهانة التي لحقت بها من زوجها الذي فرط فيها ثلاثة مرات ، أو عندما تلمس في المحلل صفات من الرجلية والشهامة يفتقدها زوجها . وأحياناً تلعب الفحولة الجنسية دوراً في هذا المجال الذي يمكن أن تتولد منه الكوميديا .

في عام ١٩٤٥ أخرج حسن عبد الوهاب فيلم " قلوب دامية " الذي تعيش فيه ميمى حياة سعيدة مع زوجها لا يعكر صفوفهما سوى عدم الإنجاب ، في حين تعرف أختها عليه على شاب يعدها بالزواج على أن يكون عرفياً إلى أن يحصل على مبلغ من المال . وتحمل منه وطالبه بالزواج الشرعي ، فيسخر منها . وعندما تضع طفلتها ، تدعى أن زوجها مسافر ، وتتازل عن الطفلة بداعع الشفقة لأختها . ويطالبها الشاب بمبلغ كبير حتى يتكم السر ، فتطلق عليه الرصاص لكنه تخطئه .

في عام ١٩٤٧ أخرج أحمد بدرخان فيلم " فاطمة " الذي تعمل فيه فاطمة ممرضة ترعى أحد البشاورات الذي يقع شقيقه فتحى في حبها ، ويحاول إغراءها ، لكنها تصده ، فيضطر لأن يتزوجها بعقد عرفي . ويعيش في منزلها المتواضع بالحارة ، لكنه يضيق ذرعاً بهذه الحياة فيعود إلى قصر الباشا نادماً ، فيطلب منه أن يسترد ورقة الزواج التي تحتفظ فاطمة بنسخة منها . ويهجر فتحى فاطمة برغم

أنها حامل ، وتضع طفلاً لكنه ينكر نسبه إليه . عندئذ يجتمع أهل الحارة ويقررون رفع قضية على فتحى . وعندما يكتشف فتحى أن خطيبته ميرفت لها عشيق ، يعود إلى فاطمة طالباً الصفح معترفاً بزواجه وأبنته أمام أهل الحارة .

وفي نفس العام ١٩٤٧ أخرج إبراهيم لاما فيلم "البدوية الحسناء" الذي تحب فيه فتاة بدوية فتى بدويًا من قبيلة في خصومة مع قبيلتها وتتزوج منه سراً . وتensusع شقة الخلاف ، إذ يقتل الزوج ابن عم الفتاة على أثر شجار ينشب بينهما . (على طريقة روميو وجولييت) ويرفع الأمر إلى مجلس القبيلة الذي يقضى بإعدامه لكنه يهرب . وتشاء الصدفة أن ينقذ الزوج الأمير من القتل في حادث سرقة ، فيأمره بالعودة إلى دياره ويعلن زواجه من الفتاة .

في عام ١٩٤٨ كتب أنور وجدى وأخرج وقام ببطولة أول فيلم مصرى يقدم شخصية المحلل ، وهو فيلم "طلاق سعاد هانم" الذي يطلق فيه شاب مستهتر لا يقدر على المسئولية ، زوجته للمرة الثالثة ، فتصبح محرمة عليه ، ولا تحل له إلا بعد أن تتزوج غيره . ويجدون المحلل الذي يقبل هذه المهمة في شخص رجل فقير ، لكنه شاب ذو قيم فيرفض أن يطلقها ، ويلقى كل من الزوجين درساً في الأخلاق ، بل إن الزوجة نفسها ترضى أن تعيش معه مفضلة إيمان على زوجها السابق .

في عام ١٩٥٠ أخرج نيازى مصطفى فيلم "قمر ١٤" الذي يتزوج فيه شاب أرستقراطى سراً من ابنة صاحب بنسيون ، ويرسل لأبيه خطاباً يخبره فيه بعزمه على الزواج . لكن أبيه يطلب منه الحضور لأنه اختار له زوجة أخرى هي ابنة تاجر سمك من أثرياء الحرب ، والذى يمكن أن يساعد له للتخلص من وضعه المالي المتدهور . وتعرف الزوجة هذا الموضوع ، وتسافر إلى أسرة زوجها على أنها مربيه . وتتوقع والد زوجها وأخوه وتاجر السمك فى هواها ، وتتمكن فى النهاية من أن تتزوج من الأب موافقته على زواج ابنه منها .

فى عام ١٩٥١ أخرج حلمى رفلة فيلم " فايق ورايق " الذى يطلق فيه لمطرب رايق الراقصة أشواق للمرة الثالثة ، فتطلب من فايق أن يكون المحلل ، فيوافق لكنه يرفض أن يطلقها . ويحضر أبوه ليبارك زواجه فى الوقت الذى ترك فيه أشواق المنزل غاضبة ، فيلجاً إلى جارته سعاد لتحمل محلها . وعندما تعود أشواق ، يعجب بها الأب ، وعندما يسافر فايق فى مأمورية ، تناح لأشواق مقابلة رايق . ويحدث أن تغرق السفينة التى يستقلها فايق لكنه ينجو من الغرق . ويعود لمنزله ليجد أشواق وقد تزوجت من رايق ، فيبلغ النيابة . وتقرر أشواق أن تفصل عنهما حتى لا تغضبهما . وعندما يحاول رايق الانتحار ، ينسحب فايق من حياة أشواق لتعم بالحياة مع رايق .

فى عام ١٩٥٢ أخرج حسين صدقى فيلم " المساكين " الذى يقرر فيه ضابط الجيش ممدوح أن يتزوج سراً من فتحية صديقة الطفولة والتى عملت بعد أن فقدت ذويها راقصة فى كباريه . وينجب منها طفلاً . ويشتراك ممدوح فى حرب فلسطين ، ويعتبر مفقوداً . وبرغم عدم رضاء أم ممدوح عن زواجه ، فإن فتحية تلجاً لأمه لتعيش فى كنفها ، وتحتضن الجدة حفيداً ليعوضها فقد ابنها . ثم تكتمل سعادة الأسرة عندما يعود ممدوح من الأسر .

فى عام ١٩٥٣ أخرج السيد زياده فيلم " اللقاء الأخير " الذى تتزوج فيه فتاة شرًّا من شاب تحبه برغم اعتراض والديها . وعندما يسافر الزوج إلى الصعيد للتنقيب عن الآثار ، يقع له حادث ويظن أنه مات . وتصاب الزوجة بصدمة ، ويعالجها طبيب يعرض عليها الزواج فترفض لأنها حامل . تضع طفلتها وتسلمها عمتها لممرضة لترعاها . وتسافر الزوجة مع أبيها وعمتها إلى أوربا . ويعود الزوج بعد سنوات من فقد الذاكرة ، وتتعرف عليه الممرضة وتتعلق به الطفلة . وعندما تعود الزوجة ، تذهب لتسأر طفلتها من المستشفى ، وهناك يقع لوح زجاج

من النافذة ، فيسرع الزوج الغائب ليفتدى الطفلة ، ويسقط عليه اللوح فيسترد ذاكرته . وتفاجأ به الزوجة ويلتزم شمل الأسرة .

وشهد عام ١٩٥٤ ثلاثة أفلام : " العاشق المحرم " لـ " السيد زيادة " ، و " المال والبنون " لإبراهيم عمار ، و " الأرض الطيبة " لمحمود ذو الفقار . في الفيلم الأول يتزوج المهندس فؤاد من الممرضة أمينة زواجاً عرفيًا ، في حين يحقد عليه الباشا رئيسه ، ويحاول منع الزواج لغرامه بالفتاة . وعندما يفشل ، يتسبب في وفاة الشاب غرقاً !!! ثم يتقرب من أمينة التي كانت حاملاً من زوجها ويتزوجها ويتبني طفلها . وتهب أمينة حياتها لابنها ، لكنه يحقد عليها وينتقم منها في شخص ابنها فيفسده ، ويترك له وصية يخبره فيها بعدم نسبه إليه . لكن أمه تشرح له الماضي ، ثم يظهر الأب الأصلي الذي أصيب بفقدان الذاكرة ويشفي .

في الفيلم الثاني " المال والبنون " يجبر رجل ناقم على الحياة ، زوجته على تعاطي العقاقير لتجهض نفسها إذ يكفيه ابنة واحدة . وذلك على عكس صديقه الذي يفرح بما أنعم الله عليه . وتموت الابنة الوحيدة للزوج الأول . لكنه بعد فترة يصبح ثرياً ويلجأ للطب الذي يؤكد له أن زوجته أصبحت عاقراً ، فيتزوج من أخرى دون علم زوجته ، وتنجب له ابنة ثم تموت الزوجة ، فيوهم زوجته الأولى أنه عثر على الطفلة في الطريق !! حتى يتمنى له رعايتها . وبعد سنوات تكتشف الزوجة الحقيقة ، لكن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً .

في الفيلم الثالث " الأرض الطيبة " تعيش فتاة في عزبة أحد الأثرياء مع خالها ولا تعلم أنها ابنة الثرى من زواج سرى . ويكتب الثرى ثروته الكبيرة لابنته ويموت فتسافر إلى القاهرة لتسم ميراثها . لكن زوجة الأب تتأمر مع عشيقها للاستيلاء على الثروة بالحجر عليها . وبمرور الأيام تبدأ علاقة حب بينها وبين شقيق الزوجة الذي يعترف أمام المحكمة بتفاصيل المؤامرة فترفض دعوى الحجر ، وتعود الفتاة إلى العزبة لتوزع الأراضي على الفلاحين !! (لمجرد أن

الفيلم تم إنتاجه في الفترة التي كانت فيها حمى تحديد الملكية والإصلاح الزراعي تجتاح مصر بعد قيام ثورة ١٩٥٢) !!!

في عام ١٩٥٨ أخرج يوسف معلوف فيلم "الست نواعم" الذي تقع فيه الراقصة نواعم في عدة مشاكل وخلافات مع زوجها فيطلقها ، ثم يبحث عن محل لإعادتها لعصمته ، ويشرط أن يكون مريضاً وعلى وشك الموت . ويجري لخادمة نواعم عملية جراحية ، تصبح بعدها رجلاً !! وتتكرر في دور الرجل الكهل ، وتتزوج من نواعم . وينتظر الزوج وفاة المحلل دون جدوى إذ تحسن صحته ويشعر بحب جارف نحو نواعم . ويقرر عدم طلاقها والاحتفاظ بها ، بل ويتخلى عن الماكياج الذي يظهره عجوزاً ، ويذهب لمقابلتها على أنه ابن زوجها . وتطعم الراقصة في ثرائه لكنه يصارحها في النهاية بأنه زوجها ، ففترضى به بعد أن تطرد زوجها السابق .

في عام ١٩٥٩ أخرج محمد كامل حسن فيلم "الحب الأخير" وفيه تقدم سميرة كل مساعدة ممكنة لجمعية الطفولة ، لكنها تقع في غرام على ، مدير الجمعية برغم علمها بأنه متزوج وله أولاد . وينتمadian في علاقتها فيتزوجها سراً . وتذهب سميرة إلى الزوجة وتعترف لها بكل شيء . وعندما تنجو سميرة طفلاً تموت ، فتقوم الزوجة بتربيه طفل الزوجة الثانية .

في عام أخرج نيازي مصطفى فيلم "جوز مراتي" الذي تتزوج الفتاة المدللة ليلي فيه من ابن خالتها أحمد الشاب العاطل المتردد على البارات والنوادي . وتنكشف خيانته لها مع صديقة لها . وعندما يطلقها ثلاثة مرات ، يلجا أبوها إلى حسن السمكري ليكون محلأً لابنته مقابل مبلغ من المال . وفي اليوم المحدد للطلاق ، يصل عم الفتاة الشيخ عبد السميع فيظن أن حسن هو الزوج أحمد ، فيعجب به وبأخلاقه . ويضطر والد ليلي إلى إخفاء الحقيقة عن أخيه الذي يعارض فكرة الطلاق . ويقيم حسن مع أسرة ليلي فيعجب بها ، ويتعلق بها ، ويرفض أن

يطلقها ، لكنها تلح ، فيقبل ويحرر له الأب شيئاً ، يرفضه حسن في الحال لأنه لا يطمع في ماله بل يوقع قسم الطلاق بلا مقابل . وتقدر ليلي شهامته وقناعته ، فتلحق به ، وتعذر له ، وتبوح له بحبها ، وتعود الحياة مرة ثانية بينهما .

في عام ١٩٧٢ ألف سعد عرفة وأخرج فيلم "بيت من رمال" الذي يقع فيه عصام الشاب الذي لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره في حب أمينة التي تصغره بعام ، ويهربان إلى الإسكندرية ويتزوجان زواجاً عرفيًا بعد أن يرفض الأهل زواجهما لصغر سنهم . وفي أثناء وجود أمينة على الشاطئ ، تشاهد مجموعة من الناس ، تقترب منها ، فتظن أنهم أفراد أسرتها جاءوا لعقابها . وتتراجع إلى الخلف لتقع في البحر وتغرق !!! ويتضح أن المجموعة كانت تتكون من المأذون ورجال الشرطة الذين جاءوا ليمعنوا زواجهما غير الشرعي !!!

في عام ١٩٧٧ أخرج حسن الصيفي فيلم "الزوج المحترم" الذي تعانى فيه نعيمة من غيره زوجها عليها لدرجة أنه يحبسها بالمنزل ويعطل التليفون . لكنها تتمكن من استدعاء العامل حنفى لإصلاح الجهاز في نفس الوقت الذي يصل فيه الزوج فيظن أنها تخونه فيطلقها . وعندما يتأكد من براعتها ، يقرر أن يعيدها إلى عصمتها ، ويتفق مع حنفى على أن يكون الم محل . وبنمو الحب بين نعيمة وحنفى ويرفضان الطلاق مما يثير غضب المعلم ، في حين تتجه زوجته الأولى في إقناعه بالاكتفاء بها وترك نعيمة مع من تحب .

في عام ١٩٧٨ أخرج أحمد السباعوى فيلم "حساب السنين" الذي يحاول فيه نشأت إقناع نادية بالتخليص من الجنين لأنهما متزوجان زواجاً عرفيًا ، إذ أنها شقيقة عباس العامل في مصنعه . وترفض نادية فيطلقها . ويقود عباس مظاهره عمالية ضد نشأت لظلمه وجبروته ، فيلتفق له نشأت تهمة يدخل بسببها السجن ، إلا أنه يهرب ويتعارك مع نشأت في وجود علاء الذي يصاب برصاصة قاتلة . وعندما يرفض نشأت الاعتراف بابنه بعد وفاة نادية ، يقتلها عباس .

فى عام ١٩٧٩ أخرج حسن الإمام فيلم "سلطانة الطرب" الذى يتزوج فيه محسن ابن مدحت باشا بالفلاحة الفقيرة زكية زواجاً عرفيًا . ويموت فى حادث بعد أن تلد زكية طفلتها . ويأمر الباشا بالخلص من الطفلة لكن الشغال شلبى يعهد بها لأحد أصدقائه ليرببها ثم يبعدها لزوجة الباشا . وتحترف زكية الغناء وتشهر وتتغير اسمها إلى منيرة المهدية ، وتصبح من أشهر مطربات عصرها . ويتزداد عليها الوزراء وال بشوات ومن بينهم مدحت باشا الذى يندم عما فعله فى زكية ، فيذهب إليها ومعه ابنته لتبarak زواجها من الشاب الوطنى إبراهيم .

فى عام ١٩٨٣ أخرج أحمد يحيى فيلم "داد الغازية" الذى يعجب فيه ضابط الشرطة حسن بالغازية وداد ويتقان على الزواج . لكن أفندينا يلفق تهمة قتل لحسن ، ويعرض على وداد أن تستسلم له مقابل أن يفرج عنه فتوافق . لكن خالتها ناعسة تعرف لأفندينا أن وداد محرمة عليه لأنها أخته ، إذ إن أباه تزوج خادمته حسنة زواجاً عرفيًا وهى تلد وداد . يقوم عبد البديع بقتل ناعسة بأمر أفندينا . وتضغط عليه وداد ، فيعترف بجريمته وبراءة حسن الذى يفرج عنه . وتهدد وداد أفندينا بالمسدس ، فيبوح لها بحقيقة علاقتهما لكنه يغافلها ويقتلها .

وفى عام ١٩٨٤ أخرج حسن الصيفى فيلمين "أنا اللي أستاهل" ، و "حادى بادى" . فى الفيلم الأول يختار إلهام وصلاح السياس الأبله جمعة ليكون محلًا حتى يتمكن صلاح من إعادة إلهام لعصمنه ، ويتقان معه أن يطلق إلهام فى اليوم资料 . لكن جمعة يرفض الطلاق لأنه يسعى الإنقاذ ممتلكات إلهام من الأطماع والضياع ، وإقناع صلاح أن يكف عن لعب القمار ، وبعد أن يصلح أحوالهما يطلقها ليعيدها صلاح إلى عصمنه . وفي الفيلم الثانى يعود الدكتور صابر من الخارج بعد إتمام دراسته وترافقه زوجته الدكتورة ليلى التى يتفق معها على إخفاء زواجهما على أسرته ، فهو يتفق مع عمه خضر على زواجه من ابنته صبيحة خوفاً على صحته !! والفيلم بعد ذلك سmk ، لبن ، تمر هندى !!!

وشهد عام ١٩٨٥ أربعة أفلام " أيام في الحلال " لحسين كمال ، و " الحلال يكسب " لأحمد السبعاوي ، و زوج تحت الطلب " لعادل صادق ، و " السيد قشطة " لإبراهيم عفيفي .

في فيلم " أيام في الحلال " يتزوج رجل الأعمال مجدى من سميحة بعد طلاقها من مدحت ، ويطلب من أسرتها أن يتكتموا الأمر حفاظاً على كيان أسرته . وعندما أدرك أن زوجته وابنته تعرفان ، جعل سميحة تقيم في شقتها بلندن على أن يسافر إليها شهرياً . وبمرور الوقت لا تتحمل سميحة هذا الوضع مع مجدى ، كما أنها لا تريد أن تسبب له مشاكل فتسحب من حياته .

في فيلم " الحلال يكسب " يشرف الدكتور فؤاد على رعاية شمس بعد إجرائه لها عملية في القلب . وتعترف له برغبتها في الزواج منه ، لكنه يخشى الاعتراف لها بخطبته لنرجس خوفاً عليها من الانفعال !! يتزوجان بعد أن يقنع خطيبته نرجس بأنه عمل إنساني !!! ثم يتزوج نرجس وتقيم معه في منزل شمس على أنها أخته ، لكنها تضيق بحياتها وتطلب الطلاق ، فيعترف فؤاد لشمس بالحقيقة . ويفقق ثلثتهم على العيش معاً في نفس الشقة .

في فيلم " زوج تحت الطلب " يعود المحلل بوجهه المعلم المستهلك في شخصية ممدوح الموظف البسيط بعد أن قرر الثرى نعيم الزواج مرة أخرى من مطلقته ناهد التي تلقن نعيم درساً فتتفق مع ممدوح على الاختفاء على أن تحدد هي موعد الطلاق . وينهش القلق نعيم لأنه كتب كل ممتلكاته باسم ناهد !! وبمرور الوقت ينمو الحب بين ناهد وممدوح ويقرران الاستمرار في زواجهما وخاصة أنها حامل ، كما تعيد لنعيم كل ممتلكاته .

في فيلم " سيد قشطة " لا يزال المحلل يفرض شخصيته المعلنة وفي نفس العام (١٩٨٥) ، وذلك من خلال الطالب الجامعي أحمد الذي يعمل في محل عطارة السيد قشطة المتزوج من جمالات حبيبة أحمد ، بالإضافة إلى زوجته الأولى

شكريه العاشر . وترداد الخلافات بين قشطة وجمالات فيطلقها للمرة الثالثة وتسوء حالته ، فتشترط أن يكتب الفيلا باسمها وأن يطلق شكريه . فيوافق ويختار أحمد ليكون محللاً ، لكنه يندم على تطليقه لشكريه ، ويقرر أن يعيدها لكنها تتزوج من آخر .

في عام ١٩٨٦ أخرج عاطف الطيب فيلم " الحب فوق هضبة الهرم " الذي تتم فيه خطبة رجاء على زميلها في الشركة على الذي يفشل في الحصول على عقد في إحدى الدول العربية . ويفقد الأمل في تحسن ظروفه مع استحالة حل المشكلة السكانية . ويتزوجان ويخفيان الأمر عن أسرتيهما . وعندما يفشلان في العثور على المكان المناسب للالقاء يذهبان إلى هضبة الهرم حيث يقبض عليهما بتهمة ارتكاب فعل فاضح في الطريق العام . وعندما يحكم عليهما بالسجن ، يطالبان بإقامتهما في زنزانة واحدة لممارسة حقهما في الحياة الزوجية . فلم تعد القضية هي مشكلة الزوج الذي يتزوج سراً للمرة الثانية ، خوفاً من زوجته الأولى التي لا تزال على ذمته ، وإنما تحولت إلى مأساة العريسين اللذين لا يستطيعان إعلان زواجهما لاستحالة العثور على منزل للزوجية ، وعندما يمارسان حقهما الطبيعي يقبض عليهما مثل مجرمين تعديا على القانون .

ولا يزال مسلسل الزواج العرفي أو السرى مستمراً ، ففى عام ١٩٨٧ أخرج يوسف إبراهيم فيلم " ده معقول " الذى تورط فيه ليلي مع الثرى سامي ويتزوجها زواجاً عرفيًّا . وعندما تضع مولودتها ، يطلب من صديقه خلاف التخلص من الرضيع ، ويدعى ليلي أنها ماتت ويمزق عقد الزواج ، وتعمل ليلي فى مصنع الثرى عبد الرحمن الذى يتزوجها برغم اعترافها له بماضيها !! وعندما يخسر سامي ثروته ، يندم على تصرفاته ، ويصارح خلاف ليلي بمكان ابنتها .

ويتكرر نفس العنصر النمطى المملى فى فيلم " لست قاتلاً " الذى أخرجه عبد الهادى طه عام ١٩٨٩ ، والذى تتزوج فيه أم زواجاً عرفيًّا من تاجر المخدرات

خالد البسيوني لاحتها للمال ، فهو يرفض الزواج الشرعي منها بعد أن تكتشف أنها حامل . لكنها تتعرف على المحامي الكبير كمال الذي يقرر مساعدتها ، في حين يرفض خالد الاعتراف بابنه حمادة منها ، ثم يموت خالد بعد تناوله جرعة من المخدر . وهكذا تدخل الأحداث في التيار الشهير باسم : سمك ، لين ، تمر هندى !!

في عام ١٩٩٠ أخرج حسام الدين مصطفى فيلم " الملك لله " الذي تفاجأ فيه الأرملة وفية بأن عليها تسديد مبلغ من المال ، وفاء لدين زوجها للبنك . ويعرض أدهم الزواج على ابنتها فرحة مقابل تسديد المبلغ فتوافق ، على أساس أن يكون زواجهما سراً . ويموت أدهم ويصدم ابناه محمود وسعيد بأمر زواجه ، وينتظر المحامي لحين ولادة فرحة لتحديد تقسيم الميراث . ويتفق الأخان مع الداية على خنق المولود مقابل رشوة ، وتجح في مهمتها . لكن الصدفة العجيبة سرعان ما تنتقم من المجرمين ، إذ يلقى الأخان ومعهما الداية مصرعهم في حادث بسيارتهم !! في حين تحدث صدفة أشد سخفاً من الصدفة السابقة ، وتمثل في ظهور توأم للمولود المخنوق !! (في حين يقول الطب أن التوأم يخرج للحياة بعد أخيه بدقائق معدودات ، وليس بعد أن تغادر الداية مسرح العمليات ، وتركب سيارة مع الآخرين المتآمرين ، وتطلق بهم إلى أن يقع حادث يودي بحياتهم جميعاً ، ثم بعد كل هذا ، يخرج التوأم الآخر إلى الحياة !! وذلك حتى ينتصر الخير هذا الانتصار الفج الساذج !!)

وفي العام التالي (١٩٩١) جاء مخرج جديد يفترض فيه أنه يبحث عن آفاق ورؤى جديدة ، لكنه تطرف عن سابقيه من تناولوا قضية الزواج العرفي ظناً منه أنه يلعب على المضمون الرايح تجاريًّا ، فجعل عنوان فيلمه " جواز عرفي " ، ومضمونه صورة مكررة وشائهة من الأفلام السابقة . ولذلك ظهر اسم سمير حافظ مع هذا الفيلم وبعد ذلك لم نر له فيلماً آخر ، بل ولم نسمع عنه أى خبر ، مما يدل على أن طاقة الجمهور في احتمال التكرار والملل لها حدود لا يمكن تجاوزها .

ففي هذا الفيلم يعجب رجل الأعمال عزمى بالخادمة سهير ويتزوجها زواجاً عرفيًا . وعندما تثور عليه زوجته ، يتذكر لسهير برغم أنها حامل . ويختفى عقد الزواج العرفي مع سائقه رياض . وعندما تتجبه سهير طفلها ، يرفض عزمى الاعتراف به ، فتلجا سهير إلى القضاء . لكن السائق يتوفى !!! فتتعقد القضية ، ويرفض القضاء دعوى سهير لأنها لا تملك أى دليل أو مستند فتهاه !!!

• • • •

لكن صورة السينما المصرية الرائدة في العالم العربي والشرق الأوسط بأسره ، ليست بهذه القاتمة ، إذ أنها عرفت عبر مسيرتها الطويلة سلسلة من الأفلام غير النمطية التي تشكل علامات مضيئة بل وساطعة على طريقها . وإذا كانت هذه الدراسة بمثابة رصد وتحليل نقدى للمضمون الفكرى في السينما المصرية ، فهذا يرجع إلى قدرتها على تصحیح مسيرتها بين الحين والآخر ، واستيعابها لكل الجهود النقدية الحريرية على تعميق مسيرتها وتطویرها وليس مجرد استمرارها . فهى ليست سينما وليدة وحشة ، يخشى عليها من معالج النقد التي يمكن أن تتحول إلى معالج لهمها ، بل هي سينما وطيدة وراسخة وقدرة على الاستفادة من كل التوجهات النقدية . ولذلك فإن أية محاولة لاستغلال هذه الدراسة في ضرب السينما المصرية والإقلال من شأنها ودورها الريادي ، مصيرها الفشل المحتم . فالقوى لا يخاف من كشف سلبياته سواء أمام نفسه أو أمام الآخرين ، وذلك كى يتخلص منها ، طلباً للمزيد من الإيجابيات والإنجازات الجديدة ، أما الآخرون الذين يدارون سلبياتهم حتى يظهروا بمظهر الرواد الكبار ، فإن تاريخهم القصير في الإنتاج السينمائى ، وأعمالهم المتناثرة التي لم تترك بصمات واضحة على مسيرة السينما العربية ، فكفيلاً بفضح ادعاءاتهم الجوفاء . أما معلم الطريق التي شقتها السينما العربية فتتمثل في الأفلام المصرية غير النمطية التي نتناولها بالتحليل في الفصل الأخير من هذه الدراسة .



سنة ١٩٣٧

نشيد الأمل



سنة ١٩٦٣

اخراج / حسام الدين مصطفى

أدهم الشرقاوى



صور متنوعة إخراج / أشرف فهمي ، محمد عبد العزيز ، مذكور ثابت سنة ١٩٧٢



الجبل إخراج / خليل شوقي سنة ١٩٦٥

الفصل السابع عشر

أفلام غير نمطية

برغم العناصر النمطية التي سيطرت على السينما العربية منذ بدايتها حتى الآن والتي حاولنا رصدها وتحليلها في الفصول السابقة ، فإن السينما المصرية - للحقيقة والتاريخ - كانت تملك من قوى الدفع والحيوية والتجدد ما جعلها تقدم أفلاما غير نمطية وتشكل علامات مضيئة على مسيرتها التي أوشكت على إتمام قرن كامل من عمرها ، وإضافات إيجابية وآفاقا جديدة للفن السينمائي بصفة عامة .

والمفارقة العجيبة الجديرة بالتسجيل أنه كلما اقتربت السينما من المجتمع المصري وقضايا الإنسانية ابتعدت عن النمطية التي تجبرها على اجترار أفلام سابقة سواء على مستوى المضمون الفكري أو الشكل الفنى . ذلك أن المجتمع المصري بكل حيويته وتناقضاته ومفارقاته يشكل نبضا لا يتوقف ونبعا لا ينضب من التيمات والمضامين والرؤى القادرة على تجديد الدماء السينمائية ، وإخراجها من الطرق المسودة والدوائر المفرغة والمتاهات الجانبية التي غالبا ما تأتي نتيجة طبيعية لعناصر النمطية والتكرار والاجترار والقوالب الجاهزة والمواضيعات المستهلكة ، ولذلك سنلاحظ في هذا الفصل أن أكبر نسبة من الأفلام غير النمطية ، كانت من الأفلام التي تفاعلت تفاعلا حميا مع التيارات الساخنة والمتجدة للمجتمع المصري .

وبالرغم محلية هذه القضايا الاجتماعية والانسانية فإنها لاقت صدى ملحوظاً ومرموماً عند عرض هذه الأفلام خارج مصر والمنطقة العربية سواء في المهرجانات أو أسابيع الأفلام المصرية أو السوق التجارية العالمية. وينطبق هذا أيضاً على الأفلام التي أخذت عن أعمال أدبية لكتاب كانت هموم مجتمعهم وقضاياهم وصراعاته الخفية والظاهرة تؤرّقهم. ونظراً لأن المجتمع المصري بطبيعته الحضارية وموقعه الجغرافي، وتنوعه التراثي، لا يمكن أن يتوقع في قوالب النمطية، فإن الأفلام التي افتتحت عليه وتفاعل معه وبلورته كانت أبعد ما تكون عن النمطية التي نتجت في كثير من الأحيان عن محاكاة الفيلم الأمريكي على وجه الخصوص. أى أنها نمطية أمريكية باهتة ومشوّشة أكثر منها نمطية مصرية أصيلة وراسخة. ولم تفلح معظم محاولات الاقتباس والتمثيل في القضاء على الروح الأجنبية والغربية الكامنة وراء الواجهات المصرية.

وقد أثبتت هذه الأفلام غير النمطية أن الطريق إلى العالمية لابد أن يبدأ بالمحليّة . أما ادعاء العالمية منذ البداية فمن شأنه أن يؤدي إلى مسوخ مشوهة لابد أن تسقط في الفجوة السحيقة التي تفصل بين المحليّة والعالميّة . ولذلك فإن كل سينما لابد أن تتبّع إلى بلدّها : سينما مصرية أو أمريكية أو إيطالية أو فرنسيّة أو إنجليزية أو يابانية ... الخ ، فإذا ما انسلخت السينما من هويتها القوميّة والمحليّة فإنها تفقد شرعيتها الفكرية والفنية لأنّها ستُصبح حينئذ سينما لقيطة ، يتّكر لها أبوها الأمريكي أو الأجنبي بصفّ عامة ، ولا يتّقبلها مجتمعها الذي لا يرحب بأبناء السفاح بصفّة خاصة .

وبحكم أن الشكل لا ينفصل عن المضمون في أي عمل فني بل بما في حقيقتهما كيان عضوي واحد ، فإن التخلص من نمطية المضمون لابد أن يؤدي إلى التخلص من نمطية الشكل . ذلك أن آفاق الفكر السينمائي المتجدد لابد أن تلهم الفنانين القائمين على إبداع الفيلم بأدوات وأساليب فنية مبتكرة . وهو ما ينطبق على

كل مراحل الإنتاج ابتداء بالقصة والسيناريو والحوار ومروراً بالإخراج والتمثيل والتصوير وهندسة المناظر ، وانتهاء بالمونتاج وإعداد الفيلم للعرض .

وإذا كانت السينما المصرية قد احتملت هذه الأعباء والانتقال والقيود النمطية التي كثيرة ما كانت تؤذن بدخولها في دوائر مفرغة طوال ما يربو على ثلاثة أرباع القرن ، فإنها استطاعت أيضاً أن تواصل مسيرتها الرائدة بل وأن تنتج أفلاماً غير نمطية سجلتها الموسوعات السينمائية العالمية وكان لها صدى رائع عند الدول القائدة للسينما العالمية ابتداء بفيلم "العزيمة" عام ١٩٣٩ لكمال سليم ، وانتهاء بفيلم "المصير" عام ١٩٩٧ ليوسف شاهين . وبين هذا الفيلم وذاك تألفت أفلام غير نمطية عديدة كانت بمثابة علامات مضيئة وساطعة على معلم الطريق التي شقتها السينما المصرية ، واستطاعت بها أن تضع العالم العربي بأسره على خريطة السينما العالمية .

في عام ١٩٣٠ أخرج محمد كريم رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل كفيلم صامت ثم أعاد إخراجه عام ١٩٥٢ ولم يخرج في الفيلم الثاني الناطق على البناء الأساسي للرواية الرومانسية التي تدور حول زينب الفتاة الريفية التي تحب الخولى إبراهيم لكن أباها يزوجها من الثرى حسن . وعندما يذهب إبراهيم لتأدية الخدمة العسكرية وتعانى زينب من فراق حبها إبراهيم ، وينال منها الحزن فتمرض وتلازم الفراش . وبنفس الروح الرومانسية المسرفة في العاطفية يتالم إبراهيم أيضاً من هذا الفراق وفي النهاية تموت زينب على فراشها وهي تحضر منديل إبراهيم في يدها . وقد نجح محمد كريم في الربط الموجى والعضوى بين معانى الجمال والصفاء التي تجسدت في شخصية زينب .

وعندما عرض فيلم "زينب" في المهرجان السينمائى الدولى فى برلين عام ١٩٥٢ لاقى ترحيباً وإقبالاً حماسياً من المسؤولين عن المهرجان أو النقاد الألمان على حد سواء . فقد أرسل الدكتور باور رئيس بلدة برلين وكذلك رئيس اللجنة

المشرفة على المهرجان خطاب شكر وتقدير لجبرائيل نحاس منتج الفيلم قال فيه :

" انتهز هذه الفرصة لأشكركم باسم اللجنة المشرفة على المهرجان ، على الفضل الذى أسبغتموه على مهرجاننا بعرضكم فيلم " زينب " ولقد لمستم بنفسكم كيف استقبلت الصحافة واستقبل الجمهور " زينب " بإعجاب كبير . والنتيجة الرسمية حسب قرار اللجنة النهائى كالتالى :

٤٠,٩ ممتاز

٣٨,٤ جيد

المجموع ٧٩,١٣ صوتا إيجابيا وهذا معناه نجاح الفيلم نجاحا جديرا بالتسجيل .

وإنى أرى أن المساهمة المصرية فى هذا المهرجان ستستفيد منها العلاقات السينمائية بين بلدنا فائدة قصوى وإننا بمجرد انتهاء المهرجان ، سلمنا الدبلومات والميداليات إلى السيدة راقية إبراهيم نظير المساهمة المصرية فى مهرجاننا ونأمل أن تكون قد وصلتكم وأن تقع لديكم هذه الذكرى موقعا طيبا .

ومع أملنا فى اشتراك مؤسستكم فى المهرجان资料 فى برلين لسنة ١٩٥٣ أرجو يا سيدى أن تقبلوا أصدق عواطفى "

الامضاء (الدكتور باور)

وكان الدكتور تيورتيوس مدير إدارة المعارف ببرلين " قسم الفنون " قد أرسل خطابا إلى النجمة راقية إبراهيم قال فيه :

" إلى السيدة راقية إبراهيم

أوتيل توسكولوم - برلين

سيدي ..

أرى لزاما على قبل أن تغادرى برلين أن أقدم لك شكرى الجزيل للمرة الثانية لمساهمتك فى مؤتمرنا السينمائى الدولى بعرض فيلمك " زينب " الذى نال

إعجاب الجمهور الألماني وفاز بنجاح عظيم . فإن فيلمك الرائع يعتبر حدثا فنيا ناجحا في سبيل توثيق الروابط الثقافية التي تجمع بين بلدينا .
وتنصلى يا سيدتي بقبول فائق احترامى وإخلاصى "

الإمضاء

(بروفيسير دكتور تيبورتنيوس)

وكان الناقد الألماني الشهير فالتر كاول قد كتب في جريدة " دير كورير " في أثناء مهرجان برلين السينمائي :

" وكان جميع الناس ينتظرون بفارغ صبر عرض أول فيلم مصرى في ألمانيا - زينب - وكانت تجربة حازت رضاعنا وشجعت آمالنا . وموضوع الفيلم بسيط وواضح ومؤثر . وتبلغ الذروة فيه عند النهاية .

" وكانت للعادات والتقاليد نصيب الأسد في هذا الفيلم الجميل .

ولكن واقعية تمثيل الفنانين المصريين تخرج من حيز التسجيل حتى تصل إلى شاعرية حقيقة . وكانت المناظر الغرامية المدهشة الطاهرة مما ذكرنى بأمثال التوراة القديمة أو بالأشعار الرائعة الخالدة لقصة ألف ليلة وليلة .

" إن راقية إبراهيم ويحيى شاهين قاما بتمثيل دور الحبيبين بمهارة ورقة أثرت في تأثيرا عميقا .

" إن المخرج محمد كريم .. يبدو أنه لم يتلفه الخليط المشوش الذي يسود الإخراج في العالم الآن .. فإنه أخرج فيلم " زينب " ، فجاء لحنا واضحا دققا بدون ملل ، وعرف كيف يقدمه بفن رفيع ، إنه لا يستجدى العواطف ولا يطيل في المؤثرات .

وقد صفق الجمهور في برلين لهذا الفيلم الإنساني وصفق بحرارة للنجمة راقية إبراهيم . وقد شكرتهم بكل ود ووفاء .

وكان الفيلم الصامت الذى أخرجه محمد كريم عام ١٩٣٠ عن نفس القصة " زينب " وقامت ببطولته بهيجه حافظ ، وسراج منير ، وزكى رستم ، ودولت أبيض ، قد نال استحسانا كبيرا من الجمهور المصرى وغير المصرى الذى شاهده واعتبره فاتحة لمستقبل مشرق للسينما المصرية .

وفي عام ١٩٣٨ ألف يوسف وهبى وأخرج فيلم " ساعة التنفيذ " الذى ينتهى نهاية غير تقليدية وغير نمطية على الإطلاق ، برغم ارتباط الميلودراما النمطية باسمه سواء فى التأليف أو الأداء . فقد اعتادت السينما المصرية أن تجعل الغلبة فى نهاية الفيلم للقيم الأخلاقية السائدة حتى لو لم تكن مبررة دراميا فى شايا الأحداث ؛ لكن يوسف وهبى فى هذا الفيلم أوضح أن الطبيعة البشرية الجامحة يمكن أن تسود على القيم الأخلاقية . ففى الفيلم يعود رعوف من أوروبا ويفاجأ بأن خطيبته سامية قد تزوجت الثرى فؤاد بك ، لكنها لا تزال تحبه فيبادلها الحب . وتنمو الصدقة بين رعوف وفؤاد الذى يثق فيه كثيرا . وعلى الرغم من هذا الغرام الملتهب وإنجابها لطفلين فإن الزوج المخدوع يظل جاهلا للحقيقة . وعندما تكتشف الخادمة السر ، يستيقظ ضمير رعوف ويقرر قطع صلته بسامية لكنها تتصل به ، وإذا به يضعف مرة أخرى ويعاودان علاقتهما .

وفي عام ١٩٣٩ ألف كمال سليم وأخرج فيلم " العزيمة " الذى يعد علامة بارزة فى تاريخ السينما المصرية والعالمية ، لدرجة أن الرائد السينمائى资料 french الكبير جورج سادول اعتبره فى كتابه " تاريخ الفن السينمائى " ضمن أحسن مائة فيلم أنتجتها السينما العالمية ، وذلك بعد أن شاهده فى أثناء زيارته للقاهرة عام ١٩٦٤ . وهذا يرجع إلى تمكن كمال سليم من اللغة السينمائية ، وإيمانه بأن الفكر السينمائى يمكن أن يجب تأثير أي فكر آخر فى فنون أخرى ، من حيث قدرته على الانتشار الجماهيرى الواسع والمتعدد . فلم يكن يعبر بالكاميرا عن فكر غيره ، وإنما كان مفكرا وفنانا سينمائيا بمعنى الكلمة ، يرى فى الفيلم وحدة عضوية ،

بوئقة تتصهر فيها الفكرة والمعالجة السينمائية وكتابة السيناريو ، ثم التقطيع والديكوباج والتصوير والديكور والأزياء والمكياج والموسيقى ، وأخيرا يأتى المونتاج بصفته الكلمة الأخيرة فى بناء الفيلم .

ففى فيلم " العزيمة " يتخرج محمد ابن حلاق الحارة الأوسطى حنفى من الجامعة وعندما لا يوفق فى وظيفة حكومية يبدأ حياته بممارسة العمل الحر ، ويتفق مع عدنى زميل دراسته على افتتاح مكتب استيراد وتصدير ويبارك أبو على الفكرة لكنه عندما يسافر إلى الخارج ثم يعود يجد أن عدنى قد بدد المال الخاص بالمشروع ، فيطرده من المنزل . ويتزوج محمد من فاطمة برغم طمع العتر الجزار فيها . لكن محمد يفصل من الشركة لجريمة هو بريء منها ، فيعمل بأحد المتاجر ليواجه أعباء معيشة أسرته دون أن يخبر زوجته ، فيبلغ الجزار زوجته بأن محمد خدعها ، فتطلب الطلاق . عندئذ يتقدم المعلم العتر للزواج منها . وعندما يكتشف مدير الشركة براءة محمد يعيده لعمله . ويلتقي عدنى ويعيد إحياء المشروع كما تعلم فاطمة بالحقيقة ، فيسعى محمد لإعادتها لعصمته برغم إعلان زواجهما من المعلم العتر وينجح فى ذلك لأن المدة القانونية لم تنته بعد ، ويلتتم شمل الزوجين مرة أخرى .

ولعل من أسباب خلود فيلم " العزيمة " فى الوجدان المصرى واقعيته المصرية الصميمية النابعة من صعيم المجتمع المعاصر فوجد فيه الجمهور سماته وملامحه وعاداته وتقاليده ، ومشاكله وآلامه وأماله وأفراحه وأحزانه . فقد جسد الجو الشعبى الأصيل ممثلا بصفة خاصة فى الحارة المصرية ، وشخصيات الفران ، والحلق ، والجازار ، والحانوتى ، والإسكافى ، والحداد ، والموظف الصغير ، وبنت البلد وغيرهم من أبناء المجتمع ، وأساليب حياتهم وتقاليدهم فى الأعياد والمواسم وليالى رمضان والموالد والاحتفال بالزواج ، ووقفهم يدا واحدة وقلبا واحدا فى الملمات والأزمات ، وبلورة مشاكل الشباب فى الثلاثينيات ،

ومواقف الحب والكفاح والطموح ، وتحليل النفس البشرية بأسلوب زاخر بالتهكم والسخرية اللاذعة التي تدفع إلى التأمل والتفكير والتجاوب الحميم .

وكان كمال سليم يؤمن بأن الحس القومى والوطنى والمحلى والاجتماعى لدى الفنان هو بوصاته التى تهديه سواء السبيل ، وكلما كان ارتباط الفنان حميمًا بمجتمعه ، كان ارتباط المجتمع به بنفس الدرجة من الحميمية . فقد كان المدير الفنى لاستديو مصر هو المخرج الألمانى فريتز كرامب الذى أراد أن يتدخل فى أسلوب إخراج كمال سليم لفيلم " العزيمة " لكنه أوقفه عند حده خاصة بعد أن سبق له أن نهى زميله أحمد بدرخان عن إخراج فيلم " وداد " وقام هو بإخراجه بدلا منه . فقد صارحه بمنتهى الوضوح أن فيلم " العزيمة " فيلم مصرى لحما ودما ، فهو يصور البيئة المصرية الصحيحة فى جو بعيد عن نوق وإحساس رجل ألمانى مثله . بحيث لا يستطيع أحد أن يقوم بتنفيذ سوى مخرج مصرى صميم .

من هذه الأفلام المصرية الصميمية كان فيلم " عاصفة على الريف " الذى أخرج وكتب السيناريو له أحمد بدرخان عام ١٩٤١ عن قصة ليوسف وهبى وحوار لبديع خيرى ، وفيه تجسيد الصراع بين العلم والوعى وبين الدجل والشعوذة ، أو بين مفترش الصحة وحلاق الصحة . فالدكتور أشرف يعمل فى الريف كمفترش صحة ، ويشكل عمله عقبة عاتية فى وجه حلاق الصحة ، وبالتالي أوجد عداء بينه وبين العمدة والطارى وكل رموز الجهل والدجل والشعوذة . ولم يكن أمامه إلا أن يحارب هذه العادات المنتشرة بكثرة فى الريف المصرى ، وأن يستخدم كافة الوسائل العلمية والإنسانية . وفي النهاية ينتصر عليهم بعد أن ثبت علميا لأهالى القرية قدرة العلم على تخلصهم من وباء الطاعون . وهو نفس المضمون المصرى الصميم الذى قدمه بعد ذلك توفيق صالح فى فيلم " صراع الأبطال " ١٩٦٢ .

وفي عام ١٩٤٥ قدم كامل التمسانى من تأليفه وإخراجه فيلم "السوق السوداء" الذى صور فيه الحياة الاجتماعية فى أحد أحياء القاهرة الشعبية خلال الحرب العالمية الثانية وبلور فيه استغلال تجار الحى لظروف الحرب وإخفائهم للمواد التموينية ثم بيعها بأضعاف ثمنها فى السوق السوداء ، وصراع العمال والمتقين من أبناء الحى لفضح تجار السوق السوداء والقضاء عليهم . وليس هناك موضوع يهم الشعب أكثر من الذى يمس قوته اليومى .

وببدأ تيار الأفلام غير النمطية فى التدفق عام ١٩٤٦ الذى شهد ثلاثة أفلام : "النائب العام" أحمد كامل مرسى ، و"أرض النيل" لعبد الفتاح حسن ، و"لعبة الست" لولى الدين سامح .

فى فيلم "النائب العام" يعمل صراف بإحدى المصالح الحكومية ويضطر لأخذ مبلغ بسيط من الخزينة لشراء دواء عاجل لأمه المريضة فيتها بالاختلاس ويسجن عدة سنوات ويموت فى السجن . ويؤثر هذا الحكم القاسى فى نفسية أخيه الطالب الأزهرى فيهجر تعليمه الدينى ، وينتجه إلى دراسة القانون ليصبح بعد ذلك قاضيا يؤثر الرحمة فى أحكامه . وفي يوم ينظر قضية مقتل راقصة اتهم فيها شاب يعمل وكيل نيابة وهو ابن النائب العام ، وكان على علاقة بهذه الراقصة وعندما يدرك أن يد القانون توشك أن تطبق على رقبة المتهم يتحى عن نظر القضية ويتولى الدفاع بنفسه ، إيمانا منه بأن الرحمة فوق العدل .

فى فيلم "أرض النيل" تعاى قرية مصرية من الفقر والجهل والمرض ، بالإضافة إلى وجود مراب يمتص قوت أهل القرية بمن فيهم الرجل الثرى رجب باشا الذى لا يرضى ابنه فؤاد عن هذه الحالة فيحث الأهالى على التعاون فى سبيل الإصلاح والتصدى لانتهازية المرباوى . وتحج أولى محاولاته ، ويقبل الفلاحون على المساهمة فى مشروعه ويتحسن حال القرية مما يؤدى إلى نفمة المرباوى ، فيعمل على تدبير المؤامرات ضد فؤاد وذلك بحرق المخازن ونسبها إلى فلاح

مسكين ، يكشف براءة فؤاد ويساعدون البوليس فى القبض على المرابى الذى يسرع للفرار وهو يحاول إغراق القرية إلا أن فؤاد يتمكن من القبض عليه وتسليمها للبوليس . ويرغم أن الفيلم مقتبس عن قصة أندرىه فينيو ، فإن سيناريو عبد الفتاح حسن وحوار يوسف جوهر قد جعلا منه قطعة نابضة من الوجдан المصرى .

فى فيلم "لعبة الست" ييلور نجيب الريحانى شخصية المصرى بكل أبعادها وأعماقها من خلال أدائه المتميز لشخصية حسن الرجل الفقير ، الذكى ، اللماح ، الساخر ، خفيف الظل ، الذى يقابلها معظم المترججين فى معظم أرجاء مصر . فهو يعمل ساعيا فى محل إيزاك عنبر ويستأجر حجرة متواضعة فى منزل أم دعبس . وذات ليلة مثيرة فى أثناء غارة من غارات الحرب العالمية الثانية ، تطرق بابه فتاة هاربة من خطيبها المطروب بلايكا . وتنوطد العلاقة بينهما ويتزوجان . وتمر الأيام وتصبح زوجته نجمة سينمائية ، وترتبط على ثرى شامى ، ويعرض عليها الزواج معتقدا أنها لم تتزوج بعد ، وتطلب الطلاق من زوجها ويعلم الثرى فيسحب عرضه لأنه لا يريد أن يكون سببا فى خراب أسرة . ومع وصول روميل إلى العلمين يهاجر إيزاك ويتازل عن محله لحسن الذى يصبح فجأة من الأغنياء . وينتهى الصراع بينه وبين زوجته بعودتها مرة أخرى إليه بعد أن ذاقت مرارة الفشل وانحسار الأضواء عنها .

فى عام ١٩٤٨ أخرج أنور وجدى فيلم "عنبر" الذى يعتبر من الأفلام الاستعراضية الرائدة التى رسخت تقاليد الاستعراض فى السينما المصرية التى لم تستند منها كثيرا ولم تطورها فيما بعد . وعلى الرغم من سطوة العناصر النمطية التى لمسناها فى الفصول السابقة ، فإن جاذبية هذا الفيلم لم تشفع له بأن يصبح نمطا يحتذى ، وقد يكون السبب فى ذلك ارتفاع تكلفة الأفلام الاستعراضية مما جعلها لا تتحل مساحة كبيرة على خريطة السينما المصرية . فى فيلم "عنبر" تفقد عنبر أمها المغنية التى تزوجها

أبوها الثرى رغم معارضته أسرته . وعندما يمرض الأب ويصبح على شفا الموت ، تلف أسرته حوله طماعاً فى ميراثه فقد كان يضع أمواله ومجوهراته فى صندوق مدفون أسفل المنزل . ويأتى صاحب مسرح استعراضى لشراء ملابس أمها المغنية لاستخدامها فى استعراض وتطور الأحداث فيرتبط صاحب المسرح بعلاقة حب مع غير مما يدخله فى صراع مع أسرتها من أجل الحصول على ميراثها وفى النهاية تنجح فى الحصول عليه ويقبض البوليس عليهم .

وفي العام التالى (١٩٤٩) أخرج أنور وجدى الفيلم الشهير " غزل البنات " الذى كتب له السيناريو عن قصة لبدىع خيرى الذى اشتراك مع نجيب الريحانى فى كتابة حواره ، والfilm عبارة عن توليفة جذابة وخفيفة الظل من المواقف الكوميدية التى تسخر من الفوارق الطبقية ، والأغانى التى تجمع بين صوت ليلى مراد وموسيقى عبد الوهاب ، والاستعراضات التى تبدو طبيعية للغاية سواء فى قصر الباشا أو فى الكباريه ، والأحداث التى تجمعت وتفاقمت فى ليلة واحدة مما صعد من عوامل الإثارة . كل هذا من خلال الشخصية المصرية الصميمة التى عشق نجيب الريحانى تقديمها فى مسرحياته وأفلامه . وهى فى هذا الفيلم شخصية حمام المدرس الفقير الذى يعمل فى مدرسة خاصة . وتحت رحمة ناظرها الذى يطرده ، لكن الحظ يبتسم له فيصبح مدرساً خاصاً لابنة البasha ، التى يعجب بها فى صمت وهى بدورها تحب شاباً آخر . ويكتشف حمام أن حبيبها ليس إلا نصابة يطمع فى ثروتها فيحزرها منه . وفي أحد لقاءاتها بحبيبها يصطحبها حمام ويواجهه بحقيقةه بعد أن يستتجد بضابط طيار ليخلصها من هذا الأفق . ويدعى الضابط للحبيب الأفاق أنه ابن عمها وينقذها منه فى حين يعجب بها وتبادلها مشاعره مما يجعل حمام يدرك استحالة حبه لها . ولا شك أن فيلماً يجمع نجيب الريحانى وليلى مراد وأنور وجدى ويوفى وهبى ومحمد عبد الوهاب لابد أن يكون فيلماً غير نمطى .

فى عام ١٩٥٠ أخرج هنرى بركات فيلم " معلش يا زهر " الذى استطاع فيه أن يقدم قطاعا حيا ونابضا من القطاعات الكادحة المكافحة التى يزخر بها المجتمع المصرى ، وذلك من خلال شخصية صابر الموظف الذى يرزع تحت عبئ المتاعب المادية . وتشاء الأقدار أن يعين رئيس عمل جديد فى شركته ، ويتبين فيما بعد أنه كان على صداقة قديمة بزوجته وتتوطد علاقته بعائلته كما يربط الحب بين ابنة صابر وجاره ابن البقال . ويرفض صابر زواجهما لأنه يطمع فى تزويجها من موظف تأمينا لمستقبلها ، إلا أن الابنة وحبيبها يتزوجان دون علمه . وتشير علاقة صابر بالمدير حقد الموظفين فيشيرون عن وجود علاقة بينه وبين زوجته ليعكرروا صفو حياته ، لكنه يواجههم ويوقفهم عند حدهم ويندمون ويثور صابر على ابنته لكنه بعد حين يغير نظرته من العمل الحر ، ويستقيل من الشركة ويشارك البقال فى تجارته وتنسخ أعمالهما . إنه فيلم يؤكد قيمة العمل الحر فى فترة كانت فيها الوظيفة الحكومية حلم كل الشباب لأنها رمز للاستقرار والطمأنينة ب رغم عاندها غير المجزى فى أحابين كثيرة .

فى عام ١٩٥٢ أخرج صلاح أبو سيف فيلم " الأوستى حسن " الذى يصور شخصية الأوستى حسن العامل البسيط والفقير الذى يعمل فى ورشة حداده فى بولاق ويعيش حياة مستقرة مع زوجته وابنها الصغير . ويدهبا الأوستى حسن إلى الزمالك لتركيب باب حديدى فى قصر إحدى الغانيات الأرستقراطيات التى سرعان ما تجذبها فحولته كرجل فتوقه فى حباتها ، ويعجز الأوستى حسن عن مقاومة إغراء المال والجنس ، فيهجر بولاق ويقطع علاقته بهذا الحى وأسرته وأصدقائه . وبعد فترة تمل الغانية من معاشرته وتطرده من منزلها بعد أن أخذت منه كل ما كانت تريده بمالها فى حين يضيق زوجها المشلول بسلوكها ويعجز عن فعل أى شئ وهو يراها تتنقل من رجل لآخر . ويعود الأوستى حسن إلى عالمه فى بولاق وأسرته وأصدقائه نادما وطالبا منهم الصفح .

وكان من السمات التي تميز بعض الأفلام غير النمطية أنها تستوي مضمونها من حوادث وقعت بالفعل في المجتمع مثلاً فعل كمال الشيخ في فيلم "المنزل رقم ١٣" ١٩٥٢ ، وصلاح أبو سيف في فيلم "ريا وسكنة" ١٩٥٣ . في الفيلم الأول يعتمد المضمون على حادثة نشرت في الصحف عن طبيب نفسي يوحى لمريضه وصديقه شريف بأنه قتل رجلاً بعد أن ينومه مغناطيسياً ليتمكن مع راقصة من أن يستولى على مبلغ بوليصة التأمين لصالحها . وبعد قتله تكتشف أنه ينكر عليها المبلغ المؤمن به . ويتم القبض على شريف ليلة زفافه ، ويظهر في النهاية أن الدكتور هو الفاعل الحقيقي ، وكان قد شرع في قتل نادية خطيبة شريف بعد تويمها ، ويتم إنقاذها ، ويقبض عليه البوليس ، ويتم زفاف شريف ونادية .

وفي فيلم "ريا وسكنة" يتخذ صلاح أبو سيف ومعه نجيب محفوظ (سيناريو) و السيد بدير (حوار) من جرائم ريا وسكنة الحقيقة مضموناً للفيلم ، بحيث يجمع الفيلم بين المصداقية الواقعية والإثارة الفنية . فهو مأخوذ عن تحقيق صحفي كتبه لطفي عثمان عن ظاهرة الاختفاء المتكرر للنساء بالإسكندرية ، وهي الظاهرة التي يتبعها البوليس عندما يتولى الضابط أحمد التحقيق ، ويتمكن باسم دحروج ، ويتردد على خماره لكي يصل إلى وكر ريا وسكنة . ويكتشف أحمد أن الصانع عريضة هو المسئول عن تصريف الذهب الذي يتم الاستيلاء عليه ويلقي مصرعه . ثم يستدرج أمين الفتاة دلال إلى بيت ريا وسكنة ، كما يحضر لهما سعاد وشقيقها . ويتأزم الموقف تماماً أمام الضابط الذي يستطيع أن يسيطر عليه عندما يهرب شقيق سعاد ويلفه عن المكان بل ويرشهده إليه . عندها تهاصر الشرطة المكان ، ويلقى أمين مصرعه ، وأخيراً يتمكن البوليس من القبض عليهم .

في عام ١٩٥٣ أخرج أنور وجدى فيلم "ذهب" الذي واصل به رriadته في مجال الأفلام الاستعراضية ، والذى تولد فيه طفلة في الخفاء من أم فقيرة تموت فيأمر الأب منير بالخلص من الطفلة ، ويطلب من ابنة أخيه دهب أن تلقى بها في

النيل ، لكنها تتركها في الطريق لعل أحداً يعطف عليها . وبالفعل يعثر عليها ألفونسو وهو فنان متشرد ويتعرف على دهب قبل أن تصرف . يكتشف فيها موهاب فنية فيدر بها ويقوم برعايتها ، ويخرجان معاً طلباً للرزق . يعملان في أحد المسارح حيث تغني وترقص ، وتحسن أحوالهما المادية . وفي لقاء ثان بذهب تبواح لـألفونسو بحقيقة الطفلة التي هي ابنة منير الذي اعتدى على أمها الخادمة وتخلى عنها ، ثم تدل عمها عن مكانها . يخسر منير كل أمواله في القمار فيسعى إلى ضم الطفلة إليه حتى ينعم بثراها . ويرفع قضية للضم . لكن القضاء يرى أن ألفونسو هو أحق بحضانتها ، ثم يتزوج من دهب ويعيش الثلاثة معاً .

وفي عام ١٩٥٣ أيضاً أخرج إبراهيم عماره فيلم " ما ليش حد " الذي تماماً من التلقي النمطي المفتعل ، وذلك لوجود عمود فقري يشد الأحداث كلها داخل بناء متسق ومتفاعل في جزئياته من خلال سلسلة متصلة من الأسباب الموضوعية والنتائج المنطقية . ففي الفيلم يعيش رجل مع زوجته وابنته حياة سعيدة . وعندما تموت الزوجة ، يقع في يد الزوج خطاب غرامي فيعتقد أن زوجته كانت تخونه . ثم يصور له الشك أن ابنته ليست من صلبه ، فتتغير أخلاقه وطباعه ويقسّ على ابنته . ويستسلم للخمر والميسر ، ويصبح مدمناً لها ، بل ويفقد ثروته ومصانعه . وتضطر ابنته للهرب من قسوته عليهما . لكن في النهاية تتأكد له براءة الزوجة الراحلة . ويندم ويسعى لصلاح أخطائه العديدة ، ويلتئم شمل الأسرة مرة ثانية .

وفي عام ١٩٥٤ أخرج كمال الشيخ فيلم " حياة أو موت " الذي يعد فيلماً رائداً في مجال التصوير الخارجي ، حيث المشاهد واللقطات تحل محل الحوار والكلمات إلى حد كبير من خلال توليد المواقف اللاحقة من المواقف السابقة . ففي الفيلم رجل يشكو من مرض القلب ، ويستغنى عنه صاحب العمل ، كما تركه زوجته غاضبة لمنزل أسرتها بعد خلاف بينهما . أما طفلته فتفضل البقاء بجنبه . وعندما يصاب بأزمة قلبية ، تذهب الابنة الصغيرة إلى صيدلية بعيدة عن المنزل

لتشتري الدواء له . لكن الصيدلى يخطئ فى تركيب الدواء فيتصل بالبوليس لمساعدته من خلال تكثيف جهوده للعثور عليه . وعندما لم يعثروا على الطفلة لم يكن أمامهم سوى النداء عن طريق الإذاعة . وتسمع الأم النداء فتسرع إلى منزلها فى اللحظة التى كان الزوج يهم فيها بتناول الدواء .

فى عام ١٩٥٤ أيضاً أخرج يوسف شاهين فيلم "صراع فى الوادى" الذى بدأ فيه المنظور الفكرى الذى تردد بعد ذلك فى أفلام عديدة له ، وهو المنظور الذى يبلور به استغلال الإنسان للإنسان ، وبطش القوة المادية ، والصراع الطبقى الذى بلغ ذروته بعد ذلك فى فيلم "المصير" عام ١٩٩٧ . فقد كان كيان الإنسان وفكرة ، الشغل الشاغل ليوسف شاهين من خلال تنويعات وتفرعات فنية ودرامية متعددة ، كانت تتبع من هذا المنظور فى بدايتها ثم تصب فيه عند نهايتها بعد أن تكون قد أضاعت زوايا وأركان معتمة هنا وهناك .

فى "صراع فى الوادى" الذى كان أول أفلام عمر الشريف الذى اكتشفه يوسف شاهين وقدمه للسينما المصرية ثم انطلق بعد ذلك إلى السينما العالمية ، مثل عمر الشريف دور مهندس زراعى وابن ناظر عزبة ، ينجح فى تحسين إنتاج القصب ، وعلى علاقة حب بابنة البasha من الطفولة . ويثير هذا النجاح غضب البasha إذ أنه المورد لهذا الصنف لمصانع السكر . وعندما يقع خلاف بين شيخ العزبة الأعمى وناظر العزبة ، يلقى شيخ العزبة مصرعه وتلتف التهمة للناظر الذى يصدر الحكم بإعدامه . ويبحث المهندس ابن ناظر العزبة عن شاهد الزور الذى كان سبباً فى إعدام أبيه ، لكن الشاهد يلقى مصرعه فى حادث ، فى حين يبحث ابن الشيخ عن المهندس ليثأر منه . ويختفى المهندس فى المعبد ، فى حين يلح قريب البasha على الزواج من ابنته ، وحين يرفض يبلغ البوليس عن حقيقة أمر البasha

الذى يقتله قريبه الذى يقبض عليه البوليس ، ويتزوج المهندس من حبيبته . وقد تبدو النهاية نمطية لكنها كانت نتيجة حتمية للتفاعلات والصراعات التى سبقتها .

وشهد عام ١٩٥٥ فيلمين غير نمطيين : " درب المهاييل " ل توفيق صالح ، و " عروسة المولد " ل عباس كامل الذى اشتهر بأفلامه المرحة النمطية ، لكنه فى هذا الفيلم حطم أسوار النمطية وخرج بفيلم يجمع بين العذوبة والرقة الفنية . فى الفيلم الأول تدور أحداث القصة التى كتبها نجيب محفوظ ، ووضع لها الحوار عبد الحميد جودة السحار ، وكتب لها السيناريو وأخرجها توفيق صالح ، تدور فى حى شعبي حيث تعيش فتاة مع أبيها وتقتضى كل ما تستطيع أن تخرجه لتساعد حبيبها الذى يعمل عند عجلاتى بخيل ، كى يتمكن من إتمام زواجهما . ويشترى العامل ورقة يانصيب لعله يفوز بالجائزة الأولى حتى يتمكن من إتمام زواجه . ويقدمها لحبيبته لتحتفظ بها لكن أباها الرجل المتدين يرميها لأن هذا مخالف للدين . ويلقطها مجنوب الحرارة ، ويشاء الحظ أن تكون هى الورقة الرابحة للجائزة الأولى . وينقلب هدوء الحرارة إلى ضجيج ، فيطارد كل فرد فيها المجنوب الذى يخفي المال فى بطن المعاذ الذى تهرب مع قطبيع من الماعز . وفي الخلاء يقوم الماعز بقطبيع أوراق البنكنوت المخبأة فى بطن ماعز المجنوب . وبرغم أن حيلة اليانصيب من العناصر النمطية التى اشتهرت بها السينما المصرية والتى عالجناها فى فصل سابق من هذه الدراسة ، إلا أن العبرة بالمعالجة الفنية والدرامية ، وليس بالعنصر النمطى فى حد ذاته . ولذلك كانت ورقة اليانصيب فى هذا الفيلم بمثابة المحك الذى عرى دخائل الشخصيات ، وأشعل الصراع فيما بينها ، وسرى بالمفارقات الظاهرة بالسخرية والدلائل المشبعة بالتهم الذى يوحى بعبيضة الرغبات الإنسانية التى تنتهى إلى لا شيء ، خاصة إذا كان هؤلاء البشر يسعون إلى ثروة لم يكدرها فى تحصيلها .

فى فيلم " عروسة المولد " تتجسد الشخصيات على أشكال عرائس وفرسان من حلوى المولد . وتتمنى إحدى العرائس أن تدب فيها الحياة لترقص وتغنى

وتستمع بمحاجة الحياة . وبالفعل يتحقق حلمها وتقبل على حياتها الجديدة لكنها تذهل لما يجري أمامها من مأس . فمن خلال هذه الرحلة تكتشف أمامها صور النفاق والرياء والخيانة وعدم الوفاء والحدق والاستغلال . وعندما تعجز عن أن تتكيف مع هذه الحياة الكثيبة البائسة تلقي بنفسها في صهريج الحلوى لتصهر من جديد . والفيلم زاخر بالاستعراضات الجذابة وبالمواقف التي تعرى سلبيات الحياة ، بل ويمكن أن يلقط فكرته مصمم للبالية يستطيع أن يقيم عليها عرضاً ممتعاً يمكن أن يتدوّفه البشر في أي مكان أو زمان برغم صوريته الصميمية ولا نقول النمطية .

ونظراً لأن المجتمع المصري ، مجتمع غني بالتعديدية الثقافية والفكرية والفولكلورية والحضارية ، فإن الارتباط بقضاياها ومضمونها لا يضع السينما تحت رحمة النمطية الضيقة والخانقة ، بل يفتح لها من الآفاق الجديدة والأصيلة ما يجعلها قادرة على التجدد المستمر . ومن هنا كان أكبر كم من الأفلام غير النمطية هو ذلك الذي تفاعل مع قضايا المجتمع المعاصر ، وهو الذي منح السينما المصرية القدرة على مواصلة مسيرتها الطويلة برغم أغلال النمطية التي كانت ترسف فيها في أحابين كثيرة . فقد كانت الحياة دائماً هي المصدر الحيوي والساخن والمتجدد للأعمال السينمائية المرموقة ، وليس الأعمال السابقة التي أغرى بنجاحها السينمائيين بمحاكاتها وتقليدها . فإذا كان الفن بصفة عامة يستمد أدواته من تقاليد الصنعة التي ترسخت بل ويضيف إليها ، فإنه يستمد مضمونه الفكري والإنساني من الحياة الأم وليس من الأعمال الفنية السابقة .

وشهد عام ١٩٥٦ فيلمين غير نمطيين : " شباب امرأة " لصلاح أبو سيف ، و " أين عمرى " لأحمد ضياء الدين . في الفيلم الأول يصل الشاب الريفي إلى القاهرة ليلتحق بالجامعة . ويؤجر غرفة بأحد المنازل الملحق به سرجة ، وتعجب به صاحبة المنزل في حين تتوطد علاقته بابنة عائلة صديق أبيه من خلال زياراته المتكررة لهم . لكن صاحبة المنزل والسرجة تتصب شباكاها حول الشاب لفحولته

بحيث لم يستطع الفكاك من أسرها . وعندما يمرض الفتى ويقيم عند الأسرة الصديقة لترعايه ، تستشيط صاحبة السرجة غضباً وتهمه بسرقة عقداً . وتخيره بأن تبلغ الشرطة أو يعقد قرانه عليها . وتحزن الأم وكذلك العائلة الأخرى . ولم ينفذه منها سوى كاتب السرجة الذي يدفعها أسفل الطاحونة لينتفع منها أيضاً بعد أن حطمت حياته هو الآخر .

فى فيلم " أين عمرى " تعيش ابنة مع أمها الأرملة التى تضيق عليها فى تصرفاتها . ويتقدم لخطبتها صديق العائلة عزيز الذى يكبرها بسنوات عديدة ، فتوافق على الفور لأنها ستجد حريتها كامرأة بعد الزواج ، إلا أنها تصاب بخيبة أمل إذ أن زوجها لا يختلف عن أمها . ويدهب بها ليعيشا مع أخيه فى عزبته وتعانى منهما . وهناك تتعرف على جارهم الطبيب ويحدث نوع من التقارب العاطفى بينهما . وحين يذهب لخطبتها يفاجأ بأنها الزوجة وليس ابنة الرجل ، مما يشعل الغيرة فى قلب زوجها ويعاملها بكل قسوة ، فتهرب من المنزل . ويحدث أن يموت الزوج وتعود إلى أسرتها ، لتنطلق من كل القيود التى كبلتها من قبل ، فتعيش حياة لاهية ، تكاد تزلق بها إلى عالم الرذيلة لو لا أن الطبيب ينفذه فى اللحظة الأخيرة . والفيلم زاخر بالصراعات المنطقية ، والدلالات الرمزية ، والمعادلات الموضوعية ، وبحث الإنسان عن كيانه الحقيقى وسط غابة من التساؤلات وعلامات الاستفهام ، مما يجعله متعة للعقل والوجدان .

فى عام ١٩٥٧ أخرج صلاح أبو سيف فيلمه الشهير " الفتوة " الذى جعل فيه السيادة للغة السينما الدرامية على لغة الحوار المباشر ، وذلك من خلال حركة الكاميرا الدائمة والتتابع السريع للمشاهد الخارجية على وجه الخصوص ، بحيث جعل سوق الخضر والفاكهه نابضة بالحياة والصراعات والأجواء الموحية ، وذلك منذ وصول هريدى من بلدته للعمل فى السوق مع بلدياته عبد التواب ، وإدراكه أن العمل يحتاج للقوة والجرأة ، خاصة فى مواجهة المعلم أبو زيد الذى يفرض نفسه

على الجميع ويتحكم في الأسعار لرغبة المسуورة في الربح . ويقرر هريدى منافسة أبو زيد بالبيع بأسعار أقل إلا أنه يتعرض للأذى من أعون أبو زيد . لكنه يتسلح بالمرونة وينضم للعمل في خدمة أبو زيد ، بل ويتزوج من الأرملة حسنة التي أحبها من قبل ، والتي تتفق معه على العودة لمنافسة أبو زيد الذي يحكم عليه بالسجن لمخالفاته العديدة ، مما يتبع الفرصة لهرىدى كى يحل محله ويتحكم في السوق والأسعار . وعندما تنتهي مدة عقوبة أبو زيد ، تشتت المنافسة بينهما إلى أن تتشبّه معركة أخيرة بينهما ، تنتهي بنهاية كل منهما .

ومن الواضح أن الفيلم يضرب على وتر حساس ومشدود ويهمن المجتمع كله ، لأنه يجسد المصراعات الخفية التي تحكم في أسعار ووفرة طعامه اليومى .

وشهد عام ١٩٥٩ فيلمين غير نمطيين : " دعاء الكروان " لهنرى بركات ، و " احنا التلمذة " لعاطف سالم . في الفيلم الأول ترحل الأم زهرة مع ابنتيها آمنة وهنادي من قريتهم بعد موت الأب . وتعمل هنادي خادمة في منزل مهندس الرى ، في حين تعمل آمنة في منزل المأمور . وعندما يعتدى المهندس على هنادي يصل خالها ويقتلها . وعلى سبيل الانتقام لمقتل أختها هنادي ، تعمل آمنة في منزل المهندس لأنها كان السبب فيما جرى لها . لكن آمنة تحس بالحب تجاه المهندس ، بل وتواجهه بالحقيقة وداعها للعمل لديه . وعندما يعرض عليها الزواج ، يصل خالها لقتلها ، لكن المهندس يفتديها بنفسه ويموت بين ذراعيها في جو أثيرى شاعرى استطاع بركات أن يوفره في الفيلم ويغلف به شخصياته وأحداثه ، مما يثير التأمل عند المترجع وذلك على النقيض من الأفلام النمطية التي تتخذ من الانتقام عاملًا مثيرًا للانفعالات الغليظة والفجة .

في فيلم " احنا التلمذة " ينهض المضمون على حادثة واقعية مشهورة ، بحيث يتوجّل منها إلى كل التغرات والسلبيات التي تتعور بنية المجتمع المعاصر ،

وتضع الجيل الجديد على طريق الضياع . وذلك من خلال ثلاثة من الشبان الجامعيين الذين لا يجدون الرعاية الكافية من ذويهم . فلكل منهم مشكلة تسد أمامه أبواب المستقبل . الأول تطارده أسرته القادمة من أعماق الصعيد للأخذ بالثار حتى يشفى غليلها ، والثاني ضائع بين الأسرة الغائبة والراقصة اللعوب ، والثالث يعتدى على خادمته ، وعندما تبدو عليها آثار الحمل ، يخططون لاجهاضها فتلقى حتفها ، بعد أن كلفتهم عملية الإجهاض نقوداً دفعتهم للسرقة والقتل ، وفي النهاية يقدمون للمحاكمة بصفتهم مجرمين وليسوا ضحايا . لكن إصبع الاتهام تشير إلى المجتمع كما تشير إليهم .

وشهد عام ١٩٦٠ أربعة أفلام تدل على التراء الفكري والغنى الذي كانت تتمتع به السينما المصرية في عصرها الذهبي . وهذه الأفلام هي "بداية ونهاية" لصلاح أبو سيف ، والراهقات "لأحمد ضياء الدين" ، و "البنات والصيف" لكل من عز الدين ذو الفقار ، وصلاح أبو سيف ، وفطين عبد الوهاب ، و "إشاعة حب" لفطين عبد الوهاب . وهي أفلام تجمع بين الاهتمامات الفكرية العميقة ، والقضايا الاجتماعية المأسوية ، والنماذج البشرية ، والشائعات الطبقية ، والمعارفات الكوميدية الرقيقة والراقية . بل إنها لم تفقد جذتها حتى الآن نظراً للمصداقية الفكرية والفنية والإنسانية التي تتمتع بها .

في فيلم "بداية ونهاية" يتحتم على أم بعد وفاة زوجها أن تواجهه مع أبنائها الحياة القاسية : نفيسة الأخ المخلصه المتفانيه التي تساعد أمها وأشقاءها بالحياة بالأجر ، وحسنين الشاب الطموح الذي يصر على أن يصبح ضابطاً ، وحسين الشاب المتواضع الذي يعمل بالتدريس . أما حسن الأخ الأكبر فيعمل في تجارة المخدرات ، وينفق على حسنين حتى يتخرج ، في حين تسقط نفيسة بعد أن يخدعها ابن البقال . ويطلب حسنين من أخيه أن يقلع عن الإجرام فيرفض ، بل ويفاجأ حسنين باستدعائه لقسم البوليس لاستلام أخيه بعد أن قبض عليها بتهمة الدعارة ،

فيجبرها على الانتحار بأن تلقى نفسها في النيل ثم يلحق هو أيضاً بها . فقد قامت الضغوط الاجتماعية بدور الحتمية القدرية التي أحالت الشخصيات إلى شخصيات تراجيدية بالمفهوم الحديث للكلمة .

في فيلم " المراهقات " تتواتر الشرائح الاجتماعية تحت أضواء فاحصة بحيث تبين إلى أى مدى كان الفكر السينمائي مهوماً بقضايا الإنسان المعاصر المطحون تحت وطأة المجتمع الذي لا يرحم . فعلى الرغم من كل العناصر النمطية التي ورد رصدها وتحليلها في الفصول السابقة من هذه الدراسة ، فإن الفكر السينمائي لم ينذر أبداً ، وإن كان قد عانى في بعض المراحل من الخفوت والهزال . فهذا الفكر كان يتلألق في مراحل الازدهار السينمائي ، خاصة إذا شعر المتفرج بأن السينمائيين يحترمون عقله ويسعون إلى تويره بالإضافة طبعاً إلى تسلیته . ولذلك لم تتعارض جدية هذه الأفلام مع نجاحها الجماهيري في ذلك العصر الذهبي من تاريخ السينما المصرية . ففي هذا الفيلم تعيش ندى حياة صارمة متزمتة بين أمها وأخيها طارق . وفي المدرسة تتقابل مع ثلاثة نماذج إنسانية : صفاء الفتاة المنطوية ، وسناة الفتاة المتحررة ، وصفية التي تعيش حياة قاسية مع زوج أمها السكير . وتعيش ندى في دنيا الأوهام لتعوض الكبت الذي تعيشه ، فتدعى لهن أن لها علاقة بشاب وتبرز صورة أخيها لتدلل على هذه العلاقة . أما صافية فيعتدى عليها أحمد ابن زوج أمها ، فتتعاطى حفنة لاجهاض نفسها إلا أنها تموت في لحظة عودة حبيبها أحمد ليتزوجها . ثم تبدأ قصة حب حقيقة بين ندى والطيار عادل الذي ترفض الأسرة زواجه منها ، لكنها تقدم على الانتحار فيرضخون لرغبتها خاصة بعد أن يتأكدوا من أخلاقه الحميدة .

أما فيلم " البناء والصيف " فكان تجربة رائدة في مجال إنتاج الأفلام التي تشمل على ثلاثة قصص منفصلة ، وإن كان هناك خط مشترك على الأقل فيما بينها . وهو اتجاه برع من قبل في السينما الأمريكية التي قدمت فيلم " قصص

مانهاهن " في الأربعينيات ، ثم ثلثها السينما الإيطالية والفرنسية . ولم تشا السينما المصرية أن تختلف عن الركب فكان أول فيلم لها في هذا المجال هو فيلم " البنات والصيف " . والقصص الثلاث من تأليف إحسان عبد القدوس ، ولكن من إخراج ثلاثة مخرجين .

القصة الأولى من إخراج عز الدين ذو الفقار وتدور حول امرأة شابة مسلوبة الإرادة ، وزوجة لرجل لا شخصية له ، ويُثُق في صديقه نقة مطلقة ، ويُسْتَسْلِم لسيطرته عليه . ويشتهي الصديق الزوجة ويغتصبها . وتقرر المقاومة لكنها لا تُثُبِّت أن تخاذل . وتحاول أن تثير غيرة زوجها وشكوكه لكنه كان حالة فريدة في الغفلة والغباء لدرجة أن صديقتها تدبر لها موقفاً بحيث يضبط الزوج زوجته في أحضان صديقه ، وتنتظر ثورة زوجها لكن لا يحدث فتقتل الصديق وتتجر .

أما القصة الثانية فمن إخراج صلاح أبو سيف وتدور حول خادمة شابة مغربية تعمل عند أسرة ، ويشتهيها رب الأسرة لكنه لا يقدر أن يقربها فكان يصب جام غضبه عليها ، في حين كان قلبها موزعاً بين المكوجي الذي يحبها وحارس الشاطئ الذي يستهويها بقوته ورجلولته ، والذي يوحى لها بسرقة الأسرة لكي يتزوجا ، في حين تغريها صديقتها بالانحراف لتجنى ما تريده من مال . ولا تنتهي القصة النهاية النمطية التي تنصر الخير بطريقة مفتعلة ، بل تبرر هذا الانتصار من خلال الحب الذي يظهر الخادمة وينقى معذنها فتائب السرقة كما تأبى الانحراف وتتزوج من حبيبها المكوجي .

أما القصة الثالثة فتدور حول شاب شديد الحياة ويرحب بنت الجيران وهي فتاة طموحة في حبها ، ومتحورة في سلوكها ، وتعيش في جو من الأحلام والمخاطر . وعندما يتقدم لخطبتها ، تعتذر له . ثم يغريها بحديثه فتستجيب له ، ويذهب بها إلى شاليه خاص حيث يحاول الاعتداء عليها ، لكنها تقاومه حتى ينقذها الشاب وأخوها والذي يصارحها بحبه تمهدأً للزواج منها .

أما فيلم "إشاعة حب" الذي اقتبسه على الزرقاني ومحمد أبو يوسف عن رواية "قصة مدينة" لإيمرسون ، وأخرجه فطين عبد الوهاب ، فيعد نموذجاً للكوميديا الراقية والرقيقة التي تثير الضحك من خلال توليد المفارقات الكوميدية التي تعتمد على الموقف أكثر من اعتمادها على الكلمة . بل إن تحطيم الأطر النمطية بلغ حداً جعل فطين عبد الوهاب يكتشف في يوسف وهبي نجماً كوميديا من الطراز الأول ، وهو الذي اشتهر بأدائه الميلودرامي والتراجيدي . ففي الفيلم يلعب يوسف وهبي دور القادر ، الرجل المسن الذي لا يزال قادراً على مغازلة النساء ، بل ويحاول أن يجعل من ابن أخيه المتزمن نسخة منه حتى يستطيع الفوز بابنته سميحة . وبعد أن ييأس منه يطلق إشاعة مفادها أنه على علاقة بمنة مشهورة . وبالصدفة تحضر هذه الممثلة إلى حيث يقيمون . وبعد عدة مواقف كوميدية ومفارقات زاخرة بالسخرية ، تتضح الحقيقة للجميع ولسمحة التي ترى في ابن عمها مميزات تجعله جديراً بالارتباط بها .

في عام ١٩٦١ أخرج كمال عطية فيلم "رسالة إلى الله" بأسلوب شاعري مرهف جعل منه نوعاً من القصيدة السينمائية الراخمة بالدلائل الإنسانية واللمسات الرقيقة التي تبلور عذوبة الضعف الإنساني . صحيح أن هناك عناصر نمطية مثل فقد الذاكرة والإصابة بالشلل ، لكن أسلوب المعالجة سواء على المستوى الواقعي أو المستوى الرمزي نفى عنها صيغة النمطية التي قمنا برصدها وتحليلها في الفصلين الخامس والسادس من هذه الدراسة . ففي الفيلم تصعد الطفلة عائشة إلى منذنة الجامع لتطلب من الله أن يجعل عروستها تتكلم فتقع عروستها . وعندما تحاول أن تستردها تسقط هي الأخرى ، وتفقد الذاكرة . ويعانى الأطباء في علاجها . وينهار والدها حسين الذي يشغل وظيفة كمسارى في السكة الحديدية . وتمر السنوات ولا تصلح عائشة لزواج بسبب مرضها الذي ترك شلالاً في شفتيها وإحدى

عينيها . لكن جارها ميدو لا يتخلى عنها ويصبح صحفياً ، بل ويتزوج منها وتتجه طفلة ويتم استبدالها بالعروسة التي كانت دائماً تحملها ، وبهذا تشفى من مرضها .

وشهد عام ١٩٦٢ ثلاثة أفلام غير نمطية : " اللص والكلاب " لكمال الشيخ ، و " صراع الأبطال " ل توفيق صالح ، و " إجازة نصف السنة " لعلى رضا . وهى أفلام تلتحم بالمجتمع المعاصر وتبلور قضاياه الساخنة فقد استلم نجيب محفوظ رواية اللص والكلاب من حادثة السفاح محمود أمين سليمان الذى لقى مصرعه برصاص الشرطة فى يناير ١٩٦٠ بعد اغتيالات ومطاردات عديدة شغلت الرأى العام أكثر من شهر . وقد استطاع نجيب محفوظ أن يبلور الجانب الإنسانى والماسوى ويستخلصه من المادة الصحفية المؤقتة ، بحيث تحول بطله من مجرم سفاح إلى بطل تراجيدى قهره المجتمع والقدر فاضطر أن يقاوم لكن ضرباته طاشت . ذلك أن سعيد مهران شاب فقير يعمل فى بيت الطلبة ، ويضطر لسرقة أحد الطلبة لحاجته للمال اللازم لعلاج أمه . ويصادقه الصحفى رعوف علوان الذى يؤثر فى تصرفاته وأفكاره . ويصبح سعيد رئيس عصابة تنتقم من الأغنياء بسرقةهم ، ويتزوج من نبوية الفتاة التى يحبها علیش الذى يغدر به ويبلغ عنه ويقبض عليه . ويحصل علیش لنبوية على الطلاق ويتزوجان . وعندما يصبح رعوف من وجوه المجتمع الأثرياء ، يتصل من سعيد ويؤلب عليه الرأى العام فى مقالاته . وعندما تنتهي مدة عقوبة سعيد ، يحاول قتل علیش فيقتل بدلاً منه ساكناً بريئاً . ثم يحاول قتل رعوف لكنه يقتل البواب بدلاً منه . ويعيش مع الفنانة نور التى تحبه وتحاول إسعاده وحمايته بعد أن يصبح مطارداً . وعندما يستدل البوليس على مكانه يطارده ويحاصره حتى يلقى مصرعه برصاصه .

فى فيلم " صراع الأبطال " يدور الصراع بين العلم والجهل عندما يفتح الدكتور رشدى عيادته فى قرية ، ويحاول إقناع الإقطاعى عادل برفع أجور فلاحيه

كوسيلة لمساعدته فى علاجهم من البلاجرا الناجمة عن سوء التغذية . ويثق الفلاحون فيه ، لكن عندما تحدث بعض الوفيات فى القرية ، تروج أم هلال الداية شائعات عن عدم كفأته ، لكنه يكتشف أن السبب فى هذه الوفيات وباء خبيث ينتشر بين الفلاحين ، كما تجاهد زوجته عفاف المدرسة لإنقاذ الناس بصحة نظرته العلمية . وينبش الدكتور شكري فى مقابر الموتى كى يخرج أمعاءهم ويفحصها . ويثير الفلاحون لإهداه حرمة موتاهم لو لا نتيجة التحاليل التى تقتضى من أيديهم عندما تثبت وجود وباء الكوليرا فى القرية ، بحيث تعود ثقفهم فيه ويعاونونه على القضاء على الوباء .

أما فيلم " أجازة نصف السنة " فيشكل اتجاهًا متفردًا في مسيرة السينما ، لم يتكرر بعد ذلك سوى فيلم " غرام في الكرنك " عام ١٩٦٧ . وهو اتجاه يتميز بالاستعراضات الراقصة المتقنة ، والأغانى الجماعية المطورة للأحداث بعيدًا عن التطريب النمطى ، والمواقف والمفارقات الكوميدية ، والروح الشبابية التي تبحث عن طريق لتحقيق ذاتها ، والمواقف العاطفية التي تتميز بالنبل والسمو . ولو لا إمكانات فرقة رضا في الاستعراض والرقص والغناء لما كان في الإمكان إنتاج هذين الفيلمين غير النمطيين . ففي فيلم " أجازة نصف السنة " تشرف زينب بنفسها على زراعة قطعة أرض تمتلكها ، بحيث تسدد من إيرادها مصاريف الجامعة لشقيقها حسين . وفي أجازة نصف السنة يحضر حسين ومعه مجموعة من زملائه وزميلاته لكي يستمتعوا بأجازة هادئة في جو ريفي وفي الوقت نفسه يتدرّبون على الاستعراض الذي يشتّركون به في مسابقة المسرح الجامعي . وتقع زينب في حب أحمد المشرف على الفرقة . ويفوزون بكأس الجامعة السنوي ، ويتزوج حسين من فريدة الراقصة الأولى في الفرقة كما تتزوج زينب من أحمد .

وشهد عام ١٩٦٣ ثلاثة أفلام من تلك التي تبلور تيارات المجتمع المصري المعاصر بأسلوب يجمع بين الجدية والمرح ، بين التأزم والانفراج ، بين الحدة

والعذوبة . وبرغم صوريتها الصميمة فإن القيم الإنسانية والمعاناة البشرية التي جسدها ، جعلتها تحطم أسوار النمطية المحلية وتخاطب الإنسان بصرف النظر عن اختلاف الزمان أو المكان . وهذه الأفلام هي : " أم العروسة " لعاطف سالم ، و " الأيدي الناعمة " لمحمود ذو الفقار ، و " عائلة زيزى " لفطين عبد الوهاب . وهى زاخرة بالشخصيات التى تتسلل إلى قلب المتفرج وعقله بيسر وسهولة ، والموافق المنطقية والمتطرفة والنابعة من نبض المجتمع المصرى دون أى افتعال أو تزييف ، والمصداقية الفنية والفكريّة التي تجعلها من قبيل السهل الممتع .

فى فيلم " أم العروسة " الذى كتب قصته وحواره عبد الحميد جودة السحار ، ينجب حسين الموظف البسيط سبعة أبناء . وهو سعيد بهم على الرغم من أعبائهم الثقيلة . وتنم خطبة ابنته الكبرى فتتضاعف التزاماته فى حين تواصل أم العروسة إرهاق زوجها بالطلبات التى تحتمها التقاليد الموروثة ، فيجد نفسه غارقاً فى الديون . ويقدم طلب استبدال معاش حتى يمكن أن يسدد هذه الطلبات ، لكن الروتين الحكومى يؤخر صرفه ، فياخذ مبلغاً من عهده على أن يسدده فيما بعد . ويقوم صديقه بتسديد قيمة العجز حتى لا يتسبب فى اتهامه بالتبديد .

فى فيلم " الأيدي الناعمة " المأخوذ عن مسرحية توفيق الحكيم المعروفة بنفس الاسم ، تتببور مراحل المعاناة والألم والضياع التى مرت بها الطبقة المالكة والإقطاعية والأرستقراطية فى أعقاب قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ومحاولاتهما المأسوية واليائسة التى تتراوح بين الرفض والقطيعة ، وبين السعى للمسايرة والتآكل ، وذلك من خلال أحد الأمراء الذى أصبح فقيراً لا يملك شيئاً بعد أن تمت مصادرة أملاكه لحساب الشعب ، ولم يترك له سوى قصره الفخم . فاضطر إلى الاستغناء عن جميع خدمه ، ورهن كل الأشياء الثمينة التى كان يملكها . ثم يتعرف على شاب حاصل على الدكتوراه لكنه متلعثل لا يملك قوت يومه . ويتحقق على

استغلال القصر دون تأجيره . ومن الطريف أن له ابنتين ينكر وجودهما لأنهما خرجتا على نقاليد أسرته وقيمها العريقة !! إذ أن الأولى تزوجت من مهندس شاب يدير ورشة لصيانة السيارات ، والثانية تعمل رسامة وتعيش من عملها . أما شقيقة زوج البنت الكبرى فقد ترملت وهي تحب الأمير . ثم يحدث أن تحب البنت الثانية الشاب العاطل ، وبعد أحداث متتابعة تتقرب القلوب ، لكن الفتاتين لا تقبلان الزواج منها إلا بعد البدء في حياة جديدة زاخرة بالعمل والكافح ، وتوهلهما لكسب قوتهم ، لدرجة أن الأمير نفسه يعمل مرشدًا سياحيًا . فقد كانت السينما في تلك الفترة حريصة على أن تثبت في نفوس الشباب هذه القيم الإيجابية التي تجعل من العمل المثمر والجاد شرطًا ضروريًا لتحقيق الذات .

في فيلم " عائلة زيزى " تتجلى العذوبة وخفة الظل والسخرية التي تميزت بها الشخصية المصرية وذلك من خلال حياة أسرة مصرية صميمه ، لكنها قادرة على الضرب على الأوتار الإنسانية خارج الحدود المحلية . في هذه الأسرة مقابل سبعاوى المهندس الذى يكرس حياته لاختراع آلة نسيج ، وأخاه سامي الطالب الذى لا يشغله شيئاً سوى مطاردة الفتيات . أما الأخت الثالثة فهى سناه الفتاة الجميلة التى تحلم بالتمثيل والشهرة والنجومية ، فى حين أن الرابعة هى طفلة صغيرة وهى التى سمى الفيلم باسمها (زيزى) لأنها تعد من التوابيل التى تضفى على الشخصيات والمواقف مذاقاً ممتعاً سواء من خلال تعليقاتها على الأحداث أو مشاركتها فيها . ويحدث أن تتعرف سناه بالمخرج السينمائى يوسف حسين الذى تقنعه بمنحها فرصة التمثيل فى السينما ، لكنها تكتشف أنه يطمع فيها ، كما ترفض الأم أن تحرف ابنتها إلى عالم السينما . ويقع سامي فى حب جارته الحسناء ، كما تظاهرة سناه بالانتحار ، لكن مشكلتها تحل عندما يحضر يوسف ليعلن أنها لا تصلح للسينما بل كزوجة ، وهو ما كانت تتمناه بالفعل ، فى حين ينجح سبعاوى فى اختراع آلة الزواج من فتاة تتمكن من إخراجه من انتقامه ومشاغله .

فى عام ١٩٦٥ أخرج خليل شوقي فيلم "الجبل" عن قصة وسيناريو وحوار فتحى غانم ، والذى يدور حول صراع بين مهندس شاب متحمس لبناء مساكن جديدة لسكان جبل إحدى القرى بدلاً من حياتهم داخل المغارات وذلك قبل ثورة ١٩٥٢ . ويحاربه العدة ومعه الأهالى المتمسكون بـ تقاليدهم ، وكذلك تجار الآثار ولصوصها الذين أثروا على نهبها وتهريبها . وتحت إشراف العدة يواصل الأهالى نحت الصخور ليصلوا إلى كنوز مقبرة أثرية . وبمرور الوقت ينضم بعضهم إلى المهندس ، لكنهم يتراجعون عندما تقيم إحدى الأميرات حفلًا ماجناً في المساكن الجديدة . ويوصلون بحثهم عن الكنز لكنهم لا يصلون إلا إلى سراب . وهى دلالة رمزية تشير إلى الطريق المسدود الذى سارت فيه الطبقة المتحكمة فى المجتمع قبل الثورة .

فى نفس العام ١٩٦٥ أخرج هنرى بركات فيلم "الحرام" عن قصة يوسف إدريس ، وسيناريو وحوار سعد الدين وهبة ، والذى صور فيه البوس المأسوى الذى تعيشه الطبقات المعدمة ، وذلك من خلال حياة عمال التراحل الذين يمتلكهم عبد الله وزوجته عزيزة . فيصاب عبد الله بالمرض الذى يقعده عن العمل ، ويشتاق ذات يوم إلى البطاطا فتدبر عزيزة لقتلها من الأرض ، لكن أحد شباب القرية يفاجئها ويعتدى عليها وتحمل . وتتجه فى إخفاء حملها عن الأعين لأن الجميع يعرفون أن علاقتها الزوجية معدومة بسبب مرض زوجها . وعندما تلد طفلها تخاف أن يفضحها صراخه فتقتله دون وعي وهى تحاول أن تسكته . وعندما تعود إلى العمل متحملة آلامها المبرحة ، تصاب بحمى النفاث وتموت .

وشهد عام ١٩٦٦ فيلمين كانا بمثابة قطعتين نابضتين بدقائق قلب المجتمع المصرى : الأول "القاهرة ٣٠" عن رواية نجيب محفوظ "القاهرة الجديدة" وإخراج صلاح أبو سيف ، الثاني "مراتى مدير عام" عن قصة عبد الحميد جودة السحار ، وإخراج فطين عبد الوهاب . الأول يعالج قضية التسلق الطبقى الذى

يفرض على الإنسان تنازلات تمس كيانه وشرفه ، فى مجتمع يمارس الضغط والقهر فى كل صوره المباشرة وغير المباشرة ، والفيلم الثانى يعالج بأسلوب كوميدى ساخر الحساسيات والعقبات والعقد الاجتماعية التى تعتور طريق المساواة بين الرجل والمرأة عندما تكون الكفاءة هي الفيصل .

فى " القاهرة ٣٠ " يعيش ثلاثة طلبة فى منزل واحد : على الشاب المثالى الذى يؤمن بالمبادئ والقيم ، وأحمد الذى يرى أن الشهرة أقصر طريق لتحقيق آماله . أما محجوب عبد الدايم فهو انتهازى ومتسلق وناقم على المجتمع . وعندما يتخرجون ، يخطط على مستقبل سياسى ، ويعمل أحمد بالصحافة ، ويلتحق محجوب بمكتب وكيل الوزارة قاسم . ويدفع الفقر الفتاة إحسان لأن تصبح عشيقة لقاسم الذى يصل إلى منصب الوزير . ويتزوج محجوب من إحسان ويتوافق على استمرار علاقتها بقاسم فى مقابل أن يصبح مديرًا لمكتبه . ففى مجتمع مثل هذا يصبح شرف الإنسان وكيانه سلعة خاضعة لقانون العرض والطلب .

فى " مراتى مدير عام " تصل عصمت إلى منصب مدير عام ، وتعين فى الشركة التى يعمل بها زوجها حسين مهندسًا . وتبدأ المشاكل بين الزوجين ، ويقع الصدام بينهما فى العمل . ولذلك فهى تطلب نقلها إلى فرع آخر حفاظاً على استمرار حياتها مع زوجها ، ونذلك بعد المتابعة والمشكلات التى تسبب فيها خصومها الذين يرون فى المرأة مجرد مخلوق عليه أن يلزم عقر داره لزوم الحمل والولادة والطهوى والغسيل والتنظيف . ولذلك لم يتقبلوا أبداً فكرة أن تكون عليهم مديرًا عامًا . لكنهم يندمون لفراقها عندما يتم نقلها طبقاً لرغبتها ، إذ أن الشركة فى عهدها نجحت فى إنجاز مشروعاتها على أكمل وجه . أما زوجها حسين فيطلب أن ينقل هو الآخر إلى نفس فرع شركة زوجته معترفاً بجدراتها كمديرة .

وشهد عام ١٩٦٧ ثلاثة أفلام تمس نبض المجتمع من زوايا مختلفة : " الزوجة الثانية " لصلاح أبو سيف ، و " غرام فى الكرنك " لعلى رضا ،

و "النصف الآخر" لأحمد بدرخان . فالفيلم الأول المأخوذ عن قصة لأحمد رشدى صالح يجسد العلاقة بين سطوة الرجل والعجز عن الإنجاب فى الوقت نفسه ، وذلك من خلال شخصية العمة الجشع عثمان الذى يعجز عن الإنجاب من زوجته رقية طوال عشرين عاماً ، وهو الذى يتحرق شوقاً لإنجاب طفل يحمل اسمه . ويمارس جبروته عندما يتزوج من فاطمة بعد أن يجبر زوجها على طلاقها ، لكنه لا يستطيع أن ينال منها شيئاً . بل ويصاب بالشلل عندما يفاجأ بأنها حامل ، إذ أنها لا تزال على علاقة بزوجها . وعندما تنجذب فاطمة لا يتحمل العمة الصدمة فيموت .

أما فيلم "غرام في الكرنك" فقد جاء تأكيداً للتقاليد الفنية والاستعراضية التي أرساها على رضا من قبل ومعه فرقة رضا في فيلم "أجازة نصف السنة" عام ١٩٦٢ لنفس الكاتب السينمائي المتمكن محمد عثمان . لكنها تقاليد لم تجد لنفسها امتداداً بعد ذلك ، إذ يبدو أن تيار الأفلام النمطية كان أقوى من أن يقاومه على رضا الذي جرفه في أفلام نمطية سبق أن تناولناها بالرصد والتحليل في هذه الدراسة . في هذا الفيلم تسافر إحدى الفرق الاستعراضية لتقديم عروضها في الأقصر ، و تواجه في البداية بعض العقبات لكنها تغلب عليها ، مع قصة حب موازية بين صالح مدرب الفرقة و راقصها الأول وبين الراقصة الأولى أمينة . والفيلم زاخر بالاستعراضات الراقصة الرشيقه والمبهجه ، والألحان والأغانى الجماعية التي وضعها على إسماعيل ، والمفارقات الكوميدية ، والمواقف العذبة ، والمفاجآت المثيرة . ولذلك نجح الفيلم في الجمع بين قيم الفن الرفيع وجذب الرواج التجارى بل والسياحى أيضاً .

أما فيلم "النصف الآخر" فهو قصة وحوار عبد الحميد جودة السحار الذى يحل العلاقة بين الأنما والأخر . والحاجة المتتجدة للنظرية الموضوعية التي تعدل بينهما ، لأن النظرة الذاتية تتفى الآخر تماماً فى سبيلها لتحقيق رغبات الأنما . ففى

الفيلم يعيش الأب بعد وفاة زوجته في فراغ مخيف ومل كريه لأن أولاده مشغولون عنه . فيتزوج من أرملة شابة تتشابه ظروفها مع ظروفه . لكن أبناءه يعارضون هذا الزواج ، خاصة ابنته التي تتفرغ لخدمته كمحاولة منها للتفرقة بينه وبين زوجته ولكن عبثاً . وفي النهاية يقتعنون بحق أبيهم بالتمتع بالاستقرار والأمان وبمن تؤنس وحده ، وخاصة أن الابنة تمر بتجربة مريرة مماثلة عندما بلقي خطيبها مصرعه في حادث سيارة ويترك لها الفراغ والوحشة .

وبعد ذلك تولت الأفلام المأخوذة عن أعمال روائية لكتاب الأدباء بحيث سادت الساحة السينمائية تماماً ، واستطاعت أن تجمع بين القيمة الفنية الرفيعة والرواج التجارى الجماهيرى . فقد استطاعت أن تبلور قضايا المجتمع وتلمس نبضه الحقيقى في قالب فنى متسق ولغة سينمائية راقية ، فوجد الجمهور نفسه فيها ، خاصة أنه شعر بحرص مبدعى هذه الأفلام على احترام عقله ، والتفاعل الحميم مع اهتماماته الإنسانية الجوهرية .

فقد شهد عام ١٩٦٨ ثلاثة أفلام هي : " قنديل أم هاشم " لكمال عطية ، و " البوسطجي " لحسين كمال ، والفيلمان عن قصتين ليحيى حقي ، وكذلك " الرجل الذى فقد ظله " لكمال الشيخ والمأخوذ عن رواية لفتحى غانم . ويعالج الفيلم الأول الصراع الذى فرض نفسه طويلاً على الثقافة المصرية ، وهو الصراع بين العلم والجهل ، بين المعرفة والخرافة ، بين الثقافة والدجل ، وذلك من خلال شخصية الدكتور إسماعيل الذى يعود من الخارج بعد إتمام دراسته ليجد أهل الحى غارقين في بحر متلاطم من الخرافات التى تتجلى في استخدام قطرات من زيت قنديل أم هاشم في علاج عيونهم . ويفاجأ بأن أمه تعالج عينى خطيبته فاطمة بنفس الطريقة . ويفشل في إثباتهم عن تصرفاتهم الجاهلة لتغلغل هذه المعتقدات في نفوسهم . وفي غمرة انفعاله وثورته يحطم القنديل مما يثير غضب أهل الحى عليه ويعانى من عزلة شديدة عنهم . لكن تسعن له الفرصة عندما تفقد فاطمة بصرها ،

فيو همها بأنه سيعالجها بزيت القنديل ، لكنه يستخدم أساليبه العلمية وأدواته الطبية فتتمثل الشفاء .

في فيلم "البوسطجي" يتبع المترجون أحدها تدور في إحدى قرى الصعيد حيث يقوم موظف البريد عباس بالتنصص على خطابات الأهالي ، فيكتشف علاقة حب آثمة بين فتاة وشاب يرسل إليها خطاباً يطمئنها بعزمها على الزواج منها بعد أن حملت منه . ويضطر عباس لحرق الخطاب بعد أن يقع عليه أثر يجعل علاجه متعذراً ، وبذلك ينقطع الأمل في حل مشكلة الفتاة . وتنقام الأمور فيكتشف الأب فضيحتها فيقتلها .

وفي فيلم "الرجل الذي فقد ظله" تتوغل الأحداث في أغوار الحياة السياسية والصحفية من خلال شخصية يوسف السويفي الصحفي الانتهازي والوصولي الذي يبيع نفسه في محاولة لتحقيق طموحه وكل ما يمكنه من المكاسب الاجتماعية . ويسعى لزواج من سعاد الفتاة الأرستقراطية . أما شوقي الرسام الصحفي فهو ثوري وينتمي إلى نفس طبقة يوسف ، لكنه يتمسك بالقيم الإنسانية ، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بقضايا الشعب ومصالحه ، كما يحرص على انتهاكه إلى طبقة الكادحة . أما الخادمة مبروكة التي تجسد مأساة فتاة مطحونة فيعتدى عليها أبو يوسف الذي يتزوجها وتضع مولودها . وعندما يموت الأب يطردها يوسف الذي يفقد مكانته عندما تسقط الوزارة التي كان يعول عليها .

وشهد عام ١٩٦٩ أربعة أفلام مأخوذة عن أعمال أدبية هي : "شيء من الخوف" لحسين كمال عن قصة لثروت أباظة ، و "يوميات نائب في الأرياف" لتوفيق صالح عن قصة لتوفيق الحكيم ، و "السيد البلطى" لتوفيق صالح أيضاً عن قصة لصالح مرسى ، و "الناس اللي جوه" لجلال الشرقاوى عن قصة لألبير قصيري .

وقد ثار لغط كبير حول فيلم " شيء من الخوف " على أساس أن ثروت أباظة كان يقصد جمال عبد الناصر بشخصية عتريس الطاغية الجبار . وسواء أكان هذا اللغط يدور حول إسقاط رمزي متعمد من الكاتب، أو أن عتريس هذا قصد به الطاغية في أي زمان ومكان . فain الفيلم كان من إنتاج المؤسسة المصرية العامة للسينما والتي كانت مملوكة للدولة . ولابد أن يُحسب لعبد الناصر رحابة صدره وسعة أفقه الفنى والثقافى عندما أتى الفرصة لعرض الفيلم بمنتهى البساطة ، وكان فى وسعه أن يمنعه من مجرد إشارة بيده ، لو كان يعتقد أنه المقصود شخصياً بهذا الفيلم ، خاصة في حالة الطوارئ التي كانت البلاد تعيشها في أعقاب نكسة ١٩٦٧ وتحت وطأة حرب الاستنزاف . فالفيلم يدور حول عتريس الرجل القاسي الذي يزرع في قلب حفيده عتريس الحقد والانتقام . وعندما يلقى مصرعه برصاصة ثائرة ضد بطشه ، يصمم حفيده على الانتقام ، وخاصة أنه أصبح يمتلك القرية ، ويسيطر على أهلها ، ويفرض الإتاوات، إلا أنه يفشل في جبه لفؤادة التي تقف أمام جبروته وتتصدى له . لكن أباها يوافق على زواجه منها خوفاً من بطشه ، ولا ترضخ فؤاده له بل ترفضه ويصبح زواجه باطلاً ، ويشعل صمودها و موقفها الإيجابي ثورة الأهالي بقيادة الشيخ إبراهيم الذي ينتقم منه عتريس بقتل ابنه الوحيد . وتزداد ثورة الأهالي تأججاً ويحاصرون قصره بالنيران التي تحرقه داخله .

في فيلم " يوميات نائب في الأرياف " يلقى قمر الدولة علوان مصرعه عندما يطلق عليه الرصاص ، وقبل أن يلفظ أنفاسه ينطق باسم ريم شقيقة زوجته الراحلة . ويبدأ النائب العام في التحقيق معها ، لكنها تهرب ، ويكتشف النائب أن زوجة قمر الدولة لم تمت ميتة طبيعية . ويثبت التقرير الشرعي بعد إخراج الجثة

أن بها كسرأً في عظام الرقبة . ثم يشغل المأمور والمركز كله بالانتخابات . وعندما يثور النائب على فساد إجراءات العدالة ، تظهر ريم جنة هامدة في ترعة المركز ، غريقة أو مقتولة ، لا يهم فقد ماتت وانتهت قضيتها .

في فيلم " السيد البلطى " تفاجأ جماعة من الصيادين بالصياد القديم عبد الموجود الذى يشتري مركباً كبيراً يعمل بالبخار مما يؤدي به إلى الاستيلاء على النصيب الأكبر من الصيد وبالتالي تحكمه في أرزاق صغار الصيادين . ويشير عليهم ابن السيد البلطى أقدم الصيادين بالعمل معًا كشركة وإرسال كل ما يصطادونه من الأسماك إلى القاهرة حيث يوجد عمه ليبيعه ثم يقسم الربح بينهم بالتساوی إلى أن يتمكنوا من شراء مركب ينافسون به عبد الجواد ، فالحل الواقعي العملى المحدود خير من الثورة التي لا تبدو بلا حدود لكنها في حقيقتها جوفاء لا تملك قوة دفع حقيقة .

في فيلم " الناس اللي جوه " تدور الأحداث الأساسية في منزل قديم تسكنه نماذج بشرية مختلفة : عربجي تخونه زوجته ، وآخر سائق أتوبيس يعيش مع أخته اللعوب ، وتاجر أنبيكات عجوز يتشدد في معاملة زوجته الشابة التي يحاول سائق الأتوبيس أن يعتدى عليها ، وسمكري يستعد للزواج من فنانة ، وفنان يصنع التماثيل . والبيت القديم الذي يرمز إلى المجتمع به شرخ يهدده بالسقوط ، لكن صاحبه يرفض إصلاحه . وعندما يشعر السكان المشتتون الشاردون ببواشر الكارثة التي تهدد حياتهم في الصميم ، فإن شملهم يلتئم في النهاية ويتفقون على إصلاحه من مالهم الخاص .

وشهد عام ١٩٧٠ ثلاثة أفلام مأخوذة عن روايات منشورة أيضاً هي : " الأرض " ليوسف شاهين والمأخوذ عن رواية عبد الرحمن الشرقاوى المعروفة بنفس الاسم ، و " السراب " لأنور الشناوى والمأخوذ عن رواية نجيب محفوظ ، و " غروب وشروع " لكمال الشيخ والمأخوذ عن رواية جمال حماد . في الفيلم الأول

تدور الأحداث في مصر عام ١٩٣٣ في ذروة سيطرة الإقطاع على مقدرات الكادحين والفقراء . وهي السيطرة التي تتمثل في محمود بك أحد الإقطاعيين الذي يحدد للفلاحين عشرة أيام فقط لرى أراضيهم ، ثم يخفضها إلى خمسة حتى يستحوذ على باقي الأيام لرى المزيد من أرضه . ويرفض الفلاحون هذا القهر وعلى رأسهم محمد أبو سويلم الفلاح الثائر . لكن الإقطاعي المتجر يزداد عنده ، وينزع ملكية أرض بعض الفلاحين لإنشاء طريق يصل قصره بالطريق العمومي . وتسانده الحكومة فترسل قواتها من الهجانة لتأديب الأهالي وإخماد ثورتهم . ويعصاب أبو سويلم أثناء تصديه لهم ، ويجره المأمور على الأرض أمام أهل القرية حتى يكون عبرة لهم ، وليرغمه على الاستسلام لكنه يصر على تمسمكه بأرضه شأنه في ذلك شأن أى فلاح أصيل .

أما فيلم "السراب" ١٩٧٠ فيشكل مع فيلم "القاهرة ٣٠" ١٩٦٦ ظاهرة فريدة من نوعها وجديرة بالتسجيل فيما يتصل بالعلاقة بين الرواية المنشورة والسيناريو السينمائي . إذ جرت العادة أن يكون السيناريو أكثر تسطيحاً وخفة من الرواية المطبوعة ، على أساس أن السيناريو موجه إلى الجمهور العريض العادي وليس إلى جمهور القراء المثقفين . لكن في هاتين الروايتين اللتين كتبهما نجيب محفوظ ، حرص كاتب السيناريو على الزرقاني في "السراب" ، كما حرص كاتب السيناريو والمخرج صلاح أبو سيف ومعه على الزرقاني أيضاً ووفية خيرى في "القاهرة ٣٠" ، على البناء الدرامي المحكم حتى يتجنباً بعض التغرات وعناصر الإطناب والبانوراما الاجتماعية المباشرة أو التحليل النفسي غير الدرامي ، وغير ذلك من العناصر غير البصرية التي يمكن أن تشكل عالة على البناء الفيلمى .

ويعتبر فيلم "السراب" من الأفلام القليلة التي تعالج العقد النفسية على أساس علمي . فالثري كامل يتزوج من رباب التي تكتشف عجزه

الجنسى فيلجاً إلى الدكتور أمين لعلاجه . ويتبين له أنه شاب خجول ويعانى من الانطواء نتيجة حياته كمراهق وشاب مع أنه بعد أن تفصل عن أبيه ، فالتصق بها التصاقاً كاملاً ، مما رسب في عقله الباطن ارتباط الجنس بالجريمة والمحرمات . ويلتقى الدكتور أمين برباب ويطلب منها أن تساعدته في العلاج ، لكن بمرور الوقت تتوطد علاقة الزوجة بالطبيب ويتورطان في علاقتها وتحمل . وينتهي الفيلم بشفاء كامل تماماً في نفس الوقت الذي تموت فيه الزوجة من عملية إجهاض تجرى لها .

في فيلم " غروب وشروع " تدور الأحداث عقب حريق القاهرة حيث يعيش عزمى باشا رئيس البوليس السياسي مع ابنته مدحية التي تتزوج من الطيار سمير . وتدب الخلافات بينهما لضعف شخصيته ، مما يدفعها إلى خوض تجربة عاطفية مع صديقه عصام دون أن يعلم حقيقتها . وعندما يكتشف سمير خيانتها ، يطلقها فينبر باشا لقتله ، ويرغم عصام على الزواج منها تجنبًا للفضيحة . ويستغل عصام فرصة وجوده بالقصر فيصور وثائق سياسية هامة ، إذ إنه عضو في تنظيم سياسي ، مما يتسبب في استقالة عزمى . ومع ذلك يعترف عصام لمدحية بحبه الصادق ، لكنها تطلب منه الابتعاد عنها ، فهناك من الكسور أو الشروخ ما لا يمكن أن يلتئم .

وشهد عام ١٩٧١ فيلمين مأخوذين أيضاً عن عملين أدبيين : ثرثرة فوق النيل " لحسين كمال والمأخوذ عن رواية نجيب محفوظ ، و " البعض يعيش مرتين " لكمال عطية والذي كتب قصته عادل كامل الرواى الذى بدأ حياته مع جيل نجيب محفوظ بروايته الشهيرة " مليم الأكبر " والتى أنبأت برواى ضلبيع ، لكنه لم يواصل المسيرة بعد أن جرفته دنيا الأعمال الحرة . ويبدو أن صديقه كمال عطية قد أغرى بكتابه هذه القصة لإخراجها في فيلم .

في فيلم "ثڑة فوق النيل" تلتقي مجموعة من الأشخاص في عوامة، يهربون فيها من حقيقة واقعهم بتدخين المخدرات! والتهكم على المبادئ، وإعادة النظر في كل المسلمات. منهم الموظف والممثل والصحفى والمحامى والقصصى والصحفية والطالبة الجامعية، ويجتمعون كل ليلة ليمارسوا كل أنواع الملذات الحسية وأحياناً الفكرية، خاصة عندما تدور رعوسمهم بالمخدر، ويتخيلون عالماً وهمياً ومجتمعاً خاصاً بهم. لكن يقع لهم حادث عندما يصادمون بالسيارة في ظلام الليل إنساناً مجهولاً، وبرغم هروبهم من المسئولية التي لم تثبت عليهم، فإن الأحوال لا تعود سيرتها الأولى ويتتحول الوهم الجميل إلى كابوس واقعى.

في فيلم "البعض يعيش مرتين" تمتزج الواقعية بالفانتازيا من خلال أسرة تبلور ملامح حيوية من المجتمع المعاصر. فالأبوان أحمد وزهير يشغلان بعملهما عن أبنائهما. فهو عالم آثار وهي مديره بالتعليم. وهذا الإهمال ينعكس على الأبناء. فثريا تستغل الحرية بطريقة سيئة، وسميرة تصبح ضعيفة الشخصية. أما الصغير هشام فيتجه إلى السرقة. وعندما يموت الأب من الصدمة، تتفكك الأسرة التي تفاجأ باختفاء جثته. ويتضح أن روحه قد تجسدت في الجuran الملكي الذي اكتشفه بحكم عمله كعالم آثار. وينجح طوال أربعين يوماً في تقويم أبنائه، ثم تفارق روحه إلى الأبد. وفي العقيدة المصرية القديمة كانت روح الميت تظل تحوم حول جثته طوال الأربعين يوماً التالية لوفاته، إلى أن يتم التحنط الذي يستغرق هذه المدة، ثم تطلق إلى العالم الآخر. ومن هنا كان الشعب المصرى هو الشعب الوحيد الذى يحتفل بنكوى الأربعين. أى أن عنصر الفانتازيا في الفيلم لا ينهض على محض خيال، بل يتخذ من العقيدة المصرية القديمة قاعدة انطلاق له.

أما عام ١٩٧٢ فقد شهد ميلاد اثنين من المخرجين: أحدهما غير نمطى إلى حد كبير في معظم أفلامه وهو على عبد الخالق الذى دخل الحلبة بفيلم "أغنية على

المر " ، ومذكور ثابت الذى لم يحطم حواجز النمطية فحسب ، بل بلغ آفاق الطليعية فى فيلمه " حكاية الأصل والصورة " عن قصة لنجيب محفوظ . ويبدو أن التجربة بما تحمله من تنظير نفسي وفلسفى ، كانت تعتبر دليلاً عملياً على قدرة السينمائى المصرى على مواكبة نظيره فى الدول ذات الباع الطويل فى الريادة السينمائية ، مثله فى ذلك مثل شادى عبد السلام فى فيلمه الطليعى الرائد "المومياء" . ولابد أن نذكر هنا بكل التقدير والاحترامدور الحضارى العظيم الذى نهض به القطاع العام الذى أنتج هذه الأفلام التى نفخر بها جميعا ، والتى كان من المستحيل أن يقبل على إنتاجها القطاع الخاص الذى يفضل دائماً اللعب على المضمون النمطى بعيداً عن التجريب الطليعى .

وينطوى فيلم " أغنية على الممر " على تجسيد درامى لملامح الفترة المأسوية التى عاشتها مصر فى أعقاب نكسة يونيو ١٩٦٧ وفى أثناء حرب الاستنزاف التى تلتها . وقد كتب السيناريو والحوار له مصطفى محرم عن مسرحية لعلى سالم بنفس الاسم ، والتى تدور حول خمسة جنود محتجزين فى مصر بالصحراء بعد أن يشهد جميع زملائهم فى أثناء حرب ١٩٦٧ . وينقطعون عن العالم بعد أن يتلف جهاز اللاسلكى . وكان أكبرهم سناً الشاويش محمد الفلاح الذى ترك أرضه ليزرعها أولاده ، ليشارك من قبل فى حرب ١٩٥٦ . وهناك أيضاً حمدى الفنان الذى يحلم بالارتقاء بالأغنية بعيداً عن التقاهة والسطحية ، وشوقى الذى ينشد المثالية ، ومسعد العامل البسيط الذى يحلم بالاستقرار مع زوجة . أما منير فهو انتهازى . أى نماذج من المجتمع تم وضعها فى بونقة النكسة لتصهر وتكشف عن نوعية معدنها . وقد بلغ الانصهار قمته عندما يتعرضون لهجوم بطائرات العدو ليشهد ثلاثة منهم ، رمزاً للضريبة التى يتحتم على مصر أن تدفعها من دماء أبنائها .

وكانت المؤسسة المصرية العامة للسينما قد أنتجت عام ١٩٦٩ فيلم " حكاية الأصل والصورة " الذى أخرجه مذكور ثابت عن قصة نجيب محفوظ بعنوان " صورة " ، وكتب له السيناريو والحوار أيضاً . وعرض لأول مرة عرضاً جماهيرياً بسينما ميامي عام ١٩٧٢ ضمن ثلاثة فيلم " صور ممنوعة " . وكان الفيلم بمثابة صدمة فكرية وفنية لجمهور لم يتعد على تقبل التيارات الطبيعية والتجريبية بسهولة . فقد كتب مذكور ثابت السيناريو والحوار وقام بإخراج الفيلم عن قصة نجيب محفوظ " صورة " المنشورة في مجموعة " خمارة القط الأسود " ١٩٦٩ ، ليس لمجرد إثبات وجوده كسينمائى جديد في الساحة ، ولكن من منطلق تطهير تجريبى طموح ، بل وظلىعى بدرجة لا تحتملها السينما المصرية التى رسفت فى أغلال النمطية منذ بدايتها وحتى الآن ، والتى لم تكن تتقبل ببساطة كسر الإيمان بالواقع الذى هو صعب فى السينما بطبيعتها القائمة أساساً على الإيمان بالواقع . ومع ذلك كان مذكور ثابت من الجرأة بحيث كسر الإيمان بالواقع ، ضارباً بعرض الحائط احتمالات النجاح التجارى النمطى .

وقد تركزت طبيعية مذكور ثابت في توظيفه للمنهج الملحمي البريختى في المسرح ، على فيلمه منذ بدايته حتى نهايته ، مما منحه اتساقاً فكرياً وفنرياً حطم به كل أطر النمطية التي سادت السينما المصرية . فالفيلم يدور حول جريمة قتل ، يعترف أكثر من شخص بأنه ارتكبها . لكن عنصر التغريب الملحمي يبدأ منذ اللحظة التي ندرك فيها أن الاعتراف لم يعد سيد الأدلة ، إذ يقف رجال الشرطة في حيرة من القضية ، ويعجزون عن التوصل إلى القاتل الحقيقي . فالبطلة الفعلية في الفيلم هي مجرد صورة لقتيلة في الصفحة الأولى من الجريدة ، وبالتالي فإن الجمهور لا يستطيع أن يندمج أو يتوحد معها . بل إن ملامح الشخصية ليست محددة على الإطلاق . وحتى اسمها يتغير بتغير الشخصية التي عرفتها وتعاملت معها بطريقة أو بأخرى . وقد عمد مذكور ثابت إلى الرسم التجريدي لملامح

الشخصيات بحيث لا يمكن للجمهور أن يتعرف عليها معرفة تجعله يتوحد معها. فهى عبارة عن لمحات اجتماعية و Sociology سريعة بل وخطافة تحرص على جعل الجمهور متفرجين من خارج نطاق الأحداث ، وغير مسموح لهم بتجاوز هذا النطاق .

وعلى سبيل الإصرار والتاكيد على كسر الإيمان بالواقع ، كان ظهور مذكور ثابت شخصياً عدة مرات على الشاشة . فالمتفرج يتتابع مخرج الفيلم وهو يجسم بنفسه سوء التفاهم بين راشد وماجدة (الصحفى والصحفية) . بل إنه يعلن بنفسه أيضاً بداية الفيلم ويدعو المتفرج للاشتراك فى التحقيق . وفي موقع آخر فى السياق يظهر مرة أخرى ليعلن رأيه الشخصى فى التهمة التى تتسبها إحدى الشخصيات إلى نفسها فى ضوء القصة والسيناريو . ويعود للظهور فى نهاية الفيلم ليتعلق على الحدث بطريقته كمؤلف ومخرج سينمائى عبر جو عبئى ساخر ينضم إليه فيه كل الفنانين العاملين فى الفيلم .

وكما يحدث فى مسرح بريخت عندما تتجه الشخصيات لمخاطبة الجمهور مباشرة ، فإن بعض شخصيات مذكور ثابت تتجه بنظرها إلى الكاميرا وكأنها تخاطب المتفرج أو تروى له ما حدث . بل إن الراوى الملحمى التقليدى لا يظهر بشكله النمطى بل يقوم مذكور ثابت بتوزيع دوره على لسان مختلف الشخصيات كلما تطلب الموقف ذلك . ومن هنا كان تعدد أصوات الرواية وبالتالي تعدد زوايا السرد السينمائى . وهذه الأصوات وتكرار تدخل المخرج فى الأحداث كان بمثابة دعوة للمتفرجين لإبداء الرأى فيما يجرى دون الاندماج فيه أو التعاطف معه . أى أن الفيلم دعوة للنفكير والتحليل وليس دعوة للانفعال والاندماج ، ولذلك خلا المونتاج من المزج والاختفاء والظهور التدريجى ، بل اعتمد على القطع المفاجئ الذى يستشعره المتفرج بسهولة ، بل وأحياناً يأتى القطع كأنه قفزة

أو صدمة لم يتم التمهيد لها . فليس هناك تسلسل مريح أو تدفق سلس للأحداث المشاهد حتى يظل المتدرج على يقظته المحايدة أو الموضوعية في متابعته للفيلم .

وكسر الإيمام عند مذكور ثابت ليس كسرًا مطلقاً ونهائياً ، بل يطبق هو نفسه عليه مصطلح الكسر النسبي في الإيمام السينمائي ، وهو عنوان كتابه العمدة في هذا المجال . فالإيمام ليس معياراً ثابتاً بل هو أداة أو وسيلة أو مساحة نسبية ، يستطيع المخرج أن يحددها ويسطير عليها طبقاً لمنظومة العوامل والعناصر الدالة في صناعة الفيلم وإبداعه . وخاصة أن الفصل التام مستحيل بين التفكير والانفعال ، وبين التحليل والاندماج . والفنان الذي يدرك هذه الحقيقة ويعرف كيف يتعامل معها ، في إمكانه أن يعلم المتألق وأن يمتعه في الوقت نفسه .

إن هذه التجربة الرائدة والطليعية التي لم تجد امتداداً لها ، ستظل إحدى العلامات المضيئة والمميزة للطريق التي شقتها السينما غير النمطية في مصر ، والتي يجب أن تكون إلهاماً لطموحات تجريبية جديدة تجنب السينما من السقوط في هاوية النمطية . وخاصة أن مذكور ثابت كأستاذ للإخراج في المعهد العالي للسينما ، وكرائد للتنظير السينمائي ، لم يبدع هذا الفيلم لمجرد التواجد في الساحة أو لإشاعر هوایته ، بل بناء على نظرية فكرية وفنية وجمالية متباعدة العناصر ومتسقة الملامح ، سجل كل أبعادها وأعمقها في كتابه الموسوعي "النظرية والإبداع في سيناريو وإخراج الفيلم السينمائي" ١٩٩٣ ، والذي أطلقه بكتابه العمدة "الكسر النسبي في الإيمام السينمائي" ١٩٩٤ . ذلك أن التطبيق عنده هو الوجه الإبداعي للتنظير الفكري والفنى ، ولذلك فإن هذين الكتابين الرائدين مع فيلمه الطليعى ، بمثابة قاعدة للانطلاق المقنن صوب آفاق التجريب والتجديد ، والتي أصبحت السينما المصرية في أشد الحاجة إليها بعيداً عن

تهويمات الحداثة وشطحات ما بعد الحداثة التي لا تحتملها السينما المصرية التي عاشت طويلاً تحت وطأة التميط .

وشهد عام ١٩٧٣ أربعة أفلام : " حمام الملاطيلي " لصلاح أبو سيف ، و " الشحات " لحسام الدين مصطفى ، و " السلم الخلفي " لعاطف سالم ، و " ليل وقضبان لأشرف فهمي . وتدور أحداث الفيلم الأول في الجو الشعبي الذي عشقه صلاح أبو سيف . ففي حمام الملاطيلي يقيم أحمد حيث المبيت به أرخص . وهناك بمقابل بالفتاة نعيمة الهازبة من أهلها ، والتي تعيش ببيع جسدها ، ويستسلم لها . كما يتربى على الحمام رموف بك البرجوازى الذي يجد في الحمام الشعبي عالماً غريباً ، ويعجب بأحمد ويحكى له همومه وضياعه . وتتوطد العلاقة بين نعيمة وأحمد . كما تعجب به في الوقت نفسه زوجة المعلم أمين صاحب الحمام فتشاغله وتوقع في شباكها ، فينصرف عن نعيمة ، ثم يفاجأ بأهل نعيمة الذين يتوصلون لمكانها ويقتلونها ليمحو عارها .

أما فيلم " الشحات " فيدور حول المحامي المرموق عمر الحمزاوي الذي يناله الهموم وينصحه الطبيب بالراحة . لكن حالته النفسية تزداد سوءاً ، فيقرر أن يغير مسيرة حياته . فينغمض في عالم النساء والجنس ويهاجر منزلاً . وتحاول ابنته بثينة المرهفة العاشقة للشعر أن تعيده لوضعه الأول ولكن عبثاً . ويهرب عمر من أزمته النفسية التي تزداد سوءاً ، إلى التصوف وقراءة الروحانيات . وعندما تنتهي مدة عقوبة عثمان صديق عمره ، يتزوج من بثينة ويواصل المناداة بأفكاره الثورية . وعندما يطارده البوليس السياسي ، يهرب ويلجأ إلى عمر في صومعته ، فيصاب عمر برصاصة ويقبض على عثمان .

أما فيلم " السلم الخلفي " فيستخدم بعض السكان السلم لغرض في نفس يعقوب . فمثلاً يستخدم سامي ابن صاحب العمارة والطالب الفاشل بالثانوية العامة السلم لعودته متأخراً . كما تستخدمه فرقة موسقيين تشغل إحدى الشقق ، وتتجنب

مقابلة البواب الذي يطالبها بالأجرة ، في حين تتردد عليهم الشغالة نوسنة عن طريق السلم الخلفي أيضاً ، فهـى تهـى الرقص والغناء ثم تـنضم إلى الفـرقة . وعن طريق السـلم نفسه تـنـتـحـرـ الشـغالـةـ الصـغـيرـةـ بعدـ أـنـ تـضـيقـ بـمـعـاـلـمـةـ سـيـدـتـهاـ القـاسـيـةـ . كـماـ يـقـومـ سـامـيـ معـ أـصـدـقـائـهـ بـسـرـقـةـ شـفـةـ أـبـيـهـ ، لـكـنـهـ يـقـعـونـ فـيـ قـبـضـةـ رـجـالـ الشـرـطـةـ .

في فيلم "ليل وقضبان" يعامل فتحى مدير أحد السجون ، مسجونيـهـ معـاـلـمـةـ قـاسـيـةـ ، كـماـ يـعـاـلـمـ زـوـجـتـهـ سـمـيرـةـ معـاـلـمـةـ النـزـيلـ فـيـ سـجـنـهـ . وـعـنـدـمـاـ يـنـقـطـعـ التـيـارـ الكـهـرـبـائـىـ مـنـ مـنـزـلـ فـتـحـىـ ، يـرـسـلـ لـإـصـلـاحـهـ السـجـينـ أـحـمـدـ طـالـبـ الـهـنـدـسـةـ الـذـىـ زـجـ بـهـ فـيـ السـجـنـ ظـلـمـاـ . وـتـعـجـبـ بـهـ سـمـيرـةـ لـدـرـجـةـ أـنـهـ تـتـعـدـمـ قـطـعـ التـيـارـ حـتـىـ تـسـتـطـعـ رـؤـيـتـهـ فـيـ أـثـاءـ غـيـابـ زـوـجـهـ ، وـيـنـمـوـ الـحـبـ بـيـنـهـمـاـ . وـعـنـدـمـاـ يـكـتـشـفـ فـتـحـىـ خـيـانـةـ زـوـجـتـهـ لـهـ ، يـدـبـرـ مـعـ رـئـيـسـ الـحـرـسـ الشـلـقـامـيـ لـقـتـلـ أـحـمـدـ . وـتـسـتـدـعـيـ سـمـيرـةـ السـجـينـ بـحـجـةـ اـنـقـطـاعـ التـيـارـ ، فـيـصـحـبـهـ الشـلـقـامـيـ ، وـيـعـودـ بـمـفـرـدـهـ مـدـعـيـاـ أـمـامـ الـجـمـيعـ بـأـنـ السـجـينـ هـرـبـ ، فـيـأـمـرـ فـتـحـىـ بـإـطـلـاقـ الـكـلـابـ خـلـفـ السـجـينـ وـتـمـزـقـهـ حـتـىـ الـمـوـتـ .

وـشـهـدـ عـامـ ١٩٧٤ـ فـيـلـمـيـنـ :ـ "ـ العـصـفـورـ"ـ لـيـوـسـفـ شـاهـيـنـ ، وـ "ـ الـحـفـيدـ"ـ لـعـاطـفـ سـالـمـ . فـيـ الـفـيـلـمـ الـأـوـلـ يـسـافـرـ ضـابـطـ الشـرـطـةـ رـعـوـفـ إـلـىـ الصـعـيدـ لـلـقـبـضـ عـلـىـ الـمـجـرـمـ الـخـطـيرـ أـبـوـ خـضـرـ . وـيـلـتـقـىـ بـالـصـحـفـيـ يـوـسـفـ الـذـىـ يـنـشـرـ تـحـقـيقـاتـ عـلـىـ الـفـسـادـ الدـاخـلـىـ مـنـ خـلـالـ مـصـنـعـ تـابـعـ لـلـقـطـاعـ الـعـامـ ، أـنـشـىـ مـنـذـ سـتـ سـنـوـاتـ ، وـلـمـ يـكـتـمـلـ بـنـاؤـهـ بـسـبـبـ سـرـقـةـ وـتـهـرـيـبـ أـجـهـزـتـهـ وـمـاـكـيـنـاتـهـ لـيـلـأـ بـوـاسـطـةـ أـبـوـ خـضـرـ ، وـبـيـعـهـاـ إـلـىـ مـصـانـعـ الـقـطـاعـ الـخـاصـ . وـيـتـعـاـونـ يـوـسـفـ مـعـ رـجـالـ الشـرـطـةـ وـمـعـ بـعـضـ الـأـصـدـقـاءـ لـمـعـرـفـةـ الـجـهـةـ الـتـىـ تـسـرـقـ الـمـعـدـاتـ . وـفـيـ الـنـهـاـيـةـ تـلـقـىـ بـمـصـرـ هـزـيـمةـ ١٩٦٧ـ كـنـتـيـجـةـ لـلـفـسـادـ الـذـىـ سـرـىـ فـيـ هـيـكـلـ النـظـامـ كـالـسـوـسـ فـيـ الـخـشـبـ .

وـفـيـ فـيـلـمـ "ـ الـحـفـيدـ"ـ الـمـأـخـوذـ عـنـ قـصـةـ عـبـدـ الـحـمـيدـ جـوـدـةـ السـحـارـ ، تـنـزـوـجـ أـحـلـامـ وـشـفـيقـ الـذـىـ يـرـفـضـ فـكـرـةـ الـإـنـجـابـ فـيـ بـدـاـيـةـ حـيـاتـهـمـاـ الـزـوـجـيـةـ . وـتـصـرـ الـأـمـ عـلـىـ أـنـ تـقـيمـ الـابـنـةـ الـكـبـرـىـ نـبـيـلـةـ مـعـهـمـ لـهـيـنـ مـوـعـدـ وـلـادـتـهـاـ ، مـاـ يـثـيرـ قـلـقـ الـأـبـ

لأن هذا يعني مزيداً من الضغوط المادية عليه . وعندما تكتشف أحلام أنها حامل ، يثور شفيقوناخيرها بين حياتها معه أو التخلص من الجنين ، فتترك له المنزل وتتجأ إلى أبيها . وعندما تلد نبيلة ، يذهب زوجها إلى شفيق لإقناعه بوجهة نظره الخاطئة ، ويصطحبه للمشاركة في السبوع ، ويعود الصفاء بينه وبين أحلام .

أما عام ١٩٧٥ فشهد فيلمين : "أريد حلاً" لسعيد مرزوق ، و "المومياء" لشادي عبد السلام . ويعتبر الفيلم الأول صرخة فنية ودرامية ضد القهر الذي ترزع المرأة المصرية تحت وطأته ، وقصته مأخوذة عن قصة حقيقة ، تعدد نموذجاً لقصص ومواقف عديدة لا يعلم عنها أحد شيئاً . فالحياة تستحيل بين درية وزوجها الدبلوماسي مدحت ، فتطلب منه الطلاق ، لكنه يرفض . وتضطر للجوء إلى المحكمة ورفع دعوى الطلاق ، في حين تعمل مترجمة في إحدى الجرائد . وينمو الحب بينها وبين رعوف صديق أخيها . وتدخل درية في متأهلات المحاكم ، وتتعرض لسلسلة من المشكلات والعقبات التي تهدد كرامتها . وتتعقد الأمور عندما يأتي الزوج بشهود زور يشهدون ضدها في جلسة سرية . وتصل المأساة قمتها عندما تخسر قضيتها بعد مرور سنوات طويلة من العذاب المتواصل .

ثم نأتي للفيلم المعجز "المومياء" الذي يعتبر درة السينما المصرية . وفيه تعيش عائلة الحربات على سرقة ما في بطون الجبل من مومياءات فراعنة مصر . ويتم تنصيب ونيس زعيمًا للعائلة بعد موت أبيه ، ويكتشف مع أخيه الصغير أحمد حقيقة مصدر رزق القبيلة . وعندما يتمرد أحمد على العائلة ، يقتلونه . ويصل مندوبي الآثار للتحقيق في سر سرقة المومياءات . وتنتازع ونيس مشاعر متناقضة بين الوفاء لعائلته وبين واجبه الوطني الذي ينتصر ، فيعترف ل الكبير أفنديه البعثة عن مكان المخبأ ليتم نقل المومياءات تحت حراسة مشددة من الشرطة .

ولا شك أن عبقرية شادي عبد السلام تهض على استيعابه الكامل للعلاقة العضوية بين الإبداع التشكيلي والإبداع السينمائي ، وبالتالي العلاقة بين الشكل

البصري بكل جمالياته وثرائه ورصانته وبين المضمون الفكري بكل أبعاده وأعماقه ومفرداته ، وأيضاً العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمكان الذي لعب دوراً درامياً لا يقل في أهميته وحيويته عن الدور الذي قام به الإنسان . فقد كان الحوار مجرد وسيلة ضمن وسائل تعبيرية وتشكيلية وبصرية يصعب حصرها . ذلك أن شادي عبد السلام استخدم الفراغ المحيط بالشخصيات وشحنه بقدرات تعبيرية قل أن نجد لها نظيراً في السينما المصرية بصفة عامة . فكان الكادر عنده بمثابة البوتقة التي انصهرت فيها البورتريه والمنظر الطبيعي والطبيعة الصامتة التي تعبّر كلها عن الحياة والبيئة في ثراء عجيب .

كان فيلم " المومياء " ثورة حقيقة ، فنية وفكرية ، على القيد النمطية التي كبلت مسيرة السينما المصرية ، ونأت بها عن بلورة الجوانب الحضارية والثقافية الشخصية المصرية . ففي مجال تشكيل الكادر ، جعل لكتلة الجبلية الراسخة ايقاعاً يتردد مع صدى الرياح التي تخلق جواً عاماً للفيلم ، لا يستطيع المترجر أن يفك نفسه من أسره ، خاصة أن عينه أيضاً لا تستطيع الإفلات من الخطوط الحادة التي حرص شادي عبد السلام أن ينطلق بها إلى السماء ، بحيث أوشكت أبعاد الكادر عنده أن تحتوى الكون بأسره . فالمكان كله ينبض ويتنفس من خلال حركة الكاميرا الموحية ، والتوزيعات الضوئية التي تسلط على مساحات معينة ذات دلالات فكرية وشعورية ، في حين تغرق مفردات أخرى في عتمة لا تظل كما هي ، بل تخترقها انعكاسات الضوء وظلاله على الزوايا . وهي الانعكاسات التي ابتكرها وبرع فيها مدير التصوير الرائد عبد العزيز فهمي . فكان الضوء يخاطب عين المترجر في حين تتلاعب العتمة بمشاعره .

كذلك حرص شادي عبد السلام كفنان تشكيلي ومخرج سينمائي على تفنين المساحات والأعماق التي تحتلها الشخصيات داخل أبعاد الإطار ، مما أظهرهم في صراعهم الضيق غير الحضاري كأقزام في مواجهة الجبال الشامخة والراسخة التي

تُوحى بشموخ الحضارة المصرية ورسوخها في وجه كل من يحاول المساس بها . فالفيلم لا ينهض على مضمون تاريخي فحسب ، بل يحتوى على إشعاعات تفرق الواقع وتعرّيه ، وتدعو إلى تغييره إلى الأفضل دون أية دعاية مباشرة أو غير مباشرة لذلك .

وتنجلى عقريّة شادي عبد السلام التشكيلية في حرصه على رسم تكوينات معظم كادرات الفيلم ، حتى يخضع لرؤيته القدرات اللونية ، وتأثيرات الضوء والظل على سطح الكادر ، والتضاد بين الألوان الدافئة أو الساخنة كالحراء والبرتقالية والصفراء ، وبين الألوان الفاتحة أو الباردة كالزرقاء والرمادية . وكان مدير التصوير عبد العزيز فهمي خير معين له في توزيع تلك المساحة الزرقاء الرقيقة التي تغلف معظم مشاهد الفيلم . فقد ابتكر عبد العزيز فهمي أسلوب التصوير في ضوء السماء بعيداً عن ضوء الشمس المباشر ، كلما استدعت الحاجة الدرامية والجمالية لهذا الأسلوب الذي كان يتضاد بدوره مع ضوء الشمس المباشر والساطع في جنوب الوادي ، مما جعل الفيلم سيمفونية من الأضواء والألوان والظلال .

وعلى الرغم من الإيقاع الهادئ الذي تميز به الفيلم ، فإن بعض المشاهد كان يقاطع بسرعة مع السياق العام ، مما منح الإيقاع حيوية متقدمة ، وكذلك أتاح الفرصة للمتفرج كى يتوجه بعينه مباشرة إلى محور الحركة البطيئة التي ارتبطت بالألوان الباردة والمعتمة خاصة فيما يتصل بملابس الممثلين والتي كانت تتبع في مشاهد كثيرة إلى كتل قاتمة راسخة ، خاصة في لحظات سكونها . ولابد أن يذكر تاريخ السينما المصرية لعبد العزيز فهمي أنه لم يحطم أساليب التصوير النمطى فحسب ، بل تجاوز قوانين التصوير الصوتية والفيزيائية والكمياوية حتى أخضعها للرؤية الدرامية للمخرج ، وذلك لكي تصل اللغة السينمائية إلى أقصى طاقاتها البلاغية في التعبير .

ولم يستأثر فيلم مصرى باعتراف السينما العالمية مثلاً فعلى "المومياء" . فمثلاً يقول الناقد البريطانى ديفيد روبنسون عنه عندما عرض لأول مرة فى لندن فى مارس ١٩٧٢ :

"كان فيلم "المومياء" أو "ليلة حساب السنين" من إنتاج الهيئة العامة المصرية للسينما ، أول فيلم مصرى في التاريخ يجتذب اهتماماً عالياً واحتفاء من كبار النقاد . إنه حدث فريد من نوعه للغاية في سينما طالما كرست نفسها لإنتاج أفلام ذات صبغة نمطية للاستهلاك المحلي ، لدرجة أن الفيلم لم يعرض في موطنه برغم مضي عامين على إنجازه . وبالفعل فإن عرضه في لندن هو أول عرض له، خارج عروض المهرجانات السينمائية العالمية " .

وقالت صحفية "التايمز" اللندنية في ٢٧ مارس ١٩٧٠ في تغطيتها لعرض الفيلم في المهرجان :

"يتميز الفيلم بسلسة فائقة ، وبإيقاع يسحر المشاهد حتى يجعله يرحب بهذا الإيقاع المتمهل بصفة خاصة . أما التصوير والتكتوين فبديعان ، وبرغم تكشفها فإنها غنيان في استخدامها لمناظر الأطلال القديمة والتلال والنيل والملاحة فيه ، إذ تتمتع كل لقطة بتكتوين ديناميكى يربط حركتها باللقطة التالية " .

أما صحفية "مورننج ستار" فقد كتبت في ٣٠ مارس ١٩٧٠ ، تقول :

"إذا كانت الأفلام المصرية ذات طابع تجاري ونمطى فج ، فإنه في الأعوام الماضية تحققت بعض الإنجازات الفنية المثيرة للاهتمام . من أبرزها فيلم "المومياء" الذي حصل على جائزة جورج سادول في عام ١٩٧٠ . ففي أسلوب شاعري قوى يحكى المخرج وكاتب السيناريو شادي عبد السلام مهنة ابن زعيم قبيلة معند نفسه ، بعد أن علم أن رخاء القبيلة أعتمد على مدى أجيال على نهب المقابر الملكية القديمة " .

وفي ٣٠ مارس ١٩٧٢ كتب الناقد دريك مالكولم في مجلة "آرتى جارديان" يقول :

"إن ما يجعل الفيلم رائعاً هو أولاً وقبل كل شيء خصائصه البصرية، حيث تتتابع اللقطات ذات التكوين البديع ، واحدة إثر أخرى، في تكامل تام فيما بينها ، وتحت السيطرة الكاملة للمخرج . وهناك تناول صوفي للسرد يحرص على أن يعطي معنى أعمق كثيراً من السطح المرئي . إنه يشبه متابعة طقس ، تأمل أن يفضي بك في النهاية إلى سر مهم " .

وفي ٣٠ مارس ١٩٧٢ أيضاً كتبت صحفية " ديلي تلigrاف " البريطانية : تقول :

" ما من مخرج يملك عيناً سينمائية يمكن أن يطمح إلى تحقيق أعظم مما حققه شادى عبد السلام الذى استغل مهارته كمهندس مناظر فى تقديم معابد الفراعنة المهدمة وسط تلال الرمل فى الصحراء ، والجدران المحفورة عليها نقوش هيروغليفية ، والمتاحف الهائلة من الممرات التى تتنصب فيها مبان من الحجر المنحوت مازال الناس يعيشون فيها ، والنيل وهو يشق طريقه وسط الرمال ، وجبل الموتى العظيم يرتفع من خلفه ، ورجال القبيلة ونساؤها وأرديتهم السوداء ، بحيث يكتمل لديك مشهد غريب وجميل فى الوقت نفسه ، تصرف فى جنباته الريح لتضييف أيضاً مؤثراً موسيقياً غريباً .

أما الناقد المسرحي والسينمائى الكبير جون راسل تيلور فيقول في مجلة "سايت آند ساوند" عدد يناير ١٩٧١ : " إن أول ما يخرج به المخرج هو تأثيره ببروعة المرئيات إلى حد خيالي في هذا الفيلم . وأغلبها لقطات فردية لا تنسى ، مثل لقطة جنازة والد البطل حيث تثثر البتلات الأرجوانية على الأرض حتى تتحول الشاشة جمعيها إلى اللون الأرجوانى ، أو لقطة اقتراب الشاب من جدران المعبد ،

وهي مصورة من أعلى مباشرة بحيث يصبح هو الجزء الوحيد المتحرك وسط هذا التشكيل الرائع من الحجارة الذهبية . إلا أن هذا فيلم لمهندس مناظر ، وإذا كان الأمر قد اقتصر على هذا الجانب لأصبح الفيلم مجرد تمرين خاو ، لكن ما يلفت النظر أكثر من هذا ، هو كيفية استخدام هذه المؤثرات . فهناك شد كهربى بين كل لقطة ولقطة التى تليها ، بحيث مهما طالت مدة أية لقطة ، فإننا لا نقدر أبدا الإحساس بالتتابع المستمر . ويبدو أن هناك تحت هذا السطح الرائع ، أشياء أخرى أكثر مما يقال بأسلوب مباشر " .

فى عام ١٩٧٦ أخرج سعيد مرزوق فيلم " المتنبون " وهو عن قصة لنجيب محفوظ تتطوى على الجو البوليسى الذى اشتهرت به الرواية البريطانية أجاثا كريستى ، لكن الاسقطات السياسية والاجتماعية كانت الهدف وليس مجرد الإثارة البوليسية ، إذ يقوم أحمد بإبلاغ الشرطة عن جريمة قتل خطيبته الممثلة المعروفة سناء فى حفل عيد ميلادها . ويبدا رئيس المباحث التحقيق مع الموجودين ، فتكتشف انحرافات عديدة يقوم بها عدد من المدعوبين الذين يشترون جمياً فى علاقاتهم سناء التى تستفيد فى المقابل من كل فى تخصصه وينهار أحمد بعد أن يضيق عليه ضابط المباحث الخناق ، ويعرف بأنه القاتل بعد أن ضبطها مع أحد عشاقها . ويتم القبض عليهم جمياً ، كل لجريمة .

فى عام ١٩٨١ أخرج على بدرخان فيلم " أهل القمة " عن قصة لنجيب محفوظ ، وفيه يعمل النشال زعتر لدى زغلول صاحب إحدى شركات الاستيراد والتصدير ، والذى يستغل إمكانات اللص زعتر ، ويكلفه بمهام مشبوهة تتعلق بتهريب بضائع من الجمرك . ويتعرف زعتر على سهام شقيقة ضابط المباحث محمد ، ويربط الحب بينهما ، مما يثير غضبه . ويستقل زعتر عن زغلول ويبدا منافسته . ويتقدم زغلول للزواج من سهام ويرحب محمد . يكشف له زعتر عن حقيقته لكنه لا يصدقه وتهرب سهام مع زعتر ليتزوجا . ويتأكد محمد من حقيقة

زغلول ، لكن مكالمة تليفونية له من مسئول كبير يأمره بحفظ التحقيق ، بل ويتم نقل محمد إلى أسيوط لأن طوفان الفساد أقوى من أن يعترضه أى محارب من أجل القيم والأخلاق .

فى عام ١٩٨٢ أخرج يوسف شاهين فيلم " حدوث مصرية " الذى يصاب فيه المخرج السينمائى يحيى شكري مراد بأزمة قلبية فى أثناء إخراج أحد أفلامه . ويضطر للسفر إلى الخارج ليعرض نفسه على الطبيب الأخصائى مجدى يعقوب المقيم فى لندن . وتنتمى له جراحة قلب ناجحة ، وفي أثناء العملية تتراءى له بعض أحداث ماضية تمثل أهمية خاصة فى حياته كفنان وإنسان ومواطن مصرى . وتأخذ التجربة شكل محاكمة تتم فيها مواجهة بين المخرج الناجح وبين الطفل الكامن داخله . وينتهى الفيلم بالصلح بينهما . وبرغم أن الفيلم ينهض على تجربة شخصية ليوسف شاهين نفسه ، فإن الدلالات الإنسانية التى تثيرها أشمل بكثير من حدودها الشخصية .

وفى عام ١٩٨٢ أيضاً أخرج محمد خان فيلم " الثأر " الذى يستوحى فيه قصة انتقام الكونت دى مونت كريستو التى تكررت كثيراً فى أفلام مثل " أمير الانتقام " ، و " أمير الدهاء " و " دائرة الانتقام " ، و " دعوني أنتقم " ، و " المرأة الحديدية " ، إلا أن محمد خان يمنح القصة دلالة جديدة تماماً وزاخرة بالتهم والسخرية المريرة التى أخرجته من حيز الأفلام النمطية ، والتى تمثلت فى نهايته التى منحه معنى جديداً . ففى الفيلم يقوم أربعة أشخاص باختطاف ندا وهى فى الطريق مع زوجها أحمد الذى يلتقط رقماً واحداً من أرقام السيارة ويبلغ الشرطة وتعود ندا وهى منها بعد أن تتعرض للاعتداء الوحشى منهم وتفقد جنينها . ويصمم أحمد على الانتقام منهم بنفسه . وبعد بحث محموم يعثر على سيارة بها نفس المواصفات ، ويقوم بقتل ثلاثة أشخاص ويتم القبض عليه قبل ارتكابه الجريمة الرابعة ، ثم يفاجأ بأن رجال الشرطة قد قبضوا على الجناة الحقيقيين . وهى النهاية

التي تنقل الاهتمام من دائرة الانتقام النمطى والإشاعر التقليدى المترتب عليه إلى خطورة الحكم على البشر بمجرد الشبهات .

فى عام ١٩٨٣ أخرج عاطف الطيب فيلم " سوق الأتوبيس " الذى اشترك فى كتابة قصته محمد خان وبشير الديك ، والتي تدور حول حسن أحد أبطال حرب أكتوبر ، والذى يصاب أبوه بالاكتتاب نتيجة تراكم الضرائب على ورشة الخشب التى يمتلكها مما يهدده ببيعها . وعلى طريقة " الملك لير " لشكسبير ، فإن ابنته تتخليان عن مساعدته برغم ثراء زوجيهما . وتبיע ميرفت مصاغها لتشتري سيارة أجرة يعمل عليها زوجها حسن فى أوقات فراغه لتحسين أحوالهما المادية . ثم تصل الابنة وفاء وزوجها رزق من الكويت ، ويدفعان جزءاً من المبلغ . ويبيع حسن السيارة برغم تهديد زوجته بطلب الطلاق . ويستكمل المبلغ من زملائه بالجيش ، وعندما يسرع بالمبلغ لأبيه يفاجأ بوفاته . والفيلم مشبع بجو متميز من خلل الإيحاءات والدلائل البصرية والصوتية ، شأنه فى ذلك شأن معظم الأفلام غير النمطية التى تستوعب فكر المتفرج ومشاعره ، وتحول هى نفسها إلى تجربة سينولوجية ممتعة وراسخة فى وجدانه .

فى عام ١٩٨٤ أخرج نادر جلال فيلم " جبروت امرأة " المأخوذ عن رواية نبيل راغب المعروفة بنفس الاسم . وهو ينهض على منطق صارم وقاس مفاده أن الإنسان إذا لم يجد ما يبيعه إلى الآخرين كى يواصل حياته ، فإنه يبيع نفسه وروحه وجسده . فالقيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية دون قاعدة اقتصادية واجتماعية تنهض عليها ، هى مجرد شعارات براقة وشفافة كسحابات الصيف . ففى الفيلم يتزوج سيد اليتيم الفقير من نرجس التى تتطلع للثراء ، ولذلك تقنع زوجها بأن يعملا مع المنجلوى تاجر المخدرات ، فتطلب من مساعدته سيناروة أن يعرفها بالشخصيات الهمامة التى يتعامل معها المنجلوى . بل وتنتفق معه أيضاً على أن تهبه نفسها مقابل أن يقتل المنجلوى الذى استشعرت خطره عليها وعلى زوجها . ويدهب

الأربعة إلى رحلة صيد في بحيرة قارون بالفيوم ، وتسمع نرجس طلقات نارية ، لكنها تنهار عندما تكتشف أن سنارة كان قد أفشى سر اتفاقهما للمنجلوى الذى دفعه إلى قتل سيد .

وشهد عام ١٩٨٥ سبعة أفلام غير نمطية دفعه واحدة : " خيوط العنكبوت " لعبد اللطيف زكي ، و " الكيف " لعلى عبد الخالق ، و " هنا القاهرة " و " الشقة من حق الزوجة " لعمر عبد العزيز ، و " خرج ولم يعد " لمحمد خان ، و " الموظفون في الأرض " لأحمد يحيى ، و " الحكم آخر الجلسة " لمحمد عبد العزيز .

في فيلم " خيوط العنكبوت " المأخوذ عن رواية نبيل راغب المنشورة باسم " البطانة " ، تتببور مقوله " إن الطريق إلى الجحيم ممهد بالنوايا الطيبة " فالنية الطيبة وحدها لا تتحول إلى واقع فعلى إذا لم تتسلح بالعلم والخبرة والوعي والإرادة والقوة واليقظة . ففي غياب هذه الطاقات والإمكانات يحيط أفراد البطانة بأية شخصية قيادية في أي موقع ويحيلونها إلى مخلب في أيديهم ، تماماً مثل خيوط العنكبوت التي تلتف حول الضحية فلا تستطيع منها فكاكاً . وغالباً ما يكون أفراد البطانة هم رجال كل عصر لأن قواعد اللعبة واحدة ، والنفس الأمارة بالسوء واحدة ، حتى لو كانت تظن أن نواياها طيبة وشريفة ، وفي المقابل فإن الشرفاء والصرحاء والأنقياء مكرهون ومنبوذون بل ومعاقبون لأنهم يطلبون من الشخصية القيادية أن تسلك الطريق الوعرة والصعبة حيث لا امتيازات شخصية ، ولا عمولات ولا إكراميات ... الخ . وفي هذا الفيلم يعين المهندس خالد رئيساً لمجلس إدارة الشركة التي يعمل بها ، فيسعد كل العاملين بهذه الخطوة ، خاصة أنه ملتزم بالمبادئ والمثل . ويتوقع الجميع أن يخلص الشركة من آثار الفساد التي تركها الرئيس السابق . لكن البطانة القديمة تصمم على الحفاظ على نفوذها ، فيتأمر فايد مع أحلام التي تنجح في الإيقاع بخالد في شباكها لدرجة أنه يطلق زوجته . ثم يقوم بتحريض منها باختلاس جزء من المبلغ المدفوع لشراء أرض خاصة بمشروع

جيد للشركة ، وذلك لشراء شقة لها ليتزوجها . وتبثت النيابة الإدارية على خالد تهمة الاحتيال ، وعندما يكتشف علاقه أحالم بفائق ، يكون قد فات الأوان حين لا ينفع الندم .

فى فيلم " الكيف " يفشل الدكتور الكيماوي صلاح فى إبعاد أخيه جمال عن إدمان المخدرات . ويتمكن من تخليق تركيبة من مواد كيماوية بدلاً من الحشيش وتودّى نفس وظيفته ولكن بدون مخدر . وتسال التركيبة إعجاب مروجى المخدرات . ويطلب المعلم البنط من جمال إمداده بطن مقابل مليون جنيه . ولكن عندما تؤكد الأبحاث أن مادة التركيبة تؤدى إلى الإصابة بالسرطان ، ينهار صلاح ، فى حين يضطر جمال إلى أن يبوح بشخصية صاحب التركيبة بعد أن ينال ألواناً من العذاب الرهيب . ثم يصطحب أعون البنط صلاح ويحقونه بالمورفين ، ويرغمه البنط تحت تأثيرها على كتابة المكونات ويشرف على انتهاء الكمية المطلوبة . ومن الواضح أن الثنائي غير النمطى الذى تكون من على عبد الخالق مخرجاً ، ومحمود أبو زيد مؤلفاً سينمائياً ، قد أبدع أفلاماً غير نمطية مثل " العار " ١٩٨٢ ، و " جرى الوحش " ١٩٨٧ ، و " البيضة والحجر " ١٩٩٠ ، وغيرها من الأفلام التى تمزج الإثارة بالخيال العلمي والتحليل النفسي والإسقاط الاجتماعى.

أما عمر عبد العزيز فقد أخرج فيلمين فى عام ١٩٨٥ وهما : " الشقة من حق الزوجة " و " هنا القاهرة " ، برغم أنه مخرج مقل . وكانت توقعات النقاد والسينمائيين تؤكد أنه سيخلف فطين عبد الوهاب فى مجال الأفلام الكوميدية التى تمزج النظرة الاجتماعية الثاقبة بالمواصف الصاحكة والساخرة دون افتعال ، لكن إنجازه انحسر ولم يحقق هذه التوقعات . ففى فيلم " الشقة من حق الزوجة " وهو من تأليف فراج إسماعيل ، يتم الطلاق بين سمير وكريمة . وتحكم له المحكمة بمشاركة فى الشقة ، فهو لم يطلقها طلاقاً بائناً ، فى حين تقيم معها أمها نازلى التى تختلف المشاكل ليترك سمير الشقة ولكن بدون جدوى . وفي لحظة صفاء

تعترف كريمة لسمير بحبها ، فيطلب إعادتها لعصمته ولكنها تتردد . يترك سمير الشقة ويقيم في قناء أحد المقابر . تضيق كريمة بأمها وتندم لانقيادها لها . وتسدل على مكان سمير ، وتعرب له عن أسفها ، وتطلب منه أن يعود إليها ، وتبعده بالابتعاد عن تأثير أمها .

وفي فيلم " هنا القاهرة " يعمل سوسن مهندساً في إحدى الشركات بالاقصر ، ويتوصل إلى إنجاز بحث علمي يمكنه من تحسين رغيف الخبز ، وتوفير مبالغ كبيرة سنوياً على الدولة . ويقرأ في الصحف أن الوزير المختص سوف يوقع على عقد مماثل لاكتشافه مع أحد الوفود الأجنبية ، فيقرر السفر إلى القاهرة ليلحق بالوزير قبل توقيع العقد . ويصل سوسن مع زوجته ، وتقابله المشكلات والمعوقات التي تحول دون الوصول في الموعد المناسب . والفيلم - على النقيض من معظم الأفلام المصرية - يعتمد في معظم مشاهده على التصوير الخارجي الذي يستعرض بانوراما زاخرة بمتاعب المدينة الحديثة وتعقيداتها التي تستغرق الإنسان تماماً وتبعده عن تحقيق آماله وأهدافه .

أما فيلم " خرج ولم يعد " فهو من الأفلام التي تحرص على خلق جو زاخر بالإيحاءات المرئية والتشكيلية ، والأصوات والأصداres بل ولحظات السكون التي تجعل الفيلم تجربة سينمائية ممتعة للمتفرج وهو الجو الذي حرص عليه محمد خان في معظم أفلامه ، وإن كانت خلفياته تختلف من فيلم لآخر طبقاً لطبيعة مضمونه . ففي الفيلم يسافر عطية إلى بلده لبيع أرضه حتى يتمكن من الزواج من خطيبته ولا يخبرها بسفره . ويعجب كمال أحد أعيان البلدة به ويحاول إقناعه بالبقاء لأنه يحتاج لصاحبته . وبالفعل يعتني عطية بمزارع كمال . وبمرور الأيام يشعر عطية بالراحة بعيداً عن ضجيج القاهرة ومشاكلها ، بل ويعجب بخيرية ابنة كمال التي تبادله نفس مشاعره ، لكنها تكتشف دبلة خطيبته ، فيؤكّد لها أنه موضوع انتهى بالفعل ، ويقرر البقاء في البلدة ويبادر الأرض ويتزوج من خيرية . والفيلم

عبارة عن سيمفونية سينمائية ريفية إذا استعرنا اسم السيمفونية السادسة لبيتهوفن . إنه حنين جميل للريف ، ودعوة للارتباط بالأرض ، برغم المتغيرات السلبية التي طرأت على الريف المصرى مع هجرة أبنائه إلى المدن ، أو تشبّهه بالمدينة المستهلكة بعد أن كان طاقة إنتاجية مثمرة .

ونفس التحولات الاجتماعية والاقتصادية تفرض نفسها على فيلم " الموظفون في الأرض " من خلال شخصية كامل عبد الشكور المدير العام بإحدى شركات وزارة الصناعة والمعروف بنزاهته ، لكن فايد مدير عام العقود بالشركة يحاول إيقاعه بالحصول على عمولة . فيرفض برغم ظروفه المادية الصعبة ، في حين تتم خطبة ابنته سماح وصلاح الميسور الحال ، كما تتم خطبة أختها فاطمة لأستاذها في الجامعة شوقي . وتزداد ضغوط كامل المادية ، ولا يجد سبيلاً للخروج من أزمته الطاحنة سوى احتراف التسول . ويكتشف أنه عملية مربحة تمكنه من تجهيز فاطمة في حين يدعى أنه يعمل في شركة استثمارية . لكن أمره ينكشف بعد حين ، ويتم القبض عليه ، ويخلّى شوقي عن فاطمة .

في فيلم " الحكم آخر الجلسة " تعرف المحامية بثينة لأوصاف زوجة شقيقها سعيد بأن مرض الجنون متفش في عائلة أبيها همام . وتفاتح أوصاف زوجها في رغبتها للتخلص من الجنين ، فهي طبيعية في علم الوراثة ، لكنه يرفض فتجرى العملية بناء على نصيحة أستاذها . ويثير عليها زوجها ويقدم همام بلاماً ضدها بسبب جريمة الإجهاض . وتقرر بثينة الدفاع عنها ، وتقدم المستندات التي تثبت تفشي المرض في عائلة أبيها . وتشترط أوصاف على سعيد عدم الإنجاب لتستمر حياتهما ، فيساندها في محنتها وينتظران النطق بالحكم .

وشهد عام ١٩٨٦ ثلاثة أفلام تعرى بقسوة سلبيات المجتمع المعاصر ، وبأسلوب زاخر بالنظرية الثاقبة غير النمطية ، وهي : " الحب فوق هضبة الهرم " لعاطف الطيب ، و " عودة مواطن " لمحمد خان ، و " كركون في الشارع " لأحمد

يحيى . ففي الفيلم الأول تتم خطبة رجاء على زميلها في الشركة على الذي يفشل في الحصول على عقد في إحدى الدول العربية ويشعر بالإحباط مع رجاء . فلا أمل في تغيير ظروفه وتحسنها مع استحالة حل المشكلة السكانية . ويتزوجان ويخفيان الأمر عن أسرتها . وعندما يفشل في العثور على المكان المناسب لللنقاء ، يذهبان إلى هضبة الهرم حيث تقبض عليهما شرطة الآداب ، وتفاجأا الأسرتان بما حدث . ويتم ترحيلهما لمحاكمتها على ارتكاب فعل فاضح في الطريق العام . ويتفق المحبان على المطالبة بإقامتهما في زنزانة واحدة لممارسة حقهما في الحياة الزوجية .

أما في فيلم "عودة مواطن" يعود شاكر بعد عمله لسنوات في الدوحة ليستقر مع أخيه . وبمرور الأيام يشعر بالمتغيرات التي حدثت طوال سنوات الغربة والتي أدت إلى تفكك أسرته . وتقرر أخيه فوزية استغلال مهارتها في صنع الحلويات لفتح محلًا ، فيقدم لها شاكر المبلغ المطلوب وتصبح سيدة أعمال . ويدخل أخيه إبراهيم المستشفى للعلاج من الإدمان ، في حين يتم القبض على الأخ الأصغر مهدي لانضمامه إلى تنظيم سياسي . وبعد تردد يقرر شاكر العودة إلى الدوحة بعد تجديد الشركة لعقدها معه . وينتهي من إجراءاته في المطار ، لكن الطائرة تقلع وهو يجلس في مقعد بالاستراحة ساهماً ومجسداً لمدى الحيرة التي تجتاحه . ذلك أن الفيلم غير النمطي لا يحسم الأمور بإصدار حكم مطلق ونهائي ، بل يمنح الفرصة للمتفرج كى يشارك بالرأى ، فيتحول من متلق سلبي إلى مفكر إيجابى .

أما في فيلم "كركون في الشارع" فتبرز أزمة المساكن مرة أخرى بوجهها الكتيب الذي لا يخفى من كأبته سوى المعالجة الكوميدية الساخرة لها . فالمهندس شريف يذهب بأسرته ليعيشوا في مساكن الإيواء بعد أن يتصدع منزلهم ، ولكنهم يضيقون بالحياة فيها ، فينتقلون ليعيشوا في قناء مقبرة العائلة . ويصمم شريف

عربة سكنية بعد أن يبيع أثاث المنزل وينتقل بأسرته ليعيشوا فيها . تلد سعاد مولودها كركون ، ويتم القبض على شريف بتهمة إشغال طريق . وينصحه المحامي بتزويد العربة بحمار على ألا يكون له مكان ثابت . وينتمس المسؤولون لحل أزمة المساكن ، وتصدر أوامر السلطات العليا بتمكين الشباب من امتلاك منطقة صحراوية لإقامة عرباتهم السكنية فيها بعد أن أثبت المهندس شريف كم كانت فكرته عملية وسهلة التطبيق !! فأصبحت خميرة لمشروع كبير !

وشهد عام ١٩٨٧ ثلاثة أفلام : "البه الباب" لحسن إبراهيم ، و "أربعة في مهمة رسمية" لعلى عبد الخالق ، و "القرداتى" لنيازى مصطفى . ففى الفيلم الأول يرحل عبد السميع عن بلاده ويعمل بوابة بالقاهرة . وبمرور الوقت يصبح سمساراً لتأجير الشقق المفروشة ، ثم يتسع نشاطه ويشترك مع فرحت ساكن إحدى الشقق فى عمليات نصب واحتيال بحيث يكون ثروة كبيرة . ويتزوج من إلهام فى حين يتركه فرحت سرقة . وعندما تسرق إلهام خزانة عبد السميع وتهرب ، ينجح مع زملائه البوابين فى إعادتها ويتم القبض عليها . وفي النهاية يقرر عبد السميع الاستقامة والعودة إلى بلاده لزوجته وأولاده . وهكذا استطاع الروانى والسيناريست الكبير يوسف جوهر أن يجعل من الباب بطلاً شعبياً جذاباً لفيلمه ، ومن خلاله استطاع أن ينقد ويعرى كل المتغيرات السلبية التى قلبت الهرم الاجتماعى رأساً على عقب .

فى فيلم "أربعة في مهمة رسمية" يتم تكليف أنور عبد المولى الموظف فى بيت المال بالأقصر ، بمهمة السفر بتركة قرداتى توفي ، لتسليمها إلى بيت المال بالقاهرة . والتركة عبارة عن قردة وماعز وحمار . وتقابله المشاكل والعرقل فى مهمته . وتنتازم مشكلة أنور عندما تتعذر القردة موكباً رسمياً لأحد الرؤساء الأجانب . ويتم القبض عليه ، بل ويشك رجال الأمن فى اتجاهاته السياسية ، ويوضع تحت المراقبة . وعندما يعمل أنور فى السيرك مع عهده ، يتتأكد رجال

الأمن من براعته ، وأنه لا يشكل أية خطورة على الأمن والنظام . والفيلم بانوراما متعددة من المشاهد الخارجية التي تغلب على المشاهد الداخلية ، بالإضافة إلى الدلالات الناقلة لسلبيات المجتمع .

أما فيلم " القرداتى " الذى وضع له ناجي فوزى القصة والسيناريو والحوار ، فيلقى أصواتاً فاحصة على الوسائل المريبة والغامضة التى تكون بها الثروات الهائلة فى زمن قياسى . فاللص فتوح يقوم بتدريب القرد سمسى لى ساعده فى سرقاته ، فى حين تورط جارته سنية معه فى علاقتها ويعاشهما فى الزواج . ثم يهرب من الحى بعد أن يكون ثروة كبيرة . ويقلع عن السرقة ويعمل بالاستيراد ويتوسع فى نشاطه ، فى حين يقوم القرد بمفرده بالسرقة . ويفاجأ صاحب أحد المنازل بالقرد وهو يسرقه ، فيبلغ الشرطة ، ويبدا رجالها مراقبة عزبة القرود . وينتاب فتوح القلق لأن شقيق سنية يعلم بسره ، ويفاجأ ب الرجال الشرطة فيلجاً إلى سنية ليختفى عندها فتطعنه بسكين . وعندما يلحقون به ، يبرئ سنية مدعياً أنه سقط على جسم صلب ويقبضون عليه ، لكن شعوراً بالتطهر النفسي المريض يسرى داخل المترجر الذى استمتع بالدور المثير والشيق الذى قام به القرد الذى كان بلا شك أحد أبطال الفيلم ، وذلك من خلال آخر أفلام المخرج الرائد نيازى مصطفى .

وشهد عام ١٩٨٨ خمسة أفلام : " غرام الأفاسى " لحسام الدين مصطفى ، و " زمن حاتم زهران " لمحمد النجار ، و " زوجة رجل مهم " لمحمد خان ، و " يوم مر ويوم حلو " لخيرى بشارة ، و " سرقات صيفية " ليسرى نصر الله . وهى أفلام تجمع بين الكلاسيكية أو الواقعية الرصينة وبين الابتكارات الطبيعية سواء على مستوى المنظور الفكري أو الشكل الغنى .

فى فيلم " غرام الأفاعى " المأخوذ عن رواية نبيل راغب المنشورة بنفس الاسم ، تبدو ضفوط المجتمع كالقدر الذى يحيل حديقة الحب المزدهر إلى وكر للأفاعى السامة . ففى الفيلم يرفض رجل الأعمال الثرى عبد الرحمن زواج ابنته مهجة من زميلها الصيدلى الفقير وجدى . فتضطر لزواج من المليونير يسرى وتفتح صيدلية وتتأتى بوجدى ليعمل بها . وعندما يكتشف يسرى خيانتها له مع وجدى ، يرفض أن يطلقها إمعاناً فى إذلالها حتى يقضى على كيانها وهى لا تزال على قيد الحياة . عندئذ يستغل وجدى براعته فى الصيدلية ويقوم بتحضير سم قاتل مفعوله بطيء ولا يظهر أثره فى التحليل . ويتفق مع مهجة على قتل زوجها خاصة بعد أن هددها بقتلها فى النهاية . وبعد تردد تضع له السم فى الشاي ويموت ، ثم تتزوج من وجدى برغم ثورة أبيها . وإذا كان الفساد لا يلد سوى الفساد ، وإذا شق طريقه دون رادع أو عائق ، فإنه لا يتوقف إلا بالقضاء على صانعيه ، ذلك أن الفساد يقضى على نفسه بنفسه فى النهاية إذا لم يجد من يقضى عليه ، حتى تستقيم موازين العدالة ، إذ يبدأ وجدى فى ابتزاز نقود مهجة ، ويتمرد عليها ، فتنتقم منه فتضع له نفس السم فى نفس الوقت الذى يضعه لها فى طعامها ، ويموتان .

فى فيلم " زمن حاتم زهران " يذكرنا البطل حاتم زهران بشخصية المواطن كين فى فيلم أورسون ويلز الشهير بهذا الاسم . لكن توغل الفيلم فى كهوف المجتمع المعاصر جعله يبدو مصرىاً صميمأً . فحاتم زهران شاب انتهازى ، يهرب من أداء الخدمة العسكرية ، ويسافر إلى أمريكا . وهو على التقىض من أخيه يحيى الشاب الشهم الوطنى الذى يستشهد فى حرب ١٩٧٣ . ويعود حاتم ومعه ثروة كبيرة ، ويبنى مصنعاً لأدوات التجميل ، وتثير مروءة أعمال الصيدلية . ويتزوج من عشيقته هالة ليستغل نفوذ والدها . وتند فاطمة أرملة يحيى ، فيحاول حاتم حرمانها من

الميراث ، لكن والده يتصدى له . ويطلق زوجته بعد أن يتعرف على مسئول أكبر يستفيد منه . ويستبدل مروءة بأخرى لكنها تستفيد من تجربتها العملية معه . فقد دخل الجميع في الدائرة الجهنمية للمصالح المتبادلة والقيم المهدمة .

في فيلم " زوجة رجل مهم " تتزوج مني من العميد هشام بمحاجة أمن الدولة ، والذى يلتفق الاتهامات لمنات من الأبرياء فى أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ بحجة الحفاظ على أمن الدولة وهببها . ويوافق على أن تستكمل مني دراستها بالجامعة لاستغلالها فى معرفة ما يدور داخل الجامعة وإبلاغه بمعلومات عن زملائهما دون أن تعرف نواياه . وعندما يكتشف أمرها ويقاطعها زملاؤها ، تثور عليه لكنها تظل رهينته . ويفرج عن المعتقلين لبراءتهم ، ويحال هشام إلى المعاش ، فتبقى مني هي الوحيدة التى يمارس عليها سلطته ويحيل حياتها إلى جحيم . وعندما يقرر أبوها أخذها إلى منزله ، لا يحتمل هشام آخر هزيمة له فيقتل الأب ثم ينتحر .

في فيلم " يوم مر ويوم حلو " تغول الأرملة الفقيرة عائشة أولادها الستة . وعندما يماطل عرابى فى إتمام زواجه من ابنتها سناء ، ترضخ لكل مطالبه ويعيشان فى إحدى حجرات المنزل . ويضيق الجميع بعرابى الذى يعتدى على لمياء شقيقة سناء . أما سعاد فتهرب من المنزل بعد أن يصر عرابى تزويجها من أحد أصدقائه . وتتزوج من جارهم الأبكم حربى دون علمهم ، كما يهرب أيضاً الصغير نور . ويملاً الهم قلب وحياة عائشة ، ولا يبده سوى عودة حربى الذى يخبرها بزواجه من سهاد التى تجتب مولودها ، وعوده نور إلى المنزل ، ورحيل عرابى بلا عودة . والفيلم يمتاز بلغة سينمائية راقية ، جعلت السيناريو والحوار الذين كتبهما فايز غالى ينبعان بالحياة والحيوية .

أما المخرج التجربى يسرى نصر الله فيمثل ظاهرة فريدة من نوعها فى تاريخ السينما المصرية . فهو لم يخرج سوى فيلمين : " سرقات صيفية " ١٩٨٨ ،

و "مرسيس" ١٩٩٣ ، وهو يمتلك لغة سينمائية راقية ورقية ومرهفة للغاية ، ومتمنك من أدواته التعبيرية والجمالية ، لكنه لا يعبأ على الإطلاق بالرواج الجماهيري ، وكأنه يبدع لإثبات إحساسه الذاتي بالجمال والفكر ، فإذا تجاوب معه المتفرج فأهلاً وسهلاً ، وإذا عجز عن هذا التجاوب ، فالمخرج ليس على استعداد للوصول إليه بأية وسيلة . ومخرج بهذا التوجه نحو الصفة لا يغرى أى منتج بالتعاون معه إلا إذا كان منتجاً من طراز يوسف شاهين الفريد تماماً في نوعه ، والسائل على نهجه في الإبداع السينمائي ، وإن كان يوسف شاهين نفسه حريصاً أيضاً على الرواج التجارى .

وبرغم حرص يسرى نصر الله على الارتباط الحميم بقضايا المجتمع المعاصر ، إلا أن عدم تركيزه على الحدوتة التقليدية والنمطية التي أدمتها الجمود العادى ، جعل جمهوره قاصراً على الصفة التي تستطيع استيعاب جماليات اللغة السينمائية وتذوقها . في فيلم "سرقات صيفية" يقدم المخرج سيرة ذاتية تبدأ أحداثها في يوليو ١٩٦١ حين أعلن جمال عبد الناصر القرارات الاشتراكية التي أثرت على أسرة الطفل ياسر الإقطاعية ، و موقفها الرافض تماماً لهذه القرارات التي أفقدتهم الكثير من ثروتهم . وترتبط الصدقة بين ياسر والطفل ليل الفلاح الفقير . وتمر السنوات ويسافر إلى القاهرة ليتم تعليمه ، ثم يعمل كمصور صحفى في بيروت . وعندما يعود ياسر إلى الضيعة ، يجد بيت العائلة قد تهدم ، ثم يلتقي بصديق ليل الذي يستعد للسفر من أجل العمل في العراق حيث تمت الأحداث حتى سبتمبر ١٩٨٢ .

أما في فيلم "مرسيس" فتزوج وردة من ثرى عجوز بترشيح من الأم ، حتى تتخلص من مأزق علاقتها العابرة بأحد الدبلوماسيين ، وهي العلاقة التي تثمر توبى الذي ينجح في تحقيق ذاته ، سواء بعلاقته بعفيفة أو استعادة شقيقه جمال ، وهو أخ غير شقيق ، وثمرة علاقه أمه بعمه بعد وفاة أبيه . وتمر حياة الأسرة

بأحداث هزيمة ١٩٦٧ ووفاة عبد الناصر حتى تصل إلى عودة جثث المصريين من العراق مغلفة على سرها ، وانتشار الإدمان ، وغياب المستقبل ، وأحداث الفتنة الطائفية والإرهاب وضحاياه . ومن الواضح انه لولا إنتاج يوسف شاهين لهذين الفيلمين ، لظلا في ضمير الغيب . وهذا دليل على أن السينما المصرية ليست قادرة على تحطيم القوالب النمطية فحسب ، بل تستطيع الانطلاق إلى آفاق التجارب الطبيعية لو أتيحت لها الفرصة . فقد أتاح يوسف شاهين أيضاً فرصة هذا الإخراج التجريبي لأسماء البكرى في فيلم "شحاتين ونبلاه" ١٩٩١ ، ولخالد الحجر في فيلم "أحلام صغيرة" ١٩٩٣ على سبيل ترسيخ أو إيراز هذا التيار التجديدي في عروق السينما المصرية .

وشهد عام ١٩٩٠ فيلمين : "البيضة والحجر" للثانية المتميزة على عبد الخالق ومحمود أبو زيد ، و "سوبر ماركت" للثانية متميزة آخر هو : محمد خان وعاصم توفيق . في الفيلم الأول يؤجر مدرس الفلسفة مستطاع حجرة في أحد المنازل . ويعتقد سكان المنزل أنه على صلة بعالم الجن مثل ساكنها القديم ، وهو الاعتقاد الذي أكدته لباقته في التوفيق بين زوجين تتكرر خلافاتهما . عندئذ يسعى أهل الحي للتبرك به ، ويستغل مستطاع ذلك فيتعلم أمور الشعوذة كى يستفيد بهذه الدراسة في علاجهم وحل مشاكلهم . وتشعر دائرة تعامله ويزرع ثراءً كبيراً . وعندما يضيق بتصرفاته ، يسلم نفسه لرجال الشرطة ويطلب بمحاكمته . لكنهم يفرجون عنه وإن كانوا قد وضعوه تحت المراقبة .

في فيلم "سوبر ماركت" تعيش أميرة مع أبيها ، وتقوم برعاية طفليها ناده بعد طلاقها من خالد الذي يتزوج من أخرى ، ويزرع ثراءً كبيراً من عمله بالكويت . أما جارها وصديق طفولتها رمزي فيعزف على البيانو في أحد الفنادق الكبيرى ، حيث ينعرف على المليونير الدكتور عزمي الذي تؤدي صداقته له إلى تقديم تنازلات كبيرة . وعندما يعود خالد من السفر ، يبدأ في استمالة ناده التي

تبهر بثرائه . ويتعرف عزمى على أميرة ، ويطمع فيها . يموت أبوها وتضطر تحت إغراء المادة ومشروع السوبر ماركت الذى يعرضه عليها عزمى لأن تستسلم له . وعندما يكتشف رمزى علاقتها ينتابه الاكتتاب والاحباط وهو يرى كل القيم والمبادئ والمثل التى عاش على نورها ، تطفئ تباعاً .

وشهد عام ١٩٩١ فيلمين : " الكيت كات " لداود عبد السيد ، و " شحاتين ونبلاء " لأسماء البكرى . فى الفيلم الأول يبرز أمامنا الشيخ حسنى الرجل الكفيف الذى يحرص على أحلمه وخيالاته ، ويهدى التلحين والطرب ، ويتحدى عاهته ، ويعتز بقوته وإرانته على ذلك . ويبيع منزله الذى ورثه عن أبيه للمعلم هرم تاجر المخدرات مقابل نصيبه اليومى من الحشيش ، كما يحلم ابنه الوحيد يوسف بالسفر إلى الخارج . وفى أحد الأيام يموت أحد سكان الحي بعد انتهاء تلاوة القرآن ، وينسون مكبر الصوت مفتوحاً ، ومن غير قصد يتحدث الشيخ حسنى عن فضائح بعض أهل الحي : المعلم الذى يخون صديقه مع زوجته ، والصانع الذى هربت منه زوجته ، وعلاقته هو نفسه الماضية بأم روايح ، وعلاقة يوسف بجارته فاطمة ... الخ .

فى فيلم " شحاتين ونبلاء " المأخوذ عن قصة لأبىير قصیرى ، تدور الأحداث فى فترة الأربعينيات من خلال مجموعة من الأصدقاء : جوهر الشاب المتفق والمحبط للغاية ، ويعيش حياة الصعلاليك فى الحوارى المصرى ، والكردى الذى يجمع أيضاً بين الثقافة والصلعة لكنه أكثر واقعية ، ويكن المؤمن بعصرية جوهر الذى يرتكب بعد ذلك جريمة قتل إحدى العاهرات . وتتوالى التحقيقات ويعترف جوهر للضابط أنه هو القائل ، لكنه لا يجد الدليل الكافى للقبض عليه . وفي النهاية يترك الضابط عمله ليعيش مع الثلاثة فى جو من الضياع والصلعة وهو فيلم يحطم القالب النمطى للفيلم المصرى لكنه لا يبتكر ببىلاً عنه .

فى عام ١٩٩٢ أخرج شريف عرفة فيلم "الإرهاب والكتاب" الذى يتوجه فيه أحمد إلى مجمع التحرير من أجل اتخاذ الإجراءات لنقل ابنه إلى مدرسة . وهناك يصطدم بالعقبات الإدارية ، ويجد نفسه متورطاً فجأة فى حمل سلاح ، وإشهاره فى وسط المواطنين . وتتولد المواقف ويتخذ بعض الرهائن ، وينضم إليه بعض الموجدين . وسرعان ما تأتى قوات الشرطة لتحاصر المكان . وتنتمي المفاوضات فى حضور وزير الداخلية الذى يتبع الموقف ، ويفاجأ بان مطالبهم شخصية بحثة . وعندما ينصرف أحمد مع رفاته ، يدخل رجال الشرطة المبنى فيجدونه فارغاً من أى إرهابى .

وشهد عام ١٩٩٣ خمسة أفلام : "أرض الأحلام" لداود عبد السيد ، و "ليه يا بنفسج" لرضاون الكاشف ، و "الباشا" لطارق العريان ، و "أحلام صغيرة" لخالد الحجر ، و "مجانينو" لعصام الشمام .

فى فيلم "أرض الأحلام" تستعد نرجس للسفر ، كآخر فرصة لها إلى أمريكا . لكنها تفقد جواز سفرها قبل السفر بساعات ، وكان عليها أن تعثر عليه فى الأماكن التى ذهبت إليها ، أو على الأشخاص الذين قابلتهم . فتلتقي بساحر يجوب ملاهى المدينة ، وتتعرض لمجموعة من المتابعين فى ليل القاهرة . وعندما تعثر على جواز السفر قبل الرحيل بساعة تكون قد غيرت رأيها وقررت البقاء فى بيتها فى لحظة تتوير جعلتها تدرك أكذوبة الجنة المزيفة التى يتصور عشاق الهجرة أنها فى انتظارهم بمجرد وصولهم إلى أمريكا .

وفى فيلم "ليه يا بنفسج" يعمل أحمد خادماً فى أحد القصور ، ويتم طرده بعدما يتجاوز حدوده ويبدى إعجابه بإحدى فتيات السادة . ومع ذلك يظل متعلقاً بحبها ، ويفشل فى إقامة علاقة مع فتاة أخرى ويرث عن عمه عربة طعام متجولة . ويشاركه صديقه سيد وعباس نفس الحيرة وحياة الفقر والحرمان . ويمارسون هواية العزف والغناء ويعملون فى إحياء الأفراح . وعندما يعجب سيد

بجارتهم سعاد ، يكتشف أنها متعلقة بأحمد ، ولذلك فهى تهرب من الحى عندما يرهقها حبها المستحيل له . وتتزوج نادية من عباس لتكون بالقرب من أحمد الذى تحبه . وعندما تفشل فى استمالته ، تجع فى الإيقاع بينه هو وسيد وبين زوجها وتنهار صداقتهم ، إلا أنها ترحل إلى عشيقها السابق ، وينكشف خداعها لهم فيعود الصفاء بينهم .

وفى فيلم "الباشا" يتم نقل ضابط المباحث حسام من إدارة مكافحة المخدرات إلى الأداب . ويكتشف حسام شبكة للدعارة يديرها جو من خلال نادى للديسكو ، والذى يحكم عليه بالبراءة برغم كل الأشرطة المسجلة التى تدينه ، بل ويستطيع أيضاً بنفوذه أن ينقل حسام فيقدم استقالته . ويحاول حسام أن يخترق هذا المكان المحصن بعلاقات صاحبه مع أصحاب النفوذ لكنه يفشل . ويكتشف أن المطربة سارة لا تعرف ما يدور حولها فى المكان ، وينجح حسام فى إنقاذهما من الانحراف . ويعيد إليةنجاجه فى مهمته هذه توازنه وتقته بنفسه ، فلا يزال الإنسان قادراً على صنع الخير .

وفى فيلم "أحلام صفيرة" نرى الأحداث المصيرية ونقاط التحول التى مرت بها مصر فى الخمسينيات والستينيات من خلال عين وقلب الصبى غريب . ففى السويس عام ١٩٥٤ وقبل حرب ١٩٥٦ بعامين ، يستشهد والد غريب أثناء اشتراكه فى أعمال المقاومة . ويلتحق غريب بالمطبعة التى يمتلكها صلاح الذى يسىء معاملته فى محاولة منه للضغط على أمه هدى لقبول الزواج منه . ويساند هدى صديق الأب محمود الذى يرى فى غريب امتداداً لأبيه الشهيد . وفي النهاية يلقى غريب مصرعه تحت إحدى سيارات الجماهير التى توجهت لمطالبة عبد الناصر بالعدول عن استقالته . وهى نهاية غير نمطية على الإطلاق لأنها تثير فى داخل المتفرج الكثير من الحيرة والتساؤلات التى يصعب حسمها ، وإن كانت

تدفع المتدرج إلى التفكير والتأمل بحيث يصبح دوره أكثر إيجابية واعمق تفاعلاً مع الفيلم .

وفي فيلم " مجانيño " يرفضن دكتور آدم الظواهر التي يراها من حوله لدرجة أن تصرفاته تبدو للعقلاء أقرب إلى المجانين . فهناك حلمي النويشى الذي حول الجميع إلى مجانين عن طريق حبوب الهلوسة التي يضعها في الشاي لزبائنه ، ودكتورة مرام المديرة المتسلطة التي تود أن تكون إمبراطورة لهذا العالم ، وبهجة الاشتراكي الذي تطارده فكرة المخابرات الأمريكية ، وجلال الحارس الوفى الذي يتحول إلى خادم السيدة ، ورجل الأمن الذي ينظر إلى ما يحدث داخل المستشفى من وجهة نظر أمنية ضيقة . ويتحول التمرد إلى ثورة حقيقة لا يستطيع بعدها الخضوع لمطالبيها بعد فشل محاولاته في اختراق التمرد ، وتحت المواجهة الحاسمة .

وشهد عام ١٩٩٤ فيلم " المهاجر " ليوسف شاهين ، والذي أثار عاصفة من الهجوم والنقد الذي افترض أنه يؤرخ لسيرة النبي يوسف ، والتي تسجل أن يوسف كان أول من هاجر إلى مصر من بنى إسرائيل . وكانت حجة المهاجمين أن البطل الإسرائيلي رام قد عبر عن العبرية اليهودية التي لم يسام الإسرائيليون من المناداة بها وترسيخها عبر العصور . والبطل شخصية متكاملة تجمع كل الفضائل والمهارات ، أما المصريون فهم مشغولون عن الحياة بالموت ، وعن الدنيا بالآخرة ، وحاكمهم الفرعون غير متزن عقلياً ، وقاده جيشه عاجز جنسياً ، وكبيرة كهنتهم - التي ترمز في رأيهم لمصر - فاجرة تراود الرجال عن أنفسهم . ولا ينقدهم من المجاعة سوى الإسرائيلي . لكن يوسف شاهين ليس بهذا التسطيح أو البساطة ، فليس في الفيلم ما يشير إلى أن رام قادم من فلسطين ، أو أنه من بنى إسرائيل ، وقومه كما نراهم على الشاشة أجانف بدائيون ، تحركهم المشاعر المضادة لكل القيم الإنسانية ، وفي مقدمتها قتل الأخ لأخيه . كما أن البطل يبدو

محبًا لمصر ، ومقدراً لمكانتها ، وهو ما يؤكده سياق الفيلم بصفة عامة . ومع ذلك يظل الرأى النهائى عند المتفرج الذى يحب يوسف شاهين دائمًا أن يشركه بتكوين رأى خاص به حتى لا يلتزم دور المتألق السلبى .

وشهد عام ١٩٩٦ فيلم " رومانتيكا " لزكى فطين عبد الوهاب الذى يقدم بانوراما شديدة لمجتمع قلب المدينة من خلال شريحتين : الأولى : شريحة المتقيين ، ويمثلهم بطل الفيلم المخرج حسن ومساعده وصديقه خالد ، والثانية : شريحة شباب وسط المدينة المتصلين بالأجانب السياح أو المقيمين والذين يطلق عليهم " الخرتية " والفيلم يبدأ باتصال حسن بهؤلاء ، مقترباً مساعدتهم له فى تصوير فيلم عن حياتهم ، ومن خلال رحلته معهم يتعرف على فتاة تدعى صباح ويرتبط بها فى علاقة حب من طرف واحد . فهو يحبها ويقبل عليها وهى تصده حيناً وتستغله حيناً آخر . كما أن علاقة حسن بمجموعة الخرتية ككل لا تخرج هى الأخرى عن هذا الخط . فهو يقبل عليهم وينشغل بقضاياهم ، وهم يستغلونه فى أغلب الأحيان ويسخرون منه فيما بينهم . والفيلم لا يعبر عن عالم مكتمل فى ذهن المخرج قبل أن يشرع فى تصويره وإخراجه ، وإنما يعبر عن عالم مبعثر ومتاثر ومفتت ، ولا يكتمل مبناه ومعناه إلا من خلال مراحل إخراجه بالفعل : بدءاً من كتابة السيناريو إلى تطور الأحداث التى تتم صياغتها من خلال تفاعل المخرج بالمواضف والشخصيات . ولعل الاتجاه الطبيعى الذى يتبدى فى هذا الفيلم يكمن فى أنه يفضح صناعة السينما وأليات إنتاجها فى وقت نحن فيه فى اشد الحاجة لهذا النقد الذاتى الذى أثبتت السينما المصرية أنها قادرة عليه بلا حرج أو حساسيات .

وشهد عام ١٩٩٧ فيلم " المصير " ليوسف شاهين ، والذى يبدأ مشهد يدور فى القرن الثانى عشر ، فى أوربا العصور الوسطى عندما قررت الكنيسة تحريم مؤلفات ابن رشد وحرقها ، مع مترجمها إلى الفرنسية جيرار بريل الذى هرب ابنه يوسف إلى الأندلس لقاء ابن رشد الذى ظل يناديه طوال الفيلم بلقب " عمى " .

ويتزامن وصول يوسف إلى قرطبة مع عودة الخليفة "المنصور" منتصراً على الجيوش القشتالية ، حين شرعت الجماعات المتطرفة في دعم وتأييد الخليفة عبر فقهائها المسيطرین على العامة . وهو ما سيفرض على الخليفة فيما بعد التضحية بابن رشد نفسه في مقابل هذا الدعم . والفيلم يؤكد أن صعود الجماعات المتطرفة يبدأ عادة مع اختيار السلطة لفقهاء لحشد العامة ، وإشعال جنوة الزهو لدى هذه السلطة بأفعالها . ومع تضخم ذات الخليفة وانشغاله بها ، فإنه ينسى أو يتجاهل ابنه الناصر وعبد الله ، فيلوذ الأول بابن رشد ، في حين ينصرف الثاني إلى خان مانويلا الراقصة ، حيث يبدأ برهان سعيه لتجنيد عبد الله بأمر من أمير الجماعة المتطرفة . وهو ما تحاول ما نويلا ومعها مروان المفني أن يحولا دون وقوعه ، لكنهما يفشلان ، وينجح المتطرفون في تجنيد ابن الخليفة ، بادئين بغسيل مخه وتضخيم ذاته ، وهو ما لم يجده عند أى إنسان آخر ، ثم يمسخون روحه وينتزعون إرادته ليتحول إلى مجرد لعبة أو أداة في أيديهم . ولم تترك الجماعات المتطرفة وسيلة إلا وابتعتها لتحقيق أهدافها الغريبة أو البعيدة . فهي توظف غناء ورقص الدرويش أملأ في قطع آية صلة بين أتباعها والحياة المعاشرة ، وصولاً إلى الذات العليا . وفي الوقت نفسه تسعى للتخلص من مروان عبر ضربه أولاً بسكين في رقبته ، ثم القضاء عليه نهائياً برمح يخترق جسده ، كما تعمل على ببلة العامة تجاه ابن رشد عبر زرع عناصر مدسosa في حلقة الدراسية . ومع تزايد سطوة المتفهين والمتكلمين ، تكون الجماعات المتطرفة قد تمكنت من فرض نفسها كسلطة داخل السلطة ، استعداداً للإمساك بزمام الأمور بعد ذلك كسلطة وحيدة . ولم يكن فيلم "المصير" بمضمونه التاريخي سوى شهادة يوسف شاهين على عصره الذي لم يفقد صلته الحميمة به أبداً .

وأخيراً شهد عام ١٩٩٩ فيلم " الآخر " ليوسف شاهين أيضاً ، والذي ينطلق فيه إلى الآفاق الراحية للنفس البشرية ، متخاطياً حدود الدين والعرق واللون ، إلى

الحب كقيمة إنسانية مهددة في الصميم لأول مرة في التاريخ. فالحب هو الجسر الذي يسير عليه الإنسان وهو في قمة اطمئنانه ونشوته نحو الآخر الذي يمر بنفس التجربة الممتعة عندما يتحرك نحو الإنسان وهكذا. إنه القيمة التي تزداد كلما تم توزيعها على الآخرين ، لكن الضغوط الآلية المعاصرة تحاصرها وتهدمها بالانقراض . ولذلك يتناول يوسف شاهين قضايا العولمة والتكنولوجيا والإرهاب ويجسد تربيتها بالحب في هذا الزمن الصعب ، ويربط الواقع والأحداث ببعضها البعض ، ويسلط الضوء على إشارات تبيّن مخاطر حب السلطة والتملك. وهذه الدوافع تتجسد في شخصية مارجريت الطاغية التي تعتبر هي نفسها ضحية حب التملك والسيطرة. وهي لا تعرف بالأخر لأن أنايتها تدفعها إلى التسبب في موت عاشقين لا ذنب لهما سوى أنها أعطنا الحب في وجه الأنانية والترجسية . وكانت شخصية بهية هي القطب المعاكس لمارجريت. فالحياة لا تزال فيها أمثل بھية حتى تستطيع المواصلة والاستمرار برغم وجود أمثل مارجريت. إن بهية هي تجسيد للحب والعطاء والشفافية ، وبدونها تتحول الحياة إلى جحيم مقيم. ولا جدوى من أي تقدم تكنولوجي إذا خسر الإنسان روحه . فماذا ينفع الإنسان لو ربع العالم كله وخسر نفسه ؟ فالكمبيوتر مثلاً اختراع مذهل وفوانده لا يمكن حصرها ، لكنه سلاح خطير يمكن تحويله من وسيلة تواصل مع الآخر إلى وسيلة للتجسس عليه وطعنه في ظهره وإهاره كيانه . ومن هنا كانت رسالة يوسف شاهين في أفلامه الأخيرة تتمثل في الاختيار بين الحب أو الدمار ، ولا بديل ثالث لهما ، بين أن نكون أو لا نكون !

من هذا الرصد التحليلي للأفلام غير النمطية التي أنتجتها السينما المصرية عبر تاريخها الذي ينافس ثلاثة أرباع القرن ، نجد أن عدد هذه الأفلام يربو على مائة وأربعين فيلماً ، أي بمعدل فيلمين كل عام على وجه التقرير . وهذه نسبة لا يستهان بها بحكم أن السينما - في العالم أجمع - صناعة وتجارة تستخدمان الفن

كوسيلة لجذب الجماهير . وإذا ما قمنا بإحصائية مشابهة للأفلام غير النمطية أو التجريبية أو الطبيعية التي تنتجهما البلاد ذات التاريخ العريق في الإبداع السينمائي سنجد أنها لا تزيد كثيراً عن نسبة الأفلام المصرية غير النمطية ، لأن السينما في النهاية تخاطب جماهير عريضة بكل مستوياتها الثقافية وطبقاتها الاجتماعية .

والملاحظة الجديرة بالتسجيل أن معظم الأفلام غير النمطية كانت مأخوذة عن قصص وروايات لأدباء كبار ومرموقين ، أو من تأليف كتاب سينمائيين متمنكين من أصول الدراما السينمائية سواء في مجال التراجيديا أو الكوميديا. فقد كانت أفلاماً متألقة بالفكر السينمائي المصري الصميم والذي يمنح السينما المصرية شخصيتها الأصلية المتميزة ، والذي يجمع بين القيمة الفنية والرواج التجارى دون أى تناقض مفتعل بينهما ، أى يثبت أن مقوله " الجمهور عاوز كده " هي حجة السينمائيين العاجزين عن تقديم أفلام تحترم عقل الجمهور وتمتعه في الوقت نفسه . فالجمهور لا يمكن أن يرفض فيلماً ينير عقله ، ويشحذ ذهنه وينجح لمشاعره وأعصابه التماуг الذي يفتقد في الحياة ، بعيداً عن التكرار الممل والأنماط المستهلكة .

وقد أثبتت هذه الدراسة أن هذه العناصر النمطية التي فرضت نفسها على أفلام كثيرة ، كانت نتيجة مباشرة لاقتحام بعض السينمائيين مجال التأليف دون أن يكونوا مؤهلين له . فقد كتبوا للسينما لمجرد تواجدهم في هذا الوسط ، فمنهم من كان مخرجاً أو منتجاً أو مصوراً .. الخ . وهذا لا يعني أنهم محرومون من ممارسة التأليف السينمائي ، بل يعني أنه يتحتم عليهم أن يملكون الفكر السينمائي الذي يمكن أن يقدموه للجمهور ، وأن يكونوا متمنكين من أصول كتابة القصة وحربيات السيناريو وأسرار الحوار الدرامي . لكن نظراً لأنهم لم يملكون هذه الأسلحة الفكرية والفنية فلم يجدوا مفرأً من اللجوء لمحاكاة الأفلام السابقة ، خاصة تلك التي حققت نجاحاً ملحوظاً . ومن المعروف أن النمطية هي النتيجة المباشرة

للحماكة واللعب على المضمون . فقد تصور هؤلاء السينمائيون أن الالتزام بالأنماط التي اعتادها الجمهور ، هو بمثابة الضمان الأكيد لتجنب الخسائر غير المتوقعة التي يمكن أن تنتج عن مغامرات فكرية وفنية قد تكون بمثابة قفزات في الظلام غير مأمونة الجانب . ولم يدركا أن هذا الالتزام بالأنماط كفيل بإدخال السينما المصرية في طرق مسدودة ودوائر مفرغة ومتاهات جانبية عندما تفقد القدرة على التجدد والابتكار واستكشاف الآفاق البعيدة .

ويجب أن نسجل للدولة أو القطاع العام دوره الرائد في دفع عجلة إنتاج الأفلام غير النمطية والطبيعية مثل فيلم " المومياء " لشادي عبد السلام . ذلك أن القطاع الخاص يهدف في معظم الأحوال إلى الربح ثم تأتي القيمة الفنية في المرتبة التالية ، وبحكم أن رأس المال جبان ، فإنه لا يقدر على إنتاج الأفلام غير النمطية سوى منتجين من قامة وإمكانات يوسف شاهين على سبيل المثال . لكن شاهين استثناء من هذه القاعدة بكل المقاييس . ولذلك فتحن لا نزال نصر على عودة القطاع العام إلى مجال الإنتاج السينمائي ، خاصة في مجال إنتاج الأفلام القومية التي يمكن أن ترتصع الطريق التي يتحتم على السينما المصرية في القرن الحادى والعشرين أن تشقها بثقة ووعى . يكفى أننا عازجون حتى الآن عن إنتاج فيلم كبير يليق بحرب أكتوبر المجيدة برغم مرور أكثر من ربع قرن عليها .

ولم تقتصر النمطية على محاكاة الأفلام المصرية السابقة سواء في المواقف أو الشخصيات أو الحبكة أو موقع التصوير ، بل تمثلت الطامة الكبرى في محاكاتها للأفلام الأمريكية التي تصور مجتمعاً يختلف عنا مظهراً وجوهراً في كل التفاصيل الدقيقة وال العامة على حد سواء . ولذلك كانت هذه النوعية من الأفلام بمثابة نسلية عابرة وفجة بالنسبة للجمهور الذي لم يشعر مصاديقها الفكرية أو الاجتماعية أو الفنية خاصة عندما يكون قد رأى الأفلام الأمريكية الأصلية التي تم اقتباسها ، وهي غالباً ما تكون متوقفة في الحرفة الفنية المتقنة التي قد يصعب على الفيلم المصري أن يصل لمستواها .

والمفارقة العجيبة التي يجب أن ترصد أيضاً أن الأفلام التي ارتبطت بقضايا المجتمع المصري المعاصر ، وجدت نبض الجمهور تجاهها ، كانت - على عكس ما يتوقع الكثيرون - غير نمطية ، وذلك نظراً لعناصر التوعي والتوعية التي يتمتع بها المجتمع المصري ، والتي يمكن أن تشكل منبعاً متذمراً من التيمات والمواضيعات والمضامين الجديدة دائمًا . فهناك محاور من الاختلاف لا يمكن حصرها ، سواء في الفوارق الطبقية أو المناطق الجغرافية والإثنية ، أو الواقع التاريخية والسياحية ، أو المفارقات الاجتماعية والفردية ... الخ . بل إن الأسرة المصرية كمنظومة اجتماعية يمكن أن تقدم لكتاب السينما ثروة فكرية وفنية متعددة ، وتجنبهم الوقوع في هاوية التكرار واجترار الأنماط المستهلكة والمضامين التي حفظها الجمهور عن ظهر قلب .

ولا شك أن نمطية المضمون أدت إلى نمطية الشكل ، بحكم أنهما وجهان لعملة واحدة هي الفيلم ذاته . ونحن بهذه الدراسة لا نفرض تيمات معينة على كتاب السينما بحجة أنها تيمات غير نمطية ، ذلك أنه لا جديد تحت الشمس فيما يختص بالأفكار والمضامين ، فالعبرة بأسلوب المعالجة الفنية الذي يجعل كل الأفكار والمضامين القديمة والمستهلكة تبدو جديدة تماماً وكأننا نلمسها لأول مرة . فالفن بطبيعته هو إعادة صياغة للحياة بحيث يتجدد فهمنا واستيعابنا لها باستمرار ، وبذلك نستطيع مواكبتها بل وتوجيهها نحو أهدافنا الحضارية . وقد أثبت الفصل الأخير من هذه الدراسة قدرة السينما المصرية على القيام بهذه المهمة من خلال أفلامها غير النمطية التي يصل بعضها إلى الأفاق التجريبية والطبيعية . ولذلك كان تحليلنا النقدي للأفلام النمطية غير فصول هذه الدراسة ، من منطلق حبنا لهذا الفن الجماهيري الذي ملأ حياة المصريين والعرب على حد سواء بالنور

والبهجة ، ومن منطلق اعزازنا بالدور الرائد الذى نهضت به السينما المصرية منذ الربع الأول من القرن العشرين ، ليس على المستوى العربى فحسب بل على المستوى العالمى أيضا ، إذ أنها سبقت بلاداً كثيرة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ولذلك فنحن نملك رصيداً سينمائياً تغبطنا عليه بلاد عديدة ، وما نقدنا لهذا الرصيد الضخم والتاريخ العريق سوى أحد مظاهر اعزازنا بهما ، ولنقتصر فى قدرتها على الاستفادة من هذا النقد والتحليل ، والانطلاق بالسينما المصرية إلى الأفاق والمستويات الرفيعة الجديرة بها .

• • • •

أ. د. نبيل راغب

سجل بالمؤهلات والمناصب والمؤلفات

المؤهلات :

- ١- ليسانس اللغة الإنجليزية وآدابها - جامعة القاهرة - ١٩٦٠.
- ٢- ماجستير في الأدب الإنجليزى في موضوع "مفهوم الحب في مسرح برنارد شو" ١٩٦٧.
- ٣- دبلوم في اللغويات الإنجليزية التطبيقية - جامعة لانكستر - إنجلترا - ١٩٧٢.
- ٤- دكتوراه في الأدب الإنجليزى في موضوع "مفهوم الطبيعة في أعمال جورج مير狄ث" - ١٩٧٦.

المناصب :

- ١- مدرس الأدب الإنجليزى بكلية الألسن (١٩٦٠-١٩٧٥)
- ٢- مستشار وزير الثقافة (١٩٧٢-١٩٧٤)
- ٣- مستشار السيد رئيس الجمهورية (١٩٧٤-١٩٨١)
- ٤- مدير تحرير مجلة "الجديد" (١٩٧٤-١٩٨١)
- ٥- أستاذ مساعد النقد الفنى بالمعهد العالى للنقد الفنى بأكاديمية الفنون (١٩٧٥-١٩٨١)
- ٦- أمين لجنة الدراسات الأنجليزية بالمجلس الأعلى للثقافة (١٩٧٨-١٩٨٢)
- ٧- أستاذ النقد الفنى بأكاديمية الفنون (١٩٨١-١٩٨٦)
- ٨- أستاذ زائر بجامعة أكسفورد بإنجلترا لتدريس الأدب المصرى المعاصر (١٩٨٦-١٩٨٩)
- ٩- أستاذ وعميد المعهد العالى للنقد الفنى بأكاديمية الفنون (١٩٨٩-١٩٩٤)
- ١٠- رئيس قسم النقد الأدبى بالمعهد العالى للنقد الفنى (١٩٩٤-١٩٩٨)
- ١١- عميد المعهد العالى للنقد الفنى (١٩٩٨-)

- ١٢ - عضو اتحاد الكتاب ونقابة المهن السينمائية ونقابة المهن التمثيلية.
- ١٣ - عضو في مؤتمرات الأدباء العرب ومؤتمرات المستشرقين في الخارج .
- ١٤ - عضو لجنة تحكيم جوائز الدولة للأدب في الكويت - ١٩٩٨ .

المؤلفات :

الدراسات :

- ١- قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ - دار الكاتب العربي - ١٩٦٧
- ٢- فن الرواية عند يوسف السباعي - مكتبة الخانجي - ١٩٧٢
- ٣- مدارس الأدب العالمي - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٧٤
- ٤- أنور السادات - رائدًا للتأصيل الفكري - دار المعرف - ١٩٧٥
- ٥- المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية - مكتبة مصر - ١٩٧٧
- ٦- معلم الأدب العالمي المعاصر - دار المعرف - ١٩٧٨
- ٧- أدباء القرن العشرين (جزءان) - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٧٩
- ٨- موسوعة أدباء أمريكا (جزءان) - دار المعرف - ١٩٧٩
- ٩- مستقبل الديمقراطية في مصر - الهيئة العامة للاستعلامات - ١٩٨٠
- ١٠- التفسير العلمي للأدب - المركز الثقافي الجامعي - ١٩٨٠
- ١١- الاشتراكية والحب عند برنارد شو - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٠
- ١٢- دليل الناقد الأدبي - مكتبة غريب - ١٩٨١
- ١٣- دليل الناقد الفني - مكتبة غريب - ١٩٨١
- ١٤- فن المسرح عند يوسف إدريس - مكتبة غريب - ١٩٨١
- ١٥- النقد الفني - دار المعرف - ١٩٨١
- ١٦- الدراما الواقعية عند نعمان عاشور - الهيئة المصرية - ١٩٨٢
- ١٧- القواعد الذهبية لاتقان اللغة العربية - مكتبة غريب - ١٩٨٣
- ١٨- موجز قواعد اللغة الإنجليزية - مكتبة مصر - ١٩٨٤
- ١٩- لغة المسرح عند ألفريد فرج - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٥

- ٢٠- هدى شعراوى وعصر التتوير - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٧
- ٢١- فن الدراما عند رشاد رشدى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٧
- ٢٢- موسوعة الفكر الأدبى (جزءان) - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٨
- ٢٣- أعلام التتوير المعاصر - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٨
- ٢٤- أعمدة الأسرة السبعة - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
- ٢٥- الخوف من المجهول - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
- ٢٦- شرف الكلمة - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
- ٢٧- سجن القلق - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
- ٢٨- بئر الإدمان - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
- ٢٩- العنف يجتاح العالم - مكتبة المحبة - ١٩٨٨
- ٣٠- موسوعة الفكر القومى العربى (جزءان) - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٨٩
- ٣١- مسرح التحولات الاجتماعية - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٠
- ٣٢- الملهمة الإلهية - دار الثقافة - ١٩٩٠
- ٣٣- الشخصية المصرية بين الحزن والمرح - دار الثقافة - ١٩٩٢
- ٣٤- زواج العلم والأدب - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٢
- ٣٥- فن التأليف الروائى - مكتبة مصر - ١٩٩٢
- ٣٦- عصر الإسكندرية الذهبى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٣
- ٣٧- نقاد الأدب : رشاد رشدى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٣
- ٣٨- عزف على أوتار مشدودة - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٣
- ٣٩- تجربة مبارك الديموقراطية - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٤
- ٤٠- العلم تجربة روحية - دار المعارف - ١٩٩٥
- ٤١- أصول الريادة الحضارية - مؤسسة الثقافة أبو ظبى - ١٩٩٥
- ٤٢- أصول التتوير الفكري - دار انتصار بجدة - ١٩٩٥

- ٤٣- شباب اليوم - المشكلات والحلول - المجلس الأعلى للشباب والرياضة - ١٩٩٥
- ٤٤- فن العرض المسرحي - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - ١٩٩٥
- ٤٥- أساسيات النقد الفنى - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - ١٩٩٥
- ٤٦- فنون الأدب العالمي - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - ١٩٩٦
- ٤٧- موسوعة الإبداع الأدبى - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - ١٩٩٦
- ٤٨- المصطلحات الأدبية والفنية - دار النديم - ١٩٩٦
- ٤٩- أصول الكوميديا الراقية - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٦
- ٥٠- محمد نيمور: رائدًا للتحديث الأدبى - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٦
- ٥١- أصول الصنعة الأدبية - المجلس الاعلى للشباب والرياضة - ١٩٩٦
- ٥٢- الشخصية الزئبقة - الدار المصرية اللبنانية - ١٩٩٧
- ٥٣- ناصر ٦٧ : شهادة إسرائيلية - مكتبة مدبولي - ١٩٩٧
- ٥٤- غسيل المخ - دار غريب - ١٩٩٨ .
- ٥٥- الحب الأفلاطونى - دار غريب - ١٩٩٨ .
- ٥٦- لغة التعبير بالجسد - دار غريب - ١٩٩٨ .
- ٥٧- أسرار المطبخ السياسي - دار غريب - ١٩٩٨
- ٥٨- العمل الصحفى - المفروء والمسموع والمرئى - لونجمان - ١٩٩٩

المترجمات:

- ١- الليلة الأخيرة في القرن العشرين - دار كتابات معاصرة - ١٩٦٩
- ٢- ثورة الصيادين (رواية ألمانية) - دار كتابات معاصرة - ١٩٧٠
- ٣- معلم الثقافة الأمريكية (دراسة موسوعية) دار المعرف - ١٩٨٠
- ٤- أرض الضياع : ت. س. إلبيت (ترجمة ودراسة) الهيئة المصرية - ١٩٨٧

الروايات :

- ١- الوصمة - مكتبة غريب - ١٩٧٨
- ٢- البطانة - مكتبة غريب - ١٩٧٩
- ٣- جبروت امرأة - مكتبة مصر - ١٩٨٠
- ٤- توابل الحب - مكتبة مصر - ١٩٨١
- ٥- سور الأزبكية - مكتبة مصر - ١٩٨١
- ٦- سوق الجوارى - مكتبة مصر - ١٩٨١
- ٧- عصر الحرير - مكتبة مصر - ١٩٨١
- ٨- الجيل الضائع - مكتبة مصر - ١٩٨٢
- ٩- غرام الأفاعى - مكتبة مصر - ١٩٨٣
- ١٠- شق الثعبان - مكتبة مصر - ١٩٨٣
- ١١- قلعة الكبش - مكتبة مصر - ١٩٨٤
- ١٢- درب الشوك - مكتبة مصر - ١٩٨٥
- ١٣- الكودية - مكتبة مصر - ١٩٨٦
- ١٤- بنات مصر الجديدة - مكتبة مدبولى - ١٩٨٧
- ١٥- بحر الظلمات - مكتبة مصر - ١٩٨٨
- ١٦- زمن الجنون - مكتبة غريب - ١٩٨٨
- ١٧- أبناء الرعد - مكتبة مصر - ١٩٩٠
- ١٨- البصرة حبيبي - مكتبة مصر - ١٩٩٠
- ١٩- عاشقة الخريف - مكتبة مصر - ١٩٩١
- ٢٠- دماء غجرية - مكتبة مصر - ١٩٩٣
- ٢١- نزوة نوبية - مكتبة مصر - ١٩٩٣
- ٢٢- شجرة العواصف (مدجموعه قصص) - مكتبة مصر - ١٩٩٣
- ٢٣- سرقة توت عنخ آمون - دار ميدلايت للنشر - ١٩٩٣

- ٢٤- شهورش الجبار - دار ميدلايت للنشر - ١٩٩٣
- ٢٥- موسم ذبح الإناث - دار ميدلايت للنشر - ١٩٩٣
- ٢٦- سفاح المعادى وقصص أخرى - دار الأمين - ١٩٩٥
- ٢٧- امرأة بلا قلب وقصص أخرى - دار الأمين - ١٩٩٥
- ٢٨- كرسى السلطان - لونجمان - ١٩٩٨ .
- ٢٩- بدر البدور - لونجمان - ١٩٩٨ .

المسرحيات :

- ١- هكذا تكلم على بابا - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٩٧

أنشطة أخرى :

- ١- مقالات في الأدب والثقافة والحضارة في مختلف الصحف المصرية والعربية .
- ٢- مشاركة في البرامج الثقافية في الراديو والتلفزيون .
- ٣- أفلام سينمائية ومسلسلات تليفزيونية مأخوذة عن الروايات والقصص .

المخرج والكاتب السينمائي الدكتور / مذكور ثابت

- أستاذ بقسم الإخراج بالمعهد العالي للسينما بالقاهرة ، وقد ظل رئيساً للمركز القومي للسينما في مصر منذ يونيو ١٩٩٣ حتى أكتوبر ١٩٩٩ . ويشغل حالياً منصب رئيس الرقابة على المصنفات الفنية في مصر .
- من مواليد قرية كوم أشقاو بطما / سوهاج في ٣٠ / ٩ / ١٩٤٥ .، وتلقى مراحل تعليمه بشبرا في القاهرة .
- تخرج ضمن الرعيل الأول من المعهد العالي للسينما بحصوله على بكالوريوس قسم الإخراج دفعة يونيو ١٩٦٥ ، وكان ترتيبه الأول بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف ، فعيّن معيناً بالمعهد في يناير ١٩٦٦ ، ثم مدرساً في مارس ١٩٧٢ ليكون من أوائل أعضاء هيئة التدريس بالمعهد .
- يتولى تدريس مواد : تاريخ السينما العالمية ، وبناء السيناريو ، وحرفية الإخراج السينمائي ، ويشرف على مجموعة سنوية من أفلام التخرج لقسم الإخراج والسيناريو ، وأستاذ الورشة الإبداعية في الإخراج السينمائي ، وحلقة أبحاث قمم المبدعين السينمائيين بالدراسات العليا ، كما يشرف على حلقة الأبحاث التمهيدية الخاصة برسائل الدكتوراه في جميع تخصصات المعهد .
- كان عضواً بارزاً في حركة السينمائيين الشبان بمصر في السبعينيات .
- كتب وأخرج أول أفلامه " ثورة المكن " في يونيو ١٩٦٧ ، وحصل على الجائزة الأولى في إخراج الأفلام التسجيلية من مهرجان الإسكندرية ١٩٦٩ ، كما حاز شهادات التقدير في العديد من المهرجانات العالمية .
- في أغسطس ١٩٦٩ بدأ يمارس تبنيه لاتجاه السينما التجريبية ، فكتب وأخرج " حكاية الأصل والصورة في إخراج قصة نجيب محفوظ المسممة صورة ".

(٦٠ دقيقة) والذى عرض الجزء الثالث من فيلم "صور ممنوعة" كأول فيلم روائى للمخرجين الثلاثة الجدد حينئذ : أشرف فهمى ، محمد عبد العزيز ، مذكور ثابت ، فتم اختياره للاشتراك فى مهرجان كارلو فيفارى السينمائى الدولى ١٩٧٢ .

* عمل مراسلا حربيا سينمائيا على طول جبهة القتال فى فترة حرب الاستنزاف ، أثناء خدمته بالقوات المسلحة المصرية من يناير ١٩٦٨ وحتى أكتوبر ١٩٧٣ .

* فى ١٩٧٥ أخرج الفيلم الكوميدى "الولد الغبى" بطولة محمد عوض ونادر شريف وصلاح قابيل ، واعتبره درسا قاسيا فى التنازلات الفنية ، فركز على كتابة وإخراج الأفلام التسجيلية ، ومن أهم أفلامه : على أرض سيناء (١٩٧٥) ، الشمندوره والتمساح (١٩٨٠) وفيلميه الكبيرين (٦٠ دقيقة) السماكين فى قطر (١٩٨٥) ، ومذكرات بدر ٣ (١٩٩٢ / ٨٩) وسلسلة أفلام تطوير الرى فى مصر (تعليمية) ، وسحر الوثائق - فى تاريخ مصر من نهاية القرن ١٩ حتى نهاية القرن ٢٠ (١٩٩٨ - ١٣٥ دقيقة) .

* فى ١٩٨٠ اختير لعضوية أول لجنة لسينما الطفل بوزارة الثقافة ، وأشرف على إخراج وإنتاج أول ثلاثة أفلام كرتون للأطفال هي : (الحوت ، الأرقام ، الفم) وفي ٩٠ / ١٩٩١ مقررا للجنتين التأسيسيتين لمناهج شعبتى السيناريو والإخراج السينمائى بالمعهد العالى لفنون الطفل ، وعضوًا بجميع اللجان التأسيسية لبقية أقسام المعهد ، كما اختير عضوا لجنة التحكيم الدولية فى مهرجان القاهرة الدولى لسينما الطفل (سبتمبر ١٩٩٢) .

* شارك لسنوات عديدة فى لجان الأنشطة السينمائية المتخصصة ، مثل لجنة السينما بالمجلس الأعلى للثقافة ، واللجنة العليا للمهرجانات ... الخ ، كما يتم اختياره لعضوية لجان تحكيم جوائز السينما ، وجائزة الدولة التشجيعية فى

السينما . وقد ساهم فى التخطيط والإعداد والتنظيم لكثير من المؤتمرات والندوات والمهرجانات .

* رأس وفد مصر ومثل مصر فى العديد من المهرجانات والمؤتمرات السينمائية العالمية والمحليه .

* تم اختياره رئيساً للجنة التحكيم الدولية فى مهرجان فريبورج السينمائى الدولى بسويسرا فى مارس ١٩٩٦م . وشارك فى عضوية لجنة تحكيم مهرجان باليزو الدولى الثالث عشر للفيلم العلمى بفرنسا عام ١٩٩٧ وتم اختياره رئيساً للجنة التحكيم الدولية فى مهرجان أزمير السينمائى بتركيا عام ١٩٩٨ .

* دأبت المراكز العربية خارج مصر على الاستعانة بخبراته فى التدريس لتطوير مستويات المحترفين بالتلليفزيونات العربية ، كما يستعان به كخبير قضائى للفصل فى المنازعات السينمائية التى تنظر أمام المحاكم المصرية .

* تولى العمل " مقرر لجنة تطبيق اللوائح الجامعية بأكاديمية الفنون " .

* عمل كخبير استشارى فى لجان قراءة السيناريو بأكثر من جهة للإنتاج والتوزيع السينمائى والتليفزيونى .

* كتب ونشر العديد من الأبحاث والدراسات المتخصصة فى علم الجمال السينمائى ، والسينما المعاصرة ، والفيلم التجريبى ، كما عمل مديرًا لتحرير فصلية " الفن المعاصر " التى كانت تصدرها أكاديمية الفنون ورئيساً لتحرير " دراسات سينمائية " التى أصدرها المعهد العالى للسينما .

* صدرت من تأليفه عدة كتب : " النظرية والإبداع فى سيناريو وإخراج الفيلم السينمائى " (عام ١٩٩٣م) و " الكسر النسبى فى الإيهام السينمائى " (عام ١٩٩٤م) والفنان السينمائى (١٩٩٧) وكتاب " ثلج فوق صدور ساخنة " (١٩٩٧) وهو سيناريو سينمائى صدر ككتاب قبل أن ينتاج سينمائياً .

* تولى تطوير وتكثيف أنشطة المركز القومى للسينما فى الإنتاج والثقافة السينمائية وأهمها تأسيس ونشر "ملفات السينما" التى أصدر منها ثلاثة عشر مجلداً تضمنت مقدمات بحثية بقلمه ، بالإضافة إلى تقديم إنتاج المخرجين والسينمائيين الجدد ضمن ما أشرف على إنتاجه من أفلام قاربت المائة فيلم (تسجيلي وقصير) مع تنظيم " أسبوع الأفلام التسجيلية والقصيرة " لأول مرة فى تاريخ السينما المصرية ، وتوسيع دائرة المشاركة المصرية فى الأنشطة السينمائية على المستوى الدولى .

* آخر تقدير له فى مجال الإبداع السينمائى كان حصوله على الجائزة الدولية الأولى فى إخراج الأفلام التسجيلية من مهرجان قرطاجنة الدولى لأفلام البحر (الدورة ٢٢ عام ١٩٩٣) وذلك عن فيلمه الكبير : " السماسكين فى قطر " (٦٠ دقيقة) . وهى المرة الثانية لمصر فى الحصول على هذه الجائزة (كانت الأولى عام ١٩٧٨ للفيلم الكبير " ينابيع الشمس " من إخراج جون فينى) .

* * * *

Dr. Nabil Raghe and his

Research in a Fifth Hypothesis

By: Prof. Dr. Madkour Thabet

This is the fifteenth research in our “Cinema Files” written by Prof. Dr. Nabil Ragheb . These files have aimed at filling the gaps in academic studies in order to re-write the history of the Egyptian cinema .

Dr. Nabil Ragheb has set a great example in finishing this work in all its stages within the frame of the strategy of files which have proved that stereotypes are the main characteristics of Egyptian Films .

The four hypotheses which have preceded this hypothesis are different angles or variations on one main theme : the various intellectual, technical, and dramatic treatment of the dominating stereotypes .

Our first hypothesis deals with Egyptian films (file 4 by Samir Seif) . It is considered a prelude to other hypothesis and studies of the different aspects of Egyptian films . Its dramatic effects : suspense, paradox and surprise are very common since the early beginnings of Egyptian cinema .

The second hypothesis treats the image of religions (File 7 Mahmoud Kassim) through the same vision of various stereotypes, especially that of the part played by fate in melodramatic terms .

The third hypothesis is concentrated on the axis of Heikal and Karim through the trend created by their film : “Zeinab” . It shows the romantic and impressionistic treatment of Egyptian themes , especially that of rural life . Even when films became more realistic, they never lost their lyrical attitude towards life .

The fourth hypothesis casts lights on the vaudeville cinema of comedy and singing, as a result of Egyptian theatre which had been popular among different social

classes. Its stereotyped treatment have never become exhaustible .

This new file presented by Prof. Dr. Nabil Ragheb on stereotypes in Egyptian cinema is a direct analysis or criticism or documentation of these types. It completely depends on successive evidences and examples in order to trace the early roots of these types and the causes lying behind their long continuation . He points out in his introduction :

“It is easy to trace most of the stereotypes in Egyptian films . They are evident either in contents or forms or characters or themes or locationsetc. But this does not mean that Egyptian films have nothing to do with , except stereotypes.”

It is clear that there are five elements which bother Dr.Nabil Ragheb as main trends or difficulties in his study. He is so conscious of them that he refers to them in his introduction. These stereotypical elements are intermingling to the extent that separating them, one from the other, seems sometimes to be an impossible task.

The second trend shows how it is so difficult to divide the history of the Egyptian cinema into clear-cut stages since its beginning in the twenties. It is possible to trace the elements or aspects started by Aziza Amir, Wedad Orfy, Ebrahim Lama and Togo Mezrahi, to the films produced in the last decade in the 20th century . This means that this stereotypical and melodramatic stage has been going on for three quarters of a century without any boredom. But the bells of alarm have lately rung to announce the fatal crisis of Egyptian cinema after the ebb of movie buildings, and the supremacy practised by the television, video and international nets .

The third trend emphasizes the crucial situation which the Egyptian cinema is facing now. It is impossible to start the 21st century with these intellectual and melodramatic stereotypes as effective tools. The world has become a small village in which the spectator can push a button and then enjoy watching marvellous films all over the world. Now the Egyptian cinema has to decide whether to be or not to be . There is no other choice. Luckily enough, it owns

the capacities, abilities, talents and experiences to accept this challenge, if they are properly used.

The fourth trend is rather optimistic because the Egyptian cinema has shown its capacity to produce avant-garde and experimental films. For this season, the last chapter in this study stresses on the various incentives which prove that the Egyptian cinema has been a real pioneer, not only on the Arab level but also on the international level because it started in the twenties of the 20th century. It can surpass all these stereotypes, especially when it takes its contents from its society, and looks for new horizons, away from naive mimicry of American cinema.

The fifth trend shows the cruelty of a critic who loves Egyptian cinema and believes in its capacity to stand his criticism and improve its tools and weapons. The image is not so dull as it seems at the first glance, or as its foes try to spoil its glories. It has many great landmarks and turning points since its early beginnings. It has produced about 140 avant-garde and experimental films in 75 years. This

critical study proves that it has enough corrective forces due to its genuine traditions and deep foundations .

So, any attempt to make use of this study to attack or destroy our cinema, or to belittle its avant-garde role, is ultimately a failure. The strong does not fear facing his points of weakness, in order to get rid of them and look for new achievements and innovations .

Thus, Dr. Nabil Ragheb is a cruel critic of the Egyptian cinema , but a great lover of it at the same time. This objective point of view embodies the dreams of our cinema lovers who look for a glorious future in a new century .

Last but not least, we expect this study to stir thrilling discussions and debates on this vital subject, in order to reach new evaluations which can eliminate the difficulties and solve the problems which may face our new expectations .

By: Prof. Dr. Madkour Thabet

January 2000

INTRODUCTION

It is easy to trace most of the stereotypes in Egyptian films. They are evident either in contents or forms or characters or themes or locations... etc. But this does not mean that Egyptian films have nothing to do with, except stereotypes. The Egyptian cinema has the potentialities to produce not only non-stereotyped films, but also experimental and avant-grade ones. In addition to this, it has proved that such stereotypes are not so in themselves if they are handled from a different or new point of view. By its nature, art is against repetition. It always seeks innovation through new styles of intellectual and dramatic approaches.

But stereotyped approaches have led to conventional and typical techniques in film structure. Such techniques are repeatedly represented in prolonged scenes and dialogues, direct preaching; coincidences and illogical surprises in order to develop the dramatic context in an artificial way, happy endings which are not the effects of previous causes, imposed defeat of evil, however strong it may be; conventional conflict between desire and necessity; misunderstanding between the speaker and listener, double meanings, puns and verbal jokes; farcical situations which turn good actors into clowns using stereotyped means of exciting laughter; melodramatic situations which

exaggerate, either by movement or speech, in order to arouse the pity or sorrow of the spectators; belly-dancing and songs which stop the development of events for a while, imitations of American films, especially their stereotyped elements ...etc.

Stereotyped characters dominate the scene in Egyptian films. They are ready to be recalled either by the writer or by the director from previous films in order to play the same role, or to repeat the same mannerisms in movement and elocution. Among such characters are the types of the villain, insincere lover, spoilt girl, persecuted woman, lover's friend, step-mother, sexappeal girl, romantic lover, servant, strict or demoralized pasha, naïve farmer, mayor, policeman, officer, Maazoon, official, teacher, bully, gangster, bedouin, drunkard, addict, berber, prostitute, belly dancer, composer, Greek settler, judge, attorney general, detective, imposter, independent woman, frustrated woman, widow, teenager, blind, idiot, dumb, artist, Darwish, Sheikh, innocent defendant, busy husband, illegitimate son, pander, cruel father, businessman, millionaire, evil company, divorced woman, lunatic, unlucky, mother-in-law, profiteer, feudalist, hostage, orphan, opportunist, liar ... etc.

It has been natural for such stereotyped characters to live or move in stereotyped locations: the alley, palace, night-club, brothel, jail, prison, hotel, police-station, train, field, garden, beach or sea shore, monuments, the Nile, desert, village, city, poor or aristocratic

district, basement, roof, tombs, cottages, caves, orphanage, lunatic asylum, juvenile house, law-court, hospital, coffee-shop, club, governmental office, university, school ... etc.

Such locations are stereotyped because they nearly appear the same in most films, although different and new points of view either in writing or directing, may show them to the spectators as if they see them for the first time. In fact, stereotypes lead to more stereotypes while innovations lead to more innovations.

The same criterion can be applied to stereotyped themes and ideas such as rape and adultery, revenge, murder, violence, disease and disability, complexes, loss of memory, madness, conjugal infidelity, gangs, narcotics, addiction and drugs, dreams and visions, ghosts, conjury, tricks of the villain, prostitution, suicide, sacrifice, social distinction and social climbing, secret marriage ... etc.

In spite of all these stereotypes, this study has proved in its last chapter that the Egyptian film production is still capable of creating experimental or even avant-grade films, which seek new horizons either in form or content. They make full use of the potentialities of the language of image and movement, whether from the intellectual or aesthetic point of view. They embody the vital issues of the contemporary Egyptian society on a human and dramatic level in order to be comprehended and appreciated by man everywhere, apart from the limits of time and place. They do not imitate previous films,

however successful and popular they might be. Imitation is the first step within the limits of stereotypes. They make use of the cinema as a tool for thought as well as entertainment.

This study tends to ring the alarm bell against the dominance of stereotyped elements in Egyptian films. Egypt is a country of talents, capacities, abilities, experiences, experiments, ancient civilization and great heritage, which enable her to go on with her leadership in the Arab area. The Egyptian film makers are not supposed to waste their energies in repeating the same contents and forms while Egyptian society always provides them with fresh conceptions and newly discovered themes. It is a cosmopolitan society with great social, economical, cultural and intellectual varieties, which are to be artistically embodied in our films.

No one can ignore the great influence practised by films on the way we think and behave. They form an organic part of our thought, behaviour, culture and civilization. If our thought becomes stereotyped, this simply means that we become unable to have thoughts and ideas of our own. It is commercially known that these stereotypes are popular spices , but even when spices are mechanically or automatically repeated, they lose their taste. Thus, they lose the motive to attract new spectators, while the regular ones lose their appetite bit by bit, and the final result is a complete loss whether commercially or artistically or intellectually.

Such conventional spices are not only found in Egyptian films, but in films all over the world. Film makers know that the spectators live a monotonous and boring life, and such spices are some kind of a compensation for them. They practise the thrill of life on the screen. But the way of thrill has to be changed every now and then, it may be physical, psychological, intellectual, spiritual, sensual, ... etc. If it is nearly the same all the time, it does not become a thrill any more. For this reason, subtle film makers in advanced countries are fully conscious of the public need to change the mood. They produce new trends, stages, waves or movements. But in the Egyptian cinema the trends are nearly the same since its early beginnings, with the exception of about 140 experimental or avant-grade films.

This is a good sum, anyway, but because we have great confidence in Egyptian film-makers and their ability to look for new horizons, we ask for more innovations to cope with the needs and prospects of the twenty-first century. If Egyptian producers cannot afford high expenses or big budgets for their films, subtle artistic techniques can make up for such financial drawbacks. The Italian realistic cinema movement after the second world war is a good example for this. Art must have the priority over money.

All what Egyptian films need is new techniques, conceptions, visions, forms, dimensions, depths and meanings in order to find their our language. Fortunately enough, the cinema language has limitless

means of expression, by making use of hints, lights, colours, shadows, shades, voices, sounds, melodies, harmonies, images, symbols, metaphors, analogies, paradoxes, dimensions, depths, ... etc. The language of theatre or music or plastic art, is not that limitless. In fact, they are mere tools in the hands of films makers. It is unreasonable to neglect such artistic riches and dramatic affluence in order to stick to poor or hackneyed stereotyped forms and contents.

This study has proved that scientific analysis, intellectual interpretation, cultural foresight and social insight, are the main tools to find new themes and conceptions, while dramatic techniques, artistic innovations, new usages of picture and sound, can afford new forms and structures. Fortunately enough, Egyptian film makers own these tools, and what is only needed is to make full use of them.

1st July 1999

NABIL RAGHEB

Dr. Nabil Ragheb (C. V.)

NAME : Nabil Ragheb

DATE OF BIRTH : 2nd January 1940, Tanta, Egypt

DEGREES :

- 1- B. A., English Literature 1960.
- 2- Diploma in Applied English Linguistic, Lancaster University, Britain, 1972.
- 3- M. A., English Literature, 1967
- 4- Ph. D., English Literature, 1976.

JOBS :

- 1- Lecturer of English Literature, Faculty of Languages (Alson), (1960-1975).
- 2- Assistant Professor of Art-Criticism (1995 -1981).
- 3- Adviser of Minister of Culture, (1972 -1974).
- 4- Adviser of the President (Sadat), (1974 -1981).
- 5- Professor of Art-Criticism, Academy of Arts, (1981-1986).
- 6- Dean of Higher Institute of Art-Criticism, Academy of Arts, (1986-1994).
- 7- Head of Art-Criticism Department, Academy of Arts, (1994 -).
- 8- Dean of Higher Institute of Art-Criticism (1998-).

WORKS : [Selected]

PUBLISHED STUDIES:

- 1 - Art-form in the Novels of Naguib Mahfouz, 1967.
- 2 - Art-form in the Novels of Yousef Es-Sibai, 1972.
- 3 - Schools of World Literature, 1975.
- 4 - Anwar Es-Sadat, An Intellectual Pioneer, 1975.
- 5 - From Classicism to the Abourd, 1977.
- 6 - Aspects of Contemporary World Literature, 1978.
- 7 - The 20th Century Writers, 2 Vols., 1979.
- 8 - Encyclopedia of American Writers, 2 Vols., 1979.
- 9 - The Future of the Democracy in Egypt, 1980.
- 10 - The Scientific Interpretation of Literature, 1980.
- 11 - Socialism and Love in Shaw's Plays, 1980.
- 12 - Art-form in the Plays of Youssef Idris, 1980.

- 13 - A Guide for Literary Critics, 1981.
 14 - A Guide for Art-Critics, 1981.
 15 - Art-criticism, 1981.
 16 - Realism in the plays of Nooman Ashour, 1982.
 17 - A Manual for Arabic Grammar, 1983.
 18 - A Manual for English Grammar, 1984.
 19 - The Dramatic Language in Alfred Farag's Plays.
 20 - Hoda Sharawi and the Age of Enlightenment, 1986.
 21 - The Dramatic Elements in Rashad Rushdy's Plays, 1987.
 22 - Encyclopedia of Literary Thought, 2 Vols., 1988.
 23 - Pioneers of Contemporary Enlightenment, 1988.
 24 - Encyclopedia of National Arabic Thought, 1989.
 25 - Social Themes in the Plays of Saad Wahba and Lotfy El Kholy, 1990.
 26 - The Divine Epic, 1990.
 27 - The Sad and Happy Elements in the Egyptian Character, 1992.
 28 - Science and Literature, 1992.
 29 - The Art of Novel-Writing, 1992.
 30 - The Golden Age of Alexandria, 1993.
 31 - Science as a Spiritual Experience, 1994.
 32 - Mubarak's Democratic Experiment, 1995.
 33 - The Art of Dramatic Performance, 1995.

PUBLISHED ARABIC TRANSLATIONS:

- 1- The Last Night in the 20th Century, A Book of a Short Stories, 1969.
 2- The Revolt of Fisherman, A Novel, 1970.
 3- Landmarks of American Writings, 1980.
 4- T.S. Eliot's "The Waste Land", 1985.

PUBLISHED NOVELS:

- | | |
|------------------------|-------|
| 1- The Mark. | 1978. |
| 2- Entourage, | 1979. |
| 3- A Woman's Tyranny, | 1980. |
| 4- The Spices of Love, | 1980. |
| 5- Slaves' Market, | 1981. |
| 6- Azbakia Fence, | 1981. |

7- The Age of Harem,	1981.
8- The Lost Generation,	1982.
9- The Lust of Snakes,	1983.
10- The Serpent Crack,	1983.
11- The Ram Citadel,	1984.
12- Road of Thorns,	1985.
13- Queen of Zar,	1986.
14- The Heliopolis Girls,	1987.
15- The Sea of Darkness,	1988.
16- The Age of Madness,	1988.
17- Sons of Thunder,	1991.
18- The Kidnapping of Tut-Ankh-Amoun	1992.
19- The Great Sharmurish,	1992.
20- The Session of Females' Slaughter,	1993.
21- The Autumn Lover,	1993.
22- Gipsy Blood,	1994.
23- The Tempest Tree,	1995.
24- Capricio Nubiana,	1995.
25- A Heartless Woman,	1995.
26- The Sultan's Throne,	1998.
27- Badr El-Bidoor,	1998.

Prof. Dr. Madkour Thabet
(C. V.)

- * Film Director and Writer.
- * Professor of Film Direction at the Higher hstitute of Cinema in Cairo ... Actually President of Audio-visual Sensorship authority.
- * Born On 30 / 9 /1945
- * One of the early film graduates in Egypt he obtained the Bachelor degree in direction in June 1965 .. Was the first of his class with Excellent distinction.. was appointed as a lecturer at the Cinema Institute in 1966 then was promoted as a senior lecturer in March 1972 tobegin his career as an academician and join the first generation of the Cinema Institute Faculty members.
- * He lecturers on : History of World Cinema, Script Structure, Craftmanship of film direction .
- * He supervises an annual group of graduate films of script-writing and direction Departments .
- * He supervises also : the creative workshop of cinematographic direction, the top filmmakers' postgraduate research seminar, the preliminary seminar for PH. D. researchers of all departments of the Institute.
- * In the Academy of Arts he was responsible of many positions since 1986, the most importants are : reporter of the Committee of applying University regulations to the Academy of Arts; Managing Editor of "Al Fan Al Muassir" magazine (issued by the Academy of Arts quarterly); Editor in Chief of "Cinematographic Studies" issued by the Cinema Institute ; Member of Supervising Committee of Cinematographic publications issued by the Academy.

- * Was one of the leading members of the Young Film-Makers' Movement in Egypt in the 1960 .
- * Directed and wrote the script of his first film "**MACHINERY REVOLUTION**" in June 1967.
- * Obtained the First Prize in directing documentary films from Alexandria Film Festival in 1969.
- * Was granted Merit Diploms from several International Festivals.
- * In August 1969 he started his trend towards experimental Film-Making so he wrote and directed "Story of the original and the copy" (Story of Naguib Mahfouz titled "**PHOTO**" (60 minutes) which is the third part of film "**BANNED PHOTOS**": the first feature film of the new three film-makers - Ashraf Fahmy, Mohammed Abdel Aziz, Madkour Thabet ... So,, this film has been selected for participating in Karlovy Vary International Film Festival in 1972.
- * Worked on the war front as Cinematographic Military Correspondent during his military service from January 1968 till October 1973.
- * Directed in 1975 the comic feature film "**STUPID BOY**" starring Mohammed Awad, Nahed Sherif & Salah Kabil. He considered this film as a severe lesson - in the field of artistic relinquishments. So, he concentrated in writing & directing the documentary films; the most importants are: "**ON THE EARTH OF SINAI**" (1975);"**THE SHAMANDOURA AND THE CROCODILE**" (1980)and his two long films (60 minutes) : "**FISHERMEN IN QATAR**" (1995) -**MEMOIRS OF BADR 3**" (1989/1992) and series of educational films on updating irrigation in Egypt.

- * In 1980 he was selected as member of the first Committee by the Ministry of Culture for Children's films. He supervised the and of the first three Cartoon films for children "THE WHALE, THE NUMBERS, The MOUTH). In 1990/1991 he was selected as secretary of the two Committee for the programmes of both sections of Script & Direction is the Higher Institute of Children's Arts and member of all the fundamental Committees-in all the other Institute's Sections. He was selected also as member of the Jury of Cairo International Festival for Children's Films (September 1992).
- * Took part, for several years in the Committees concerned of specialised film activities such as the film committee of the Supreme Council of Culture and the Higher Committee of Festivals .. etc. ... He is also selected as a member of the Arbitrary Committee granting film awards and the State Award of Encouragement in Cinema.. He contributed to the planning Organization and arrangement of numerous Conferences, Symposiums and Festivals.
- * Headed the Egyptian Delegation and represented Egypt in many International and Local Film Festivals and Conference, He was elected as the President of the International Jury of Fribourg International Film Festival in Switzerland in March 1996 .. He was also a member of the International Jury of Palaiseau Film Festival in France (in 1997). Was elected as president of the international Jury of the Izmir international film festival-Turkey in 1998.
- * The Arab Centers, out of Egypt, have always used his experiences in giving courses of raising qualification for the Arab TV professionals.. He has been also invited as a Judicial expert in front of the Egyptian Courts for the settlement of Cinematographic disputes.
- * Worked as Consultative expert for the script reading Committees of many film and TV production and distribution authorities.

Works and published many specialized lectures and studies in the fields of film aesthetic, comparative Cinema and Experimental film.

Two of his books have been published: "Theory and criticism in Soviet writing and criticism of the film" (in 1983) & "An Experiment of Aesthetic Analysis" (in 1984) published by the General Egyptian Organization of Book.

One of the latest application he received in the field of Cinema-theatrical criticism was when he received the "First International Prize in critical documentation film" from Cuban International Festival for Maritime Films (22nd Edition in 1983) for his long film "FISHERMEN IN QATAR" (90 minutes). This was the second time for Egypt to obtain this prize (The first was in 1978 when the long documentary film "OUNTAINS OF SUN" by Tariq Farid was awarded).

Recently concluding the Egyptian Film Center's activities in promotion and Cinema-theatrical Culture, the latest is the foundation and publication of "Cinema Files": the first five books have been published including introduction written by him. This addition to the presentation of the new filmmakers, promotion and organization of "Weeks of Documentary & Short Films" and the organization of "Weeks of Documentary Cinema" as the first time in the History of the Egyptian Cinema.

CONTENTS

	Page	
Acknowledgments		
Introduction	Dr. Nabil Ragheb and his Research in a Fifth Hypothesis By: Prof. Dr. Madkour Thabet	6 p.
Introduction	By: Dr. Nabil Ragheb	6 p.
Chapter 1	A Compound Of Stereotypes	1
Chapter 2	Characters In Disguise	87
Chapter 3	Rape and Adultery	137
Chapter 4	Revenge, Murder & Violence	183
Chapter 5	Diseases and Disability	219
Chapter 6	Complexes, Loss of Memory & Madness	243
Chapter 7	Conjugal Infidelity	273
Chapter 8	Gangs and Narcotics	297
Chapter 9	Addiction and Drugs	323
Chapter 10	Dreams, Visions, Ghosts & Conjury	335
Chapter 11	Coincidences & Surprises	353
Chapter 12	The Tricks of the Villain	369
Chapter 13	The Tragedies of Prostitutes	391
Chapter 14	Suicide and Sacrifice	411
Chapter 15	Social Distinctions & Social Climbing ..	423
Chapter 16	Secret Marriage	439
Chapter 17	Avant-Grade Films	454



— MINISTRY OF CULTURE —

EGYPTIAN FILM CENTER

**President
of the centre**

**Prof. Dr. Mohamed Kamel El-
Kalioby**

Supervisor Found of cinema files

Prof. Dr. MadKour Thabet

Lay Out :

Mohamed El Saied

Cover :

Joussef Ragheb

Executive Swcretary :

Joussef Hassen

Arabic Hand-writing :

Abdel Rahim Shehata

Financial & Administrative

Affairs :

Abdel Maboud Elnefily

منتدى سورا الأزربيجانية

WWW.BOOKS4ALL.NET

**STEREOTYPES
IN
EGYPTIAN FILMS**

By : Prof. Dr. **Nabil Ragheb**

Introduction by :

Prof. Dr. **Madkour Thabet**